مخطوط رقم	3357 م.ك	الموضوع	تفسير
العنوان	الجامع لاحكام القرآن ـ المجلد الخامس ـ		
المؤلف	القرطبي ; محمد بن احمد ـ 671 هـ		
أوله			
آخره			
تاريخ النسخ	القرن (8) هـ		
إسم الناسخ			
نوع الخط	نسخ معتاد	عدد الأوراق	349
لغة المخطوط		عدد الأسطر	0
تاريخ التأليف		المقاس	
الملاحظات			
مصدر المخطوط	شستربيتي		
المراجع			

PIETERSE DAVISON
INTERNATIONAL Ltd
microfilm service
Chester Beatty
Library
MS
23 11 1978
5 cm

فان ابي بكره مزمح جرحه النبي صلي الله عليه وسلم وظهرت الروم علي فارس يوم الحديبيه
علي راس تسع سنين من مناجيهم وقال الشعبي لم تمض تلك المدة حتى غلبت الروم
فارس وردطوا خيلهم بالمدايين
فقال له النبي صلي الله عليه
سيغلب فليه الروم فارس ام
استعمل احد بنيك علي حبشتن
من صقر فهنا فرخان احد
فاختر قال فاختار الحكيم و
قال عكرمه وغيره
فقال اخوه فرخان لقد رايت
شهربزان ان ارسل الي ابرا
عليكم فرخان وعزل شهربزا
فرخان قتل شهربزان ثلاث
اكل ثم تقتلني انت بكتاب و
فقاوناعلي كسري فغلبت
وسلم يوم الحديبيه ففرح
الارض بعز ارض الشام
وقيل ان قيصر كان
باذرعات وبصري وهي
وهو موضع بين العراق والشا
قال ابن عطيه فا
اليه وهي التي ذكرا

فاخبرله شهربزان

تنورتها من اذرعات واهلها بيثرب ادنى دارها نظر عالي
وان كانت الوقعه بالجزيره من ادني بالبيا س الي ارض كسري وان كانت بالاردن

فهزادني البيارض الروم فلما طراذلك وغلبنا الروم سر الكفار فبشر الله عباده بان
الروم سيغلبون وتكون الدوله لهم فذلك قوله تعالي فاخ الروم وقرا
العين واللام
ذلك علي كفار
في بضع سنين
غلبت الروم بضم
وقرا سيغلبون
فيه والحديث
علي بنوه محمد
بنيه ان الروم ستغلب
كتاب
يا بدان يراهنهم
قمار قال
انه بفتح الباء يراد
وفي هذه القراه
النحاس ومن قرا
لبوا سيغلبون
عبد الخندري من
صل يوم بيعه
اليوم من كان نصر الله
يه الروم وهم
تقدم بيانه في
احديث النحاس وحول من وهو في الدر
اذ كان فيه دليل علي النبوه لانه اخبر جل وعز بانهم يغلبون في بضع سنين فكان فيه دليل
النبوه ٥ ابن عطيه ويشبه ان يعلل ذلك بما يقتضيه الفطر من محبه ان يغلب

3357

AL-JĀMIʿ LI-AḤKĀM AL-QUR'ĀN, by AL-QURṬUBĪ (d. 671/1273).

[The fifth volume of the massive commentary on the Qur'ān; see Nos. 3031, 3327.]

Foll. 249. 26·3 × 19 cm. Clear scholar's naskh.

Undated, 8/14th century.

3357

AL-JĀMIʿ LI-AḤKĀM AL-QUR'ĀN, by AL-QURṬUBĪ (d. 671/1273).

[The fifth volume of the massive commentary on the Qur'ān; see Nos. 3031, 3327.]

Foll. 249. 26·3 × 19 cm. Clear scholar's naskh.

Undated, 8/14th century.

D.357

A CHESTER BEATTY

3357

219

الحمد لله
انتقل بالابتياع الشرعي الى ملك
الراجي عفو ربه الفتاح محمد بن محمد الـ...
... في خامس عشر جمادى الآخر سنة
...

بالله الغني المجيد
محمد بن محمد الخطيب

الحمد لله العالم

الحزب ... من
اواخر القرآن
الى اوائل سورة فاطر

بقية الفرقان ثم الشعرا ثم النمل ثم القصص ثم الم احسب الناس ان يتركوا
ثم الم غلبت الروم ثم لقمان ثم الم السجدة ثم الاحزاب ثم سبا ثم قطعة من فاطر

ثم من قطعة فاطر الى آخر ص
حزب ٥

اوراق
عدد
٢٤٨

... كتب
الفقير عبد الباسط موسى
... الواعظ الموقت
بجامع الاموي ...

وقف
الشيخ زين الدين سلطان
على من عين في الوقفية

قوله تعالى

والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا الآيه

اختلف المفسرون فى تاويل الآيه فقال النخاس ومن احسن ما قيل فى معناه ان من انفق فى غير طاعة الله فهو الاسراف ومن امسك عن طاعة الله عز وجل فهو الاقتار وقال ابن عباس من انفق مائة الف فى حق فليس بسرف ومن انفق درهما فى غير حقه فهو سرف ومن منع من حق عليه فقد قتر قاله مجاهد وابن زيد وغيرهما وقال عون بن عبد الله الاسراف ان تنفق مال غيرك قال ابن عطيه وهذا وكوه غير مرتبط بالآيه والوجه ان يقال ان النفقه فى امر تنحظره الشريعه بعضيه وسرف قليله وتشبهه والتقتير على مال الغير وهو آكل الموصوفين مرهون عرضاك وانما الناديبه هذه الآيه هو فى نفقه الطاعات والمباحات فادب الشرع فيها ان لا يفرط الانسان حتى يضيع حقا اجزاء عياله ونحو هذا وان لا يضيق ايضا ويقتر حتى يجيع العيال ويفرط فى الشح والخسة فى ذلك هو القوام اى العدل والقوام فى كل واحد بحسب عياله وحاله وحقه طهره وصبره وجلده على الكسب او ضد هذه الخصال وخير الامور اوساطها ولهذا ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر الصديق ان يتصدق بجميع ماله لان ذلك وسط بالنسبه الى جلده وصبره فى الدين ومنعه من ذلك ونعم ما قال ابراهيم النخعى هو الذى لا يجيع ولا يعرى ولا ينفق نفقه يقول الناس قد اسرف وقال يزيد بن ابى حبيب هم الذين لا يلبسون الشاب بحال ولا ياكلون طعاما للذه وقال يزيد ايضا فى هذه الآيه اولئك اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا لا ياكلون طعاما للتنعم واللذه ولا يلبسون ثوبا للجمال ولكن كانوا يريدون من الطعام ما يسد عنهم الجوع ويقويهم على عبادة ربهم ومن اللباس ما يستر عوراتهم ويكنهم من الحر والبرد وقال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز حين زوجه ابنته فاطمه ما نفقتك فقال حسنه بين سيئتين ثم تلى الآيه وقال عمر بن

الخطاب رضى الله عنه لقى بالمرء سرفا الا يشتهى شيئا الا اشتراه فاكله وفى سنن ابن ماجه عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من السرف ان تاكل كل ما اشتهيت وقال ابو عبيده لم يزيدوا على المعروف ولم يحملوا الوجود كفعله تعالى ولا تجعل يدك مغلوله الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال الشاعر

ولا تغل فى شئ من الامر واقتصد كلا طرفى قصد الامور ذميم

وقال آخر اذا المرء اعطى نفسه كل ما اشتهت ولم ينهها ناقت الى كل باطل

وسافتا اليه الاثم والعار الذى دعته اليه من حلاوه عاجل

وقال عمر لابنه علم يا بنى كل فى نصف بطنك ولا تطرح ثوبا حتى تستخلقه ولا تكن من قوم يجعلون ما رزقهم الله فى بطونهم وعلى ظهورهم وعن حاتم طى

اذا انت فى شئ اعطيت نفسك سوله وفرجت بالا مستهى الذم اجمعا

قوله ولم يقتروا قرا حمزه والكسائى والاعمش وعاصم ويحيى بن وثاب على اختلاف عنهما يقتروا بفتح الياء وضم التاء وهى قراءه حسنه من قتر يقتر وهما لغتان مثل قعد يقعد وقرا ابو عمرو وابن كثير بفتح الياء وكسر التاء وهى لغه حسنه وقرا اهل المدينه وابن عامر وابو بكر عن عاصم بضم الياء وكسر التاء قال الثعلبى لهما لغات صحيحه النخاس ويتعجب ابو حاتم من قراءه اهل المدينه هذه لان اهل المدينه عنده لا يقع فى قرائتهم الشاذ وانما يقال اقتر يقتر اذا افتقر كما قال جل وعز وعلى المقتر قدره وقال ابو حاتم لهم ان المرء يفتقر يوما وهذا ولا يقل لعبد ولكن الناس يقولون لهم ان اباهم ابا عمرو اجرى حديثا عن الاصمعى انه يقال للانسان اذا ضيق قتر يقتر وقتر يقتر واقتر يقتر فعلى هذا تصح القراءه وان كان فتح التاء اصح واقرب منالا واشهر واعرف وقرا ابو عمرو والناس قواما بفتح القاف يعنى عدلا وقرا حسان بن عبد الرحمن قواما بكسر القاف اى ما بلغا وسدادا وحالا حال والقوام بكسر القاف ما يدوم عليه الامر ويستقر وقيل هما لغتان بمعنى وقواما خبر كان واسمها مضمر فيها اى كان الانفاق بين الاسراف والقتر قواما قال الفراء وله قول آخر يجعل بين اسم كان وخبرها لان هذه الالفاظ كثر استعمالها فتركت على حالها وقال النخاس ما ادرى ما وجه

هذا لان بين اذا كانت في موضع رفع رفعت ما بعدها بالابتداء نحو

والذين لا يدعون مع الله الها اخر الايه

اخراج لعباده المؤمنين من صفات الكفرة في عبادتهم الاوثان وقتلهم النفس بوأد البنات وغير ذلك من الظلم والاعتداء والغارات ومن الزنا الذي كان عندهم مباحا وقال من صرف هذه الايه عن ظاهرها من اهل المعاني لا يليق مراضاة فهم الحر اليه اضافه الاختصاص وذكرهم ووصفهم بصفات المعرفه والشريف وقوع هذه الامور القبيحه منهم حتى يبرحوا بتنفيرهم لانهم اعلا واشرف فقال معناها لا يدعون الهوي الها ولا يبذلون انفسهم بالمعاصي فتكون ضلالها ومعنى الا بالحق الا بسبب الصبر وسيفا لمجاهده ولا ينظرون الي دنيا ليت لهم بمحرم شهوه فتكون بعضا بل بالضروره فيكون كالنكاح قال وبشخنا ابو العباس وهذا كلام واش غير انه عند السبر باين وهي بتبعه باطنيه ونزغه باطليه والناصح تشريف عباد الله تعالى باختصاص الاضافه بعد ان تخلو بتلك الصفات الحميده ويخلو عن نقائض ذلك من الاوصاف الذميمه فبدا في صدر هذه الايات بصفات البخل تنزيها لهم ثم اعقبها بصفات البخل تبعيدا لها والله اعلم ملخص وتمايد علي بطلان ما ادعاه هذا القايل من ان تلك الامور لا يتبين علي ظاهرها ما روي مسلم من حديث عبد الله بن مسعود قال قلت يا رسول الله اي الذنب اكبر عند الله قال ان تدعو لله ندا وهو خلقك قال ثم اي قال ان تقتل ولدك مخافه ان يطعم معك قال ثم اي قال ان تزاني حليله جارك فانزل الله تصديقها والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما والاثام من كلام العرب العقاب وبه فسر ابن زيد وقتاده هذه الايه ومنه قول الشاعر

جزي الله ابن عروه حيث امسي عقوقا والعقوق له اثام

اي جزاء وعقوبه وقال عبد الله بن عمرو وعكرمه ومجاهد اثاما واد في جهنم حفه الله عفا بالكفره قال الشاعر

لقيت المهالك في حربنا وبعد المهالك يلقى اثاما

وقالت السدي حيل وبيها قال الشاعر

وان مقاما نذعوا عليكم بابطح ذي المجاز له اثام

وفي صحيح مسلم ايضا عن ابن عباس ان ناسا من اهل الشرك قتلوا فاكثروا وزنوا فاكثروا فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذي تقول وتدعو اليه لحسن لو تخبرنا ان لما عملنا كفاره فنزلت والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما ونزل يا عبادي الذين اسرفوا علي انفسهم الايه وقد قيل ان فاعله يا عبادي الذين اسرفوا نزلت وحتى قال حمزه قاله سعيد بن جبير وابن عباس وسياتي بيانه في الزمر ان شاء الله قوله تعالى الا بالحق اي بما يحق ان تقتل به النفوس من كفر بعد ايمان او زنا بعد احصان علي ما تقدم بيانه في البقره ولا يزنون فيستحلون الفروج بغير نكاح ولا ملك يمين ودلت الايه علي انه ليس بعد الكفر اعظم من قتل النفس بغير الحق ثم الزنا وهذا ثبت في حد الزنا القتل لمن كان محصنا وافضي احد الزنا لمن كان غير محصن فقوله ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف قرا نافع وابن عامر وحمزه والكسائي يضاعف ويخلد مرفوعا وقرا ابن كثير يضعف بعد العين وطرح الالف والجزم في يضعف ويخلد وقرا طلحه بن سليمان يضعف بضم الفاء وكسر العين المشدده العذاب نصب ويخلد جزم وهي قراءه ابي جعفر وشيبه وقرا عاصم في روايه ابي بكر يضاعف ويخلد بالرفع فيهما علي القطع والاستيناف وقرا طلحه بن سليمان ويخلد بالتاء علي معني يخاطبها الكافر وروي عن ابي عمرو ويخلد بضم الياء المنفوحه من تحت وفتح اللام قال ابو علي وهي غلط من وجهه الروايه ويضاعف بالجزم بدل من يلق اثاما الذي هو جزاء الشرط وقال سيبويه مضاعفه العذاب لقي الاثام وقال الشاعر

متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا

وقال اخر ان علي الله ان تبايعا تؤخذ كرها او تجئ طايعا

واما الرفع فيه فقولان احدهما ان يقطعه مما قبله والاخر ان يكون محمولا علي المعني كان قايلا قال يلق اثاما فقيل له يضاعف له العذاب ومهانا معناه ذليلا خاسئا مجدا مطرودا قوله تعالى الا من تاب الاستثناء ان

العلم ان الاستثناء عامل في الكافر والزاني واختلفوا في القاتل من المسلمين على ما تقدم بيانه وهو منصوص ابن عباس مستدلا بهذه الاية

فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات

قال النحاس ما قيل فيه انه بكل موضع كافر ومؤمن وموضع عاص ومطيع وقال مجاهد والضحاك ان سبيلهم الله من الشرك الايمان وروي نحوه عن الحسن قوم يقولون التبديل في الاخرة وليس كذلك انما التبديل في الدنيا يبدلهم الله ايمانا من الشرك واخلاصا من الشرك واحصانا من الفجور وقال الزجاج ليس المراد انه يجعل مكان السيئة الحسنة ولكن يجعل مكان السيئة التوبة والحسنة تمنع التوبة وروي ابو ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان السيئات تبدل حسنات وروي معناه عن سلمان الفارسي وسعيد بن جبير وغيرهما وقال ابو هريرة ذلك في الاخرة فيمن غلبت حسناته على سيئاته فيبدل الله السيئات حسنات وفي الخبر لينتهين اقوام ابدا عن الكبائر والسيئات قيل ومن هم قال الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات رواه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ذكره الثعلبي والقشيري وقيل التبديل عباده عن العصيان اي يغفر الله لهم تلك السيئات لان بدلها حسنات قلت ولا بعد في كرم الله تعالى اذا صحت توبة العبد ان يضع مكان كل سيئة حسنة وتقدم صلى الله عليه وسلم لمعاذ واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وفي صحيح مسلم عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعلم اخر اهل الجنة دخولا الجنة واخر اهل النار خروجا منها رجلا يؤتى به يوم القيمة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فتعرض عليه صغار ذنوبه فيقال عملت يوم كذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا فيقول نعم لا يستطيع ان ينكر وهو مشفق من ذنوبه ان تعرض عليه فيقال فان لك مكان كل سيئة حسنة فيقول يا رب قد عملت اشياء لا اراها ههنا فلقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه وقال ابو طويل يا رسول الله ارايت رجلا عمل اعمالا كلها ولم يترك منها شيئا وهو من ذلك لم يترك حاجة ولا داجة الا اقتضها فما له من توبة قال

اسلمت قال انا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وانا اشهد ان محمدا عبده ورسوله قال نعم تفعل الخيرات وتترك الشرور فجعلهن الله كلهن خيرات قال وغدرا بي وفجراني يا بني الله قال نعم قال الله اكبر فما زال يكبرها حتى توارى ذكره الثعلبي قال ميسرة بن عبيد وكان عالما بالنحو والعربية الحاجة التي تقطع على الحاج اذا نوحموا والداجة التي تقطع عليهم اذا ضلوا وكان الله غفورا رحيما

ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا

لا يقال من قام فانه يقوم فكيف يقال من تاب فانه يتوب فقال ابن عباس المعنى من اسلم من اهل مكة وهاجر ولم يكن قتل وزنا بل عمل صالحا وادى الفرائض فانه يتوب الى الله متابا اي فانه فضلهم فمنهم علي من قاتل نبي الله صلى الله عليه وسلم واستحل المحارم وقال الفقال يحتمل ان تكون الاية الاولى فيمن تاب من المشركين ولهذا قال الا من تاب وامن ثم عطف عليه من تاب من المسلمين واتبع توبته عملا صالحا فله حكم التائبين ايضا وقيل اي من تاب بلسانه ولم يحقق ذلك بفعله فليست تلك التوبة نافعه بل من تاب وعمل صالحا فحقق توبته بالاعمال الصالحة فهو الذي تاب الى الله متابا اي تاب حق التوبة وهي النصوح ولذلك اكد بالمصدر فمتابا مصدر معناه التاكيد كقوله وكلم الله موسى تكليما اي فانه يتوب الى الله حقا

والذين لا يشهدون الزور

فيه مسئلتان الاولى قوله ولا يشهدون الزور اي لا يحضرون الكذب والباطل ولا يشاهدونه والزور كل باطل فزور زخرف واعظم الشرك وتعظيم الاصنام وبه فسر الضحاك وابن زيد وابن عباس وفي رواية عن ابن عباس انها اعياد المشركين وعنه لعب كان في الجاهلية يسمى الزور وعن مجاهد الغناء وقال محمد بن الحنفية ايضا وقال ابن جريج الكذب وروي ايضا عن مجاهد وقال علي بن طلحة ومحمد بن علي المعنى لا يشهدون بالزور من الشهادة لا من المشاهدة قال ابن العربي

اما القول بانه الكذب فصحيح لان كل ذلك الى الكذب يرجع واما من قال انه لعب كان في الجاهلية فانه يحرم ذلك اذا كان فيه قمار او جهالة او ما يعود الى الكفر واما القول بانه الغناء فليس بشيء الى هذا الحد فلئن سمي الغناء ما ينتهي سماعه الى التحريك وذلك كالاشعار التي توصف فيها الصور المستحسنات والخمر وغير ذلك مما يحرك الطباع ويخرجها عن الاعتدال ويثير كامنا من حنين النفوس فقول بعضهم

ذهبي اللون تحسب من وجنته ان رتقتدح
حوفوني من فضيحته ليتني وافتضح

لا سيما ان اقترن بذلك شبابات وطارات مثل ما يفعل اليوم بهذه الازمان على ما يأتي في غير هذا الموضع واما من قال انه شهادة الزور وهي الثانية فكان عمر رضي الله عنه يضرب شاهد الزور اربعين جلده ويسخم وجهه ويحلق راسه ويطوف به في السوق وقال اكثر اهل العلم لا تقبل له شهادة ابدا وان تاب وحسنت حاله فامره الى الله ولا تقبل له شهادة ابدا وقد قيل انما ذلك اذا كان غير معروف بحسن حاله فقبلت شهادته حسب ما تقدم بيانه في سورة الحج فتامله هناك ان شاء الله تعالى

والذين اذا مروا باللغو مروا كراما

وقد تقدم الكلام في اللغو وهو كل سقط من فعل او قول فيدخل فيه الغناء واللهو وغير ذلك مما قاربه ويدخل فيه سماع المشركين واذاهم للمؤمنين وذكر النساء وغيرهم من المنكر وقال مجاهد اذا وذا صفحوا وروي عنه اذا ذكروا النكاح كنوا عنه وقال الحسن اللغو المعاصي كلها وهذا جامع وكراما معناه معرضين منكرين لا يرضونه ولا يمالئون عليه ولا يجلسون مجالسون هله اي مروا من الكرام الذين لا يدخلون في الباطل بقاربكم فلان عما يشينه اي نزه نفسه عنه وروي ان عبد الله بن عمر سمع غناء فاسرع وذهب فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقد اصبح ابن عمر عبدا كريما وقيل من المرور باللغو كريما ان امر بالمعروف وهي عن المنكر

والذين اذا ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا

فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى والذين اذا ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا اي اذا قرئ عليهم القرآن ذكروا اخبارهم ومعادهم ولم يتعاقلوا حتى يكونوا ممن لا يسمع ولا يعي ولم يخروا اولئك لم يخروا كما قال فعند ذلك وان كان غير قاعد قاله الطبري واختاره وقال ابن عطية وهو ان يخروا صما وعميانا صفة للكفار وهو عبارة عن اعراضهم وقرن بذلك قولهم فعند فلان بسمن وقار فلان بكى وانت لم تقصد الاخبار بقعود ولا قيام وانما هي توطيات في الكلام والعبارة قال ابن عطية فكان المستمع للذكر قائم الفتاة فوهم الامر فاذا اعرض وصل كان ذلك خرورا وهو السقوط على غير نظام وترتيب وان كان قد يشبه به الذي يخر ساجدا لكنه صاله على غير ترتيب وقيل اذا تليت عليهم ايات الله وجلت قلوبهم فخروا سجدا وبكيا ولم يخروا عليها صما وعميانا وقال الفراء اي لم يقعدوا على حالهم الاول كان لم يسمعوا الثانية قال بعضهم ان من سمع رجلا يقرا سجدة يسجد معه لانه قد سمع ايلف الله تنزل عليه قال ابن العربي وهذا لا يلزم الا القارئ وحده واما غيره فلا يلزمه ذلك الا في مسالة واحدة وهو ان الرجل اذا تلى القرآن وقرا السجدة فان كان الذي جلس معه جلس ليسمعه فليسجد معه وان لم يلتزم السماع معه فلا يسجد عليه وقد مضى هذا في الاعراف وهو الصواب

والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين

قال الضحاك اي مطيعين لك وفيه جواز الدعاء للولد والذرية وقد تقدم والذرية تكون واحدا وجمعا فكونها للواحد قوله رب هب لي من لدنك ذرية طيبة وهبيل من لدنك وليا وكونها للجميع ذريته ضعافا وقد مضى في البقرة اشتقاقها مستوفى وقرا نافع وابن كثير فابن عباس وحسن وذرياتنا وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي وطلحة وعيسى وذريتنا بالافراد وقرة اعين نصب على المفعول اي قرة اعين لنا وهذا نحو قوله عليه السلام لانس

اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيه وقد تقدم بيانه في ال عمران ومريم وذلك
ان الانسان اذا بورك له في ماله وولده قرت عينه باهله وعياله حتى اذا كان تتلذذ زوجه
اجتمعت له فيها امانيه من جمال وعفه ونظر وحوطه اوكانت عنده ذريه
يحافظون على الطاعه معا ويكون له على وظايف الدين والدنيا لم يلتفت الى
زوج احد ولا الى ولده فتسكن عينه من الملاحظه ولم تمتد عينه الى ما تزي
فتلك حين قره العين وسكون النفس ووحدفه لانه مصدر تقول قرت
عينك قره وقره العين يحتمل ان تكون من القرار ويحتمل ان يكون من القر وهو
الاشهر والقر البرد لان العرب تتنادي بالحر وتستروح بالبرد وايضا فان
دمع السرور بارد ودمع الحزن سخن فمن هنا قيل اقر الله عينك واسخن
عين العدو وقال الشاعر

فكم سخنت بالامس عين قريره ... وقرت عيون دمعها اليوم ساكب

قوله عز وجل

ولجعلنا للمتقين اماما

اي قدوه تقتدي بنا في الخير وهذا لا يكون الا ان يكون الداعي متقيا
قدوه وهذا هو قصد الداعي وفي الموطا انكم ايها الرهط ائمه يقتدي
بكم فكان ابن عمر يقول في دعايه اللهم اجعلنا من ائمه المتقين وقال اماما
ولم يقل ائمه على الجمع لان الامام مصدر يقال ام القوم فلان اماما مثل الصيام
والقيام وقال بعضهم اراد ائمه كما يقول القايل امرنا مولاي
بمعنى امرانا وقال الشاعر

يا عاذلاتي لا تردن ملامتي ... ان العواذل ليس لي بامين

اي امينا وكان القشيري ابو القاسم شيخ الصوفيه يقول الامامه
بالدعا لا بالدعوى يعني بتوفيق الله وتيسيره وهيئته لما يعينه كل احد
لنفسه وقال ابراهيم النخعي يطلبون الرياسه بان تكون قادوه في الدين
وقال ابن عباس اجعلنا ايمه هدي كما قال وجعلنا منهم ايمه

هدون بامرنا لما صبروا اجعلنا ايمه في التقوي يقتدي بنا المتقون وقيل هذا من
المقلوب مجازه ولجعل المتقين لنا اماما وقاله مجاهد والقول الاول اظهر واليه ذهب
قول ابن عباس ومحمول ويكون فيه الدليل على ان طلب الرياسه في الدين مندوب اليهم واحد
يدل على جمع لانه مصدر كالقيام قال الاخفش للامام جمع ام مثل زمام يام جمع على فعال
نحو سحاب وصحاب وقايم وقيام

اولئك يجزون الغرفه بما صبروا

اولئك خير عباد الرحمن في قول الزجاج على ما تقدم وهو احسن ما قيل فيه وما تخلل
بين المبتدا والخبر اوصافهم من التخلي والتحلي وهي احد عشره التواضع والحلم والتهجد
والخوف وترك الاسراف والاقتار والنزاهه عن الترك والزنا والقتل والتوبه
وتجنب الكذب والعفو عن المسي وقبول المواعظ والانابه الى الله تعالى
والغرفه الدرجه الرفيعه وهي اعلا منازل الجنه وافضلها كما ان الغرفه اعلا
مساكن الدنيا حكاه ابن شجره وقال الضحاك الغرفه الجنه بما صبروا اي ب
تصبرهم على امر ربهم وطاعه نبيهم صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن علي بن الحسين
ما سبروا على الفقر والفاقه في الدنيا وقال الضحاك بما صبروا عن الشهوات
ويلقون فيها تحيه وسلاما قرا ابو بكر والفضل والاعمش ويحيى وحمزه والكسايي
وخلف ويلقون مخففه واختاره الفرا قال لان العرب يقولون فلان يتلقى
بالسلام والتحيه وبالخير باليا وقل ما يقولون فلان يلقى بالسلامه وقرا الباقون
ويلقون واختاره ابو عبيد وابو حاتم لقوله تعالى ولقاهم نظره وسرورا
قال ابو جعفر النحاس وما ذهب اليه الفرا واختاره غلط لانه يزعم
انها لو كانت يلقون كانت في العربيه تحيه وسلام فقال كما يقال فلان يتلقى
بالسلام وبالخير فما عجيب ما في هذا قال يتلقى والآيه يتلقون والفرق بينهما
بين لانه يقال فلان يتلقى بالتحيه ولا يجوز حذف الباء فكيف يشبه هنا
ذاك واعجب من هذا ان في القرآن ولقاهم نظره وسرورا لا يجوز ان يقرا بغير ه

وهذا يبين ان الاول خلافها قال والتحية من الله والسلام من الملائكة وقيل
التحية البقاء الدائم والملك العظيم والاظهر انها بمعنى واحد وانما من قبل الله تعالى والملائكة
قوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وسيأتي خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما قوله تعالى

قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم
فقد كذبتم فسوف يكون لزاما

هذه ايه مشكله وهي التي تعلق بها الملحدون يقال ما عبأت بفلان اي
ما باليت به اي ما كان له عندي وزن ولا قدر واصل يعبأ من العبء
وهو الثقل قال الشاعر

كان صدره وما بينه عبرا بان يعبوه عروس

اي يحملها بعضه على بعض فالعبء الحمل الثقيل وتعبأ واعبأ والعبء المصدر وما
استفهامية ظهر في اثنا كلام الزجاج وصرح به الفراء وليس بعيب ان تكون
نافية لانك اذا حملت بها استفهام فهو في حيز مخرج الاستفهام فقد سجانه
هل جزاء الاحسان الا الاحسان قال ابن السري وحقيقة القول عندي
ان موضع ما نصب والتقدير اي عبأ يعبأ بكم اي اي مبالاة يبالي ربي بكم
لولا دعاؤكم اي لولا دعاؤه اياكم لتعبدوه فالمصدر الذي هو الدعا
على هذا القول مضاف الى مفعوله وهو اختيار الفراء وفاعله محذوف
وجواب لولا محذوف كما حذف في قوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال تقديره
لم يعبأ بكم ودليل هذا القول قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
فالخطاب لجميع الناس فكانه قال لقريش مبهم اي ما يبالي ربي بكم
ولا ينظر اليكم لولا عبادتكم اياه ان لو كانت وذلك انكم تعبدونه بعبادة لم
مراحله ويؤيد هذا قراءة ابن الزبير وغيره فقد كذبتم الكافرون فالخطاب
بما يعبأ بجميع الناس ثم يقول لقريش فانتم قد كذبتم ثم تعبدونه فسوف
تلقون التكذيب الذي هو سبب العذاب لزاما لكم وقال النحاس وغيره

المعنى لولا استغاثتكم اليه في الشدايد وتخوفكم بأنه فاذا ركبوا في الفلك
دعوا الله مخلصين وتخوفنا وقيل ما يعبأ بكم اي لمنزلة ذنوبكم ولامر عظيم
عظيم لولا دعاؤكم معه الاله والشرك بأنه ما يفعل الله بعذابكم ان لم تشركوا
وآمنتم قاله الضحاك وقال الوليد يلبثكم فيها اي ما خلقكم ولا حاجة
به اليكم الا ان تسلموا فاغفركم واعطيكم وروي وهب بن منبه انه كان في
التوراة يا ابن آدم وعزتي ما خلقتك لاربح عليك وانما خلقتك لتربح علي فما تحذق
بدلا من كل شيء فالخير كله من كل شيء قال ابن جني قرأ ابن الزبير وابن
عباس فقد كذب الكافرون قال الزهراوي والنحاس وهي قراءة ابن مسعود
وهي على التفسير لكنا والميم في كذبتم وذهب الفتحي والفارسي الى ان الدعا
مضاف الى الفاعل والمفعول محذوف والاصل لولا دعاؤكم آلهة
من دونه وجواب لولا محذوف تقديره في هذا الوجه لم يعذبكم ونظير قوله
لولا دعاؤكم آلهة قوله سبحانه ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فقد
كذبتم اي كذبتم بما دعيتم اليه هذا على القول الاول وكذبتم بتوحيد الله
على الثاني فسوف يكون لزاما اي يكون تكذيبكم ملازما لكم والمعنى فسوف
يكون جزاء التكذيب كما قال ووجدوا ما عملوا حاضرا اي جزاء ما عملوا وقوله
فذوقوا بما كنتم تكفرون اي جزاء ما كنتم تكفرون وحسن اضمار التكذيب لتقدم
ذكر فعله لانك اذا ذكرت الفعل دل بلفظه على مصدره كما قال جل وعز ولو امن
اهل الكتاب لكان خيرا لهم اي لكان الايمان وقوله وان تشكروا يرضه
لكم اي يرض الشكر مثله كثير ○ وجمهور المفسرين على ان المراد بالزام هنا ما نزل
بهم يوم بدر وهو قول عبد الله بن مسعود واي بن كعب وابن مالك ومجاهد ومقاتل
وفي صحيح مسلم عن عبد الله وقد مضت البطشة والدخان والزام وسيأتي
بيانها في سورة الدخان ان شاء الله تعالى وقالت فرقة هو موعد بعذاب الآخرة
وعن ابن مسعود ايضا الزام التكذيب وحده اي لا يعطون التوبة منه
ذكره الزهراوي فدخل في هذا يوم بدر وغيره من العذاب الذي يلزمونه
وقال ابو عبيدة لزاما فيصلا بينكم وبين المؤمنين والجمهور من القراء على

كسر اللام وانشد ابو عبيده لصخر

فاما يجون من خسف ارض فقد لقيا حتوفهما لزاما

ولزاما وملازمه واحد وقال الطبري لزاما اي عنادا دائما لازما وهلاكا مفترقا يلحق بعضكم ببعض كقول ابي ذويب

فتلجاه بغاديه لزام كما ينفجر الحوض اللقيف

اي باللزام الذي يتبع بعضه بعضا ○ واللقيف الملتف من الحجارة المهدمه النحاس وحكى ابو حاتم عن ابي زيد قال سمعت قعنبا ابا السماك يقرا لزاما بفتح اللام قال ابو جعفر يكون مصدر لزم والكسر اولى يكون يكون مثل قتال ومقاتله كما اجمعوا على الكسر في قوله جل وعز ولولا كلمه سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى قال غيره اللزام بالكسر مصدر لازم لزاما مثل حاصمه خصاما والزام بالفتح مصدر لزم لزاما مثل سلم سلاما اي سلامه فاللزام بالفتح اللزوم والزام والملازمه والمصدر في القراءتين وقع موقع اسم الفاعل فاللزام وقع موقع ملازم واللزام وقع موقع لازم كما قال تعالى قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا اي غائرا قال النحاس والقول في اسم يكون قال ايكون مجهولا وهذا غلط لان المجهول لا يكون خبره الا جمله كما قال الله جل وعز انه من يتق ويصبر كما حكى النحويون كان زيد منطلق يكون في كان مجهول فلا يجوز عند احد علمناه

سوره الشعرا مكيه

في قول الجميع وقال مقاتل منها مدنيا الا يه
التي يذكر فيها الشعرا وقوله اولم يكن لهم ايه
انه يعلمه علماء بني اسرايل وقال ابن عباس
وقتاده مكيه الا اربع ايات منها نزلت بالمدينه
من قوله والشعرا يتبعهم الغاوون الى آخرها
وهي ماينان وسبع وعشرين ايه وفي روايه
ست وعشرون وعن ابن عباس رضي الله عنهما

قال النبي صلى الله عليه وسلم اعطيت السوره
الذي يذكر فيها البقره من الذكر الاول
واعطيت طه وطسم من الواح موسى واعطيت
فواتح القران وخواتيم سورة البقره
من تحت العرش واعطيت المفصل نافله وعن
البراء بن عازب ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان الله اعطاني السبع الطول مكان التوراه
واعطاني المين مكان الانجيل واعطاني الطواسين
مكان الزبور وفضلني بالحواميم والمفصل ما قرا منهن نبي قبلي

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى طسم

قرا الاعمش ويحيى وابو بكر والمفضل وحمزه والكسايي وخلف باما له
الطا مسعا في هذه السوره وفي اختيها وقرا نافع وابو
جعفر وشيبه والزهري بين اللفظين واختاره ابو عبيد وابو حاتم
وقرا الباقون بالفتح مشبعا قال الثعلبي وهي كلها لغات
فصيحه وقد مضى في طه قول النحاس في هذا قال النحاس وقرا
المدنيون وابو عمرو وعاصم والكسايي طسم بادغام النون في الميم
والفرا يقولون باخفا النون وقرا الاعمش وحمزه طسم باظهار
النون قال النحاس للنون الساكنه والتنوين اربع لغات عند
سيبويه تبيان عند حروف الحلق وبدغمان عند الرا واللام والميم
والواو والياء وتقلبان فيها عند الباء ويكونان من الخياشيم اي لا تبيان
فعلى هذه الاربعه اقسام التي نصبها سيبويه لا تجوز هذه القضاه
هذه ليس ههنا حرف من حروف الحلق فبين النون عنده ولكن في ذلك
وجيه وهو ان حروف المعجم حكمها ان يوقف عليها فاذا وقف عليها بينت
النون قال الثعلبي الادغام اختيار ابي عبيد وابي حاتم قياسا

على كل القرآن وانما اظهرها اولئك للتبيين والتمكين وادعمها هو الحاوي
حروف المعجم قال النحاس وحكى ابو اسحاق في كتابه فيما يجري ومالا
يجري انه يجوز ان يقال طاسين ميم ويفتح السين وضم الميم كما يقال هذا
معدي كرب وقال ابو حاتم طسين ميم عن ابن عباس صم قسم وهو
اسم من اسماء الله تعالى والمقسم عليه ان نشا ننزل عليهم من السماء آيه وقال
قتاده اسم من اسماء القرآن اقسم الله به قال مجاهد هو اسم السوره وحسن
به افتتاح السوره الربيع حساب مده قوم وقيل قارعه تحل بقوم
وطسم وطس واحد قال

وفاكها كالربع اشجاه طاسمه ... بان تسعدا والدمع لسقاه ساجمه

وقال القرظي اقسم الله بطوله وسنائه وملكه وقال عبد الله
ابن محمد بن عقيل الطاطورسينا والسين اسكندريه والميم مكه
وقال جعفر بن محمد بن علي الطاء شجره طوبى والسين سدره المنتهى والميم
محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الطاء من الطاهر والسين من القدوس
وقيل من السميع وقيل من السلام والميم من المجد وقيل من الرحيم
وقيل من الملك وقد مضى هذا المعنى في اول البقره والطواسم والحواميم
سور في القرآن جمعت على غير قياس واشتد ابو عبيده

وبالطواسيم التي قد تُليت ... وبالحواميم التي قد سبعت

قال الجوهري والصواب ان يجمع بذوات وتضاف الى واحد
فيقال ذوات طسم وذوات حم

تلك اياتُ

رفع على اضمار مبتدا اي هذه تلك الايات الكتاب المبين
التي كنتم وعدتم بها لانهم قد وعدوا في التوراه والانجيل بانزال القرآن
وقيل تلك بمعنى هذه

لعلك باخع نفسك

اي قاتل نفسك وملكها وقد مضى هذا الكلام مبينا الا يكونوا مؤمنين
اي لئلا يكونوا مؤمنين قال الفراء ان في موضع نصب لانها جزاء قال النحاس
واما يقال ان يكسوره لانها جزاء اكد التعارف والقول في هذا ما قاله ابو اسحق
في كتابه في القرآن قال ان في موضع نصب مفعول من اجله والمعنى
لعلك قاتل نفسك لئلا يكونوا مؤمنين ان نشا ننزل عليهم من السماء آيه اي معجزه
ظاهره وقد بينا امره فيما تقدم من هذا الكتاب ولكن سبق القضاء بان تكون
المعارف تضطره وقال حمزه الثمالي في هذه الآيه يعني ان هذه الآيه
صوت يسمع من السماء في النصف من شهر رمضان تخرج به العواتق من
البيوت وتضجه الارض ومنافيه بعد لان المراد قريش فظلت اعناقهم
لها اي فتضل اعناقهم لها خاضعين قال مجاهد اعناقهم كبراؤهم
قال النحاس ومعروف في اللغه يقال اتاني عنق من الناس اي جماعه
وقيل انما اراد اصحاب الاعناق فحذف المضاف فاقام المضاف اليه
مقامه وقال قتاده المعنى لو شئنا لانزلنا اليه يذلون بها فلا يلوي احد
منهم عنقه الى معصيه وقال ابن عباس نزلت فينا وفي بني اميه
ستكون لنا عليهم دوله فتذل لنا اعناقهم بعد صعوبه ذكره الثعلبي
والماوردي والله اعلم وخاشعه ما سوا قاله عيسى بن عمر واختاره المبرد
والمعنى انهم اذا ذلت رقابهم ذلوا فالاخبار عن الرقاب اخبار عن اصحابها
ويسوغ في كلام العرب ان يقوم شيء ينزل الخبر عن الاول فيخبر عن الثاني
قال الراجز

طول الليالي اسرعت في نقضي ... طوين طولي وطوين عرضي

فاخبر عن الليالي وتلك الطول وقال جرير

ارى مر السنين اخذن مني ... كما اخذ السرار من الهلال

وانما جاز ذلك لانه لو اسقط من وطول من الكلام لم يفسد معناه
فلذلك دخل الفعل الى الكنايه في قوله فظلت اعناقهم لانه لو اسقط الاعناق

لما سبق الكلام ولادي ما بقي من الكلام عنه حتى يقول فظلوا لها خاضعين وعلى هذا اعتمد الفرا وابو عبيد والكسائي يذهب الى ان المعنى خاضعين لها هم وهذا خطا عند البصريين والفرا وشاهد هذا الحذف لا يقع في شيء من الكلام قال النحاس قوله تعالى وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا استمعوه وهم يلعبون تقدم في الانبيا فقد كذبوا اي اعرضوا ومن اعرض عن شيء ولم يقبله فهو تكذيب له فسيأتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن وعيد لهم اي فسوف يأتيهم عاقبة ما كذبوا والذي استهزوا به ﴿ ٦ ﴾

اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم

نبه على عظمه وقدرته وانهم لو رأوا بقلوبهم ونظروا ببصائرهم لعلموا انه الذي يستحق ان يعبد وهو القادر على خلق كل شيء ○ والزوج اللون قاله الفرا وكريم حسن شريف واصل الكرم في اللغة الشرف والفضل نخلة كريمة اي فاضلة كثيرة الثمر ورجل كريم شريف فاضل صفوح وتنبت الارض وانبتت لغتان وقد تقدم في البقرة والله سبحانه المخرج للنبات والمنبت له وروي عن الشعبي انه قال الناس من نبات الارض فمن صار منهم الى الجنة فلن يخزى ومن صار الى النار فهو لئيم ان في ذلك لاية اي فيما ذكر من الانبات في الارض لدلالة على ان الله قادر لا يعجزه شيء وما كان اكثرهم مؤمنين اي مصدقين لما سبق من علم الله فيهم وكان هنا صلة في قول سيبويه تقديره وما اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الجبار يريد المنتقم من اعدايه الرحيم باوليايه ﴿ ٧ ﴾

واذ نادى ربك موسى

اذ موضع نصب المعنى واتل عليهم اذ نادى ربك موسى ويدل على هذا ان بعده واتل عليهم نبا ابرهيم ذكره النحاس على ان يكون مجازاه ومعنى ولقد المومنين اي عند ظهور الايه ممن كان في جانب فرعون الفرا اولموسى زمانا وانكره الزجاج وقال قد روي انه امن معه ستمايه الف وسبعون الفا وهم الشرذمة القليلون الذي قال فيهم فرعون ان هولاء لشرذمة قليلون روي ذلك عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وغيره ﴿ ٨ ﴾

واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي انكم متبعون

لما كان من مشيية الله تعالى في عباده ايجاد المومنين المصدقين من اوليايه المعتنين برسالة رسله وانبيايه واهلاك الكافرين المكذبين لهم من اعدايه امر موسى ان يخرج بني اسرايل ليلا وسماهم عباده لانهم اسوا موسى ومعنى انكم متبعون اي شبكم فرعون وقومه ليردوكم وفي ضمن هذا الكلام تعريفهم ان الله ينجيهم ممهم فخرج موسى عليه السلام ببني اسرايل سحرا فزكل الطريق الى الشام على مياه ونوجه نحو البحر فكان الرجل من بني اسرايل يقول له في منزل الطريق فيقول هكذا امرت فلما اصبح فرعون وعلم بسري موسى ببني اسرايل خرج في اثارهم وبعث الى مداين مصر لتلحقه العساكر وروي انه لحقه وتبعه ما يه الف الف رجل من الخيل حاشى سايرالالوان وروي ان بني اسرايل كانوا ستمايه الف وسبعين الفا والله اعلم بصحته وانما اللازم من الايه الذي نقطع به ان موسى عليه السلام خرج بجمع من بني اسرايل وان فرعون تبعه باصحاف ذلك قال ابن عباس كان مع فرعون الف حيار كلهم عليه تاج وكلهم امير خيل والشرذمة الجمع القليل المحتقر والجمع الشراذم قال الجوهري الشرذمة الطايفة من الناس والقطعة من البيتي وثوب شراذم اي قطع وانشد الثعلبي قول الراجز

جا الشتا وثوبي اخلاق شراذم يضحك منها التواق

التواق من الرجال الذي يروض الامور ويصلحها قاله في الصحاح واللام في قوله لشرذمة لام توكيد وكثيرا ما يدخل في خبر ان الا ان الكوفيين لا يجيزون ان زيدا لسوف يقوم والدليل على انه جايز قوله تعالى فلسوف يجلون ومنه لام التوكيد بعينها وقد دخلت على

سوف قاله النحاس وانهم لنا لغابطون اي اعدآنا لمخالفتهم ديننا وذهابهم
بابوالنا التي استعارها على ما تقدم وماتت اكثارهم تلك الليلة وقد
مضى هذا في الاعراف وطه مستوفى بيانا لغاظني كذا واغاضني والغيظ
الغضب ومنه التغيظ والاغتياظ اي غاضوا بخروجهم من غير اذن
وانا لجميع حذرون اي يخشى منقد احذنا حذرنا واستحثنا وقرئ
حاذرون ومعناه معين حذرون وقيل حاذرون اي علينا السلاح
وحذرون اي فزعون خائفون وحذرون ايضا بغم الدال حكاه الاخفش
ومعين حاذرون خائفون قال النحاس حذرون قراءة المدنيين
وابي عمرو وقراءة الكوفة حاذرون وهي مروية عن عبد الله بن مسعود
وابن عباس وحاذرون بالمال غير معجمة قراءة ابي عباد وحكاها الهدوي
عن ابن ابي عمار والماوردي والنقاش عن سميط ابن عجلان قال
النحاس ابو عبيدة يذهب الى ان معنى حذرون وحاذرون واحد وهو
قول سيبويه واجاز هو حذر وزيد كما يقال حاذر وزيد واشد
حذرا مورا لا تصبر وامن ما لبين يحبه من لا فدار
وزعم ابو عمرو الجرمي انه يجوز هو حذر زيد على حذف من فاما الكسائي
فيفرق بين حذر وحاذر منهم الكسائي والفراء ومحمد بن يزيد فيقولون الى ان
معنى حذر ذو حقيقة الحذر الذي يحتفظ منتبه فاذا كان هكذا لم يبعد
ومعنى حاذر مستعد وهذا احد التفسير عن المتقدمين قال عبد الله
ابن مسعود في قول الله عز وجل وانا لجميع حاذرون قال مؤدون في
السلاح والكراع مقوون لهذا ذلك بعينه وقوله مؤدون يعني اداة وقد قيل
ان المعنى مدججون سلاح وليس يعني سلاح يحترصهم على القتال فاما حاذرون
بالمال المهملة فمشتق من قولهم عير حدرة اي ممتلئة اي نحن ممتلئون غيظا
عليهم ومنه قول الشاعر

وعين لها حدرة بدرة شقت ماقها من اخر

وحكى اهل اللغة انه يقال رجل حاذر اذا كان ممتلئ اللحم ويجوز ان يكون

المعنى الامتلاء من السلاح وقال المهدوي الحاذر القوي الشديد

فاخرجناهم من جنات وعيون

اي من ارض مصر وعن عبد الله بن عمرو قال كانت الجنات تحاذي النيل
في الشقيتين جميعا من اسوان الى رشيد وبين الجنات زروع والنيل سبعة
خلجان خليج الاسكندرية خليج سخا خليج دمياط خليج سردوس
خليج منف خليج الفيوم خليج المنهى منصلة لا ينقطع منها شيء عن شيء والزروع
سائر الخلجان كلها وكانت ارض مصر كلها تروى من سبعة عشر ذراعا مما فوق
وبروا من قناطرها وجسورها وخلجها ولذلك سمي النيل اذا علق سبعة
عشر ذراعا نيل السلطان ويخلع على بناي الرداد وهذه الحال مستمرة
الان وانما قيل نيل السلطان لانه حينئذ يحيط الخراج على الناس وكانت
ارض مصر جميعها تروى من اصبع واحدة من سبعة عشر ذراعا وكان اذا علق
النيل سبعة عشر ذراعا وتوفي عليه اصبع واحدة من ثمانية عشر ازداد في
خراجها الف الف دينار فاذا خرج عن ذلك ونوفي عليه اصبعا واحدا
من سبعة عشر نقص خراجها الف الف دينار وسبب هذا ما كان يضرف في
المصالح والخلجان والجسور والاهتمام بعمارتها فاما الان فان اكثر ما لا
يروى حتى ينادي اصابع من سبعة عشر ذراعا بمقياس مصر فاما اعمال
الصعيد الاعلى فان بها ما لا يتكامل ريه الا بعد دخول الماء في الذراع الثاني
والعشرين في الصعيد الاعلى قلت اما ارض مصر فلا تروى الان
جميعها الا من عشرين ذراعا لعلو الارض وعدم الاهتمام بعمارة جسورها
وهو من عجائب الدنيا وذلك انه اذا نصبت المياه في جميع الارض
تبقى على جميع ارض مصر وبقي البلاد كالاعلام لا يوصل اليها الا بالمراكب
والبيانات وروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه قال نيل مصر سيد الانهار
سخر الله له كل نهر بين المشرق والمغرب وذلك الله له الانهار فاذا اراد ان
يجري نيل مصر امر كل نهر ان يميده فتفجر الانهار بمائها وفجر الله له عيونا

فاذا انتهى الى ما اراد الله عز وجل اوحى الله تعالى الى كل ماء ان
يرجع الى عنصره ويبس فيبس الخراج لما افتتحت مصر اتى اهلها الى عمرو بن
العاص حين دخل بوبه من شهر القبط فقالوا ايها الامير ان لنيلنا هذا سنة
لا يجرى الا بها فقال لهم وما ذاك فقالوا اذا كانت لاثنتى عشرة ليلة من هذا الشهر
عمدنا الى جارية بكر بين ابويها فارضينا ابويها وحملنا عليها من الحلى والثياب افضل
ما يكون ثم القيناها فى هذا النيل فقال لهم عمرو هذا لا يكون فى الاسلام فان الاسلام
يهدم ما قبله فاقاموا بونه وابيب ومسرى لا يجرى قليلا ولا كثيرا وهموا بالجلاء
فلما رأى ذلك عمرو بن العاص كتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاعلمه بالذى
فعلت اليه عمر بن الخطاب انك قد اصبت بالذى فعلت وان الاسلام يهدم
قبله فلا يكون هذا وبعثت اليه ببطاقة فى داخل كتابه وكتب الى عمرو انى
قد بعثت اليك ببطاقة فى داخل كتابى فالقها فى النيل اذا اتاك كتابى فلما قدم
كتاب عمر الى عمرو بن العاص اخذ البطاقة ففضها فاذا فيها من عبد الله امير المؤمنين
الى نيل مصر اما بعد فان كنت انما تجرى من قبلك فلا تجرى وان كان الله الواحد
القهار هو الذى يجريك فنسأل الله الواحد القهار ان يجريك فالقى البطاقة
فى النيل قبل الصليب بيوم وقد كان اهل مصر للجلاء والخروج منها فانه لا يقوم منهم
فيها الا بالنيل فلما القى البطاقة فى النيل اصبحوا يوم الصليب وقد اجراه الله تعالى
فى ليلة واحدة ستة عشر ذراعا وقطع الله تلك السنة عن اهل مصر فلم يجر
فقال كعب الاحبار ان لها نهرا من الجنة وصفها الله فى الدنيا سيحان
وجيحان والنيل والفرات فسيحان نهر الهند فى الجنة وجيحان نهر الصين فى الجنة
والنيل نهر العسل فى الجنة والفرات نهر الخمر فى الجنة وقال ابن شهيبة
الدجلة نهر اللبن فى الجنة قلت الذى فى الصحيح من حديث ابى هريرة رضى الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيحان وجيحان والنيل والفرات
كل من انهار الجنة لفظ مسلم وفى حديث الاسراء من حديث انس بن مالك
عن مالك بن صعصعة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى

ارجعها انها تخرج من اصلها نهران باطنان ونهران ظاهران قلت يا جبريل
ما هذه الانهار قال اما النهران الباطنان فنهران فى الجنة واما الظاهران
فالنيل والفرات لفظ مسلم وقال البخارى من طريق شريك عن انس فاذا هو بنهرين
يطردان فقال ما هذان النهران يا جبريل قال هذا النيل والفرات
عنصرهما ثم مضى فى السما فاذا هو بنهر اخر عليه قصر من لولو وزبرجد فضرب يده
فاذا هو مسك اذفر فقال ما هذا يا جبريل فقال هذا الكوثر الذى خبأ لك
ربك ابن حبيب الرا عيون الذهب وفى الدخان كم تركوا من جنات وعيون
وزروع قيل انهم كانوا يزرعون ما بين الخليجين من اول مصر الى اخرها وليس
فى الدخان والكنوز والكنوز جمع كنز وقد مضى فى براءة والمراد بها هنا ايضا ابن
وقيل الدفائن وقال الضحاك الانهار وفيه نظر لان العيون تشملها
ومقام كريم قال ابن عمر وابن عباس ومجاهد المنازل الكريمة المنابر وكانت
الف منبر لالف جبار يعظمون عليها فرعون وملكه وقيل مجالس الرؤساء والامراء
حكاه ابو عبيدة وهو قريب من الاول وقال سعيد بن جبير المنازل الحسان وقال
ابن لهيعة سمعت ان المقام الكريم الفيوم وقيل كان يوسف عليه السلام
قد كتب على كل مجلس من مجالسه لا اله الا الله ابراهيم خليل الله فسماها الله كريمة بهذا
وقيل برابط الخيل لتفرد الزعما بارتباطها فيه وزينه فصار مقامها
اكرم منزل ذكره الماوردى والاظهر انها المنازل الحسان كما تقدم عليه
والمقام فى اللغة يكون للموضع ويكون مصدرا قال النحاس المقام فى اللغة
الموضع من قولك قام يقوم وكذلك المقامات واحدها مقامة كما قال

وبينهم مقامات حسان وجوهها واندية ينتابها القول والفعل

والمقام ايضا المصدر من قام والمقام بالضم الموضع من اقام والمصدر ايضا
من اقام يقيم

كذلك واورثناها بنى اسرائيل

يريد ان جميع ما ذكره الله من الجنات والعيون والكنوز والمقام الكريم اورثه

الله بني اسرايل قال الحسن وغيره رجع بنو اسرايل الى مصر بعد هلاك فرعون
وقومه وقيل اراد بالوراثة ههنا ما استفاروا من حال الى فرعون بامر الله تعالى
قلت وكلا الامرين حصل لهم والله الموفق فاتبعوهم مشرقين اي تبع فرعون
وقومه بني اسرايل قال السدي حين اشرقت الشمس اي اضاءت وقال قتادة حين اشرقت
الارض الشمس اي اضاءت قال الزجاج يقال اشرقت اذا طلعت واشرقت اذا اضاءت
واختلفت في تاخر فرعون وقومه عن موسى وبني اسرايل على قولين احدهما
لاشتغالهم بدفن اكابرهم لان الوباء في تلك الليلة وقع فيهم فقوله مشرقين حال لقوم
فرعون الثاني انه سبحانه ارسل سحابة اظلتهم وظلها فناموا تحتها بعد ان للليل
فانقشعت عنهم حتى اصبحوا وقال ابو عبيدة معنى فاتبعوهم مشرقين ناجيد للشرق
وقرا الحسن وعمرو بن ميمون فاتبعوهم مشرقين بالتشديد والف لوصل اي نحو المشرق
ماخوذ من قولهم شرق وغرب اذا صار نحو المغرب والمشرق ومعنى الكلام قد رنا ان يرثها
بنو اسرايل فاتبع قوم فرعون بنو اسرايل مشرقين فهلكوا وورث بنو اسرايل بلادهم
قوله تعالى فلما تراءى الجمعان اي تقابلا الجمعان بحيث يرى كل فريق صاحبه
وهو تفاعل من الرويه قال اصحاب موسى انا لمدركون اي قد رنا العدو و
لا طاقة لنا بهم وقراه الجماعة لمدركون بالتخفيف من ادرك ومنه حتى اذا ادركه
الغرق وقرا عبيد بن عمير والاعرج والزهري لمدركون بتشديد الدال من ادرك
قال الفراء حذفوا واختفروا لمعنى واحد وكذلك المدركون والمدركون
بمعنى واحد قال النحاس وليس لذلك تقول النحويون الحذاق انما يقال مدرك
ومدركون بمجهدني بحاقهم كما يقال كسبت بمعنى اصبت وظفرت واكتسبت
بمعنى اجتهدت وغلبت وهذا معنى قول سيبويه

كلا ان معي ربي سيهدين

لما لحق فرعون بجمعه جمع موسى وقرب منهم ورات بنو اسرايل العدو الفوري
وراءهم والبحر امامهم سالت ظنونهم وقالوا لموسى على جهة التوبيخ والجفا انا لمدركون
فرد عليهم قولهم وزجرهم وذكرهم وعد الله سبحانه له بالهدايه والنظر كلا اي لن يدركوكم

اي معي ربي بالنصر على العدو وسيهدين اي سيدلني على طريق النجاه فلما عظم البلاء على
بني اسرايل وقد اوقع الخوف من لا طاقة لهم بها امر الله تعالى موسى ان يضرب البحر بعصاه
وذلك انه عز وجل اراد ان تكون الايه منفصلة لموسى ومتعلقة بفعل يفعله
والا فضرب العصا لم يفارق البحر ولا يتعين على ذلك بذاته الا بما اقترن
به من قدره الله عز وجل واختراعه وقد مضى في البقره قصه هذا البحر
ولما انفرق صار فيه اثنى عشر طريقا على عدد اسباط بني اسرايل ووقف الماء
بينهما كالطود العظيم اي الجبل العظيم والطود الجبل وقال ابن قتيبه

فبينا المرء في الاحياء طود رماه الناس عن كثب وما لا

وقال الاسود بن يعفر

حلوا انقره فنبل عليهم ما الفرات بجري من اطوادِ

جمع طود اي جبل فصار لموسى ولاصحابه طريقا في البحر يبسا فلما خرج
اصحاب موسى وتكامل اصحاب فرعون على ما تقدم في يونس انصب عليهم
وغرق فرعون فقال بعض اصحاب موسى ما غرق فرعون فنبذه
على ساحل البحر حتى نظروا اليه وروى ابن القاسم قال لما خرج موسى عليه السلام
رجلان من النجا راى البحر فلما انتا اليه قالا يا امر ربك فلن نخلفك ثم القيا
انفسهما في البحر تصديقا له فما زال البحر كذلك حتى دخل فرعون ثم ارتد
كما كان وقد مضى هذا المعنى في البقره قوله تعالى وازلفنا ثم الاخرين
اي قربنا هم يعني في البحر من فرعون وقومه ومن معه قال ابن عباس وغيره
قال الشاعر

وكل يوم مضى او ليله سلفت فيها النفوس الى الاجال تزدلف

قال وعبيد ازلفنا جمعنا ومنه قيل لليله جمع ليله المزدلفه
وقرا عبيد الله بن الحسن وابن كعب وابن عباس وازلقنا بالقاف
على معنى اهلكناهم من ازلقت الفرس فهي زلوق اذا القت ولدها
وانجينا موسى ومن معه اجمعين ثم اغرقنا الاخرين يعني فرعون
وقومه ان في ذلك لايه اي علامه على قدره الله تعالى وما كان

اكرهم مومنين لانه لم يومن من قوم فرعون الا موسى ذ يعقوب واسمه
حزقيل وبنته اسيه امراه فرعون ومريم ابنه ناسوتا الذي دفن يوسف
يوسف الصديق عليه السلام وذلك ان موسى عليه السلام لما خرج بني اسرائيل
من مصر اظلم عليهم البحر فقال موسى لقومه ما هذا فقالوا علمنا ان يوسف
عليه السلام لما مات اخذ علينا موثقا من الله انا لا نخرج من مصر حتى ننقل
عظامه معنا قال موسى فايكم يدري اين قبره قالوا ما يعلمه الا
عجوز بني اسرائيل فارسل اليها فقالت دليني على قبر يوسف قالت لها والله لا
افعل حتى يقضي لي قال وما حملك قالت ظني ان اكون معك في الجنة
فقضى عليه فقيل له اعطها حكمها فاعطاها فدلتهم عليه فاحتفروا واستخرجوا
عظامه فلما اقلوها اذا الطريق مثل ضوء النهار وفي روايه فاوحى الله اليه
ان اعطها فضل فانت بهم الي بحيره فقالت انضبوا هذا الماء فاضبوه
واستخرجوا عظام يوسف عليه السلام فتبينت لهم الطريق مثل ضوء النهار
وقد مضى في يوسف وروى ابو بردة عن ابيه ان موسى ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم نزل بامراة فاكرمه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تحدث
ان تلوت مثل عجوز بني اسرائيل فقال اصحابه وما عجوز بني اسرائيل فذكر
لهم حال هذه العجوز الذي احتكمت على موسى ان تكون معه في الجنة

واتل عليهم نبا ابرهم

سبه المشركين على فرط جهلهم اذ رغبوا عن اعظم ما برهم ودينه وهواهم والنبا
الخبر اي اقصص عليهم يا محمد خبره وحديثه وهمه على قومه ما يعبدون وانما
قال ذلك ملزما لهم الحجه والجمهور من القراء على تخفيف الهمزه الثانيه وهو
احسن الوجوه لانهم قد اجمعوا على تخفيف الثانيه من كلمه واحده نحو ادم وان شئت
حققتها فقلت نبا ابرهيم وان شئت خففتها فقلت نبا برهيم وان شئت
حققت الاول وخففت الثاني وجه خامس لانه يجيز في العربيه وهو ان تدغم

لمزه في الهمزه كما يقال راس الذي بيع الرؤس وانما بعد لانك تجمع بين لمزتين
كما تجمع بينهما في كلمه واحده وحسن ذلك وقبح لانه لما اتى الاسم غير ان اذ قال لابيه وقومه
ما تعبدون اي اي شئ تعبدون قالوا نعبد اصناما وكانت اصنامهم من ذهب
وفضه ونحاس وحديد وخشب فنطل لها عاكفين على عبادتها وليس المراد وقتا
معينا بل مواظبتهم على عبادتها وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل وكانوا
في الليل يعبدون الكواكب فقال لهم ابراهيم كيف تظل لها عاكفين اذا فعلت بها او بات بفعل هذا
اذا فعله ليلا وقال هل يسمعونكم قال الاخفش فيه حذف
والمعنى هل يسمعون منكم او يسمعون دعاءكم كما قال

الفاسد حين منكوبا دوابرها قد احكمت حكمات العدو الاقفا

قال الابق الكثير الخلف والمعنى واحكمت حكمات الابق وروي
عن قتاده اذ تدعون اهل يسمعونكم بضم الياء اي هل يسمعونكم اصواتكم اذ تدعون
او ينفعونكم او يضرون اي هل يضعكم هذه الاصنام وتزرقكم او تملكون لكم
ضرا ان عصيتم وهذا استفهام لتقريرهم الحجه فاذا لم ينفعوا ولم يضروا فما معنى
عبادتكم لها قالوا وجدنا اباءنا كذلك يفعلون فزهوا الى التقليد من
غير حجه ولا دليل قال ابراهيم افرايتم ما كنتم تعبدون من هذه الاصنام
انتم واباؤكم الاقدمون الاولون فانهم عدو لي واحد ودي عن جماعه وكذلك يقال
للرجل اذا عادى بعض اصدقائه وعدوه لله حكما الفراء وقال الفراء هذا من المقلوب مجازه
فاني عدو كم لان من عاداه عاداك ثم قال لكن رب العالمين قال الكلبي ان الامر عبد
رب العالمين اي الا عابد رب العالمين بحذف المضاف قال ابو اسحق
الزجاج قال الخليل هو استثناء ليس من الاول واجاز ابو اسحق ان
يكون من الاول على انهم كانوا يعبدون الله عز وجل ويعبدون معه الاصنام
فاعلمهم انه برئ مما يعبدون الا الله وتاوله الفراء على الاصنام وحدها والمعنى
عليكم فانهم لو عبدتهم عدو لي يوم القيمه على ما ذكرنا وذكر الزجاج
تقديره افرايتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون الا رب
العالمين فانهم عدو لي والا بمعنى دون ويقوي بقوله لا يذوقون فيها الموت

الا المؤنثة الاولى اي دون المؤنثة الاولى

الذي خلقني فهو يهدين

اي يرشدني الى الدين والذي هو يطعمني ويسقين ان يرزقني ودخول هو تنبيه على ان غيره لا يطعم ولا يسقي كما تقول زيد هو الذي فعل كذا اي لم يفعله غيره واذا مرضت فهو يشفين رعاية للادب والا فالمرض والشفاء من الله عز وجل جميعا ونظير هذا قول فتى موسى وما انسانيه الا الشيطان والنبي يميتني ثم يحيين يريد بالبعث وكانوا ينسبون الموت الى الاسباب فبين ان الله هو الذي يميت ويحيي وكله بعز يا هيدين يتلقين بهن الحذف على رؤوس الاي حسن تتلقى كلها فلت زكوز بعض اهل الاشارات في عوائض المعاني فعد لعز ظام ما ذكراه الى ما ذفعه بداية العقول من انها ليس المراد من ايديهم فقال والذي هو يطعمني ويسقين اي يطعمني لذه الايمان ويسقيني حلاوة القبول فلم في قوله واذا مرضت فهو يشفين وجهان احدهما اذا مرضت لمخالفته شفاء من جمته الناس اذا مرضت فقاساه بخلق شفاء من يشاهده الحق وقال جعفر بن محمد الصادق اذا مرضت المذنوب شفاني بالتوبة وتا ولوا قوله والذي يميتني ثم يحيين على ثلاثة اوجه احدها والذي يميتني بالمعاصي يحيين بالطاعات الثاني يميتني بالخوف يحيين بالرجاء الثالث يميتني بالطمع يحيين بالقناعة وقول رابع يميتني بالعدل ويحيين بالفضل وقول خامس يميتني بالفراق ويحيين بالتلاق وقول سادس يميتني بالحكم ويحيين بالعقل اي غير ذلك مما ليس في شيء من مرادنا لانه قال هذا تاويل من العاصمة والامور الباطنة انما يكون لرصدق ومعرفة الحق واما من كان في عمى عن الحق فليس تنزيله الامور الباطنة ثم يترك الامور الظاهرة ومنا محال

والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين

اطمع اي ارجو وقيل هو بمعنى اليقين وحقه بمعنى الرجاء في حق المؤمنين سواء

وقرأ الحسن وابن ابي اسحق خطابا بي وقال ليست خطيئة واحدة قال انما خطيئته بمعنى خطايا مفرد في كلام العرب وقد اجمعوا على التوحيد في قوله عز وجل فاعترفوا بذنبهم ومعناه بذنوبهم وقالوا وفيوا الصلة معناه الصلوات كذا خطيئتي ان كانت خطيئة والله اعلم قال مجاهد يعني بخطيئته قوله فعله كبيرهم وقوله اني سقيم وقوله لسارة انها اختي وقوله للكوكب هذا ربي وقد مضى بيان هذا كله في قال الزجاج الانبياء يجوز ان يقع منهم الخطيئة ثم لا يجري عليهم اسم الخطايا لانهم معصومون منها يوم الدين يوم الجزاء حيث يجازي العباد باعمالهم ومنا من ابرهيم اظهار العبودية وان كان يعلم انه مغفور له وفي صحيح مسلم عن عائشة قلت يا رسول الله ان ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه قال لا ينفعه انه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين

رب هب لي حكما والحقني بالصالحين

حكما معرفة بك وبحدودك واحكاما مكنه له ابن عباس وقال مقاتل فهما وعلما وهو الجمع الاول وقال الكلبي نبوة ورسالة الى الخلق والحقني بالصالحين اي بالنبيين من قبلي في الدرجة وقال ابن عباس اجعل لي لسان صدق اجعله فيمن يجيء بعدي من ذريتي وهو تاكيد قوله هب لي حكما

واجعل لي لسان صدق في الآخرين

قال ابن عباس هو اجماع الامم عليه وقال ابن عباس ايضا ومجاهد الثناء الحسن وقال ابن عطية هو الثناء وطلبه الكائن باجماع من المحسنين وكذلك اجابه الله دعوته وكل امة تتمسك به وتعظمه وهو على الحنيفية التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم قال علي وقيل معناه سؤاله ان يكون من ذريته في اخر الزمان من يقوم بالحق فاجيبت الدعوة في محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عطية ومنا معترض بان لفظ الاية لا يعطيه الا بتحكم على اللفظ قال القشيري

اياد الدعا الخير الى قيام الساعه فان زياده الثواب مطلوبه في جميع الصدقات
وفعل الله ذلك اذ لبس احد يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم الا وهو يصلي على ابرهيم
وخاصه في الصلوات وعلى المنابر التي هي افضل المحلات وارفع المقامات
والصلاه دعا بالرحمه والمراد باللسان القول واصله جارحه الكلام قال
القتبي وضع اللسان موضع القول على الاستعاره وقد تكنى العرب عن الكلمه
قال الاصمعي اتتني لسان لا اسر بها من علو لا عجب منه ولا سخط
قال الجوهري يروى من علو بضم الواو وفتحها وكسرها اي اتاني خبر
من ها علا والثانيه تكلمه وكان فداناه خبر مقتل اخيه المنتشر وروى
اشهد عز ملك قال قال الله عز وجل واجعل لي لسان صدق في الاخرين لا
لسان يجب الرجل ان يثنى عليه صاحبه ويرى في عمل الصالحين اذا قصده
وجه الله تعالى وقد قال الله تعالى والقيت عليك محبه مني وقال ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداي حسنا في قلوب عباده
وثنا حسنا فيه تعالى بقوله واجعل لي لسان صدق في الاخرين على اصحاب
الكتاب ما يورث الذكر الجميل قال الليث بن سليمان ادرك احياء التابعين
التابعين قد مات قوم وهم في الدنيا احياء قال ابن العزيز وقال
المحققون من شيوخ الصوفيه هذا دليل على الترغيب في العمل الصالح الذي يكتب
للتابعين قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات الانسان انقطع عنه عمله
الا من ثلاثه وفي روايه اتاه كذلك في الغرس والزرع وكذلك كرمات مرابطا
فانه يكتب له عمله الى يوم القيمه وقد بيناه في اخر ال عمران والحمد لله
تعالى واجعلني من زوار تحفه النعيم دعا بالجنه ومن يزرتها وهذا رد قول
بعضهم لا اسال الجنه ولا ارا [illegible]

واغفر لابي انه كان من الضالين

كان ابوه وعده في الظاهر من يوم به فاستغفر له فلما بان له انه هالك
ما قال ابرا منه وقد تقدم هذا المعنى اذ كان من الضالين اي المشركين

وكان زايده ولا تخزني يوم يبعثون اي لا تفضحني على رؤس الاشهاد ولا تعذبني
يوم القيمه وفي البخاري عن ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان
ابرهيم يرى ابا ه يوم القيمه عليه الغبره والقتره ٥ الغبره هي القتره وعليه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقى ابرهيم اباه فيقول يا رب انك وعدتني ان لا
تخزني يوم يبعثون فيقول الله تعالى اني حرمت الجنه على الكافرين ثم قد ذكر
البخاري

يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم

يوم بدل من يوم الاول اي يوم لا ينفع مال ولا بنون احدا فالمراد بقوله
ولا بنون الاعوان لان الابن اذا لم ينفع فغيره من باب اولى وقيل ذكر البنين لانه جرى
ذكرهم والمعنى ابرهيم لا ينفعه ماله ولا بنوه الا من اتى الله بقلب سليم هو استثناء من الكافر
الذي لا ينفعه ماله ولا بنوه وقيل هو استثناء من غير الجنس لكن من اتى الله بقلب
سليم ينفعه سلامة قلبه وخص القلب بالذكر لانه اذا سلم سلمت الجوارح واذا
فسد فسدت الجوارح وقد تقدم في اول البقره واختلف في القلب السليم فقيل من
الشرك والشك فاما الذنوب فليس يسلم منها احد قاله قتاده وابن زيد قال ابن
المسيب وقال سعيد بن المسيب السليم الصحيح وهو قلب المؤمن لان قلب الكافر
والمنافق مريض قال الله تعالى في قلوبهم مرض وقال ابو عثمان النيسابوري
هو القلب الخالي من البدعه المطمئن الى السنه وقال الحسين سليم من افه المال
والبنين وقال الحبيب السليم في اللغه اللديغ فمعناه انه قلب كالليديغ من خوف الله
وقال الضحاك السليم الخالص قلت وهذا القول يجمع شتات الاقوال
بعمومه وهو حسن والخالص من الاوصاف الذميمه والمتصف بالاوصاف الحميده والله اعلم

قوله تعالى

وازلفت الجنه للمتقين

اي قربت وادنيت لهم ليدخلوها وقال الزجاج قرب دخولهم اليها ونظرهم اياها

ونظمهم اياها وبرزنا لهم الجحيم يعني جهنم للغاوين اي الكافرين الذين ضلوا عن الهدى اي
نظم جهنم لاهلها قبل ان يدخلوها حتى يبشروا الدوعو والحزن كما يبشر اهل الجنة
الفرح لعلمهم انهم يخلون الجنة وقيل لهم ان ما كنتم تعبدون من دون الله من الاصنام والانداد
هل ينصرونكم من عذاب الله او ينتصرون لانفسهم وهذا كله توبيخ فكبكبوا فيها اي
قلبوا على رؤسهم وقيل دهوروا والى بعضهم على بعض وقيل جمعوا ماخوذ من الكبكبة
وهي الجماعة قاله الفراء وقال الخليل هو منقول من كوكب الشيء اذا علظه والجماعة من الابل
كوكب وكبكبه وقال ابن عباس جمعوا فطرحوا في النار وقال مجاهد دهدهوا
وقال مقاتل قذفوا والمعنى واحد تقول دهورت الشيء اذا جمعته ثم قذفته في هواه
وقيل هو بدهور اللقم اذا كررها ويقال في الدعاء كبكبه الله عدوا للمسلمين ولا يقال
اكبه وكبكبه ايكبه وقلبه ومنه قوله تعالى فكبكبوا فيها والاصل كبوا فابدل من الباء
الوسطى كافا استثقالا لاجتماع الباءات قال الزجاج الضمير في كبكبوا
للمشركين فريش والغاوون الكلهة وجنود ابليس من كان من ذريته وقيل كل من دعاه الى
عبادة الاصنام واتبعه وقال قتادة والكلبي ومقاتل الغاوون هم الشياطين وقيل
انما تلقى الاصنام في النار وهي من حجارة وخشب ليعذب بها غيرهم فقالوا وهم فيها
يختصمون يعني الانس والشياطين والمعبودين خصموا جميعا تالله ان كنا لفي ضلال مبين اي لفي خطا وجور عن الحق بينه اذ نجعلكم
كالله نعبده وهذا هو معنى قوله اذ نسويكم برب العالمين اي في العبادة وانتم لا تستطيعون
الان نصرنا ولا نصر انفسكم ○ وما اضلنا الا المجرمون يعني الشياطين الذين زينوا لنا
عبادة الاصنام وقيل اسلافنا الذين قلدناهم قال ابو العالية وعكرمة المجرمون
هو ابليس وابن آدم القاتل هما اول من سن الكفر والقتل واتباع المعاصي ○ فما لنا من
شافعين اي شفعاء يشفعون لنا من الملائكة والنبيين والمؤمنين كما لصديق جميع اي
صديق مشفق ○ وكان علي رضي الله عنه يقول عليكم بالاخوان فانهم عدة في الدنيا
وعدة في الاخرة الا تسمع الى قول اهل النار فما لنا من شافعين ولا صديق جميع قال
الزمخشري وجمع الشافع لكثرة الشافعين ووحد الصديق لقلته لان الرجل
اذا انحزن بما فاته ظن ان جماعة من اهل بلده تشفع له رحمه الله وحسبه

وان لم يبق له يا كرهم معرفة واما الصديق فهو الصادق في وداد الذي يهمه ما يهمك وعن بعض الحكماء انه سئل عن الصديق فقال هو اسم لا معنى له ويجوز ان يريد بالصديق
الجمع والجميع القريب الخاص ومنه خاصة الرجل اي اقرباؤه واصل هذا من الجمع وهو الامساك
ومنه الكام والجمي محاسة الرجل الذين يحرقهم ما احرقه كما يقال هم حراشة اي يحرشهم ما يحرشه
ويقال حم الشيء واحم اذا قرب ومنه الجمي لانها تقرب من الاجل وقال علي بن عيسى انما
سمي القريب حميما لانه يحمي لغضب صاحبه فجعله ماخوذا من الجمة وقال قتادة يذهب
الله عز وجل يوم القيامة هوله الصديق ورقة الجميم ويجوز والصديق جميم بالرفع على موضع
من شافعين لان من شافعين في موضع رفع وجمع صديق اصدقا وصدقا وصداق
ولا يقال صدق للفرق بين النصب وغيره وحكى الكوفيون انه يقال في جمعه صدقان
قال النحاس وهذا بعيد لان هذا جمع سالم لبين بغير تكسير وعيف وعيفان وحكوا ايضا
صديق واصادق وافاعل انما هو جمع افعل انما لم يكن بقنا نحو انبجح واشاجع
ويقال صديق للواحد والجماعة وللمراة قال الشاعر

نصبن الهوى ثم ارتمين قلوبنا ياعين اعدا وهن صديق

وقال جابر بن عبد الله قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليقول في الجنة ما فعل
فلان وصديقه في الجحيم فلا بد لك ان تشفع له حتى يشفعه الله فيه فاذا قال المشركون
ما لنا من شافعين ولا صديق جميم قال الحسن البصري ما اجتمع ملا على ذكر الله فيهم عبد
من اهل الجنة الا شفعه الله فيهم وان اهل الايمان ليشفع بعضهم في بعض وهم عند الله
شافعون مشفعون وقال كعب ان الرجلين كانا صديقين في الدنيا فيمرض احدهما فيقول لصاحبه
وهو بحر الى النار فيقول له اخه والله ما يقي لي الا حسنة انحو بها حتى فتنجو
بها معا ارني وابني انا واتى من اصحاب الاعراف قال فيبعث الله بهما جميعا فيدخلان
الجنة ○ ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم تقدم
معناه والله الموفق للصواب

كذبت قوم نوح المرسلين

قال كذبت والقوم مذكر لان المعنى كذبت جماعة قوم نوح وقال المرسلين لان من كذب

رسولا واحدا فقد كذب بالرسل لان كل رسول يامر بتصديق جميع الرسل وقيل كذبوا نوحا
في البدء وفيما اخرهم به من مجيء الرسل بعده وقيل ذكر الجنس والمراد نوح وقد مضى
هذا في الفرقان اذ قال لهم اخوهم نوح الا يابراهيم وهي اخوهم شعيب اخوه دين وقيل
هي اخوة المجانسة قال الله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه وقد مضى
هذا في الاعراف وقيل هو من قول العرب يا اخا بني تميم يريدون يا واحدا منهم قال
الزمخشري ومنه بيت الحماسة لا يسألون اخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قارفوا هانا
الا يتقون اي الا يتقون الله في عبادة الاصنام انكم رسول امين اي صادق فيما يبلغكم عن
الله تعالى وقال امين بمعنى فيما يبلغ فانهم كانوا يعرفون امانته وصدقه من قبل كمحمد
صلى الله عليه وسلم فوقوس فاتقوا الله اي استمروا على اطاعة الله من عقابه واطيعون
فيما امركم به من الايمان وما اسئلكم عليه من اجر اي لا اطلب مني مالكم ان اجري
اي ما اجري الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون كررنا تاكيدا قوله تعالى

قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون

فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى قالوا انؤمن لك اي نصدق قولك واتبعك
الارذلون الواو للحال وفيه صار قولنا وقد اتبعك الارذلون جمع الارذل والكسر للاراذل
والاصل الرذلاء جمع الرذل قال النحاس ولا يجوز حذف الالف واللام في شيء من هذا عند اهل
احد من النحويين علمناه وقرا ابن مسعود والضحاك وابو عمرو الحضرمي وعزمي واتباعك
بفتح واتباع جمع تبع وتبع يكون للواحد والجمع قال الشاعر

لو تبع قد بعلم الناس انه علي من مدابي صيف وربيع

وارتفاع اتباعك يجوز ان يكون بالابتداء والارذلون الخبر وقرا انا اتباعك الارذلون
ويكون معطوفا على الضمير وانؤمن لك التقدير انؤمن لك نحن واتباعك الارذلون
بعد منهم وحسن ذلك الفصل بقوله لك وقد مضى القول في الاراذل وهو مستوفى وزيده
مبينا وهي المسالة التي بنيه فقيل ان الذي امن به بنوه ونساؤه وكانوا

ثم احلفت هل كان معهم غيرهم ام لا فقيل ابى الوحي ان كان فالكل صالحون وقيل
نوح رب بحين ومن تبعني من المومنين والذين معه هم الذين اتبعوه فلا يلتفت الى قول الكفرة
ولا يذم بل الارذلون هم المكذبون ثم قال السهيلي وقد عاب بعض العوام بعقولهم رذالة
وتقبيح هذا لابيه هم الحاكة والحجامون ولو كانوا نوالحاكة كما زعموا لكان ابائهم بنى الله وابا عهم شرفا
لم كان شرف بلال وسلمان سبقهما الى الاسلام فما مزوجوه اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن
اكابرهم فلاذ ربه نوح كما نوالحاكة ولا حجامين ولا قول الكفرة في الحاكة والحجامين ان كانوا
بهم ارذلون ما نلحق اليوم بحاكة ولا حجامين ولا نقصا لاحد جكاية عن قول الكفرة الا ان يحمل
الكفرة حجة ومقالتهم اصلا وهذا جهل عظيم وقد علم الله تعالى ان صناعات لبيت بضايرة في
الدين والله الموفق للصواب

قال وما علمي بما كانوا يعملون

كان زايدة والمعنى وما علمي بما يعملون اي لم اكلف العلم بما علم انما كلفت ان ادعوهم الى
الايمان والاعتبار بالايمان لا بالحرف والصنايع وكانهم قالوا انما اتبعك ضعفة القوم والما لفقراء فقال ان
ذلك لا يقدح في باطن امرهم وانما الي ظاهرهم وقيل المعنى اي
لا اعلم ان الله يهديهم ويصلحهم ويرشدهم ويعينهم ويوفقهم ويجذكم ان حسابهم الا على
اعمالهم وانما انا نذير لي لو تشعرون وجواب لو محذوف فلو تشعرن ان حسابهم على ربهم
لما عيبوهم بصنايعهم وقراءة العامة تشعرون بالتاء على المخاطبة للكفار وهو الظاهر وقرا
ابن ابي عبلة ومحمد بن السميفع لو يشعرون بالياء كناية عن الكفار وترك الخطاب لهم بحو قوله
حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وروى ان جلساء سفيان عن امراة زنت
وقتلت ولدها وهي مسلمة هل يقطع لها بالنار فقال سفيان ان حسابهم الا على ربي لو يشعرون
وما انا بطارد المومنين اي بمساءتهم واخراجهم وكانهم طلبوا منه طرد الضعفا كما فعله قريش ان انا الا
نذير مبين يعني انه ما ارسل الى احد دون الفقرا انا نذير لكم فلم اطرد احدا منكم ما ارسلت به فمن اطاعني
قوله تعالى

قالوا لئن لم تنته يا نوح

اي من سب الهنا وعبد دينا انكون من المرجومين اي بالحجاره قاله
قتاده وقال ابن عباس ومقاتل من المقتولين قال الثمالي كل مرجومين
في القران فهو القتل الا في مريم في قوله لين لم تنته لارجمنك اي لاسبنك
وقيل من المرجومين من المشتومين قاله السدي قوله تعالى قال نوح
رب ان قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المومنين
قال ذلك لما يئس من ايمانهم والفتح الحكم وقد تقدم فانجيناه ومن
معه في الفلك المشحون يريد السفينه وقد مضى ذكرها والمشحون المملو والشحن
ملا السفينه بالناس والدواب وغيرهم ولم يرث الفلك ههنا لان الفلك ههنا واحد
لا جمع ثم اغرقنا بعدا لبا قيين اي بعدا بخايبا نوحا ومن امن انى في ذلك
لايه وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم

كذبت عاد المرسلين

الثابيث لمعنى القبيله والجماعه وتكذيبهم الرسل كما تقدم اذ قال لهم اخوهم هود
الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسلكم عليه من
اجر ان اجري الا على رب العالمين بين المعنى وقد تقدم والحمد لله

اتبنون بكل ريع تعبثون

الريع ما ارتفع من الارض في قول ابن عباس وغيره جمع ربيعه وهو ربع ارضك
اي مكان ارتفاعها وقال قتاده الريع الطريق وهو قول الضحاك والكلبي ومقاتل
والسدي وقاله ابن عباس ايضا ومنه قول المسيب بن علس

في الال تحفزها ويرفعها ريع يلوح كانه سحل

شبه الطريق بثوب السمط قال النحاس ومعروف في اللغه ان يقال لما ارتفع
من الارض ريع والطريق ريع قال الشاعر

طراق الخوافي مشرفات فوق ربعه بذي لبده في ريشه بتنرفق

وقال عماره الريع الجبل الواحد ربعه والجمع رباع وقال مجاهد هو الفج بين الجبلين
وعنه البنيه الصغيره وعنه المنظره وقال عكرمه ومقاتل كانوا يهتدون بالنجوم
اذا سافروا فبنوا على الطريق اميالا لا عبثا لهتدوا بها يدل عليه قوله ايه في
علامه وعن مجاهد الريع بنيان الحمام دليله تعبثون اي تلعبون اي تبنون كل مكان
مرتفع ايه علما تلعبون بها على معنى ابنيه احكام وبروجها وقيل تعبثون بمن يمر
في الطريق اي تبنون بكل موضع مرتفع لتسترون على السابله فتسخرون منهم وقال
الكلبي انه عبث العشارين باموال من يمرون بهم ذكره الماوردي وقال ابن الاعرابي
الريع الصومعه والريع البرج من الحمام يبنون في الصحرا والريع التل العالي وفيه
لغتان كسر الراء وفتحها وجمعه ارباع ذكره الثعلبي قوله تعالى وتتخذون مصانع
اي منازل قاله الكلبي وقيل حصونا مشيده قاله ابن عباس ومجاهد ومنه قول
الشاعر

تركن ديارهم منهم قفارا وهدم من المصانع والبروج

وقيل قصورا مشيده وقاله مجاهد ايضا وعنه بروج الحمام وقاله السدي
قلت وفيه بعد عن مجاهد لانه تقدم عنه في الريع انه بنيان الحمام
فيكون تكريرا في الكلام وقال قتاده ماء تحت الارض وكذا قال الزجاج انها
مصانع الما واحدتها مصنعه ومضع ومنه قول لبيد

بليتا وما تبلى النجوم الطوالع وتبقى الجبال بعدنا والمصانع

وقال الجوهري المصنعه كالحوض يجمع فيه ما المطر وكذلك المصنعه بضم الميم
والمصانع الحصون وقال ابو عبيده يقال لكل ما صنعه جبار المهدوي
وقال عبد الرزاق عند بلغته اليمن القصور العاديه لعلكم تخلدون اي
كي تخلدون وقيل لعل استفهام بمعنى التوبيخ اي فهل تخلدون لعولك
لعلك تشتمني اي هل تشتمني ونحوي معناه عزا بن زيد وقال الفرا
كما تخلدون لا تفكرون في الموت وقال ابن عباس وقتاده كانكم خالدون
باقون فيها وفي بعض القرآت كانكم تخلدون ذكره النحاس وحكي قتاده انها
كانت في بعض القرآت كانكم خالدون

واذا بطشتم بطشتم جبارين

البطش السطوه والاخذ بالعنف وقد بطش به يبطش ويبطش بطشا وباطشه بالطشه فقال ابن عباس ومجاهد البطش العنف قتلا بالسيف وضربا بالسوط ومعنى ذلك معلم ذلك ظلما وقال مجاهد ايضا هو ضرب السياط ورواه مالك عن انس عن نافع عن ابن عمر فيما ذكر ابن العربي وقيل هو القتل بالسيف في غير حق حكاه يحيى ابن سلام وقال الكلبي والحسن هو القتل على الغضب من غير تثبت وكله يرجع الى قول ابن عباس وقيل انه المؤاخذه على الهم والخاطر من غير عفو ولا اناة قال ابن العربي ويؤيد ما قال مالك قول الله تعالى مخبرا عن موسى فلما اراد ان يبطش الذي هو عدو لهما قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض وذلك ان موسى عليه السلام لم يسل عليه سيفا ولا طعنه برمح وانما وكزه وكانت ميتته في وكزته والبطش يكون باليد واقله الوكز والدفع ويليه السوط والعصا ويليه الحديد والقتل بذموم الاخلق والايه نزلت خبرا عن تقدم من الامم ووعظا من الله عز وجل لنا في مجانبه ذلك الفعل الذي ذمهم به وانكره عليهم قلت وهذه الاوصاف المذمومه قد صارت في كثير من هذه الامه لاسيما بالديار المصريه منذ ولينا البحريه فيبطشون في الناس بالسوط والعصا في غير حق وقد اخبر صلى الله عليه وسلم ان ذلك يكون كما في صحيح مسلم عن ابي هريره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من اهل النار لم ارهما قوم معهم سياط كاذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مائلات ممايلات رؤسهن كاسنمه البخت المائله لا يدخلن الجنه ولا يجدن ريحها وان ريحها ليوجد من مسيره كذا وكذا وخرج ابو داود من حديث ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا تبايعتم بالعينه واخذتم اذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا الى دينكم جبارين قتالين واجبارا لقتال في غير حق وكذلك قوله تعالى ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض قاله الهروي وقال الشاعر

سلبنا من الجبار بالسيف ملكه عنيا واطراف الرماح شوارع

قوله تعالى

فاتقوا الله واطيعون

تقدم ذكره واتقوا الذي امدكم بما تعلمون اي من اكرامكم فسرها فقال امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون اي سخر ذلك لكم وتفضل به عليكم وهو الذي يجب ان يعبد ويشكر ولا يكفر اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ان كفرتم به واصررتم على ذلك ﴿ قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين كل ذلك عندنا سواء لا نسمع منك ولا نلوي على ما تقوله وروي عن ابن عمرو وبشر عن الكسائي اوعظت مدغمه الظاء في التاء وهو بعيد لان الظاء حرف اطباق والتاء حرف منفتح بعيد جدا وان كان مثله ومخرجه ان هذا الا خلق الاولين اي دينهم عن ابن عباس وعنه وقال الفراء عاده الاولين وقرا ابن كثير والكسائي وابو عمر وخلق الاولين اي قوم خلق قال الهروي وقوله عز وجل ان هذا الا خلق الاولين اي اختلاقهم وكذبهم ومن قرا خلق الاولين فمعناه عادتهم والعرب تقول احدثنا فلان باحاديث الخلق اي باكاذيبه والاحاديث المفتعله وقال ابن الاعرابي الخلق الدين والخلق الطبع والخلق المروه وقال النحاس خلق الاولين عند الفراء يعني عاده الاولين وحكى لنا محمد بن الوليد عن محمد بن يزيد قال خلق الاولين مذهبهم وما جرى عليه امرهم قال ابو جعفر القولان متقاربان ومنه الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا اي احسنهم مذهبا وعاده وما يجري عليه الامر في طاعه الله عز وجل ولا يجوز ان يكون من كان حسن الخلق فاجرا فاضلا ولا ان يكون اكمل ايمانا من الذي ليس بخلوق الذي ليس بفاجر قال ابو جعفر وحكى لنا عن محمد بن يزيد ان معنى خلق الاولين تكذيبهم وتخرصهم غير انه كان يميل الى القراءه الاولى لان فيها مدح ابائهم واكثر ما جاء القرآن في صفه متقدميهم لابائهم وقولهم انا وجدنا ابانا على امه وعن ابي قلابه انه قرا خلق بضم الخاء واسكان اللام تخفيف خلق ورواها ابن حبيب عن اصحاب نافع عن نافع وقد قيل ان معنى خلق الاولين دين الاولين وسنه قوله فليغيرن خلق الله اي دين الله وخلق الاولين عاده الاولين حياه ثم موت ولا بعث وقيل ما هذا الذي انكرت علينا من البيان والبطش الا عاده من قبلنا فنحن نقتدي بهم

وما نحن بمعذبين على ما نفعل وقيل المعنى خلق لحسام الاولين اى ما خلقنا
الا خلق الاولين الذين خلقوا قبلنا وما نحن ولم ينزل بنا شيء مما حذرنا به من العذاب
فكذبوه فاهلكناهم اى بريح صرصر عاتيه على ما بأتي في اضافة ان الى ذلك
لايه وما كان اكثرهم مومنين قال بعضهم اسلم منهم ثلاثمايه الف
ومبين يهلك بافتهم وان ربك لهو العزيز الرحيم

كذبت ثمود المرسلين

ذكر قصه صالح وقومه وهم ثمود وكانوا ينحتون الحجر كما تقدم في الحجر
وهي ذات نخل وزروع ومياه انتركون بنيامهنا يعني في الدنيا امنين من الموت
والعذاب قال ابن عباس كانوا ممن لا يبني البنيان مع اعمارهم
ودل على هذا قوله واستعمركم فيها فقرعهم صالح ووبخهم وقال انظنون انكم
باقون في الدنيا بلا موت في جنات وعيون وزروع طلعها هضيم ○ الى محشري
فان قلت لم قال ونخل بعد قوله وجنات والجنه تتناول النخل اول كل شيء كما
يتناول النعم الابل كذلك من بين الازواج حتى انهم ليذكرون الجنه ولا يقصدون
الا النخل كما يذكرون النعم ولا يريدون الا الابل قال زهير

كان عيني في غربي مقتله ... من النواضح تسقي جدولا سحقا

يعني النخل والنخله السحوق البعيده الطول قلت فيه وجهان احدهما
ان يخص النخل بافراده بعد دخوله في جمله سائر الشجر تنبيها على افرادها بالفضل
عنها والثاني ان يريد بالجنات غيرها من الشجر لان اللفظ يصلح لذلك
ثم يعطف عليها النخل والطلعه هي التي تطلع من النخله كنصل السيف في جوفه
شماريخ القنو والقنوان اسم للخارج من الجذع كما هو بعرجونه وشماريخه
هضيم قال ابن عباس لطيف ما دام في اكمامه وكمامه ما هضم اللطيف الرقيق
ومنه قول امرء القيس ... هضيم الكشح ريا المخلخل

الجوهري ويقال للطلع هضيم ما لم يخرج من كمامه لدخول بعضه في بعض
والهضيم من النساء اللطيفه الكشحين ونحوه حكى المروزي قال وهو

المنضم قبل ان يظهر ومنه رجل اهضم الجنبين اى منضمهما هذا قول اهل
اللغه وحكى الماوردي وغيره في ذلك اثني عشر قولا احدها انه الرطب اللين
قاله عكرمه الثاني الذنب من الرطب قاله سعيد بن جبير قال النخعي
وروى ابو اسحاق عن زيد بن ابي مريم كوفي وزيد بن ابي مريم شامي وخجل
طلعها هضيم قال منه ما قد ارطب ومنه مذنب الثالث انه الذي
نوى قاله الحسن الرابع انه المنهشم المتفتت اذا مس تفتت قاله
مجاهد وقال ابو العاليه تنهشم في الفم الخامس هو الذي قد ضم بعضه
بعضا قاله الضحاك ومقاتل السادس المتلاصق بعضه ببعض قاله ابو
صخر السابع انه الطلع حين ينفرق وينحصر قاله الضحاك ايضا الثامن انه
الينع النضيج قاله ابن عباس التاسع انه المكسر قبل ان ينتشر عنه
الغشر حكاه ابن بحر قال

كان حمولة نخل عليه هضيم ما يحسر له شقوف

العاشر انه الرهو قاله الحسن الحادي عشر الرخص اللطيف اول ما يخرج
وهو الطلع النضيد قاله الزهري الثاني عشر انه المري قاله ابن الاعرابي
فعيل بمعنى فاعل اي هني مري من افضام الطعام والطلع اسم مشتق من الطلوع
وهو الظهور ومنه طلوع الشمس والفجر والنبات

وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين

النحت النجر والبري تحته ينحته بالكسر نحتا اي براه والنحانه البرايه والمنحت ما
ينحت به وفي والصافات تعبدون ما تنحتون فكانوا ينحتونها من الجبال لما طالت
اعمارهم وتهدم بناؤهم من الجذر وقرا ابن كثير وابو عمرو فارهين بغير الف
الباقون فارهين بالف وهما بمعنى واحد وقول ابي عبيده وغيره مثل عظام
نحره ولحره وقاله قطرب وحكي فره يفره فهو فاره ومر يفره فهو فره وفاره
اذا كان نشيطا وهو نصب على الحال وفرق بينها قوم فقالوا فارهين حذقين
بنحتها قاله ابو عبيده وروي عن ابن عباس وابي صالح وغيرهما وقال عبد الله

ابن شداد فارهين مجزرين وروي عن ابن عباس ايضا ان معنى فرهين بغير الف اشرين بطرين وقاله مجاهد وروي عنه شرهين الضحاك كيسين قتاده معجبين وعنه ناعمين وعنه ايضا امنين وهو قول الحسن وقيل متجرين قاله الكلبي والسدي ومنه قول الشاعر

الى فرهة ملحد كل امرء فصرف له لاختيار الطبا عما

وقيل معجبين قاله الخصيف وقال ابن زيد اقوياء وقيل فارهين فرحين قاله الاخفش والعرب تعاقب بين الهاء والحاء تقول مذهنه ومدحنه فالمرح الاشر الفرح المرح بمعنى المرح مذموم قال الله تعالى ولا تمش في الارض مرحا وقال ان الله لا يحب الفرحين فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين قيل انهم الذين عقروا الناقة وقيل التسعة رهط الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون قال السدي وغيره اوحى الله تعالى الى صالح ان قومك سيعقرون ناقتك فقال لهم ذلك فقالوا ما كنا لنفعل فقال لهم صالح انه سيولد لكم في شهركم هذا غلام يعقرها ويكون هلاككم على يديه فقالوا لا يولد في هذا الشهر ذكر الا قتلناه فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر فذبحوا ابناءهم ثم ولد للعاشر فابى بيذبح ابنه وكان لم يولد له قبل ذلك فكان ابن العاشر ارزق احمر قصيرا سباطا سريعا فكان اذا مر بالتسعة رآوه فقالوا لو كان لنا ابناء ونا اجيالا كانوا مثل هذا وغضب التسعة على صالح فانه كان سبب قتل ابنائهم فتحالفوا وتقاسموا بالله لنبيتنه واهله فقالوا نخرج الى السفر فيرى الناس سفرنا فنكون في غار حتى اذا كان الليل وخرج صالح الى مسجده اتيناه فقتلناه ثم قلنا ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون فيصدقونا ويعلمون بانا فد خرجنا الى سفر وكان صالح لا ينام معهم في مسجده فاذا اصبح انام قومه فلما دخلوا الغار اراد وا ان يخرجوا سقط عليهم الغار فقتلهم فرقد ذلك الناس ممن كان قد اطلع على ذلك فصاحوا في القريه يا عباد الله مات رجال صالح ان امر بقتل اولادهم حين قتلهم فاجتمع اهل القريه على عقر الناقه وقالوا انما سقنا انما اجتمع التسعه على سبب صالح بعد عقرهم الناقه وانذارهم العذاب على ما بابي بيانه في سورة النمل قالوا انما انت من المسحرين هو من السحر في قول مجاهد وقتاده على ما قاله المهدوي اي اصبت بالسحر فبطل عقلك لذلك فلم تدر ما تدعي ارسالك الينا وقيل من المعللين بالطعام والشراب قاله ابن عباس والكلبي وقتاده ومجاهد ايضا فيما ذكر الثعلبي وهو على هذا القول من السحر وهو الريه اي لست بملك سحابي ربة تاكل وتشرب مثلنا قال امرء القيس

فان تسالينا فيم نحن فاننا عصافير من هذا الانام المسحر

وقال ايضا ونسحر بالطعام وبالشراب فات بابه

ان كنت من الصادقين في قولك فاذهب ناقة لها شرب وكم شرب يوم معلوم قال ابن عباس قالوا ان كنت صادقا فادع الله يخرج لنا من هذا الجبل ناقة حمراء عشراء فتضع وتخرج شطرها ثم تنظر شطر نتاجها الما فتشرب ونحلبها مثله لبنا فدعا وفعل الله ذلك فقال هذه ناقة الله لها شرب اي حصة اليوم لكم شرب يوم ولها شرب يوم فكانت اذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله اول النهار وتسقيهم اللبن اخر النهار واذا كان يوم شربهم كان لا تشرب ماءهم وما يشبههم وارضهم ليس لهم في يوم وردها ان يشربوا من شربها شيئا ولا لها ان تشرب في نوبتهم من مياههم شيئا فذلك الشرب الحظ من الماء قال الخاسر فاما المصدر فيقال فيه شرب شربا وشربا وشربا واكثرها المضموم لان المكسوره والمفتوحه يشتركان مع شيء اخر فيكون الشرب الحظ من الماء ويكون الشرب جمع شارب كما قال

للشرب في دورنا وقد نهلوا

الا ان ابا عمرو بن العلا والكسائي يختاران الشرب بالفتح في المصدر ويحتجان بروايه بعض العلماء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انها ايام اكل وشرب ولا تصوموها بسو لا يجوز اظهارها بالتضعيف هنا لانها حرفان متحركان من جنس واحد فياخذكم جواب النهي لا يجوز حذف الفاء منه والجزم كما جاز في الامر الاشتباه روي عن الكسائي انه بحيره فعقروها فاصبحوا نادمين اي على عقرها لما ايقنوا بالعذاب وذلك انه انظرهم ثلاثا فظهرت عليهم العلامة كل يوم وندموا ولم ينفعهم الندم عند معاينه العذاب وقيل لم ينفعهم الندم لانهم لم يتوبوا بل طلبوا صالحا عليه السلام ليقتلوه لما ايقنوا بالعذاب وقيل كانت ندامتهم على نزول الولد اذ لم يقتلوه

سها وهو بعيد ان ذلك لايه الى اخره تقدم وبقى لسانه ما امن به
من تلك الامم الا الفان وثمان نابه رجل وامراه وقيل كانوا اربعة الاف وقال
كعب كان قوم صالح اثنى عشر الفا قبيل كل قبيل اثنى عشر الف سوا النسا والذريه
ولقد كان قوم عاد مثلهم ستة مرات قوله تعالى كذبت قوم لوط المرسلين
تقدم معناه وقصته في الاعراف وهود مستوفى قوله تعالى

اتاتون الذكران من العالمين

كانوا ينكحون في ادبارهم وكانوا يفعلون ذلك بالغرباء كما تقدم في الاعراف
وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم بعين فروج النسا قال الله خلقها للنكاح
قال ابرهيم بن المهاجر قال لي مجاهد كيف يقرا عبد الله وتذرون ما خلق لكم
ربكم من ازواجكم قلت وتذرون ما اصلح لكم ربكم من ازواجكم قال الفرج
كما قال قوم من حيث امركم الله بل انتم قوم عادون اي متجاوزون الحدود
قالوا لين لم تنته يا لوط من قولك هذا لتكونن من المخرجين اي من بلدنا وقريتنا
قال اني لعملكم يعني اللواط من القالين اي المبغضين والقلى البغض قلينه
اقليه قلا وقلا قال فلست بفعلي الحلال ولا افعل الا ما امرني به وقال اخر
عليك بسلام الله قلت قريته ومالك عندي ان تنقلا
رب نجني واهلي مما يعملون اي من عذاب عملهم دعا الله لما يئس ان يصيبه
من عذابهم فقال تعالى فنجيناه واهله اجمعين ولم يكن الا ابنتيه على
ما تقدم في هود الا عجوزا من الغابرين روي سعيد عن قتاده قال اعذرت في عذابه
الله جل وعز ما بقيت وابو عبيده ينصب اي ان العين من الباقين اي المعدم
اي بقيت تجر مرت وقال الخليل يقال للذاهب غابر وللباقي في غابر وقال
لا تلتفت ولا يتوقف بها انك لا تدري من الناجي
وكما قال فما دنا محمد منا غفر له الا له ما مضى وما غبر
اي بقي والاعبار بقيات الالبان ثم دمرنا الاخرين اهلكناهم بالخسف
والنصب قال فقائل خسف الله بقوم لوط وارسل الحجارة على من كان خارجا

من القريه وامطرنا عليهم مطرا يعني الحجاره فسا مطر المنذرين وقيل ان جبريل
خسف بقريتهم وحمل عاليها سافلها ثم اتبعها الله بالحجاره ان في ذلك لايه وما كان
اكثرهم مومنين ولم يكن فيها مومن الا بيت لوط وابنتاه قوله تعالى

كذب اصحاب الايكه المرسلين

الايك الشجر الكثير الملتف الواحده ايكه ومن قرا اصحاب الايكه بخفض العنطه ومن
قرا ليكه فهو اسم القريه يقال هما مثل بكه ومكه قاله الجوهري وقال
النحاس وقرا ابو جعفر ونافع كذب اصحاب ليكه المرسلين وكذا قرا اني ص واجمع
القرا ع ١١ التي في سوره الحجر والتي في سوره ق فحيثما يرد ما اختلفوا فيه
الى ما اجمعوا عليه اذ كان المعنى واحدا فاما ما حكاه ابو عبيده من ان ليكه
هي اسم القريه التي كانوا فيها وان الايكه اسم البلد فشي لا يثبت ولا يعرف
من قاله فيثبت عنه ولو عرف من قاله لكان فيه نظر لان اهل العلم جميعا من
اهل التفسير والعلم بكلام العرب على خلافه روي عبد الله بن وهب عن جرير بن حازم
عن قتاده قال ارسل شعيب الى امتين الى قومه من اهل مدين والى اصحاب
الايكه قال والايكه غيضه من شجر ملتف وروي سعيد عن قتاده قال كان اصحاب
الايكه اهل غيضه وشجر وكانت عامة شجرهم الدوم وهو شجر المقل وروي
ابن جبير عن الضحاك قال خرج اصحاب الايكه فانضموا الى الغيضه والشجر
فارسل الله اليهم سحابه فاستظلوا تحتها فلما التاموا تحتها احرقتهم فلم يبق منهم
الا ما روي عن ابن عباس قال الايكه الشجر لا نعلم بين اهل اللغه اختلافا ان الايكه
الشجر الملتف فاما احتجاج بعض من احتج لقراه من قرا في هذين الموضعين
بالفتح انه من التواذ ليكه فلا حجه فيه والقول فيه ان الاصل الكيه تحققت
الهمزه فالقيت حركتها على اللام فسقطت واستغنت عن الف الوصل لان اللام
قد تحركت فلا يجوز على هذا الا خفض كما تقول فالاسم تحقق الهمزه
ثم تخففها فتقول بالاحمر فان بثبت كتبته بالخط على ما كتبته
اولا وان شئت كتبته بالحذف ولم يجز الا خفض فكذا لا يجوز في ليكه

الاخفش قال سيبويه فاعلم ان ما لا ينصرف اذا دخله الالف واللام او اضيف
انصرف ولا نعلم احدا خالف سيبويه في هذا وقال الخليل الايكه عيضه نبت
السدر والاراك ونحوها من زاعم الشجر ○ اذ قال لهم شعيب ولم يقل لاخوهم شعيب
لانه لم يكن اخا لاصحاب الايكه في النسب فلما ذكر مدين قال لاخاهم شعيبا لانه كان
منهم وقد مضى ذا في الاعراف القول في نسبه قال ابن زيد ارسل الله شعيبا الى قومه
اهل مدين والى اهل البادية وهم اصحاب الايكه وقاله قتاده وقد ذكرناه
الا تتقون تخافون الله اني لكم رسول امين فاتقوا الله والطيعون الايه وانما
كان جواب هؤلاء الرسل واحدا على صيغه واحده لانهم متفقون على الامر بالتقوى
والطاعه والاخلاص في العباده والامتناع من اخذ الاجر على التبليغ للرساله
اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين انا قصين للكيل والوزن وروي بالقسطاس المستقيم
اي اعطوا الحق وقد مضى في سبحان وغيرها ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا
في الارض مفسدين تقدم في هود وغيرها واتقوا الذي خلقكم والجبله الاولين قال
مجاهد الخليقه الخليقه وجبل فلان على كذا اي خلق فالكاف جبله وجبله وجبله
ذكره في معاني القرآن فالجبله عطف على الكاف والميم قال الهروي
الجبله والجبله والجبله والجبل والجبل لغات وهو الجمع والعدد
الكثير من الناس ومنه قوله تعالى جبلا كثيرا اي خلقا كثيرا وقال النحاس
في كتاب اعراب القرآن له ويقال جبله والجمع فيه جبال ومحذوف الضمه
والكسره من الباء وكذلك التشديد من اللام فيقال جبله وجبل ويقال جبله وجبل
ويحذف الهاء من هذا كله وقرا الحسن باختلاف عنه والجبله الاولين بضم الجيم والباء
وروي عن شيبه والاعرج الباقون بالكسر قال
والموت اعظم حادث فيما يشرع على الجبله
قالوا انما انت من المسحرين الذين يأكلون الطعام والشراب على ما تقدم وان نظنك لمن
الكاذبين اي ما نظنك الا من الكاذبين في انك رسول الله تعالى فاسقط علينا كسفا
من السماء وقطعه منه فنظر اليه كما قال وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب
مركوم وقيل اراد وا انزل علينا العذاب وهو مبالغه في التكذيب قال ابو عبيده

الكسف جمع كسفه مثل شدد وشده وقرا السلمي وحفص كسفا جمع كسفه ايضا وهي
القطعه والجانب وتفتيره كسر وكسر قال الجوهري الكسفه القطعه من الشيء يقال
اعطني كسفه من ثوبك والجمع كسف وكسف ويقال الكسف والكسفه واحد وقال الاخفش
من قرا كسفا من السما جعله واحدا ومن قرا كسفا جعله جمعا وقد مضى هذا في سبحان
وقال الهروي ومن قرا كسفا من السما جعله واحدا ومن قرا كسفا جعله جمعا
وقد مضى هذا في سبحن وقال الهروي ومن قرا كسفا من السما جعله واحدا ومن
قرا كاسفا جعله جمعا وقد مضى هذا في سبحن ايضا على التوحيد فجمعه كساف وكسوف
كانه قال او يسقطها علينا طفا واحدا وهو من كسفت الشيء كسفا اذا غطيته ان
كنت من الصادقين قال ربي اعلم بما تعملون تهديد اي انما علي التبليغ وليس
العذاب الذي سالتم الي وهو بحازيكم فاخذهم عذاب يوم الظله قال ابن عباس
اصابهم حرا شديدا فارسل الله سحابه فهربوا اليها ليستظلوا بها فلما صاروا تحتها
صيح بهم فهلكوا وقيل بعث الله عليهم سموما فخرجوا الى الايكه يستظلون بها
فاضرمها الله عليهم نارا فاحترقوا وعن ابن عباس ايضا وغيره ان الله فتح عليهم
بابا من ابواب جهنم وارسل عليهم هدا وحرا شديدا فاخذ بانفاسهم فدخلوا بيوتهم
فلم ينفعهم ظل ولا ماء فانضم اليهم الحر فخرجوا هربا الى البريه فبعث الله عز وجل سحابه
فاظلتهم فوجدوا الها باردا وروحا وزلالا طيبه فنادى بعضهم بعضا فاجتمعوا
تحت السحابه اهبهم الله تعالى عليهم نارا ورجفت بهم الارض فاحترقوا كما يحترق الجراد
المقلى فصاروا رمادا فذلك قوله تعالى فاصبحوا في ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها
وقوله فاخذهم عذاب يوم الظله انه كان عذاب يوم عظيم وقيل ان الله تعالى
حبس عنهم الريح سبعه ايام وسلط عليهم الحر فجاء اخذ بانفاسهم ولم ينفعهم ظل ولا ماء
فكانوا يدخلون الاسراب ليتبردوا فيجدوها اشد حرا من الظاهر فخرجوا الى البريه
فاظلتهم سحابه وهي الظله فوجدوا الها باردا ونسيما فامطرت عليهم نارا فاحترقوا
وقال يزيد الجرمي سلط الله عليهم الحر سبعه ايام وليالهن ثم رفع لهم
جبل من بعيد فاتاه رجل فاذا تحته انهار وعيون وشجر وماء بارد فاجتمعوا
كلهم تحته فوقع عليهم الجبل وهو الظله وقال قتاده بعث الله شعيبا

اصحاب الايكه واصحاب مدين فهلك اصحاب الايكه بالظله واما اصحاب مدين فصاح
بهم جبريل صيحه فهلكوا اجمعين ان في ذلك لايه وما كان اكثرهم مومنين قيل
ان شعيب عليه السلام من الفيتين تبع مايه انسان والله اعلم تم

وانه لتنزيل رب العالمين

عاد الى ما تقدم في اول السوره من اعراض المشركين عن القران نزل به الروح الامين
نزل محققا قراه نافع وابن كثير وابو عمرو ○ الباقون مشددا انزل به الروح الامين
نصبا نصبا وهو اختيار ابي حاتم وابي عبيد لقوله وانه لتنزيل وهو مصدر
نزل والحجه لمن قرا بالتخفيف ان يقول ليس هذا المصدر لان المعنى وان القران
لتنزيل رب العالمين نزل به جبريل اليك كما قال فان كان عدو لجبريل فانه نزله
على قلبك اي تتلوه عليك فبعينه قلبك وقيل ليثبت قلبك لتكون من المنذرين
لسان عربي مبين اي ليلا يقولوا لسنا نفهم ما تقول وانه لفي زبر الاولين اي
وانذكر نزوله في كتب الاولين يعني الانبيا وقيل اي وان ذكر محمد عليه السلام
في كتب الاولين كما قال تجدونه مكتوبا عندهم في التوراه والانجيل وانزل
الكتب الواحد زبد كرسول ورسل وقد تقدم نحوه هاهنا

اولم تكن لهم ايه ان يعلمه علماء بني اسرائيل

قال مجاهد يعني عبدالله بن سلام وسلمان الفارسي وغيرهما من اسلم
وقال ابن عباس بعثنا اهل مكه الى اليهود وهم المدينه يسالونهم عن محمد
صلى الله عليه وسلم فقالوا ان هذا زمانه وانا نجده في التوراه نعته وصفته
فرجع لفظ العلما الى كل من كان له علم بكتبهم اسلم او لم يسلم على هذا القول
فلما صارت شهاده اهل الكتاب حجه على المشركين لانهم كانوا يرجعون
في اشيا من امور الدين الى اهل الكتاب لانهم يظنون بهم علم وقرا ابن عامر
اولم تكن لهم ايه بالنصب على الخبر واسم يكن ان يعلمه والتقدير اولم يكن
لهم علم وعلما بني اسرائيل ايه واضحه وعلى القراه الاولى اسم كان ايه والخبر ان يعلمه

يعلم علما بني اسرائيل وقرا عاصم الجحدري ان يعلمه علما بني اسرائيل ولو نزلناه على بعض
الاعجمين اي رجل ليس بعربي اللسان فقراه عليهم بغير لغه العرب لما امنوا ولقالوا
لا يفقهه تطيه ولو جعلناه قرانا اعجميا الايه وقيل معناه ولو نزلنا على رجل
ليس من العرب لما امنوا به لانهم وكبرا فقال رجل اعجم واعجمي اذا كان غير فصيح وان كان
عربيا ورجل اعجمي وان كان فصيحا ينسب الى اصله لان الفرا جاز ان يقال
رجل عجمي يعني اعجمي وقرا الكسائي على بعض الاعجمين مشدده يا ياين جعله
نسبه ومن قرا الاعجمين فقيل انه جمع اعجم وفيه بعد لان ما كان من
الصفات الذي مونثه فعلا لا يجمع مونثه بالواو والنون ولا مونثه
بالالف والتا لا يقال احمرون ولا حمراوات وقيل ان اصله اعجميين كقرا الجحدري
ثم حذفت ي النسب وجعل جمعه بالياا والنون دليلا عليها قال ابو
الفتح عثمن زنجبي ومونهب سيبويه تم

كذلك سلكناه

يعني القران اي الكفر بهذا قلوب المجرمين لا يومنون به وقيل سلكنا الشك
في قلوبهم فذلك الذي منعهم من الايمان قاله يحيى بن سلام وقال عكرمه القسوه
والمعنى متقارب وقد مضى في الحجر واجاز الفرا الجزم في لا يومنون لان بنيه
معنى الشرط والجزاء وزعم ان من لسان العرب اذا وصفت لا موضع كي لا في مثل
هذا وربما جزموا من شاهدها وربما رفعت فتقول ربطت الفرس لا ينقلب بالرفع
والجزم قال معناه ان لم اربطه سقط وارتفع عنه معنى كيلا ينقلب
وانشد لبعض بني عقيل وحين رايتا احسن الفعل بيننا مسائته لا نترك الشر فارتك
بالرفع للحذف كي كي ومن الجزم قول الاخر

لطار ما خلانا ما لا نرد محلنا والحال تتبرد

قال النحاس وهذا كله في يومنون خطا عند البصريين ولا يجوز
الجزم بلا كي ولا يكون شي يعمل عملا فاذا حذف عمل عمل اقوى من عمله

وهو موجود فهذا احتجاج بين حين يرى العذاب الاليم فيأتيهم بغتة بالعذاب وقرأ الحسن فيأتيهم بالياء والمعنى فيأتيهم الساعة بغتة فاصمرت لدلالة العذاب الواقع فيها ولكثرة ماني القرآن من ذكرها وقال رجل للحسن وقد قرأ فيأتيهم يا اباسعيد انما يأتيهم العذاب بغتة فانتهره وقال انما هي الساعة تأتيهم بغتة اين فجاءه وهم لا يشعرون بأتيانها فيقولوا هل نحن منظرون اي موخرون ومهلون يطلبون الرجعة منك فلا تجابون اليها قال الفتيزي وقوله فيأتيهم ليس بعطف على قوله حتى يأتيهم هو جواب قوله لا يؤمنون فلما كان نحوا بالبيتي انتصب وكذلك يقولوا

افعذابنا يستعجلون

قال مقاتل قال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد ائتنا بعذاب الله الذي تعدنا به فنزلت افعذاب الله نستعجلون افرايتان متعناهم سنين في الدنيا ثم جاءهم ما كانوا يوعدون من العذاب والهلاك ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون ما الاولى استفهام معناه التقرير وهو في موضع نصب باغنى وما الثانية في موضع رفع باغنى والهاء العايده محذوفه والتقدير ما اغنى عنهم الزمان الذي كانوا يمتعونه وعن الزهري ان عمر بن عبد العزيز كان اذا اصبح امسك بحيته ثم يقرأ افرايتان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون ثم يبكي ويقول

فما لك يا مغرور سهو وغفلة ... وليلك نوم والردى لك لازم
فلا انت في الايقاظ يقظان حازم ... ولا انت في النوم الملذ ناج وسالم
تنبه بما يفنى وتفرح بالمنى ... كما سر باللذات في النوم حالم
ويبكي ابن ماسوف تذكر غبطة ... كذلك في الدنيا نعيش البهائم

قوله تعالى

وما اهلكنا من قرية

من صلة والمعنى وما اهلكنا قريه الا لها منذرون اي رسل قال الكسائي ذكري في موضع نصب قال الفراء تذكروت ذكري وهذا قول صحيح ذكرى بمعنى الا انها منذرون الا لها مذكروت وذكرى لا يتبين فيه الاعراب لانه مقصور

ويجوز ذكري بالتنوين ويجوز ان يكون ذكرى بموضع رفع على اضمار مبتدا قال ابو اسحاق اندارنا ذكري وقال الفراء ذلك ذكري وتلك ذكري وقال ابن الانباري قال بعض المعربين ليس في الشعراء وقف تام الا قوله لها منذرون وهذا عندنا وقف حسن ثم تبتدي ذكرى على معنى هي ذكرى اي تذكرهم ذكري والوقف على ذكرى اجود وكما كانا لله يزيد تعذيبهم حيث قدمنا الحجه عليهم واعذرنا اليهم

وما تنزلت به الشياطين

يعني القرآن بل نزل به الروح الامين وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون اي برمي الشهب كما جرى في الجاهلية وقرأ الحسن ومحمد اليمني وما تنزلت به الشياطين قال المهدوي وهو غير جايز في العربيه ويخالف الخط وقال النحاس وهذا غلط عند جميع النحويين وسمعت علي بن سليمان يقول سمعت محمد بن يزيد هذا غلط انما يكون بتخدد شبهه لما رأى الحسن في اخره يا ونونا وهو موضع رفع انتبه عليه بالجمع السليم تغلط وفي الحديث احذروا زلة العالم وقد قرأ هو مع الناس واذا خلوا الى شياطينهم ولو كان هذا في موضع فولوجب حذف النون للاضافه وقال الثعلبي قال الفراء غلط الشيخ يعني الحسن فقيل ذلك للنضر بن شميل فقال ان جاز ان يخبخ لفوت رويه والعجاج وردبها جانان يخبخ لقول الحسن وصاحبه مع انا لم نر ذلك الا وقد سمعنا في ذلك شيئا وقال الفرخ ان كان الشيطان من شناط يشيط كان لقرانها وجه وقال يونس بن حبيب سمعت اعرابيا يقول دخلنا سباتين من ورايها بساتون فقلت ما اشبه هذا بقراءة الحسن

ولا تدع مع الله الها اخر

فتكون من المعذبين

قيل ان قال لم كفر هذا وقيل هو مخاطبه له عليه السلام وان كان لا يفعل هذا لانه معصوم مختار ولكنه خوطب هذا والمقصود غيره ودل على هذا قوله وانذر عشيرتك الاقربين اي لا تشركوا على نسبهم

وقرابتهم فيدعوا ما يجب عليهم فقه هاي

وانذر عشيرتك الاقربين

فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين بالانذار لتحكم اطماع الاجانب في موافقته اياهم على الشرك وعشيرته الاقربون قريش وقيل بنو عبد مناف ووقع في صحيح مسلم وانذر عشيرتك الاقربين ورهطك منهم المخلصين وظاهر هذا انه كان قرانا يتلى وانه نسخ اذ لم يثبت نقله في المصحف ولا تواتر ويلزم على ثبوته اشكال وهو انه كان يلزم عليه الانذار الاقربين من عشيرته فان المومنين هم الذين يوصفون بالاخلاص في دين الاسلام وفي حب النبي عليه السلام لا المشركون لانهم ليسوا اهل شيء من ذلك والنبي صلى الله عليه وسلم دعا عشيرته كلهم مومنهم وكافرهم وانذرهم ومن معهم ومن ياتي بعدهم صلى الله عليه وسلم فلم يثبت ذلك تقليدا لمعين وروى مسلم من حديث ابي هريرة قال لما نزلت هذه الاية وانذر عشيرتك الاقربين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فاجتمعوا فعم وخص فقال يا بني كعب بن لوي انقذوا انفسكم من النار يا بني عبد شمس انقذوا انفسكم من النار يا بني هاشم انقذوا انفسكم من النار يا بني عبد المطلب انقذوا انفسكم من النار يا فاطمة انقذي نفسك من النار فاني لا املك لكم من الله شيئا غير ان لكم رحما سابلها ببلالها الثانية في هذا الحديث والاية على ان القرابة الانساب لا ينفع مع البعد عن الاسباب ودليل على جواز صلة المومن الكافر وارشاده ونصيحته لقوله ان لكم رحما سابلها فبلالها وقوله تعالى واخفض جناحك للمومنين تقدم في الحجر وسبحان يقال اخفض جناحه اذا لان فان عصوك اي خالفوا امرك فقل اني بريء مما تعملون اي بريء من معصيتكم اياي لان معصيتكم لله عصيان لله جل وعز لانه عليه السلام لا يامر الا بما يرضاه ومن برئ منه فقد برئ الله منه جوه هاي

وتوكل على العزيز الرحيم

اي فوض امرك اليه فانه العزيز الذي لا يغالب الرحيم الذي لا يخذل اولياءه وقراه العامة وتوكل بالواو وكذلك هو في مصاحفهم وقرا نافع وابن عامر فتوكل بالفا وكذلك في مصحف المدينة والشام الذي يراك حين تقوم اي حين تقوم الى الصلوة في قول اكثر المفسرين ابن عباس وغيره وقال مجاهد يعني حين يقوم تقدم حيث ما كنت وتقلبك في الساجدين قال مجاهد وقتادة في المصلين وقال ابن عباس اي في اصلاب الآباء ادم ونوح وابراهيم حتى اخرجه نبيا وقال عكرمة يرى قيامك وركوعك وسجودك وقاله ابن عباس ايضا وقيل المعنى انك تراني في تقلبك في صلاتك من خلفك كما تراني بعينيك من قدامك وروي عن مجاهد ذكره الماوردي والسهلي وكان عليه السلام يرى من خلفه كما يرى من بين يديه وذلك ثابت في الصحيح وقيل لابيه يعيد انه هو السميع العليم تقدم قوله تعالى هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم الافاك لشيطان اكثر ما تكون في الهوا والناس من الريح للقوت السمع واكثرهم كافرون تقدم في الحجر فيلقون السمع صفة الشياطين واكثرهم يرجع الى الكهنة وقيل الى الشياطين قوله تعالى

والشعراء يتبعهم الغاوون

فيه ست مسائل الاولى قوله تعالى والشعراء الشعر اجمع شاعر كحاجل وحجلة قال ابن عباس هم الكفار يتبعهم ضلال الجن والانس وقيل الغاوون الزانون وقيل ان هذا الشعر ايضا غاوون لانهم لم يكونوا غاوين لما كان اتباعهم كذلك وقد قدمنا في سورة الفرقان من الشعر ما حرمناه وذكرنا ونحرم بعني مسلم من حديث عمرو بن الشريد عن ابيه قال ردفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل معك من شعر امية بن الصلت شيء قلت قال هيه فانشدته بيتا فقال هيه ثم انشدته بيتا فقال هيه حتى انشدته مايه بيت هذا صواب هذا السند وصحيح روايته وقد وقع لبعض رواه كتاب مسلم عن عمرو بن الشريد عن الشريد ابيه وهو وهم لان الشريد هو الذي ارداه رسول الله صلى الله عليه وسلم

واسم ابي التزيد سويد وفي هذا دليل على حفظ الاشعار والاعتناء بها اذا تضمنت الحكم والمعاني المستحسنة شرعا وطبعا وانما استنكر النبي صلى الله عليه وسلم من شعر امية بن الصلت لانه كان جبها الى ربه فقوله عليه السلام وكاد امية بن الصلت ان يسلم فاما ما تضمن ذكر الله وحمده والثناء عليه فذلك مستوعب بالقول القابل

الحمد لله العلي المنان ٭ صار التزيد بي رؤس الصيدان

او ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم او مدحه كقول العباس

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشرا ت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد ألجم نسرا واهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم اذا مضى عالم بدا طبق

فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يفضض الله فاك او ندب عنه عليه السلام كقول حسان

هجوت محمدا فاجبت عنه ٭ وعند الله في ذاك الجزاء

وفي ابيات ذكرها مسلم في صحيحه وفي السبرا تم او الصلاة عليه تاد وي زيد بن اسلم قال خرج عمر ليلة يحرس فراى مصباحا في بيت وامرأة عجوز تنفش صوفا وتغزل

على محمد صلاة الابرار ٭ صلى عليه الطيبون الاخيار
قد كنت قواما بكا بالاسحار ٭ يا ليت شعري والمنايا اطوار
هل يجمعني وحبيبي الدار

يعني النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عمر يبكي وكذلك اصحابه ومدحهم رضي الله عنهم ولقد احسن محمد بن محمد بن سابق حيث قال

ابن رضيت عليا للهدى علما ٭ كما رضيت عتيقا صاحب الغار
وقد رضيت ابا حفص وشيعته ٭ وما رضيت بقتل الشيخ في الدار
كل الصحابة عندي قدوة علم ٭ فهل على هذا القول من عار
ان كنت تعلم اني لا حب لهم ٭ احرا حلك فاعتقني من النار

وقال آخر فاحسن

حب النبي محمد مستفرض ٭ وحب اصحابه تورث برهانا
من كان يجعل ان الله خالقه ٭ لا يرين ابا بكر بهتانا
ولا ابا حفص الفاروق صاحبه ٭ ولا الخليفة عثمان بن عفانا
اما علي فشهور فضائله ٭ والبيت لا يبتني الا بارکان

قلت قال ابن العربي واما الاستعارات والتشبيهات فما دون فيها وان استغرق الحدود وتجاوزت المعتاد فذلك يضرب المثل للوكل بالرؤيا المثل وقد استدل كعب بن زهير النبي صلى الله عليه وسلم

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ٭ متيم اثرها لم يفد مكبول
وما سعاد غداة البين اذ رحلوا ٭ الا اغن غضيض الطرف مكحول
تجلو عوارض ذي ظلم اذا ابتسمت ٭ كانه منهل بالراح معلول

فجاء في هذه القصيدة من الاستعارات والتشبيهات بكل بديع والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع ولا ينكر في تشبيهه ريقها بالراح واستشد ابو بكر رضي الله عنه

فقد نالوحي منه وليس عنا ٭ وعند الله في ذاك الجزاء
سوى ما قد ترکت لنا هجينا ٭ تواترنه الفرا لطيبين الكرام
فمن يهجو او يمدح او يسابه ٭ ولست له بكفء والسلام

فاذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمعه وابو بكر ينشده فهل للتقليد والاقتداء موضع ارفع من هذا قال ابو عمر ولا يذكر الحسن من الشعر احد من اهل العلم ولا من ادب النبي وليس احد من كبار الصحابة واهل العلم وموضع القدوة الا وقد قال الشعر او تمثل به او سمعه فرضيه ما كان حكمه او مباحا ولم يكره فحش ولا خنا والمسلم اذا فعل كان كذلك لهو والمنثور من القول سواء لا يجل سماعه ولا قوله روى ابو هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر اصدق كلمة او اشعر كلمة قالتها العرب قول لبيد

الا كل شيء ما خلا الله باطل ٭

اخرجه مسلم وزاد وكاد امية بن الصلت ان يسلم وروى عمر بن سعيد بن ابي حسين انه انشد شعرا فقال له بعض جلسائه مثلك ينشد الشعر فقال وبلكيا لبع وهل الشعر الا كلام فما خالف سبيل الكلام الا قبح فقبح وحسن وحسنه حسن

قال وقد كانوا يتذاكرون الشعر فقال اسمعتا بن عمر ينشد

تحب الحمر من مال الندامى ويكره ان تفارقه الهلوس

وكان عبد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود احد فقهاء المدينة السبعة الشعر احيانا مفتما فيه وللنبيين كان القاضي في استفاده كاتب وكانت له زوجه تسمى عمته فعتبت عليها الامر فطلقها وله فيها اشعار يشبه منها قوله

تطفل حب عمته في فؤادي فنادبه مع الحادي نسير

تطفل حيثما يبلغ شرابي ولا حزن ولم يبلغ سرور

اكاد اذا ذكرت العهد منها اطير لو ان لساقي بطير

وقال ابن شهاب قلت له تفضل الشعر في شكل وفضل فقال ان الصدور اذا نشئت بها انشئت عليه واما الشعر المذموم الذي لا يحل سماعه وصاحبه ملوم هو المتكلم بالباطل حتى يفضلوا الحبر الناس على عترته واشحهم على حاتم وان يشهو البري ويعشق التقي وان يفرطوا في القول بما لم يفعلوا ويمدح رجل في شعره بما ليس في نفسه ويحسن القول كما روي عن الفرزدق ان سليمان بن عبد الملك سمع قوله

فبتن بجانبي مصرعاتٍ وبتُّ افضّ اغلاق الختام

فقال قد وجب عليك الحد فقال يا امير المؤمنين قد درئ الله عن حد بقوله وانهم يقولون ما لا يفعلون وروي ان النعمان بن عدي بن فضله كان عامل عمر ابن الخطاب فقال

الا هل اتى الحسناء ان حليلها بميسان يسقى في زجاج وحنتم

اذا شئت غنتني دهاقين قرية ورقصه يحدو على كل مبسم

فان كنت ندماني فبالاكبر اسقني ولا تسقني بالاصغر المتثلم

لعل امير المؤمنين يسوءه بنا دمنا بالجوسق المتهدم

فبلغ ذلك عمر فارسل اليه بالقدوم عليه وقال اي والله يسوءني فقال يا امير المؤمنين ما فعلت شيئا مما قلت وانما كانت فضله من القول وقد قال الله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون فقال اما عندك فقيدوا عنك الحد ولكن لا تعمل في عملك وذكر الزبير بن بكار قال حدثني مصعب بن عثمان ان عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة

لم يكن له هم الا عمر بن ابي ربيعه والاحوص فكتب الى عامله على المدينة اني قد عرفت عمر والاحوص بالخبث والتراقا فاذا اتاك كتابي هذا فاشدد عليهما واحملهما الي فلما اتاه الكتاب حملهما اليه فاقبل على عمر فقال له

فلم ار كالتحير منظرا ناظر ولا كليالي الحج افلس ذا هوى

ومن مال عينيه من شئ غيره اذا راح نحو الحمرة البيض كالدمى

اما والله لو اقمت بمحل لم ينظر الي شئ غيرك فاذا لم يقلك الناس فمك في هذه الايام فبئس ما تعلقون ثم امر بنفيه فقال يا امير المؤمنين اوجز من ذلك فقال ما هو قال اعاهد الله الا اعود لمثل هذا الشعر ولا اذكر النساء في شعري ابدا واحدث توبه قال اتتغزل قال نعم فعاهد الله بتوبته وخلاه ثم دعا بالاحوص فقال له ما بيني وبين فيها الا الله بيني وبين فيها يضرب بيني وبينها وابتغه ان يقل الله بيني وبينكم امر بنفيه فكلمه فيه رجال من الانصار فابى وقال والله لا ارده ما كان لي سلطان فانه فاسق مجاهر فهذا احكم الشعر المذموم وحكم صاحبه فلا يحل سماعه ولا انشاده في مسجد ولا في غيره كمنثور الكلام القبيح ونحوه وروى اسماعيل بن عياش عن عبد الله بن عون عن محمد بن سيرين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسن الشعر كحسن الكلام وقبيح الشعر كقبيح الكلام رواه اسماعيل بن عبد الله بن عون الشامي وحديثه عن اهل الشام صحيح فيما قال يحيى بن معين وغيره وقد عد عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعر بمنزلة الكلام حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام انشاده رويناه عن مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان يمتلئ جوف احدكم قيحا خير له من ان يمتلئ شعرا وفي الصحيح ايضا عن ابي سعيد الخدري قال بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرج اذ عرض شاعر ينشد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا الشيطان او امسكوا الشيطان لان يمتلئ جوف رجل قيحا خير له من ان يمتلئ شعرا قال عمر وانا ارى فعل النبي صلى الله عليه وسلم هذا مع هذا الشاعر لما علم من حاله فلعل هذا الشاعر كان ممن قد عرف من حاله انه قد اتخذ بالشعر طريقا للكسب فيفرط في المدح اذا اعطي وفي الهجو والذم اذا منع

يوذي الناس في اموالهم واعراضهم وخلاف فان من كان على مثل هذه الحاله فكل ما
يكسبه بالشعر حرام وكل ما يفوته عليه حرام من ذلك ولا يحل الاصغا اليه بل يجب الانكار
عليه فان لم يكن ذلك لمن خاف من لسانه قطعا تعين عليه ان يبادر به باستطاع ويدافعه
بما يمكن ولا يحل ان يعطي شيئا ابتدا لان ذلك عون على المعصيه فان لم يحذر من ذلك
بل اعطاه منه وقابله العرض فاوفى به المرعضه كبيله صدقه قوله صلى الله عليه وسلم
لان يمتلئ جوف احدكم قيحا خير له من ان يمتلئ شعرا يريد الفيح المده يخالطها دم يقال منه قاح الجرح ويقيح
وفيح ويريه قال الاصمعي هو من الري على مثال النبي وهو ان يمتلئ جوفه
يقال منه رجل فوري شديد غير مصدور وفي الصحاح وري الفيح جوفه يريه
وريا اذا اكله وانشد البيت قالت له وريا اذا تنخنخ وهذا الحديث احسبه
قيل في تاويله للذي قد غلب عليه الشعر فامتلا صدره منه دون علم سواه ولا شئ
من الذكر مما يخوض به في الباطل ويسلك به مسلك الجهله كالكثير من الغلط
والهذر والعيبه وفحش القول وان كان الغالب عليه الشعر من هذه الاوصاف
المذمومه الدينه لحكم العاده الادبيه وهذا المعنى هو الذي اشار اليه البخاري
في صحيحه لما بوب على هذا الحديث باب ما يكره من ان يكون الغالب على الانسان
الشعر وقيل في تاويله ان المراد بذلك الشعر الذي هجي به النبي صلى الله عليه وسلم
او مدح به وهذا لا يصح لان القليل من هجو النبي صلى الله عليه وسلم وكثيره سواء في انه
كفر وموجب وكذلك هجو عن النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين يحرم قليله وكثيره وشديده
لا يكون لتخصيص الذم بالكثير معنى الرابعه قال الشافعي الشروع من الكلام
حسنه لحسن الكلام وقبيحه كقبيحه يعني ان الشعر ليس بكره لذاته وانما يكره لجمالته
وقد كان عند العرب عظيم الموقع قال الاول لسنم وجرح اللسان كجرح اليد
وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الشعر الذي يرد به حسان على المشركين انه اشد
عليهم من رشق النبل اخرجه مسلم وروى الترمذي في صحيحه عن ابن عباس ان
النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكه في عمره القضا وعبد الله بن رواحه يمشي بين
يديه ويقول خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

قال عمر

من اعمر يا ابن رواحه في حرم الله وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الشعر
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فلهو فيهم اسرع من نضح النبل الخامسه
قوله تعالى والشعرا يتبعهم الغاوون لم يختلف القراء في رفع والشعرا فيما علمت ونجوز النصب
على اضمار فعل يفسره يتبعهم وبه قرا عيسى بن عمر قال ابو عبيد كان الغالب عليه حال النصب
مرة والسارق والسارقه وحماله الحطب وسوره انتلناها وقرا نافع وشيبه فاحسن في
يتبعهم مخففا والباقون يتبعهم مشددة وقال الضحاك هاجى رجلان احدهما انصاري
والاخر من مضر جرى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كل واحد عن اه قومه وهم السهما فنزلت
وقال ابن عباس وغيره هم الرواه للشعر وروى عنه علي بن ابي طلحه انهم الكفار يتبعهم ضلال
الجن والانس وقد ذكرناه وروى عصيف عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من احدث في الاسلام
فاقطعوا لسانه وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم لما افتتح مكه رن ابليس رنته
فاجتمع اليه ذريته فقال ايئسوا ان تزيدوا امه محمد على الشرك بعد يومكم هذا ولكن
افتنوا فيما بينكم مكه والمدينه الشعر السادسه قوله تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون
نزل في كل لغو خوضون ولا يتبعون سنن الحق فيه لان من اتبع الحق وعلم انه يلزمه عليه
ما يقول تثبت ولم يكن هائما على وجهه لا يبالي ما قال نزلت في عبد الله بن الزبعرى
وسافر بن عبد مناف واميه بن الصلت وانهم يقولون ما لا يفعلون اكثرهم يلزمون
اي يدلون بكلامهم على الكرم والخير ولا يفعلونه قيل انها نزلت في ابي عزه الجمحي حيث قال

الا ابلغا عني النبي محمدا بانك حق والمليك حميد
ولكن اذا ذكرت بدرا واهلها تاوه منا عظم وجلود

ثم استثنى شعر المومنين حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحه وكعب بن مالك وكعب
ابن زهير وكان على طريقهم من القول الحق فقال الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
وذكروا الله كثيرا في كلامهم وانتصروا من بعد ما ظلموا وانما يكون الانتصار بالحق وبما حده
الله عز وجل فان تجاوز ذلك فقد انتصر بالباطل وقال ابو الحسن المبرد لما نزلت
والشعرا جاء حسان وكعب بن مالك وابن رواحه يبكون الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقالوا يا نبي الله انزل الله تعالى هذه الايه وهو تعالى يعلم انا شعرا فقال اقرءوا ما
بعدها الا الذين امنوا وعملوا الصالحات الايه انتم وانتصروا من بعد ما ظلموا انتم اي بالرد

على المشركين فقال صلى الله عليه وسلم اسكتوا ولا تنطقوا الا حقا ولا تذكروا الا بما والامهات فقال حسان بن ثابت لابي سفيان

هجوت محمدا فاجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء
وانا به والدين وعرضي لعرض محمد منكم وقاء
اتشتمه ولست له بكفو فشركما لخيركما الفداء
لساني صارم لا عيب فيه وبحري لا تكدره الدلاء

وقال كعب يا رسول الله ان الله قد انزل في الشعر ما قد علمت فكيف ترى فيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد مدحك الله يا كعب في قولك هذا وروي الضحاك عن ابن عباس انه قال قوله والشعراء يتبعهم الغاوون منسوخ بقوله الا الذين امنوا وعملوا الصالحات قال المهدوي والصحيح عن ابن عباس انه استثنى وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون في هذا تهديد لمن استمر بظلم وقال استرجح سيعلم الذين ظلموا كيف يتخلصون من يزيد يا الله تعالى فالظالم ينتظر العقاب والمظلوم ينتظر النصرة وقرأ ابن عباس اي منقلب ينقلبون بالفاء والتاء ومعناهما واحد ذكره الثعلبي ومعنى منقلب ينقلبون اي مصير يصيرون واين مرجع يرجعون ان مصيرهم الى النار وهو اقبح مصير ومرجعهم الى العذاب وهو شر مرجع والفرق بين المنقلب والمرجع ان المنقلب الانتقال الى ضد ما هو فيه والمرجع العود بحال هو فيها او بحال كان عليها فصار كل مرجع منقلبا وليس كل منقلب مرجعا والله اعلم ذكره الماوردي واي منصوب بينقلبون وهو بمعنى المصدر ولا يجوز ان يكون منصوبا بيعلم لسيعلم لان ايا وسائر اسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها فيما ذكر النحويون قال النحاس وحقيقة القول في ذلك ان الاستفهام وما قبله معنى اخر فلو عمل فيه ما قبله لدخل بعض المعاني في بعض

سورة النمل مكية كلها في بعض الروايات

وهي ثلاث وتسعون اية وقيل
اربع وتسعون

هذا ظهر من النمل
والى يا ايها النمل يرفعه
لا روا جمعه من الدواب

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى

طس تلك ايات القرآن وكتاب مبين

معنى الكلام في الحروف المقطعة تقدم في البقرة وغيرها وتلك بمعنى هذه اي هذه السورة ايات القرآن وايا تكتاب مبين وذكر القرآن بلفظ المعرفة وقال وكتاب مبين بلفظ النكرة وهما في معنى المعرفة كما تقول فلان رجل عاقل وفلان الرجل العاقل والكتاب هو القرآن فجمع له بين الصفتين بانه قرآن وانه كتاب لان ما يظهر بالكتابة يظهر بالقراءة وقد مضى شفاؤها في البقرة وقال في سورة الحجر الر تلك ايات الكتاب وقرآن مبين فاخرج الكتاب بلفظ المعرفة وذلك لان القرآن والكتاب اسمان يصلح كل واحد منهما ان يجعل معرفة وان يجعل صفة ووصفه بالمبين لانه بين فيه امره ونهيه وحلاله وحرامه ووعده ووعيده وقد تقدم قوله تعالى

هدى وبشرى للمؤمنين

هدى في موضع نصب على الحال من الكتاب اي تلك ايات الكتاب هاديه ومبينة ويجوز فيه الرفع على الابتداء اي هو هدى وان شئت جعلته على حذف حرف الصفة اي فيه هدى ويجوز ان تكون الجملة للمؤمنين ثم وصفهم فقال الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم يوقنون وقد مضى في اول البقرة بيان هذا والحمد لله قوله تعالى

ان الذين لا يؤمنون بالاخرة

اي يصدقون بالبعث زينا لهم اعمالهم قبل اعمالهم السيئة جزاء وما حسنه وقيل زينا لهم اعمالهم الحسنة فلم يجازوا عليها وقال الزجاج جعلنا جزاءهم على تركهم ان زينا لهم ما هم فيه فهم يعمهون اي يترددون في اعمالهم الخبيثة وفي ضلالتهم عن ابن عباس ابو العتاهية يتمادون تتادى يلعبون الحسن يخبرون قال الراجز

ومهمه اطرافه في مهمه ... اعمى الهدى بالجاهلين العمه

قوله تعالى

اولئك الذين لهم سوء العذاب

وهو جهنم وهم في الآخرة هم الاخسرون في الآخرة بتبيين وليس يتعلق بالاخسرين فان كل الناس من خسر الدنيا ونيل الآخرة وهو كل حسناها الآخرة كبرهم فهم اخسر كل خاسر قوله تعالى وانك لتلقى القرآن اي تلقن بلغ يلقيك فتلقاه وتعلمه وتأخذه من لدن حكيم عليم لدن بعين عندنا الا انها مبينة غير معربة لانها لا تتمكن وفيها لغات ذكرت في الكهف هذه الآية بساط وتمهيد ايديان بيوق من الاقاصيص وما في ذلك من لطايف حكمته ودقايق علمه قوله تعالى

اذ قال موسى لاهله

اذ منصوب بمضمر وهو اذكر كانه قال على اثر قوله وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم حدثنا محمد من اثار حكمته وعلمه قصة موسى اذ قال لاهله اني انست نارا اي ابصرتها من بعد قال الحرث بن حلزة

انست ناره واذعه الفاص عصرا وقد دنا الامساء

سآتيكم منها بخبر او آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون قرا عاصم وحمزة والكسائي بشهاب قبس بتنوين شهاب والباقي بغير تنوين على الاضافة اي بشعلة نار واختاره ابو عبيدة وابو حاتم وزعم الفراء ان ترك التنوين انه لم يزله تقديم وتأخير الآخرة ومسجد الجامع وصلاة الاولى اضاف الشيء الى نفسه اذا اختلف اسماهم قال النحاس اضافة التي الى نفسه محال عند البصريين لان معنى الاضافة في اللغة ضم الشيء الى الشيء فمحال ان يضم الى نفسه انما يضاف الشيء الى الشيء ليبين به معنى الملك والنوع فمحال ان يتبين انه ما الى نفسه او من نوعه وشهاب قبس اضافة النوع والجنس كما تقول هذا ثوب خز وخاتم حديد وشهاب والشهاب كل ذي نور نحو الكوكب والعود الموقد والقبس اسم لما يقتبس من جمر وما اشبهه فالمعنى سآتيكم بقبس يقال اقتبست قبسا والاسم قبس كما تقول قبضت قبسا والاسم القبض ومن قرأ بشهاب قبس جعله بدلا من قوله الهدى

او صفة له لان القبس يجوز ان يكون اسما غير صفة ويجوز ان يكون صفة فاما كونهم صفة فلانهم قالوا فيه اقتبسه قبسا والقبس المقتوس واذا كان صفة فلا يخلو ان يكون نعتا والاضافة فيه اذا كان غير صفة احسن وهي اضافة النوع الى الجنس كخاتم فضة ولو قرئ بنصبه قبس على البيان او الحال جاز النحاس ويجوز ان يكون في القرآن بشهاب قبسا على انه مصدر او بيان او حال لعلكم تصطلون اصل الطاء تاء فابدل منها طا لان الطاء مطبقة والصاد مطبقة فكان الجمع بينهما حسنا ومعناه تستدفئون من البرد يقال اصطلى يصطلي اذا استدفأ قال الشاعر

النار فاكهة الشتاء فمن يرد اكل الفواكه شتاءا فليصطل

وقال الزجاج كل ابيض ذي نور فهو شهاب وقال ابو عبيدة الشهاب النار قال ابو النجم كانما كان شهابا واقدا اصاح صوانا فصار جامدا

قال الحسن تجيء اصل الشهاب عود في احد طرفيه جمرة والآخر لا نار فيه وقول النحاس فيه حسن والشهاب الشعاع المضيء منه قيل للكوكب الذي يبدو في السماء وقال الشاعر

في كفه صعدة مثقفة فيها سنان كشعلة القبس

قوله تعالى

فلما جاءها

اي فلما جاء موسى الذي ظن انه نار وهو نور قاله وهب بن منبه فلما رأى موسى النار وقف قريبا منها فراها تخرج من فرع شجرة خضراء شديدة يقال لها العليق لا تزداد النار الا تضرما وعظما ولا تزداد الشجرة الا خضرة وحسنا فعجب منها وامهوى اليها بعنقه ليقتبس منها فمالت اليه فخافها فتأخر عنها ثم لم تزل تطمعه ويطمع فيها الى ان علم انها ما هورة لا يدري من امرها الى ان نودي ان بورك في النار ومن حولها وقد قضي هذا العين في طه نودي اي ناداه الله فاعلم وناديناه من جانب الطور الايمن ان بورك قال الزجاج ان في موضع نصب اي بانه قال ويجوز ان يكون في موضع رفع جعلها

اسمها لم يسم فاعله وجعل ابو حاتم ان في قراءة ابي وابن عباس ومجاهد ان بورك النار ومن حولها قال النحاس ومثل هذا لا يوجد باسناد صحيح ولو صح لكان على التفسير وتكون البركة راجعة الى النار ومن حولها للملائكة وموسى وجعل الكسائي عن العرب باركك الله وبارك فيه الثعلبي تقول العرب باركك الله وبارك فيك وبارك عليك وبارك لك اربع لغات قال الشاعر

فبوركت مولودا وبورکت ناشئا وبورکت عند الشيب اذ انت شائب

الطبري قال بورك لمن في النار ولم يقل بورك على النار على لغة من يقول بارك الله ويقول باركه الله وبارك له وبارك عليه وبارك فيه يعني ان يبورك على من في النار وهو موسى او على حرف قرب النار لانه كان في وسطها وقال السدي كان في النار ملائكة فالتنزيل عاما في موسى والملائكة اي بورك فيك يا موسى وفي الملائكة الذين هم حولها وهذا تنجية من الله تعالى لموسى وتكرمة له كما يكرم الله الملائكة حين دخلوا قال رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت وقول ثالث قاله ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير قدس من في النار وهو الله سبحانه عني به نفسه تقدس وتعالى قال ابن عباس ومحمد بن كعب النار نور الله عز وجل نادى الله موسى وهو في النور وتأويل هذا ان موسى عليه السلام رأى نورا عظيما فظنه نارا وهنالك ان الله تعالى ظهر لموسى بآياته وكلامه من النار لا انه تجسد في وجهه وهو في السماء الله وفي الارض اله ولا انه تجسد فيها ولكن تظهر في كل فعل يعلم به وجود الفاعل وقيل اي على هذا اي بورك من في النار سلطانه وقدرته وقيل اي بورك ما في النار من امر الله تعالى الذي جعله علامة قلت وما يدل على صحة قول ابن عباس ما خرجه مسلم في صحيحه وابن ماجه في سننه واللفظ له عن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل الليل حجابه النور وفي رواية ابي بكر النار لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه قال ابو عبيد يقال السبحة انها جلال وجهه ومنها قيل سبحان الله انما هو تعظيم له وتنزيه وقوله لو كشفها يعني لو رفع الحجاب عن اعينهم ولم يثبتهم لرؤيته لاحترقوا وما استطاعوا وقال ابن جريج النار حجاب من الحجب وهي سبعة حجب حجاب العزة وحجاب الملك وحجاب السلطان وحجاب النار وحجاب النور وحجاب الغمام وحجاب الماء وبالجملة فالمخلوق محجوب والله لا يحجبه شيء فكانت النار نورا والنور ذكره بلفظ النار لان موسى حسبه نارا والعرب تضع احدهما موضع الاخر وقال سعيد بن جبير كانت النار بعينها فاسمعه الله بقبل كلامه من ناحيتها والخير له ربوبيته من جهتها وهو كما روي انه مكتوب في التوراة جاء الله من سيناء واشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران فمجيئه من سيناء بعثته موسى منها واشراقه من ساعير بعثة المسيح منها واستعلاؤه من فاران بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وفاران مكة وبين في القصص لاسماعه سبحانه كلامه من الشجرة بزيادة بيان

وسبحان الله رب العالمين

تنزيها وتقديسا لله رب العالمين وقد تقدم في غير موضع والعين اي ويقول من حولها وسبحان الله محذوف وقيل ان موسى قاله حين فرغ من سماع النداء استفتاحه بالله تعالى وتنزيهه له قاله السدي وقيل هو من قول الله تعالى ومعناه وبورك فيمن سبح الله رب العالمين حكاه ابن عيسى

يا موسى اني انا الله العزيز الحكيم

اليا كذا به وليست بعماد في قول الكوفيين والصحيح انها كناية عن الامر والشان انا الله العزيز الغالب الذي ليس كمثله شيء الحكيم في امره وفعله وقيل قال موسى يا رب الذي ناديت فقال انه اي اني انا المنادي لك انا الله فقوله تعالى والق عصاك قال وهب بن منبه ظن موسى ان الله امره ان يرفضها فرفضها وقيل

انما قيل له ذلك ليعلم موسى ان المكلم له هو الله وان موسى رسوله وكل نبي فلا بد له من
اية في نفسه يعلم بها نبوته وفي الايه حذف اي والقي عصاه فالقاها فرجد
فصارت حيه تهتز كانها جان وهي الحيه الصغيره الجسم وقال الكلبي هي صغيره
والاكبره وقيل انقلبت مره حيه صغيره ومره حيه تسعى وهي الابتى ومره ثعبانا
وهو الذكر الكبير من الحيات وقيل المعنى انقلبت ثعبانا تهتز كانها جان لها
عظم الثعبان وخفه الجان واهتزازه وهي حيه تسعى وجمع الجان جنان ومنه
الحديث نهى عن قتل الجنان الذي في البيوت ولم يدر اخايما على عادة البشر ولم يعقب اي
لم يرجع قاله مجاهد وقال قتاده لم تلتفت يا موسى لا تخف اي من اذيه وضررها
اني لا يخاف لدي المرسلون وتم الكلام ثم استثنى استثناء منقطعا فقال الا من ظلم
وقيل انه استثناء من محذوف والمعنى اني لا يخاف لدي المرسلون وانما يخاف
غيرهم ممن ظلم الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانه لا يخاف قاله الفراء وقال النحاس
من محذوف محتمل لانه استثناء من شيء لم يذكر ولو جاز هنا لجاز اني اضرب القوم الا زيدا
بمعنى اني لا اضرب القوم انما اضرب غيرهم الا زيدا ومناسب البيان والمجيء بما لا يعرف
معناه وزعم الفراء ايضا ان بعض النحويين يجعل الا بمعنى الواو اي ولا من ظلم قال
وكل اخ مفارقه اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان
قال النحاس وكون الا بمعنى الواو لا وجه له ولا يحمل في شيء من الكلام ومعنى الاستثناء
الواو لانك اذا قلت جاءني اخوتك الا زيدا اخرجت زيدا مما دخل فيه الاخوة واذا
قلت جاءني اخوتك وزيدا دخلت زيدا فيما دخلت فيه الاخوة فلا استثناء بينهما وتقارب
وجه الايه قول اخر وهو ان يكون الاستثناء متصلا والمعنى لا من ظلم من المرسلين
بايتان الاصاغر التي لا يسلم منها احد سوى ما روي في يحيى بن زكريا عليهما السلام وما
ذكره الله تعالى في نبينا صلى الله عليه وسلم من قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
ذكره المهدوي واختاره النحاس قال علم الله ان عصى منهم فاستثناه فقال الا من ظلم
ثم بدل حسنا بعد سوء اي فانه يخاف وان كنت قد غفرت له الضحاك يعني دم وداود
عليهما السلام الزمخشري كالذي فرط من ادم ويونس وداود وسليمان واخوه
يوسف ومن موسى موكزه القبطي فان قال قائل فما معنى الخوف بعد التوبه

والمغفره قيل له هذا سبيل العلماء بالله عز وجل ان يكونوا خائفين من معاصيهم وجلين وهم ايضا
لا يامنون ان يكون قد بقي من شرائط التوبه شيء لم يأتوا به فهم يخافون من المطالبه وقال
الحسن وان خرج قال الله تعالى لموسى اني احفظك لقتل النفس قال الحسن وكانت
الانبياء تذنب فتخاف قال الثعلبي والقشيري والماوردي وغيرهم فالاستثناء
على هذا صحيح اي الا من ظلم نفسه من المرسلين والنبيين فيما فعل من صغيره او قبل
النبوه وكان موسى خاف من قتل القبطي وتاب منه وقد قيل انهم بعد النبوه
معصومون من الصغاير والكباير وقد مضى في البقره القول في هذا والاول اصح لتعلم
من ذلك في الفور فما في حديث الشفاعه واذا احدث الرب حدثا نهوا ان عزله ذلك
الحدث فاثر ذلك باق وما دام الامر والنهي فيه فالخوف كائن لا خوف العقوبه ولكن
خوف الغفله والمنع عند السلطان بحدث ينهه حراره سوء به الى ان تكد عليه صفاء الثقه
وموسى عليه السلام فذكان منه الحدث في ذلك الزعمون ثم استغفروا فربا الظلم على
نفسه فغفر له ثم قال رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين ثم ابتلي
من العنيا الفرعوني لاخر واراد ان يبطش به فصار حدثا اخر هذه الاراده وانما ابتلي
من العنيا بقوله فلن اكون ظهيرا وتلك الكلمه اقتدار من قوله لنا فعل وعوتب بالاراده
حين اراد ان يبطش ولم يفعل فسلط الله عليه الاسرائيلي حتى افشى سره لان الاستنصار
بالآدمي تقصير للبطش ظن انه يريد به فاشى عليه فقال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت
نفسا بالامس فهرب الفرعوني واخبر فرعون بما افشى الاسرائيلي على موسى وكان
القتل بالامس سكوتا عما امره الله به من قتله فلما علم فرعون ذلك وجه في طلب موسى
ليقتله واشتد الطلب واخذوا مجامع الطرق جاء رجل يسعى فقال يا موسى ان
الملا يأتمرون بك ليقتلوك لابيه فاخرج كما اخبر الله تعالى فخوف موسى انما كان من
اجل هذا الحدث نهوان قربه واكرمه واصطفاه بالكلام فانه انما قبه ولم يعتب

وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء
من غير سوء الايه

تقدم في طه القول فيه في تسع ايات قال النحاس احسن ما قيل فيه ان هذه الايه
داخله في تسع ايات المعدودة المعنى التي معك وادخل يدك وجيبك فهما ايتان من
تسع ايات وقال معناه القتيبي كما تقول خرجت في عشر نفر وانت احدهم اي خرجت عاشر
عشرة فمن بعض من لفرسها منها كما تقول اخذ بي عشرة من الابل فيها محلان اي منها قال
الاصمعي في قول امرأ القيس ومل سفر كان اخر عهده ثلاثين شهرا في ثلاثة احوال
في بعض من وقيل في جميع فالايات عشرة منها اليد والبسع الفلق والعطا
والجراد والقمل والطوفان والدم والضفادع والسنين والطمسة وقد تقدم بيان
جميعه ان فرعون وقومه قال الفراء الكلام اضمار لدلالة الكلام عليه اي انك مبعوث
الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين اي خارجين عن طاعة الله
تعالى وقد تقدم نظيره

فلما جاءتهم اياتنا مبصرة

اي واضحة بينة قال الاخفش ويجوز مبصرة وهو مصدر كما يقال الولد مجبنة قالوا هذا
سحر بين جروا على عادتهم في التكذيب ولهذا قال وجحدوا بها فاستيقنتها انفسهم ظلما
وعلوا اي تيقنوا انها من عند الله وانها ليست سحرا ولكنهم لفرط جهلهم وتكبرهم ان يؤمنوا
بموسى وهذا يدل على انهم كانوا معاندين وظلما وعلوا منصوبان على نعت مصدر
محذوف اي وجحدوا بها جحودا ظلما وعلوا والآيات هاهنا اي وجحدوها قال
ابو عبيدة فارقا بالجحد ليكون عائدة المعنيين اي احترازا من الكافرين الطاعنين
انظر ذلك بعين قلبك وتدبر فيه الخطاب له والمراد غيره

ولقد آتينا داود وسليمان علما

اي فهما قاله قتادة وقيل علما بالدين والحكم وغيرهما قالا وعلمناه صنعة لبوس
لكم وقيل صنعة الكيمياء وهو شاذ وانما اراد ايانا الله النبوة والخلافة في
الارض والزبور وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين
وفي الايه دليل على شرف العلم واداته وتقدم حمله واهله وان نعمه

العلم زاجا النعم واجزل القسم وان من اوتيه فقد اوتي فضلا على كثير من عباد الله يرفع
الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقد تقدم هنا في غير موضع

وورث سليمان داود

قال الكلبي كان لداود صلى الله عليه وسلم تسعة عشر ولدا ذكورا فورث سليمان من
بينهم نبوته وملكه ولو كان وراثة المال لكان جميع اولاده فيه سواء وقال ابن العربي
قال ولو كانت وراثة مال لانقسمت على العدد فخص الله سليمان بما كان لداود من الحكمة
والنبوة وزاده من فضله ملكا لا ينبغي لاحد من بعده قال ابن عطيه داود من بني
اسرايل وكان ملكا وورث سليمان ملكه ومنزلته من النبوة يعني صار ذلك اليه
بعد موت ابيه فسمي ميراثا تجوزا وهذا نحو قولهم العلماء ورثة الانبياء وكما
نوه عليه السلام انا معاشر الانبياء لا نورث بريدان ذلك من فعل الانبياء وسيرتهم
وان كان فيهم من ورث ماله على اشهر الاقوال فيه وهذا كما نقول انا معشر المسلمين
انا شفعنا العباد والمراد ان ذلك فعل الاكثر ومنه ما حكى سيبويه انا
معشر العرب اقرى الناس للضيف قلت قد تقدم هذا المعنى في ترجمة
وان الصحيح القول الاول لقوله عليه السلام انا معشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة
ولا يخرج عليه بنبي منه الا بدليل قال مقاتل كان سليمان اعظم ملكا من داود وافضى
منه وكان داود اشد تعبدا من سليمان قال غيره ولم يبلغ احد من الانبياء
ما بلغ ملكه فان الله سبحانه وتعالى سخر له الانس والجن والطير والوحش فاتاه ما
لم يؤت احدا من العالمين وورث اباه في الملك والنبوة وقام بشريعته وكل شئ جا
بعد موسى من بعثنا ولم يبعث فانما كان يتزيعه موسى الى ان بعث المسيح عليه
السلام فنسخها وبينه وبين الهجرة نحو من الف وثمان مايه سنه واليهود تقول
الف وثلثمايه واثنا وستون سنه وقيل بين مولد النبي صلى الله
عليه وسلم نحو من الف وسبع مايه واليهود تنقص منها ثلثمايه سنه وعاش بعدها
واحمين سنه

وقال يا ايها الناس

اي قال سليمان لبني اسرايل على جهة الشكر لنعم الله علمنا منطق الطير
اي تفضل الله علينا على سائر بني ادم من العلم والنبوة والخلافة في الارض
وان فهمنا من اصوات الطير المعاني التي في نفوسها قال مقاتل والكلبي كان
سليمان جالسا اذ مر به طاير يطوف فقال لجلسايه اتدرون ما يقول هذا الطاير
انها قالت له السلام عليك ايها الملك المسلط والنبي ابن النبي اسرايل اعطاك الله الكرامة واظهرك
على عدوك اني مشتاقة الى فراخي فمرني ان ارجع اليهم ثم ارتكلهم واتيك ثم
رجعت فقال انه يقول السلام عليك ايها الملك المسلط ان شئت ان تاذن لي
كيما اكتسب على فراخي حتى تشبوا ثم اتيك فافعل ما شئت فاخرهم
سليمان بما قال واذن له فانطلق وقال فرقد السبخي مر سليمان على تل
فوق تبنة فحرك راسه وميل ذنبه فقال اتدرون ما يقول هذا التبيل
قالوا ايا نبي الله قال انه يقول اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء ومر هدهد
فوق شجرة وقد نصب له صبي فخا فقال له سليمان احذر يا هدهد قال يا ابن الله هذا
صبي ولا عقل له فانا اسخر به ثم رجع سليمان فوجده قد وقع في حباله الصبي وهو في
يديه فقال له هدهد ما هذا قال ما رايتها حتى وقعت بها يا ابن الله قال
ويحك فانتزي يا كما عنا الارض اماني الفخ قال يا ابن الله اذا وقع
القضاء عمي البصر وقال كعب صاح ورشان عند سليمان بن داود فقال
اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول الدواء الموت وابغي الخراب وصاحنا
فاختنه قال اتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول ليت هذا الخلق لم يخلقوا
وليتهم اذ خلقوا علموا لما خلقوا ○ وصاح عنده طاووس فقال اتدرون
ما يقول قالوا لا قال انه يقول لا رحم من لا يرحم ○ وصاح صرد عنده فقال
اتدرون ما تقول قالوا لا قال انه يقول استغفروا الله يا مذنبين فمر نبي من انبياء
صلى الله عليه وسلم عن قتله وقيل ان الصرد هو الذي دل ادم على مكان
البيت وهو اول من صام ولذلك يقال له الصرد الصوام يروى عن ابن هديه
وصاحت عنده طيطوى فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول كل

حي ميت وكل جديد بال ○ وصاحت خطاف عنده فقال اتدرون ما تقول قالوا
لا قال انها تقول قدموا خيرا تجدوه فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتلها
وقيل ان ادم لما خرج من الجنة اشتكى الى الله الوحشة فانسه الله تعالى بالخطاف
والزمها البيوت فهي لا تفارق بني ادم انسا لهم قال ومعها اربع ايات
من كتاب الله عز وجل لو انزلنا هذا القران على جبل الاية وقضوتها بقوله
العزيز الحكيم وهدرت حمامة عند سليمان قال اتدرون ما تقول
قالوا لا قال انها تقول سبحان ربي الاعلى عدد ما في سمواته وارضه ○ وصاح
قمري عند سليمان فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول سبحان
ربي العظيم المهيمن وقال كعب وجد نبي سليمان فقال الغراب يقول اللهم
العن العشار والحدا يقول كل حي هالك الا وجهه والفاطا يقول من سكت سلم
والبغا تقول ويل لمن الدنيا همه والصفدع يقول سبحان ربي القدوس والبازي
يقول سبحان ربي وبحمده والسرطان يقول سبحان المذكور كل مكان وقال مكحول
صاح دراج عند سليمان فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول الرحمن على
العرش استوى وقال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم الديك اذا صاح قال
اذكروا الله يا غافلين وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم
الشراذا صاح قال يا ابن ادم عش ما شئت فاخر كل الموت واذا صاحت العقاب
قالت في البعد من الناس الراحة واذا صاح الغراب قال الهي الفراق بغضي الى محمد واذا
صاح الخطاف قال الحمد لله رب العالمين ويقول ولا الضالين فيجيبها صوته كما يجيب القاري
قال قتادة والشعبي انما هذا الامر في الطير خاصة لقوله علمنا منطق الطير
والنملة طيرا قد يوجد له اجنحة قال الشعبي ولذلك كانت هذه النملة ذات
جناحين وقالت فرقة بل كان في جميع الحيوان وانما ذكر الطير لانه كان جند من
جند سليمان بجناحه في التظليل عن الشمس والبعوض والذباب فخص بالذكر لكثرة
مداخلته ولان امر سائر الحيوان نادر وعنه متردد فزاد امر الطير وقال
ابو جعفر النحاس والمنطق قد يقع لما يفهم بغير كلام والله جل وعز اعلم بما اراد
قال ابن العربي نرى انه لا يعلم الا منطق الطير فنقصان عظيم وقد انفق

الناس على انه كان يفهم كلام من لا يتكلم ويخلق له فيه الفهم من البيان فكان كل
شيء يقول له انا شجر كذا انفع من كذا او اضر من كذا فاطلق للحيوان [illegible]

وحشر لسليمان جنوده من الجن

والانس والطير فهم يوزعون

فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى وحشر جمع والحشر الجمع ومنه قوله جل وعز
وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا واختلف الناس في مقدار جند سليمان
عليه السلام فقال بعضهم كان معسكره مائة فرسخ في مائة فرسخ وعشرون للجن وخمسة
وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له الف بيت
من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة سنوجه وسبعمائة سرية ن ابن عطية اختلف
في معسكره ومقدار جنده اختلافا صحيحا شديدا غير ان الصحيح ان ملكه كان
عظيما ملك الارض وانقادت له المعمورة كلها فهم يوزعون معناه يرد اولهم الى آخرهم
ويلفون قال قتادة كان لكل صنف وزعة تزعهم وتوا صفهم من الكراسي والارض
اذا استوى فيها يقال وزعه اوزعه وزعا اي كفه فهو وازع في الحرب الموكل
بالصفوف يزع من تقدم منهم وروى محمد بن اسحق عن اسماء بنت ابي بكر قالت لما وقف
رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي طوى يعني يوم الفتح قال ابو قحافة وقد كف
يوميذ بصره لابنته اطمئني بي على ابي قبيس قالت فاشرفت به عليه فقال يا
بنية ماذا ترين قالت اري سوادا مجتمعا قال تلك الخيل قالت واري رجالا سودا مقبلا
ومدبرا قال ذاك الوازع ليمنعها ان تنتشر وذكر تمام الخبر ومن هذا ما رأى الشيطان
يوما هو فيه اصغر ولا ادخر ولا احقر ولا اغيظ منه في يوم عرفة وما ذاك
الا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام الا ما رأى يوم بدر قيل
وما راى يا رسول الله فقال اما انه راى جبريل يزع الملائكة ومن هذا المعنى قول النابغة

على حين عاينت المشيب على الصبى وقلت الما اصح والشيب وازع

آخر ولما لاقيا جرت من جفونا دموع وزعنا غربها بالاصابع

آخر ولا يزع النفس اللجوج من الصبي من الناس الا وافر العقل كامل

وقيل هو الموزع لمجنى التفريق والقوم اوزاع اي طوائف وفي القصة ان الشياطين
سجنت له سباطا فرسخا في فرسخ ذهبا وابريسم وكان يوضع له كرسي من ذهب
وحوله ثلثمائة الف كرسي من ذهب وفضة فتقعد الانبياء على كراسي الذهب
والعلماء على كراسي الفضة الثانية ن الآية دليل على اتخاذ الامام والحكام
وزعه يكفون الناس ويمنعونهم من تطاول بعضهم على بعض اذ لا يمكن الحكام
ذلك بانفسهم وقال ابن عون سمعت الحسن يقول وهو في مجلس قضا به
ما رأى ما يصنع الناس والله ما يصلح هوى الناس الا وزعه وقال الحسين
ايضا لا بد للناس من وازع اي من سلطان يكفهم وذكر ابن القاسم قال حدثنا
مالك ان عثمان بن عفان كان يقول ما يزع الامام اكثر مما يزع القرآن اي من
الناس قال ابن القاسم قلت لمالك ما يزع قال يكف قال القاضي
ابو بكر بن العربي وقد جهل قوم المراد من هذا الكلام فظنوا ان المعنى ان قدره
السلطان نزع الناس اكثر مما تزعهم حدود القرآن هذا جهل بالله وحكمه
فان الله ما وضع الحدود الا لمصلحة عامة كافة فانه قايم لقيام الخلق لا زيادة عليها
ولا نقصان معها لا لمصلحة سواها ولكن الظلمة خاسوا بها وفصروا عنها
وانما اتوا العزيمة ولم يقصدوا وجه الله في القضا بها فلم ينتزع الخلق بها ولو
حكموا بالعدل واخلصوا اليه لاستقامت الامور وصح الجمهور [illegible]

حتى اذا اتوا على وادي النمل قالت

نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم الى قوله فتبسم ضاحكا من قولها

فيه ست مسايل الاولى قوله تعالى حتى اذا اتوا على وادي النمل قال
قتادة ذكر لنا انه واد بارض الشام وقال كعب هو بالطايف قالت نملة يا ايها النمل
قال الشعبي كان للنملة جناحان فصارت من الطير فلذلك علم منطقها ولولا ذلك

لما علمه وقد بعض هذا وباني وقرأ سليمان اليتمي نملة والنمل بفتح النون وضم الميم ومنه
ايضا صمها جميعا وسميت النملة نملة لتنملها وهو كثرة حركتها وقلة قرارها قال
كعب مر سليمان عليه السلام بوادي السدير مزاود به الطايف فاذي على وادي النمل
فقالت نملة تشتي وكانت عرجا اسمها شكاوس مثل الذيب في العظم فادتنا يا النمل
الابيه ان الزمخشري سمع سيبويه كلامها من ثلثة اميال وكانت تشتي وهي عرجا واسمها
شكاوس وقيل كان اسم صاحبه وقال السهيلي ذكروا اسم النملة المكلمة
لسليمان عليه السلام وقالوا اسمها حرميا ولا ادري كيف يتصور للنملة اسم علم والنمل لا
يسمي بعضهم بعضا ولا الادميون عليهم تسميه واحد منهم باسم علم لانه لا يتميز للادميين
بعضهم من بعض ولا هم ايضا واقفون تحت ملكه بني ادم كالخيل والكلاب ونحوها
فان العلمية فيما كان كذلك موجوده عند العرب فان قلت ان العلمية موجوده
في الاجناس كثعالة واسامة وحجال وقسام في الضبع ونحو هذا كثير فلم لم يسم النملة
من هذا لانهم زعموا انه اسم لنملة واحدة معينة من بين سائر النمل وثعالة ونحوه لا
يخص بواحد من الجنس بل كل واحد يابنه من ذلك الجنس هو ثعالة ولذلك اسامه
وابن اوى وابن عرس وما اشبه ذلك فان صح ما قالوه فله وجه وهو ان تكون
هذه النملة الناطقة قد سميت بهذا الاسم في التوراة او في الزبور او في بعض الصحف
سماها الله تعالى بهذا الاسم وعرفها به الانبيا قبل سليمان او بعضهم وخصت بالنطق
وايانا فهذا وجه معنى قولنا بايانا انها قالت النمل لا يحطمنكم
سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فقولها وهم لا يشعرون النفاتة من اثر عدل
سليمان وفضله وفضل جنوده لا يحطمون نملة فانوقها الابان لا يشعروا وقد قيل
ان تبسم سليمان سروراهذه الكلمة منها ولذلك اكد التبسم بقوله ضاحكا اذ قد يكون
التبسم من غير ضحك ولا رضى الا تراهم يقولون تبسم تبسم الغضبان وتبسم تبسم
المستهزئين وتبسم الضحك انما هو عن سرور ولا يسر نبي بامر دنيا وانما يسر
بما كان من الدين وقولها وهم لا يشعرون قول الله تعالى في حق محمد صلى الله عليه وسلم
فيصيبكم منهم معرة بغير علم النفات الى انهم لا يعتدون عذر من الا ان

المثنى على جند سليمان هي النملة باذن الله تعالى والمثنى على جند محمد صلى الله عليه وسلم
هو الله جل وعز بمنه لماجند محمد صلى الله عليه وسلم من الفضل على جند غيره من
الانبيا كما لمحمد صلى الله عليه وسلم من الفضل على جميع النبيين صلى الله عليهم اجمعين
وقرأ ابن خوشنب مسكنكم بسكون السين على الافراد وفي مصحف ابي
مساكنكم لا يحطمنكم وقرأ سليمان اليتمي مساكنكم لا يحطمنكن ذكر النحاس
اي لا يكبر ذكر يوطيه عليكم وهم لا يعلمون بكم قال الهدوي وافهم الله تعالى
النملة هنا لتكون معجزة لسليمان وقال وهب امر الله تعالى الريح الا تحمل
احد بني الاوحشة في سمع سليمان بسبب ان الشياطين ارادت كيده وقد قيل
ان هذا الوادي كان ببلاد اليمن وانها كانت نملة صغيرة مثل النمل المعتاد قاله
الكلبي وقال نوف الشامي وشقيق بن سلمة كان مثل ذلك الوادي كهيئة
الذياب في العظم وقال بريدة الاسلمي كهيئة النعاج قال محمد بن علي الترمذي
فان كان على هذه الخلقة فلها صوت وانا اتقدصوت النملة الا ان صوت خلقها
والافالاصوات في الطيور والبهايم كاينة وذلك منطقهم وفي تلك المناطق معاني
التسبيح وغير ذلك وهو قوله وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم
قلت وقوله لا يحطمنكم يدل على صحة قول الكلبي اذ لو كانت كهيئة الذياب
والنعاج لما حطمت بالوطي والله اعلم وقال ادخلوا مساكنكم نبها على خطاب
الادميين لان النمل هنا امر بها مخبر الادميين حين نطق كما نطق الادميون
قال ابو اسحق الثعلبي ورايت في بعض الكتب ان سليمان قال لها لم حذرت النمل
احقت ظلمي اما علمت اني بني عدل فلم قلت لا يحطمنكم سليمان وجنوده فقالت اما
سمعت قولي وهم لا يشعرون مع اني لم ارد حطم النفوس وانما اردت حطم القلوب
حشيتان تمنين شيئا اعطيته او يفتتن بالدنيا او يشتغلن بالنظر الى ملكك
عن التسبيح والذكر فقال لها سليمان عظيني فقالت النملة اما علمت لم سمي ابوك داود
قال لا قالت لانه داوى جرحه فودا هل علمت لم سميت سليمان قال لا قالت لانك سليم
البابجه على ما اوتيته سلامة صدرك وان لك ان تلحق بابيك ثم قالت انذيب لم
سخر الله لك الريح قال لا قالت اخرك ان الدنيا كلها ريح فتبسم ضاحكا من قولها

منتحيا ثم مضت مسرعه الى قومها فقالت هل عندكم شئ هديه الى نبي الله قالوا وما
قدرنا نهدي له والله ما عندنا الا بقله واحده قالت حسنه اتوني بها فاتوها بها فجعلتها
بينها وانطلقت بخرها وامر الله الريح فحملتها وانطلقت تشق الجو والانس والجن والعلم
على البساط حتى وقفت بين يديه ثم وصفت تلك النمله من رفيقاتها في كفه واشارت
تقول
الم تر انا هديه الله ماله وان كان عنه ذا غنى فهو قابله
ولو كان يهدي للجليل بقدره لافرغ عنه البحر يوما يباحله
ولكنا نهدي اليه من نحبه فيرضى به عنا ويشكر فاعله
وما ذال الا من تكرم فعاله والا فاني ملكنا ما يشاكله
فقال لها سليمان بارك الله فيكم فنعم شبكم الدعوه اشكر خلق الله واكثر
خلق الله وقال ابن عباس رضي الله عنهما نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل اربع من الدواب
الصرد والهدهد والنمله والنحله اخرجه ابو داود وصححه ابو محمد عبد الحق ورويت
من حديث ابي هريره وقد مضى في الاعراف والنمله اثنتين على سليمان واخبرتا حسن
ما تقدر عليه بانهم لا يشعرون اي يحطمكم ولا يعلمون ذلك من عدلهم فتفت عنه
الحجور فلذلك نهي عن قتلها وعن قتل الهدهد لانه كان دليل سليمان على الماء ورسوله
الى بلقيس وقال عكرمه انا صرفنا الله شر سليمان عن الهدهد لانه كان بارا بابويه والصرد
يقال له الصرد الصوام وروي عن ابي هريره رضي الله عنه قال اول من صام الصرد ولما
خرج ابراهيم عليه السلام من الشام في بنا البيت كانت السكينه معه والصرد فكان
الصرد يدله الى الموضع والسكينه مقداره فلما صار الى البقعه وقعت السكينه على موضع
البيت ونادت ابن يا ابراهيم على مقدار ظلي وقد تقدم في الاعراف سبب النهي عن قتل
الضفدع وفي النحل النهي عن قتل النحل والهدهد الثانيه قوله الحطم الكسر حطمه حطما اي كسره وتحطم وتحطيم التكسير وهم لا يشعرون يحتمل ان يكون
حالا من سليمان وجنوده والعامل في الحال يحطمنكم او حالا من النمله والعامل
قالت اي قالت ذلك وحال غفله الجنود كقولك قمت والناس غافلون او حالا من
النمل ايضا والعامل قالت على ان المعنى والنمل لا يشعرون ان سليمان يفهم مقالتها
وفيه بعد وسياتي الثانيه روى مسلم من حديث ابي هريره عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم ان نمله قرصت نبيا من الانبيا فامر بقريه النمل فاحرقت فاوحى الله اليه
افي ان قرصتك نمله اهلكت امه من الامم تسبح وفي طريق اخر فهلا نملة واحده قال العلما وانما
يقال ان هذا النبي هو موسى عليه السلام وانه قال يا رب تعذب اهل قريه بعاصيهم
وفيهم الطايع فكانه احب ان يريه ذلك من نفسه فسلط عليه الحزن الذي الى شجره
سنزوحا الى ظلها وعندها قريه النمل وغلبه النوم فلما وجد لذه النوم لدغته
النمله فاصبحت فذلكهن بقدمه فاهلكهن واحرق تلك الشجره التي عندها مساكنهم
فاراه الله العبره في ذلك انه لما لدغته نمله فكيف اصنا الباقين بعقوبتها يريد ان
ينبهه ان العقوبه من الله تعالى نعم فتقدير رحمه على الطيع وطهاره وبركه وتنما ونقمه
على العاصي وعلى هذا فليس في الحديث ما يدل على كراهه ولا حظر في قتل النمل فان من
ازال حل لك دفعه عن نفسك ولا احد من خلقه اعظم حرمه من المومن وقد ابيح لك دفعه
عنك بقتل وضرب على المذاره فليف بالدوابد الهوام التي قد سخرت لك وسلطت
عليها فاذا اكل ابيح لك وروي عن ابراهيم ما اكل من النمل فاقتله الرابعه
قوله الا نمله واحده دليل على ان الذي يوذي ويقتل وكلما كان القتل لنفع او دفع ضرر
فلا باس به عند العلما واطلاقه نمله ولم يحضر تلك النمله التي لدغتك ولكن قال لا
نمله فكان نمله فيم البريء والجاني ذلك ليعلم انه اذا اراد ان ينبهه لمسالته ربه
في عذاب اهل قريه وفيهم المطيع والعاصي وقد قيل ان هذا النبي كانت العقوبه
للجولان بالتحريق جايزه في شرعه ولذلك ما عاتبه الله تعالى في احراق الكثير من النمل
لان اصل الاحراق الاذن في قوله الا نمله واحده اي فلا حرقت نمله واحده وهذا خلاف
شرعنا فان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن التعذيب بالنار وقال لا يعذب
بالنار الا الله تعالى وكذلك ايضا كان قتل النمل مباحا في شريعه ذلك النبي فلا لوم
يتوجه على اصل قتل النمل واما نهينا فقد جا من حديث ابن عباس وابي هريره
النهي عن ذلك وذكره مالك قتل النمل الا ان يضر ولا يقتل على وجه الا بالقتل
وقد قيل ان هذا النبي انما عاتبه الله حيث اشغل نفسه باهلاك جمع اذاه واحد
منهم وكان الاولى به الصبر والصفح لكن وقع للنبي ان هذا النوع موذ لبني آدم
وجرمه بني آدم اعظم من جرمه غيره من الحيوان غير الناطق فلو انفرد له هذا

النظر ولم ينضم اليه التشفي الطبعي لم يجاب والله اعلم لكن لما انضم اليه التشفي الذي دل عليه
سياق الحديث عوتب عليه انما ســـه قوله اني ان ترصد عمله اهلكت امه من
الامم تسبح مقتضى هذا انه تسبح بمقال وتنطق كما اخبر الله تعالى عن النمل ان لها منطقا ونمه
سليمان معجزة له وتبسم من قولها وهذا يدل دلالة واضحة ان للنمل نطقا وقولا ولكن لا يسمعه
كل احد بل من شاء الله تعالى ممن خرق له العاده من نبي او ولي ولا تنكر هذا مرجيت انا لا
نسمع ذلك فانه لا يلزم من عدم الادراك عدم المدرك في نفسه ثم ان الانسان يجد
في نفسه قولا وكلاما ولا يسمع منه الا اذا نطق بلسانه وقد خرق الله العاده لنبينا فاسمعه
كلام النفس مع قوم تحدثوا مع انفسهم واخبرهم بما في نفوسهم كما قد نقل منه الكثير المتنا
في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك قد وقع لكثير ممن اكرمه الله تعالى من الاولياء
مثل ذلك وغير ما قصيته واما عز النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ان في امتي قوما محدثون
وان عمر منهم وقد جعل هذا المعنى في الحاكي في سبحان وانه يسبح تسبيح لسان ومقال
لا تسبيح دلاله حال والحديث قول ـــه تعالى فتبسم ضاحكا قرا ابن السميفع ضحكا بغير الف
وهو منصوب على المصدر بفعل محذوف يدل عليه تبسم كانه قال فضحك ضحكا هنا منتهى سيبويه
وهو عند سيبويه منصوب بفعل تبسم لانه في معنى ضحك ومن قرا ضاحكا فهو منصوب
على الحال من الضمير في تبسم والمعنى تبسم مقدارا الضحك لان الضحك يستغرق التبسم
والتبسم دون الضحك وهو اوله يقال تبسم بالفتح يتبسم تبسما فهو باسم وابتسم وتبسم والمسم
الثغر مثل المجلس من جلس يجلس ورجل بسام ومسام وكثير التبسم فالتبسم ابتداء الضحك
والضحك عبارة عن الابتداء والانتهاء الا ان الضحك يقتضي مزيدا على التبسم فاذا زاد
ولم يضبط الانسان نفسه قيل قهقه والتبسم ضحك الانبياء عليهم السلام في غالب امرهم
وفي الصحيح عن جابر بن سمرة وقيل له لا تجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم
كثيرا كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه الصبح او الغداة حين تطلع الشمس فاذا طلعت
قام وكانوا يتحدثون فيأخذون في امر الجاهلية فيضحكون ويتبسم وفيه عن سعد
قال كان رجل من المشركين قد اخزى في المسلمين فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ارم فداك
ابي وامي قال فنزعت له بسهم ليس له نصل فاصبت جنبته فسقط فانكشفت عورته
فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظر الى عوراته فكان عليه السلام في اكثر احواله
يتبسم وكان ايضا يضحك في احوال اخر ضحكا اعلا من التبسم واقل من الاستغراق الذي
يتدوافيه اللهوات وكان في النادر عند افراط تعجبه وربما ضحك حتى بدت نواجذه
وفكره العلماء منه الكثير كما قال لقمان لابنه يا بني ياك وكثرة الضحك فانه يميت القلب
وقد روي مرفوعا من حديث ابي ذر وغيره وضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه
حين رمى سعد رجل فاصابه انما كان سرورا باصابته لا بانكشاف عورته فانه
المنزه عن ذلك صلى الله عليه وسلم السادســـه لا اختلاف عند العلماء ان الحيوانات
كلها لها افهام وعقول وقد قال الشافعي الحمام اعقل الطير وقال ابن عطيه والنمل
حيوان فطن قوي شمام جداينظر ويتخذ القراويتق الحب بقطعتين لبلا ينبت وتشق
الكزبرة باربع قطع لانها تنبت اذا شقت قطعتين ويا كل في عامه نصف ما جمع ويبقى
شايبه عده قال ابن العربي ومنه خواص الطعام عندنا وقد ادركها النمل بخلق الله ذلك
لها قال الاستاذ ابو المظفر شاهور الاسفرايني ولا يعجبان يمنك الله بما حدث العالم
وحدث المخلوقات وحياته الاله ولكنا لا نفهم عنها ولا نفهم هنا اما انا نطلبها وهي
تفرمنا بحكم الجنسيه

قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي

قال مصدر به واوزعني ابي الهمني ذلك واصله من وزع فكانه قال كفني عما يسخطك
وقال محمد بن اسحق يزعم اهل الكتاب ان ام سليمان هي امراة اوريا التي سخر الله بها داود
وانه بعد موت زوجها تزوجها داود فولدت له سليمان عليه السلام وسيأتي لهذا
مزيد بيان في سوره ص ان شاء الله تعالى ٥ وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين
اي مع عبادك عز ابن زيد وقيل المعنى في جمله عبادك الصالحين تواضع منه

وتفقد الطير فقال مالي لا اري الهدهد

الى اخر قصه الهدهد

فيه ثمان عشر مساله الاولى ـــ قوله تعالى وتفقد الطير ذكر شيا اخر مما جرى له في سيره
كان فيه ما تقدم والتفقد ان تطلب ما غاب عنك من بني والطير اسم جامع والواحد

طايرو المراد بالطير هنا جنس الطير وجماعتها وكانت تضحيه في سفره وتظله باجنحتها واختلف
الناس في معنى تفقد الطير فقالت فرقة ذلك بحسب ما تقتضيه العنايه بامور الملك
والتهمم بكل جزء منها وهذا ظاهر الايه وقالت فرقه بل تفقد الطير لان
الشمس رحلت من موضع الهدهد حين غاب فكان ذلك سبب تفقد الطير
لسليمان من اين رحلت الشمس وقال عبدالله بن سلام انما طلب الهدهد
لانه احتاج الى معرفه الماء على كم هو من وجه الارض لانه كان نزل في مفازه
عدم فيها الماء وان الهدهد كان يرى باطن الارض وظاهرها فكان يخبر سليمان
بموضع الماء كما كانت الجن تخرجه في ساعه بسيره تسع عنده وجه الارض
كما تسخر شاه قال له ابن عباس فيما يروي عن ابن سلام قال ابو مجلز
قال ابن عباس لعبدالله بن سلام اريد ان اسالك عن ثلاث مسايل
قال ابن تسالني وانت تقرا القرآن قال نعم ثلاث مرات قال لم تفقد سليمان
الهدهد دون ساير الطير قال احتاج الى الماء لم يعرف عمقه او قال مسافته
وكان الهدهد يعرف ذلك دون الطير فتفقده وقال في كتاب
التقاش كان الهدهد يرى باطن الارض وهو كالزجاج في الصخر حتى تقع فيه
فقال له ابن عباس اذا جاء الفند عمي البصر وقال مجاهد قيل
لابن عباس كيف تفقد الهدهد من الطير فقال نزل منزلا ولم ير ماء
بعدا لما وكان الهدهد مهندسا اليه فاراد ان ينزاله قال ابن مجاهد
فقلت كيف يهتدي والصبي يضع له الحباله فيصيده فقال اذا جاء الفند
عمي البصر قال ابن العربي ولا يفيد على هذا الجواب الا علم القرآن
قال المولف رضي الله عنه هذا الجواب قد قاله الهدهد لسليمان كما
تقدم واستشهدوا

اذا اراد امرا بامر ... وكان ذا عقل ورأي ونظر
وحيلة يعملها في دفع ما ... ياتي به مكروه اسباب القدر
غطى عليه سمعه وعقله ... وسله من ذهنه سل الشعر
حتى اذا الفند فيه حكمه ... رد عليه عقله ليعتبر

قال الكلبي لم يكن له في مسيره الا هدهد واحد والله اعلم الثانيه وفي هذه
الايه دليل على تفقد الامام احوال رعيته والمحافظه عليهم فانظر الى الهدهد
مع صغره لم يخف على سليمان حاله فكيف بعظايم الملك ويرحم الله عمر فانه كان
على سيرته قال لو ان سخله على شاطي الفراه اخذها الذيب لسيل عنها عمر
فما ظنك بوال تنهب على يديه البلدان وتضيع الرعيان وفي
الصحيح عن عبدالله بن عباس ان عمر بن الخطاب خرج الى الشام حتى اذا
كان بسرغ لقيه امرا الاجناد ابو عبيده واصحابه فاخبروه ان الوفا قد
وقع بارض الشام الحديث قال علما وانا وكان هذا الخروج من عمر
بعد ما فتح بيت المقدس لسنه تسع عشره على ما ذكره خليفه بن اسباط وكان
يتفقد احوال رعيته واحوال امرايه بنفسه وقد دل القرآن والسنه
وبينا ما يجب على الامام من تفقد احوال رعيته ومباشره ذلك بنفسه
الى ذلك وان طال ورحم الله بن المبارك حيث يقول

وهل افسد الدين الا الملوك ... واحبار سوء ورهبانها

الثالثه قوله تعالى مالي لا اري الهدهد اي ما للهدهد لا اراه
من القلب الذي نعرف معناه وهو كقولك مالي اراك كيبا اي مالك
والهدهد طير معروف ومدهد صوته قال ابن عطيه انما قصد
الكلام الهدهد غاب لكنه احسن للايام عن مغيبه وهو ان لا يراه فاستنم
على جهه التوقيف على الايام وهذا ضرب من الاحتراز والاستفهام الذي
في قوله مالي لا يستناب الالف التي يحتاج بها ام وقيل انما قال
مالي لا اري الهدهد لانه اعتبار بحال نفسه اذ علم انه اوتي الملك
العظيم وسخر له الخلق فقد لزمه حق الشكر بقامه الطاعه وادامه
العدل فلما فقد نفسه الهدهد توقع ان يكون ضرر من حق الشكر فلاحظه سليمان
بحيل يتفقد نفسه فقال مالي قال ابن العربي وهذا يفعل مشوخ
الصوفيه اذا افقدوا ما لم تفقدوا اعمالهم هذا في الاداب فكيف بنا اليوم

ونحن نقصر على الزايدين وقرا ابن ليثة وابن محيصن وعاصم والكسائي وهشام وابو
مالي بفتح الياء وكذلك في يس ومالي لا اعبد واسكنها حمزة ويعقوب وقرا
الباقون المدنيون وابو عمرو بفتح التي في يس واسكان هذه قال ابو عمرو وكان
هذه التي في النمل استفهام والاخرى انتفاء واختار ابو حاتم والو عبيد
الاسكان فقال مالي وقال ابو جعفر النحاس زعم قوم انهم ارادوا ان
يفرقوا بين ما كان مبتدا وبين ما كان معطوفا على ما قبله وهذا ليس بشيء وانما
هي يا التي هي من العرب من يفتحها ومنهم من يسكنها ففرقوا باللغتين واللغة الفصيحة
في يا التي هي ان تكون مفتوحة لانها اسم وهي على حرف واحد فكان الاختيار
ان لا يسكن فيجحف بالاسم لما كان من الغايبين بمعنى مثل الرابعة
قوله تعالى لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه دليل على ان الحد على قدر الذنب
لا على قدر الجسد اما انه رفق بالمحدود في الزمان والصفة روى عن ابن عباس
ومجاهد وابن جريج ان تعذيبه للطير كان بان ينتف ريشه قال ابن جريج
ويشمس وقال يزيد بن رومان جاءه وقد سبلهما فنهاه عن هذا بالهدهد
اغلاظا على العاصين وشفقا على اخلاله بنوبته وربته وكان الله اباح له
ذلك كما اباح ذبح البهايم والطير للاكل وغيره من المنافع والله اعلم وفي هذا دليل
الاصولي قال حدثنا سليمان بن حميد ابو الربيع الابادي قال نا عون بن
عماره عن الحسين الجعفي عن الزبير بن خريت عن عكرمة قال لما صرف الله بن سليمان عن
الهدهد لانه كان بارا بابويه وسيارا وقيل لتعذيبه ان يحمل مع اضداده
وعن بعضهم اجتمع السجون معاشر الاضداد وقيل لازمته حدمه
افرانه وقيل ابداعه القفص وقيل بان يحمله في التمر بعد نتفه وقيل
بتعبيده عن خدمتي والملول يودون الهجران الحبيب بتفريق الفه وهو
موكد بالنون الثقيله وهي لازمه فيها والخفيفه قال ابو حاتم ولو قرئت
لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه جاز او ليأتيني بسلطان مبين ايجه
بينه وليبيت اللام في ليأتيني لام القسم لانه لا يقسم سليمان على فعل الهدهد

ولكن لما جاز في امر فوله لاعذبنه وهو ما جاز به القسم اجراه مجراه وقال ابن كيسان
وحده ليأتيني بسوء الخامسة قوله تعالى فمكث غير بعيد اي
الهدهد والجمهور من القراء على ضم الكاف وقرا عاصم وحده بفتحها ومعناه في القراءتين
اقام قال سيبويه مكث يمكث مكثا كما قالوا قعد يقعد قعودا قال ومكث مثل
طرف قال غيره والفتح احسن لقوله تعالى ماكثين اذا هو من مكث
يقال مكث يمكث فهو ماكث ومكث يمكث مثل عظم يعظم فهو مكيث مثل عظيم
ومكث يمكث فهو ماكث مثل حمد يحمد فهو حامد والضم فيه ومكث يجعل ان يكون
لسليمان والمعنى فمكث سليمان بعد التفقد والوعيد غير طويل اخرج قبل طويل
ويحتمل ان يكون الهدهد هو الاكثر فجا فقال احطت بما لم تحط به اي علمت ما لم تعلمه
من الامر فكان في هذا رد على من قال ان الانبيا تعلم الغيب وعلى
القراءة بدغم التاء في الطا وعلى اخفت بطلت الطا وتدغم السادسة
قوله تعالى وجئتك من سبا نبا يقين اعلم سليمان ما لم يكن يعلمه
ودفع عن نفسه ما توعده به من العذاب والذبح وقرا الجمهور سبا
بالصرف وابن كثير وابو عمرو سبا بفتح الهمزة وترك الصرف فالاول
على انه اسم رجل نسب اليه قوم وعليه قول الشاعر

الواردون وتيم في ذرى سبا ... قد عض اعناقهم جلد الجواميس

وانكر الزجاج ان يكون اسم رجل وقال سبا اسم مدينة تصرف
مغارب اليمن ببنها وبين صنعا مسيرة ثلاثة ايام الشاعر
من سبا الحاضرين مارب اذ ... يبنون من دون سيله العرما

قال فمن لم يصرف قال انها اسم مدينة ومن صرف وهو الاكثر فلانه
اسم للبلد ليكون مذكرا سمي به مذكر وقيل اسم امراة سميت به المدينة والصحيح
انه اسم رجل وكذلك في كتاب الترمذي من حديث فروه بن مسيك المرادي
عن النبي صلى الله عليه وسلم وسيأتي ان شاء الله تعالى قال ابن عطيه وقفت هنا
على النحاس فحفظ عشوا ونعم القرآن الرومي سأل ابا عمرو بن العلاء عن سبا فقال

ما ادري ما هو قال النحاس وتاول الفراء على ابي عمرو انه سمعه من الصرف لانه مجهول
وانما ذا لم يعرف الذي لم ينصرف قال النحاس وابو عمرو اجل من ان يقول هذا وليس
حكايه الرواسي عنه دليل انه انما سمعه من الصرف لانه لم يعرفه وانما قال لا اعرفه ولو
سيل يحوي عن اسم فقال لا اعرفه لم يكن في هذا دليل على انه سمعه من الصرف بل الحق على
غير هذا او الواجب اذا لم نعرفه ان نصرفه لان اصل الاسماء الصرف فانما يمنع الشيء من
الصرف لعله داخله عليه والاصل ثابت بيقين فلا يزول بما لا يعرف وذكر كلاما
كثيرا عن النحاة وقال في اخره القول في ساما جا التوقيف فيه انه في الاصل اسم
رجل فان صرفته فلانه قصد اسما للحي وان لم تصرفه جعلته اسما للقبيله
مثل ثمود الا ان الاختيار عند سيبويه الصرف وحجته في ذلك قاطعه لان هذا
الاسم لما كان يقع له التذكر والتانيث كان التذكير اولى لانه الاصل والاخف
السابعه في الايه دليل على ان الصغير يقول للكبير والمتعلم للعالم عندي ما ليس
عندك اذا تحقق ذلك وتيقنه هذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع جلالته وعلمه
لم يكن عنده علم بالاستبذان وكان البتم عندهما وغيره وغاب عن عمر وابن مسعود
حتى قالا لا يتيمم الجنب وكان حكم الآن في ان تشقرا كابض عند ابن عباس ولم يعلمه
عمر ولا زيد بن ثابت وكان غسل راس المحرم معلوما عند ابن عباس وخفي على المسور
ابن مخرمه ومثله كثير فلا تطول به ان منه قوله تعالى اني وجدت امراه
تملكهم الى قال الهدهد وجيتك من سبا بنبا يقين قال سليمان وما ذلك الخبر
قال اني وجدت امراه تملكهم يعني بلقيس بنت شراحيل تملك اهل سبا وبقال لكيف
حمير مكانها وكانت المسافه بين محطهم وبلدها قريبه وهي مسيره ثلاث من صنعا دمارب
فاجاب ان الله تعالى اخفى ذلك عنه لمصلحه ما كما اخفى على يعقوب مكان
يوسف وغيره وبي ان احدا بواها كان من الجن قال ابن العربي وهذا امر
تنكره السحره ويقولون الجن لا يكون الا بتلذذون كذبوا لعنهم الله اجمعين
وذلك صحيح وكاحهم جايز غفلا وان صح نقلا فيها ونعمت قال المولف خرج
ابو داود من حديث عبد الله بن مسعود انه قال قدم وفد الجن على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد انه امتك ان يستنجوا بعظم او روثه او حممه
فان الله جاعل لنا فيها رزقا وفي صحيح مسلم فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في
ايديكم اوفر ما يكون لحما وكل بعره علف لدوابكم وفي البخاري من حديث ابي هريره
قال فقلت ما بال العظم والروثه قال هما من طعام الجن وانه اتاني وفد جن نصيبين
ونعم الجن فسالوني الزاد فدعوت الله ان لا يمروا بعظم ولا روثه الا وجدوا عليها طعاما
وهذا كله نص في انهم يطعمون واما كاحهم فقد تقدمت الاشاره اليه في سبحان هند
فعله وشاركهم في الاموال والاولاد وروي وهب بن جرير بن حازم عن الخليل
ابن احمد عن عثمان بن حاضر قال كانت لبلقيس من الجن يقال لها بليه بنت شيصبان
وسياتي لهذا مزيد بيان ان شا الله تعالى الثامنه روي البخاري من حديث ابن
عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغه ان اهل فارس قد ملكوا بنت كسري قال لن يفلح
قوم ولوا امرهم امراه قال القاضي ابو بكر بن العربي هذا نص في ان المراه لا تلوف
خليفه ولا خلاف فيه ونقل عن محمد بن جرير الطبري انه يجوز ان يكون المراه قاضيه
ولم يصح ذلك عنه ولعله نقل عنه كما نقل عن ابي حنيفه انها اذا بلغت فيما تشهد
فيه وليس لها ان تكون قاضيه على الاطلاق ولا ان يكون لها مسطور بان فلانه
مقدمه على الحكم وانما ذلك على سبيل التحكيم والاستنابه في القضيه الواحده
وهذا هو الظن بابي حنيفه وابن جرير انها ما تقضي فيما يشهد فيه وقد روي
عن عمر انه قدم امراه على حسبه السوق ولم يصح فلا يلتفتوا اليه فانه مزور وساوس
المبتدعه في الاحاديث وقد تناظرت في هذه المساله القاضي ابو بكر بن الطيب
المالكي الاشعري مع ابي الفرج بن طرار شيخ الشافعيه فقال ابو الفرج الدليل
على ان المراه يجوز ان تحكم ان القاضي من الاحكام تنفيذ القاضي لها وسماع البينه
عليها والفصل بين الخصوم فيها وذلك ممكن في المراه كامكانه من الرجل فاعترض
عليه القاضي ابو بكر ونقض كلامه بالامامه الكبرى فان القاضي منه حفظ الثغور
وتدبير الامور وحمايه البيضه وقبض الخراج ورده على مستحقه وذلك لا يتاتى
من المراه كما بينه من الرجل قال ابن العربي وليس كلام الشيخين في هذه المساله بمتقن
فان المراه لا يمتنع منها ان تنزل الى المحاسر ولا تخالط الرجال ولا تنا وضهم مفاوضه
النظير للنظير لانها ان كانت فتاه حرم النظر اليها وكلامها وان كانت

يرزه لم يحبها والرجال يحلس واحد رحم فيه معهم وتكون مناظره لهم ولن يفلح قوم من
يضوهنا فكمن اعتقده العاشره قوله واوتيت من كل شيء سالغه اي مما
تحتاجه الملكه وقيل المعنى اوتيت من كل شيء زمانها شيأ فحذف المفعول لان
الكلام يدل عليه ولها عرش عظيم اي سرير ووصفه بالعظم في الهيه وريته السلطان
قيل كان من ذهب يجلس عليه وقيل الوشن هنا الملك والاول اصح لقوله تعالى
ايكم يأتيني بعرشها ○ الزمخشري فان قلت كيف سوى الهدهد بين عرش بلقيس
وعرش الله تعالى في الوصف بالعظم قلت بين الوصفين بون عظيم لان وصف
عرشها بالعظم تعظيم لما لاضافته الى عروش اشباهها من الملوك ووصف عرش الله
العظيم تعظيم له بالنسبه الى ما خلق من السموات والارض قال ابن عباس
كان طول عرشها ثمانين ذراعا وعرضه اربعين ذراعا وارتفاعه في السماء ثلثين ذراعا
مكللا بالدر والياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر فوايبه من زبرجد اخضر ○ قتاده
فوايبه لولو وجوهر وكان مستترا بالديباج والحرير وعليه سبعه مغاليق متقابل
كان ثمانين ذراعا في ثمانين ذراعه وارتفاعه من الارض ثمانون ذراعا وهو مكلل
بالجواهر ابن اسحق وكان يجلسها الشياطين معها لحذيتها سمايه امرأه قال
ابن عطيه والذي يلزم من الهيه انها امرأه ملكه على سبا بن اليمن ذات ملك عظيم وسرير عظيم
وكانت كافره من قوم كفار الحادسبه عشر قوله تعالى وجدتها وقومها يسجدون
للشمس من دون الله قيل كانت هذه الهيه من بقيه الشمس الذين كانوا رنا دقه
فيما يروي وقيل كانوا مجوسا يعبدون الانوار وروي عن نافع ان الوقف
على عرش قال المهدوي فعظيم على هذا يتعلق بما بعده وكان ينبغي على هذا
ان يكون عظيم ان وجدتها اي عظيم ان وجدتها اي عظيم وجودي اياها كما قرره
قال ابن الانباري ولها عرش عظيم وقف حسن ولا يجوز ان يقف على عرش وبتدئ
عظيم وجدتها الا على من فتح لان عظيم نعت للعرش فلو كان معلقا بوجدتها
لقلت عظمه وجدتها وهذا محال من كل وجه وقد حدثني ابو بكر محمد بن الحسين
ابن شنبا رقال سمعت ابا عبد الله الاسود العجلي عن بعض اهل العلم انه قال الوقف على
عرش والابتداء بعظيم على معنى عظيم عبادتهم الشمس والقمر قال وقد سمعت من هذا المذهب

ويحتمل ان عرشها احمر واذا شئنا من ان نصفه بالعظيم قال ابن الانباري
والاختيار عندي ما ذكرته اولا لانه ليس في الصافي رجحان الشمس والقمر دليل وغير منكر ان
يصف الهدهد عرشها بالعظم لذكره متناهي الطول والعرض وجريه على اعراب عرش دليل على ان
نعته وزين لهم الشيطان اعمالهم اي ما هم فيه من الكفر فصدهم عن السبيل اي عن طريق
التوحيد وبين هنا ان ما ليس بسبيل التوحيد فليس بسبيل ينتفع به على التحقيق
فهم لا يهتدون الى الله وتوحيده الثانيه عشره قوله تعالى ألا يسجدوا لله قرا ابو عمرو
وعاصم وحمزه الا يسجدوا بتشديد اللام قال ابن الانباري فهم لا يهتدون عزتام لن تشدد
اللام لكان المعنى وزين لهم الشيطان لا يسجدوا وقال الكسائي فصدهم اي فصد هم
لا يسجدوا وهو في الوجهين مفعوله وقال اليزيدي وعلي بن سليمان ان تبدل من
اعمالهم في موضع نصب وقال ابو عمران في موضع خفض على البدل من السبيل
وقيل العامل فيها لا يهتدون اي فهم لا يهتدون ان يسجدوا لله اي يعلمون
ان ذلك واجب عليهم وعلى هذا القول لا نابذه كقولك ما منعك ان لا تسجد وعلى هذه
القراءه فليس بموضع سجده لان ذلك خبر عنه بترك السجود واما بالتنزيل او بالصد وقبح
الامتناع وقرا الزهري والكسائي وغيرهما ان لا يسجدوا لله بمعنى لا يا هؤلاء اسجدوا الا ان
يا يها الرجل ويها الاسماء دون الافعال وانشد سيبويه

يا لعنه الله والاقوام كلهم ... والصالحين على سمعان من جار

قال سيبويه يا لعنه لا يحل وكان للعنه نصبها لا يمكن يغير منادي مضافا ولكن
تقديره يا هؤلاء لعنه الله والاقوام على سمعان وحمل بعضهم سما عا على العرب الا يا رحموا
الا يا صدقوا يريدون الا يا قوم ارحموا اصدقوا فما قبل منه القراءه اسجدوا في موضع
جزم بالامر والوقف عليه الايا تم بتدئ فيقول اسجدوا قال الكسائي ما كنت
اسمع الاشياخ يزدونها الا بالتخفيف على بنيه الامر وفي قراءه عبد الله فلا يسجدون
لله بالياء والنون وفي قراءه ابي الا يسجدون له فهذه القراءات تحقق
الزجاج وقراءه التخفيف وجهه حسن لان فيه انقطاع الخبر عن امر سبأ ثم يرجع
بعد الى ذكرهم والقراءه بالتشديد جر يتبع بعضه بعضا لا انقطاع في وسطه

وكذه قال النحاس قال قراه التخفيف بعيده لان الكلام يكون معترضا وقراه التشديد
يكون الكلام بها متصلا وايضا فان الشواذ على غير هذه القراه لانه قد حذف منها الف ان
وانما يحذف مثل هذا الحذف الف واحده نحو يا عيسى بن مريد ن ابن الانباري وسقطت
الف اسجدوا كما سقط مع هولاي اذا الحمر ولما سقطت الف يا واتصلت بها الف
اسجدوا سقطت بعد سقوطها دلاله على الاحتضار وايثارا لما يخف وتقل الفاظه
وقال الجوهري اخر كتابه قال بعضهم ان با في هذا الموضع انما هو للتنبيه كانه
قال الا اسجدوا فلما دخل عليه يا للتنبيه سقطت الالف التي في اسجدوا لانها الف
وصل وذهبت الالف التي في يا لاجتماع الساكنين لانها والسين ساكنان قال ذو الرمه

الا يا اسلمي يا دارمي على البلى ولا زال منهلا بجرعائك القطر

وقال الزجاج هو كلام معترض من الهدهد او سليمان له من قوله الا يسجدوا
كقوله قل للذين امنوا يغفروا قيل انه امر ابي ليغفروا ويشتمل على هذا دلاله للصحابي ليس
هنا ذا قال ابن عطيه قيل هو من كلام الهدهد الي قوله عظيم وهو قول ابن يزيد وابن اسحق
ويعترض بانه غير مخاطب فكيف يتكلم في معنى شرع ويحتمل ان يكون من فعل سليمان لما اخبره
الهدهد عن القوم ويحتمل ان يكون من الله تعالى فهو اعتراض بين الكلامين وهو الثابت
مع التامل للتشديد فان لا يقطع ان الكلام للهدهد وقراه التخفيف تمنعه
والتخفيف يقتضي الامر بالسجود لله عز وجل للامر على ما بيناه وقال الزمخشري
فان قلت اسجده التلاوه في القرآن جميعا ام في احدها قلت هي واجبه
فيها جميعا لان موضع السجده اما امر بها او مدح لمن اتى بها او ذم لمن تركها واحد القرآن
امر بالسجود والاخر ذم للتارك قال مولفه رضي الله عنه وقد اخبر الله عن الكفار
بانهم لا يسجدون كما في الانشقاق ويجب النبي صلى الله عليه وسلم كما ثبت في صحيح البخاري
وغيره فكذلك التالي والله اعلم ○ الزمخشري ما ذكره الزجاج من وجوب السجده مع التخفيف
دون التشديد فغير مرجوع اليه الذي يخرج الخبء اي يظهر ما قد خبا
كونها وبانها وقال قتاده الخبء المطر النحاس وهذا اولي اي ما غاب
في السموات والارض ويدل عليه ما يخفون وما يعلنون وقراعكرمه ومالك

ابن دينار الخب بفتح الباء من غير همز قال المهدوي وهو التخفيف القياسي وذكر من
ترك الهمز في الوقف وقال النحاس وحكى ابو حاتم ان عكرمه قرا الذي يخرج الخبا
بالف غير مهموزه ونعم ان هذا لحن في العربيه واعتل بانه ان خفف الهمزه التي حركتها
على ما قبلها وحذفها فقال الخب في السموات والارض وانما ان حول الهمزه قال الخفي باسكان
الباء وبعدها با قال النحاس وسمعت علي بن سليمان يقول سمعت محمد بن يزيد
يقول كان ابو حاتم دونا صحابه في النحو ولم يلحق بهم الا انه اذا خرج من بلده لم يلحق
اعلم منه حكى سيبويه عن العرب اما تبدل من الهمزه الفا اذا كان قبلها ساكن وكانت مفتوحه
وتبدل منها يا اذا كان قبلها ساكن وكانت مكسوره فتقول هذا راسو ومررت براسي
ورايت راسا وهذا مرء وبيت في بيه وكذلك الخبو ومجيت من الخبي ورايت الخبا وانما
فعلوا هذا لان الهمزه حقيقه فابدل منها هنا الحرف الذي يسيوبه عن قوم من
بني تميم وبني اسد انهم يقولون هذا الخبو فيضمون الساكن اذا كانت الهمزه مضموم ما قبله
ويثبتون الهمزه ويكسرون الساكن اذا كانت الهمزه مكسوره ويفتحون الساكن اذا كانت الهمزه
مفتوحه وحكى سيبويه ايضا انهم يكسرون وان كانت الهمزه مضموم ما قبلها
عن بني تميم فيقولون الوديي ويزعم انهم لم يضموا الالف الا انهم كرهوا ضم ما قبلها
كسره لانه ليس في الكلام فعل وهذه كلها لغات داخله على اللغه التي قراها
الجماعه وفي قراه عبد الله الذي يخرج الخبء من السموات ومن وفي بيتا قيان
تقول العرب لاستخرجن العلم منكم يريد عنكم قاله القراء ويعلم ما يخفون
وما يعلنون قراه العامه فيها بتا الغايب وهذه القراه تعطي ان الايه
من كلام الهدهد وان الله تعالى خصه من المعرفه بتوحيده ووجوب السجود له
وانكار جحودهم للشمس واضافته للشيطان وتزيينه لهم ما خص به عنه من
البطون وسائر الحيوان من المعارف اللطيفه التي لا تنال بالعقول الراجحه
الثاقبه لها وقرا الحديدي وعيسى بن عمر وحفص والكسائي تخفون وتعلنون
بالتا على الخطاب وهذه القراه تعطي ان الايه من خطاب الله عز وجل لامه محمد
صلى الله عليه وسلم ○ الله لا اله الا هو رب العرش العظيم قرا ابن محيصن

العظيم رفعا نعتا لله والباقون بالخفض نعتا للعرش وخص بالذكر لانه اعظم
المخلوقات وما عداه في ضمنه وفضيلته الثالثة عشرة قوله تعالى سننظر
الذي هو التامل والتصفح اصدقت ام كنت من الكاذبين في مقالتك وكنت
بمعنى اثبت وقال سننظر اصدقت ولم يقل سننظر هل ادركك لان الهدهد لما صرح
بعجز المعلم في قوله احطت بما لم تحط صرح له سليمان انه سينظر اصدقت
ام كذبت فكان ذلك اوفق لما قاله الرابعة عشرة في قوله سننظر
اصدقت ام كنت من الكاذبين دليل على ان الامام يجب عليه ان يقبل عذر
رعيته ويدرا العقوبة عنهم في ظاهر احوالهم بباطن اعذارهم لان سليمان لم
يعاقب الهدهد حين اعتذر اليه وانما صار صدق الهدهد عذرا لانه اخبر
بما يقتضي الجهاد وكان سليمان حبب اليه الجهاد وفي الصحيح لا احد احب اليه
العذر من الله من اجل ذلك بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وقد قبل
عمر عذر النعمان بن عدي ولم يعاقبه ولكن للامام ان يمتحن ذلك اذا تعلق
به حكم من احكام الشريعة كما فعل سليمان فانه لما قال الهدهد اني وجدت
امراة تملكهم واوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم لم يستفزه الطمع ولا استحوذ
حب الزيادة في الملك ان يعرض له حين قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس
من دون الله فعاجله بجيش ما سمع وطلب الا ينتهي اليه اخبر وتحصيل علم ما
غاب عنه من ذلك فقال سننظر اصدقت ام كنت من الكاذبين وتحومه ما
رواه الصحيح عن المسور بن مخرمة حين استشار عمر الناس في اسلاب المراة
وهي التي ضربطها فقتلي جنبها فقال المغيرة بن شعبة شهدت النبي صلى الله
عليه وسلم اعطاه سلبه فقال عمر ابتي لمن يشهد معك قال فسكت
فشهد له محمد بن مسلمة وفي رواية قال لا ينزح حتى تاتي بالمخرج من ذلك
فخرجت فوجدت محمد بن مسلمة فجيت به فشهد بنحو حديث ابي موسى في
الاستيذان وغيره الخامسة عشرة قوله اذهب بكتابي هذا

فالقه اليهم قال النحاس ومنا عند النحويين لا يجوز الا على حيله بعيده تكون
بقدر الوقف وسمعت علي بن سليمان يقول لا يلتفت الى هذه العله ولو جاز
ان يقبل ويبني الوقف بجاز ان يحذف الاعراب من الاسماء قال النحاس على القطع
الجمع ولم يقل ابلغها لانه قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس
الى الذين هنا دينهم اهتماما منه بامر الدين واستهلا لامر غيبه وبني الخطاب
في الكتاب على لفظ الجمع لذلك وروي في قصص هذه الاية ان الهدهد دخل
فالق دون هدة الملكة حجب حذران فعمد الى كوة كانت بقيس صنعتها لتدخل
منها الشمس عند طلوعها لبعض عبادتها اياها فدخل منها ورمى الكتاب
على بلقيس وهي في رويي نائمة فلما انتبهت وجدته فراعها وظنت انه
قد دخل عليها احد ثم قامت فوجدت حالها كما عهدت فنظرت الى الكوة
فسدها بامر الشمس فرات الهدهد فعلمت وقالوهب وابن زيد كانت لها كوة
تطلع الشمس فاذا طلعت سجدت فسدها الهدهد بجناحه فارتفعت الشمس
ولم تعلم فلما استطالت الشمس قامت تنظر فرما بالصحيفة اليها فلما رات
الخاتم ارتعدت وخضعت لان ملك سليمان عليه السلام كان في خاتمه فزاعة
لجمعت الملائكة من قومها فخاطبتهم بما بانى بعد وقال ابن اسحاق حمل الهدهد
الكتاب بمنقاره وطار حتى وقف على راس المراة وهو لها الجنود والعساكر
فزعزعت سامعه والناس ينظرون اليه فرفعت المراة راسها فالقى الكتاب في
حجرها السادسة عشرة في هذه الاية دليل على ارسال الكتاب الى المشركين
وتبليغهم الدعوة ودعائهم الى الاسلام وفتك النبي صلى الله عليه وسلم الى كسرى
وقيصر وفي كل جبارة تقدم في ال عمران السابعة عشرة وان منه عند
قوله تعالى ثم تولى عنهم امره بالتولي حسن ادب لينتحي حيث يتاديب به مع الرسول
بعيد وكر فريبا حتى يرى ما جعتهم قاله وهب بن منبه وقال ابن زيد
امره بالرجوع اليه ايالفه وارجع قال وقوله فانظر ماذا يرجعون في معنى
التعذير على قوله ثم تول وفي خلال ذلك فانظر ايا تشطر وقيل فاعلم

كقوله يوم ينظر المرء ما قدمت يداه اي اعلم ما ذا يرجعون اي يجيبون
او ما يردون من القول وقيل فانظر ما ذا يراجعون بينهم من الكلام
والله الموفق للصواب قوله تعالى

يا ايها الملا اني القي الي كتاب كريم

وفيه ست مسايل الاولى قوله تعالى قالت يا ايها الملا اني القي الي كلام حذف
والمعنى فذهب فالقاه اليهم فسمعها تقول يا ايها الملا انم وصفت الكتاب بالكرم
اما لانه من عند عظيم في نفسها ونفوسهم فعظمته اجلالا لسليمان عليه السلام
وهذا قول ابن زيد واما انها اشارت الى انه مطبوع عليه بالخاتم وكرامه
الكاتب ختمه روي ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لانه بدا فيه
بسم الله الرحمن الرحيم وقول صلى الله عليه وسلم كل كلام لا يبدا فيه بسم الله فهو
اجذم وقيل لانه بدا فيه بنفسه ولا يفعل ذلك الا الجله وفي
حديث ابن عمر انه كتب الى عبد الملك بن مروان يبايعه من عبد الله لعبد
الملك بن مروان امير المومنين اني اقر لك بالسمع والطاعه ما استطعت
وان بني وفدا فرقوا لك بذلك وقيل لوجهين انه كان جامعا لكتب
الموصل طيا وقيل كريم حسن كقوله ومقام كريم اي مجلس حسن وقيل
وصفه بذلك لما تضمن من لين القول والموعظه في الدعا الى عباده الله جل
وعز وحسن الاستظهار والاستلطاف من غير ان يتضمن شيئا لا لعنا ولا ما
يغير النفس من غير كلام نازل ولا مستغلق على عباده الرسل في الدعا الى الله
عز وجل الا تري الى قول الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم ادع الى سبيل
ربك بالحكمه والموعظه الحسنه وقوله لموسى وهرون فقولا له قولا لينا
لعله يذكر او يخشى وكلها وجوه حسان وهذا احسنها وقد روي انه لم يكتب
بسم الله الرحمن الرحيم احد قبل سليمان وفي قراءه ابي وانه من زياده واو
الثانيه الوصف بالكرم في الكتاب غايه الوصف الا تري قوله

تعالى وانه لقرآن كريم وما هل الزمان يصفون الكتاب بالخط والاثر والمرور
وان كان لملك قالوا العزيز واسقطوا الكريم عمله وهو افضلها خصله
فاما الوصف بالعزيز فقد وصف به القرآن فقال تعالى وانه لكتاب عزيز فهذه
عزته وليست لاحد الا له فاحسبوه في كتبكم واجعلوا بدله العالي توقيعه تحت
الولايه وحياطه الديانه قاله القاضي ابو بكر بن العربي ان تكن
كان رسم المقتضين اذا كتبوا ان يبدوا بانفسهم فلان الى فلان وبذلك جاءت
الآثار وروى الربيع عن انس قال ما كان احد اعظم حرمه من النبي صلى الله
عليه وسلم وكانوا اصحابه اذا كتبوا بدوا بانفسهم وقال ابن سيرين قال النبي
صلى الله عليه وسلم ان اهل فارس اذا كتبوا بدوا بعظمايهم فلا يبدا الرجل
الا بنفسه قال ابو الليث في كتاب البستان له ولو بدا بالمكتوب اليه جاز
لان الامه قد اجتمعت عليه وتقلوه لصلحه وادعى في ذلك اجماع
قبل والاحسن في زماننا هذا ان يبدا بالمكتوب اليه ثم بنفسه لان البدايه
بنفسه استخفاف بالمكتوب اليه وتكبر عليه الا ان يكتب الى عبد من عبيده
او غلام من غلمانه الرابعه واذا ورد على انسان كتاب بالنجيه
ونحوها ينبغي ان يرد الجواب لان الكتاب من الغايبين كالسلام من الحاضر وروي
عن ابن عباس انه كان يرى رد الكتاب واجبا كما يرى رد السلام والله اعلم
الكاتبه والقعوا على كتبكم بسم الله الرحمن الرحيم في اول الكتب والرسايل
وعلى ختمها لانه ابعد من الريبه وعلى هذا جرى الرسم وبه جاء الاثر عن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه انه قال ايما كتاب لم يكن مختوما فهو عليف وفي الحديث
كرم الكتاب ختمه وقال بعض الادباء من كتب الى اخيه كتابا ولم يختمه فقد
استخف به لان الختم حتم وقال انس لما اراد النبي صلى الله عليه وسلم
ان يكتب الى العجم فقيل له انهم لا يقبلون الا كتابا عليه ختم فاصطنع
خاتما ونقش على فصه لا اله الا الله محمد رسول الله فكاني انظر الى بريقه
وبياضه في كفه السادسه قوله تعالى انه من سليمان وانه

بسم الله الرحمن الرحيم وانه بالكسر فيها اي وان الكلام او ان ابتدآ الكلام
بسم الله الرحمن الرحيم واجاز الفرا انه من سليمان وانه يفتحها جميعًا على ان يكونا
في موضع رفع بدل من الكتاب بمعنى الي الي انه من سليمان واجاز ان يكون في موضع
نصب على حذف الخافض اي لانه من سليمان ولانه كما علمت كريمة مكتوبة
من سليمان ونصديره بسم الله وقرا اشهب العقيلي ومحمد بن السميفع الا تعلوا
بالعين المعجمة وردي عن وهب بن منبه من غلا يغلو اذا جاوز وتكبر وهي راجعة
الي معنى قراءة الجماعة وانوني مسلمين اي منقادين طايعين موحدين
قوله تعالى

يا ايها الملا افتوني في امري

فيه ثلاث مسايل الاول قوله تعالى قالت يا ايها الملا افتوني في امري
الملا اشراف القوم وقد مضى في البقرة القول فيه قال ابن عباس كان تحتها
الف قبيل وقيل اثنا عشر الف مع كل قبيل ما بين الف والقبيل الملك دون
الملك الاعظم فاخذت في حسن الادب مع قومها وشاورتهم في امرها واعلمتهم ان
ذلك مما لا بد منها في كل امر يعرض لهم قولها ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون
فكيف في هذه النازلة الكبرى فراجعها الملا بما يزعجها من اعلامهم اياها
بالقوة والباس ثم سلموا الامر الى نظرها وهذه محاورة حسنة من الجميع قال
قتادة ذكر لنا انها كانت تلي ملكها بنيابة وثلاث عشرة رجلا من اهل مشورتها
كل واحد منهم على عشرة الاف الثالثة في هذه الآية دليل على صحة
المشاورة وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وشاورهم في الامر في آل
عمران اما استخانه بالآراء او سدادا للاولياء وقد مدح الله تعالى الفضلا
بقوله وامرهم شورى بينهم فالمشاورة من الامر الخطير وخاصة في الحرب

هذه للفتيا امراة جاهلية كانت تعبد الشمس قالت يا ايها الملا افتوني في
امري ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون لتخبرهم عزمتها على قتاله وما عندها
وحزمها فيما يقيم امرها وامضائها على الطاعة لها لعلمها بانهم لم يبذلوا انفسهم
واموالهم ودمايهم دونها لم يكن لها طاقة بقتاله وعدوها وان لم يجتمع
امرهم وحزمهم وحدهم كان ذلك عونا لعدوهم عليهم وان لم تخبره ما عندهم
ونعلم قدر عزمهم لم تكن على بصيرة من امرهم وربما كانوا ستبدادها
في رايها وهنا في طاعتها وحيلة في تدبيرها بهم وكانت في مشاركتهم
واخذ رايهم عونا على ما تريده من قوة شوكتهم وشدة مدافعتهم الا تري
الى قولهم في جوابها نحن اولو قوة واولو باس شديد قال ابن عباس
كان من قوة احدهم انه يركض فرسه حتى اذا احتضم فخذيه لحبسه يقوته
الثالثة قوله تعالى والامر اليك فانظري ماذا تامرين سلموا الامر
الى نظرها مع ما اظهروا لها من القوة والباس والشدة فلما فعلوا ذلك
اخبرت عند ذلك بفعل الملوك بالقرى التي يتغلبون عليها وفي هذا الكلام
خوف على قومها وحيطة لهم واستعظام لامر بلقيس ان عليه السلام وكتابه
يفعلون قيل هو من قول بلقيس تاكيد للمعنى الذي اراده ثم قال ابن عباس
هو من قول الله جل وعز معرفا لمحمد صلى الله عليه وسلم وامته بملكه ومخبرا به
قال وهب لما قرات عليهم الكتاب لم تعرف اسم الله فقالت ما هذا
فقال بعض القوم ما نظن هذا الا عفريت عظيم من الجن يقتدر به هذا
الملك على ما يريد فسكتوه وقال الاخيار انتم ثلاث من العفاريت فسكتت
فقال شاب قد علم يا سيدة الملوك ان سليمان ما نعاه الله ملك السما
ملكا عظيما فهو لا يتكلم بكلمة الا بدايتها باسم الاهه والله اسم ملك السما
والرحمن الرحيم بعونه فعندها قالت افتوني في امري فقالوا نحن اولوا

قوه في القتال واولوا باس شديد وقوه في الحرب واللقا والامر اليك ردوا
امرهم اليها لما جربوا عليها بايها من البركه فانظري ماذا تامرين فقالت ان
الملوك اذا دخلوا قريه افسدوها وخربوها وجعلوا اعزه اهلها اذله
اما نحن اشرافها لتستقيم لهم الامور فصدق الله قولها فقال وكذلك يفعلون
قال الانباري وجعلوا اعزه اهلها اذله هذا وقف تام فقال الله
عز وجل محققا لقولها وكذلك يفعلون وصيه به في سوره الاعراف قال
الملا من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم وتسد
الكلام ثم قال فرعون فماذا تامرون وقال ابن شجره هو من قول بلقيس
كالوقف وكذلك يفعلون اي وكذلك يفعل سليمان اذا دخل بلادنا
قوله تعالى

واني مرسله اليهم بهديه

فناظره بم يرجع المرسلون

فيه ست مسايل الاولى قوله تعالى واني مرسله اليهم بهديه
هذا من حسن نظرها وتدبيرها اي آتي لعلي بهذا الرجل بهديه واعطيه فيها
نفايس الاموال واغريه عليه باموري لملكه فان كان ملكا دنيويا ارضاه المال
وعملنا معه بحسب ذلك وان كان نبيا لم يرضه المال ولا زمنا في امر الدين
فسنغني ان نؤمن به ونتبعه على دينه فبعثت اليه بهديه عظيمه اكثر اساس
في تفصيلها فقال سعيد بن جبير وابن عباس ارسلت اليهم لبنه من
ذهب فان الرسل اذا ذهب نصف عندهم ما جاوابه فقال مجاهد
ارسلت اليهم ثمانين غلاما وثمانين جاريه وروي عن ابن عباس ايضا عشر وصفه
مذكرين فقالت لهم ان لي الغلمان فاتي عشر غلاما مؤنثين فقالت لهم زي
الجواري وعلي بدي الوصايف الطيب والمسك والعنبر واتي عشر بخيه تحمل لبن

النهب وخمر تين احداهما عنبيه مثقوبه والاخري مثقوبه ثقبا معوجا وبقدح
لا شي فيه وعصا كان بتوارثوها ملوك حمير وانفذت الهديه مع جماعه من قومها
وقيل كان الرسول واحدا ولكن كان له صحبه اتباع وخدم وقال ارسلت
رجلا من اشراف قومها ويقال له المنذر بن عمرو وضم اليه رجالا ذوي رأي
وعقول والهديه مايه وصيف ومايه وصيفه فتخولف بينهم في اللباس
وقالت للغلمان اذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام فيه تانيث شبه كلام النسا وقالت
للجواري كلمنه بكلام فيه غلظ شبه كلام الصبيان الرجال فيقال ان الهدهد
جا فاخبر سليمان بذلك كله فامر سليمان عليه السلام ان يبسط من موضعه الى
تسع فراسخ بلبنات الذهب والفضه ثم قال للشياطين اي الدواب ايتم احسن
في البر والبحر قالوا يا نبي الله رايتني بحر كذا دواب منظمه الوانها لها اجنحه
واعراف ونواصي فامرها فجاءت وشتت على يمين الميدان وعلى يساره وعلى
لبنات الذهب والفضه والوانها عمدا فانها ثم قال للجن علي باولادكم وهم
على احسن ما يكون من الشباب وافاهم عن يمين الميدان ويساره ثم قعد سليمان
عليه السلام على كرسيه في مجلسه ووضع له اربعه الاف كرسي من الذهب عن يمينه
ومثلها عن شماله واجلس عليها الانبيا والعلما وامر الشياطين والجن ان يصطفوا
صفوفا فراسخ وامر السباع والوحوش والهوام والطير فاصطفوا فراسخ عن يمينه
وشماله فلما دنوا القوم من الميدان ونظروا الى ملك سليمان راوا الدواب التي لم تر
اعينهم احسن منها تزول على لبنات الذهب والفضه فاحضرت اليهم انفسهم
ورسوا ما معهم من الهدايا وفي بعض الروايات ان سليمان لما امرهم بفرش الميدان
لبنات الذهب والفضه امرهم ان يزكوا على طريقهم موصفا على قدر موضع
بساط من الارض غير مفروشه فلما مروا بها خافوا ان يهبطوا بذلك فطرحوا
ما معهم من ذلك المكان فلما راوا الشياطين راوا منظرا هايلا فصبغا فزعوا
وخافوا فقالت لهم الشياطين جودوا الاباس عليكم فكانوا يمرون على كردوس

من الانس والجن والبهايم والهوام والطير والسباع والوحوش حتى وقفوا بين يدي سليمان
عليه السلام فنظر اليهم سليمان نظرا حسنا بوجه طلق وقد كانت قالت لرسلها
ان نظر اليكم نظرا مغضبا فاعلموا انه ملك فلا يهولنكم منظره فانا اعز منه وان رأيتموه
بشا لطيفا فاعلموا انه نبي مرسل فتفهموا قوله وردوا الجواب واخبل الهدهد سليمان
بذلك قبلي ما تقدم وكانت عمدت الى حقة من ذهب فجعلت فيها دره يتيمه غير
مثقوبه وخرزه معوجه الثقب وكتبت كتابا مع رسولها تقول فيه ان كنت
نبيا فميز بين الوصفا والوصايف واخبرني بما في الحقه وعمدت الى اسل العصا من اسفلها
واثقبت الدره ثقبا مستويا وادخل خيط الخرزه واملا القدح ما من ندا ليس من الارض
ولا من السما فلما وصل الرسول ووقفوا بين يدي سليمان عليه السلام اعطاه الكتاب فنظر
فيه وقال اين الحقه فاتي بها فحركها فاخبره جبريل بما فيها ثم اخبرهم سليمان فقال
له الرسول صدقت فاثقب الدره وادخل الخيط في الخرزه فسأل سليمان الجن والانس عن
ثقبها فعجزوا فقال للشياطين ما الذي فيها فقالوا ارسل الى الارضه فخان الارضه
واخذت سمعه في فيها حتى خرجت من الجانب الاخر فقال لها سليمان ما حاجتك قالت
بصيد زبي في البحر فقال لها لك ذلك ثم قال من لهذه الخرزه يسلكها الخيط فقالت
دوده بيضا انا لها يا نبي الله فاخذت الدوده الخيط في فيها ودخلت الثقب حتى خرجت
من الجانب الاخر فقال لها سليمان ما حاجتك قالت تجعل رزقي في الفواكه
قال لها ذلك لك ثم ميز بين الغلمان فقال لصاحب امرهم بالوضوء فجعل الرجل
يجدر الماء على اليد والرجل واحدا واحدا وجعل الجواري يصببن من اليد اليسرى على اليمين
ومن اليمين على اليسرى فميز بينهم بهذا وقيل كان مع الجارية تاخذ الماء من الاناء
باحدى يديها ثم تحوله على الاخرى ثم تضرب به على الوجه والغلام كان ياخذ من الاناء
يضرب به في الوجه والجارية تصب على بطن ساعدها والغلام على ظهر الساعد
والجارية تصب الماء صبا والغلام يجدر على يديه فميز بينهم بهذا وروى بقية بن مسلم
عن سعيد بن جبير قال ارسلت بلقيس لما بيني وصفه ووصيف وقالت ان كان نبيا

فيعلم الذكور من الاناث فامرهم فتوضأوا فمن توضى منهم فبدا برفقه قيل له قال هو من
الاناث ومن بدا بكفه قبل مرفقه قال هو من الذكور ثم ارسل العصا الى الهوا فقال ايي
الراسين سبق الى الارض فهو اصلها فاخرجت جنى عرفت وملا القدح من
عرفها ثم رد سليمان الهديه وروي انه لما رد الهديه عليها واخبرها رسولها بما شاهد
قالت لقومها هذا امر من السما الثانيه كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الهديه
ويثيب عليها ولا يقبل الصدقه وكذلك كان سليمان وجميع الانبيا صلوات الله عليهم اجمعين
وانما حملت بلقيس قبول الهديه اوردها علامه على ما في نفسها على ما ذكرناه من كون
سليمان ملكا ونبيا لانه قال لها في كتابه الا تعلوا علي واتوني مسلمين وهذا لا يقبل
فيه هديه ولا يوخذ عنه هديه وليس هذا من الباب الذي تعزز في الشريعه من
قبول الهديه من سبيل وانما هي رشوه وبيع الحق بالباطل وهي الرشوه التي لا تحل
واما الهديه المطلقه للتحبب والتواصل فانها جايزه من كل واحد ومن كل احد وهذا ما
لم يكن من مشرك الثالثه فان كانت من مشرك فمن اهل بلد تحيت عزيز بلد المشركين
يعني قدرهم وعطاياهم وروي عنه عليه السلام انه قبلها كما في حديث مالك عن توربن
زيد الديلي وغيره فقال جماعه من العلما بالنسخ فيهما وقال اخرون ليس فيهما ناسخ
ولا منسوخ والمعنى فيهما ان الكفار لا يقبل هديه من يطمع بالظهور عليه واخذ بلده ودخوله
في الاسلام وهذا صفه كانت حاله سليمان عليهما السلام فعلى مثل هذا فلا يمتنع
قبول هديته حملا على الكف عنه وهذا احسن تاويل العلما في هذا لانه فانه جمع بين
الاحاديث وقيل هذا الرابعه الهديه مندوب اليها وهي ما نورث
المودة وتذهب العداوة وروي مالك عن عبد الله بن عطا الخراساني قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تهادوا فان الهديه تذهب الغل وتهادوا تحابوا وتذهب الشحنا
وروي معاويه بن الحكم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تهادوا فانه
يذهب بغوايل الصدر قال الدارقطني تفرد به ابن بكير عن ابيه عن مالك ولم يكن بالرضي
ولا يصح عن مالك ولا عن الزهري وعن ابن شهاب قال بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال لها دواسيكم فان الهديه تذهب السخيمه قال ابن وهب سالت يونس عن السخيمه
ما هي فقال الغل وهذا الحديث وصله الوقاصي عمر بن الرهري وهو ضعيف
وعلي اكمله فقد ثبت ان النبي صلي الله عليه وسلم يقبل الهديه ويثيب عليها
ونرفض قبول الهديه مع اتباع السنه انها تزيل حزازات النفوس وتكسب
المهدي اليه رغبه في اللقاء والكلوس ولقد احسن من قال

هدايا الناس بعضهم لبعض تولد في قلوبهم الوصالا
وتزرع في الضمير هوي وودا وتكسبهم اذا حضروا اجالا

وقال اخر ان الهدايا للهاظ اذا وردت احصى من الاذن عند الوالد الحدب

الخامسه وروي عن رسول الله صلي الله عليه وسلم انه قال حلبوا وكسروا
تزدادوا في الهديه واختلف في معناه فقيل هو محمول علي ظاهره وقيل
يثار كم علي وجه الكرم والمروه فان لم يفعل فلا اجر عليه وقال ابو يوسف
ذلك العوائد ونحوها وقال بعضهم هو شرط اوه في السرور لا في الهديه والاجر يحول
في مثل اصحاب الصفه والخوانق والرباطات واما اذا كان يقسمها من الفتها اختص
بها فلا شرط فيها لاصحابه فان اشركهم فذاك كرما وجودا منه السادسه
قوله تعالي فناظره اي منتظره بم يرجع المرسلون قال قتاده رحمه الله ان
كانت لعاقله في اسلابها ونشركها فقد علمت ان الهديه تقع موقعا من الناس وسيقت
الالف واللام للفرق بين الجزيه وقد تجوز اثباتها قال

علي ما قام يشتمني لئيم كخنزير يتمرغ في رماد

قوله تعالي

فلما جاء سليمان

اي جاء الرسول سليمان بالهديه قال المدوني بمال فراجره ويعقوب والاعمش
بنون واحده مشدده وبا تابيه بعدها الباقون بنون ومد اخبار بي عبد

لانها في كل المصاحف بنونين وقد روي ابن سحنون عن نافع انه كان يقرا المدون نون واحده
محققه بعدها با في اللفظ قال ابن الانباري هذه الروايه يجب بها ثبات الالف عند
الوقف ليصح لها موافقه هجا المصحف والاصل في النون التشديد فخفف التشديد
من ذا الوضع كما خفف من اشهد انك عالم واصله انك عالم وعلي ذا المعني يزيل الذين
فرايتمانون فيها انكم جون في الله وقد قال العرب الرجال ليضربون ويقصدون
واصله يضربوني ويقصدوني لانها ادغام يضربني ويقصدني وقال
الشاعر ترهبني والجيد مثل الليل والحتف والغمام والعثاث
والاصل ترهبيني فخفف ومعني اتمدونني اتزيدونني مالا الي ما
بيتا هدونه من اموالي فقوله تعالي فما اتاني الله خير مما اتاكم اي اعطاني
من الاسلام والملك والنبوه خير مما اتاكم فلا افرح بالمال وان وقعت
في كل المصحف بغير يا وقرا ابو عمرو ونافع وحفص اتاني الله
بيا مفتوحه فاذا وقفوا حذفوا واما يعقوب فانه يثبتها في الوقف
ويحذف في الوصل لالتقا الساكنين ٥ الباقون بغير يا في الحالين بل
انتم بهديتكم تفرحون لانكم اهل مفاخره ومكاثره في الدنيا فقوله
تعالي ارجع اليهم اي قال سليمان للمندر بن عمير وامير الوفد ارجع اليهم
بهديتهم فلنا ينتهم بجنود لا قبل لهم بها لام قسم والنون لها لازمه قال
الخاسر وسمعت ابا الحسن بن كيسان يقول هي لام توكيد ولو كان عنده
ان اللامات كلها ثلاث لاغير لام توكيد ولام امر ولام حفص وهذا قول الحذاق
من النحويين لانهم يردون الشي الي اصله وهذا لا يتهيا الا لمن درب في العربيه
ومعني لا قبل لهم بها اي لا طاقه لهم عليهم ولنخرجنهم منها اذله اي من ارضهم اذله
وهم صاغرون وقيل منها اي من قريه سبا وقد سبق ذكر القريه في قوله
ان الملوك اذا دخلوا قريه افسدوها وجعلوا اعزه اهلها اذله فقد سلبوا
ملككم وعزهم فهم صاغرون اي مهانون اذلا من الصغر وهو الذل فان
لم يسلموا نرجع اليها رسولها فاخبرها فقال فذ عرفت انه لا يدين لملك ولا طاقه

لنا بقتال ابني من أبنيا الله ثم امر من بعرشها فجعل في سبعه ابيات بعضها في جوف
بعض في اخر قصر من سبع قصور لها وغلقت الابواب وجعلت الحرس وتوجهت
اليه في اثني عشر الف قيل من ملوك اليمن تحت يد كل قيل ما يه الف قال ابن عباس
وكان سليمان مهيبا لا يبتدا شيا حتى يسال عنه فنظر ذات يوم رهجا قريبا
منه فقالوا لبلقيس يا بني الله فقال سليمان لجنوده وقال وهب وعبره للجن
ايكم يا تيني بعرشها قبل ان يا توني مسلمين وقال عبد الله بن شداد كانت بلقيس
على فرسخ من سليمان لما قال ايكم يا تيني بعرشها وكانت حلفت عرشها بسبا وكلت به
حفظه
وقيل انها لما بعثت بالهديه بعثت رسلها وعندها لتقاصر سليمان عليها السلام
بالقتال قبل ان ياتيه سليمان لان كان نطا له ملك فلما علم ذلك قال ايكم يا تيني بعرشها قال
ابن عباس كان امره بالاتيان بالعرش قبل ان يكتب الكتاب اليهم ولم يلبث اليها حتى
جا العرش قال ابن عطيه وظاهر هذه الايات ان هذه المقاله من سليمان عليه
السلام هي بعد مجي الهدهد ورد نه اياها وبعثته الهدهد بالكتاب وعلى هذا
جمهور المتاولين واختلفوا في قايله استدعا عرشها فقال قتاده ذكر له بعظم
جوده فاراد اخذه قبل ان يعصيها هي وقومها الاسلام فيحمي اموالهم والاسلام
على هذا الدين وهو قول ابن جريج وابن زيد استدعاه ليريها القدره التي هي من
عنده ويجعلها دليلا على نبوته لاخذه من ثقاتها دون حيرة ولا حرب ومسلمين
على هذا التاويل بمعنى مستسلمين مسلمين وهو قول ابن عباس وقال ابن زيد
ايضا اراد ان يختبر عقلها ولهذا قال نكروا لها عرشها ننظر اتهتدي وقيل خافت
الجن ان يتزوج بها سليمان عليه السلام فيولد له منها فلا يزالون في السخره واخذ منه
نسل سليمان فقالت لسليمان في عقلها خللا فاراد ان يختبرها بعرشها وقيل
ان يختبر صدق الهدهد في قوله لها عرش عظيم قاله الطبري وعن قتاده
احب ان يراه لما وصفه الهدهد والقول الاول عليه اكثر العلما لقوله تعالى قبل
ان ياتوني مسلمين ولانها لو اسلمت لحظر عليه مالها فلا يبقى به الا بانها روي انه كان لها
فضه وذهب مرصعا بالياقوت والجوهر لانه كان في جوف سبعه ابيات عليه

قال عفريت من الجن

كذا قرا الجمهور وكذا قرا ابو حيوة وعيسى الثقفي عفريه وروي عن ابي بكر الصديق
رضي الله عنه وفي الحديث ان الله يبغض العفريه النفريه اتباع لعفريه قال
قتاده هي الداهيه قال النحاس يقال للشديد اذا كان معه دها وجبت عفد
وعفريه وعفريت وعفاريه وقال عفريت اي ريبس وفزان وفرقه قال عفد
كبير العين قال ابن عطيه حكاه النحاس من قال عفريه جمعه على عفار ومن قال
عفريت حكاه له في الجمع ثلاثه اوجه ان شا قال عفاريت وان شا قال عفار
لان الياء زايده كما يقال طواغ في جمع طاغوت وان شا عوض من الياء فقال
عفاري والعفريت من الشياطين القوي المارد والياء زايده وقد قالوا
تعفرت الرجل اذا خلق خلق الاذايه قال وهب بن منبه اسم هذا العفريت
كودن ذكره النحاس وقيل ذكوان ذكره السهيلي وقال شعيبا كما في اسمه
دعوان وروي عن ابن عباس انه صخر الجني ومن هذا الاسم قول ذي الرمه

كانه كوكبا في اثر عفريه مصوب في سواد الليل منقضب

وانشد الكسايي فقال شيطان لهم عفريت مالكم مكث ولا مبيت
وفي الصحيح عن ابي هريره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عفريتا من
الجن جعل يفتك علي البارحه ليقطع علي الصلاه وان الله تعالى امكنني منه فذعته
وذكر الحديث وفي البخاري تفلت علي البارحه مكان جعل يفتك وفي
الموطا عن يحيى بن سعيد انه قال اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من ابي عفريتا
من الجن يطيف به بشعله من نار كلما التفت رسول الله صلى الله عليه وسلم راه فقال
جبريل افلا اعلمك كلمات تقولهن اذا قلتهن طفيت شعلته وخر لفيه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بل فقال قل اعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات الله
التامات اللاتي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السما وما يعرج فيها
وشر ما يخرج منها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل الا طارقا يطرق

يجر يا رحمن قوله تعالى

انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك

يعني مجلسه الذي يحكم فيه واني عليه لقوي امين اي قوي على حمله امين
على ما فيه ابن عباس امين علي فرج المرآة ذكره المهدوي وقال سليمان
اريد اسرع من ذلك فقال الذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد
اليك طرفك ن اكثر المفسرين على ان الذي عنده علم من الكتاب اصف بن برخيا وهو من
بني اسرائيل وكان صديقا يحفظ اسم الله الاعظم الذي اذا دعا الله به اجاب
واذا سئل به اعطى وقالت عايشة رضي الله عنها قال النبي صلى الله عليه وسلم ان اسم الله
الاعظم الذي دعا به اصف يا حي يا قيوم قيل وهي بلسانهم اميا شراميا وقال الزهري
دعا الذي عنده اسم الله الاعظم يا الهنا واله كل شيء الها واحدا لا اله الا انت ايتني بعرشها
قبل ان يرتد اليه طرفه وقال مجاهد دعا يا الهنا واله كل شيء الها واحدا لا اله الا انت ايتني بعرشها
السهيلي الذي عنده علم من الكتاب هو اصف بن برخيا ابن خالة سليمان وكان عنده
اسم الله الاعظم من اسماء الله تعالى وقيل هو سليمان نفسه ولا يصح في سياق الكلام مثل
هذا التأويل قال ابن عطية وقالت فرقة هو سليمان عليه السلام
والمخاطبة في هذا التأويل للعفريت لما قال انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك
كان سليمان استبطأ ذلك فقال له على جهة تحقيره انا اتيك به قبل ان يرتد اليك
طرفك واستدل فاضل هذا القائله بقول سليمان هذا من فضل ربي فلت
ما ذكره ابن عطية قاله النحاس في معاني القرآن له وهو قول حسن ان شاء الله
قال بعضهم ملك ارسله الله عند قول العفريت قال السهيلي وذكر محمد بن
الحسن المقرئ انه صنبه بزاد وهذا لا يصح البتة لان صنبه هو زاد بن
طانجه واسمه عمرو بن الياس بن مضر بن نزار بن معد ومعد كان في مدة بخت
نصر وذلك بعد عهد سليمان بمدة طويلة فاذا لم يكن معد في عهد سليمان
فكيف صنبه بزاد وهو بعده بخمسة آباء وهذا بين لمن تأمله ن ابن لهيعة
هو الخضر عليه السلام وقال ابن زنباع الذي عنده علم من الكتاب رجل

صالح كان في جزيرة من جزائر البحر خرج في ذلك اليوم ينظر من سكن الارض وهو
يعبد الله عز وجل فوجد سليمان فدعا باسم الله فمحي بالعرش وقول سابع انه
رجل من بني اسرائيل اسمه ليخا كان يعلم اسم الله الاعظم ذكره القشيري وقال ابن ابي
بزة الرجل الذي عنده علم من الكتاب اسمه اسطوم كان عبدا في بني اسرائيل ذكره الزبير
وقال محمد بن المنكدر انا هو سليمان عليه السلام واما الناس يرون
انه كان معه اسم وليس ذلك كذلك انما كان رجلا من بني اسرائيل علم اناه الله علما
وفقها قال انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك قال هاتي قال اتتني الله بني الله
فان دعوت الله تجاك به فدعا الله سليمان فنجاه بالعرش وقول تاسع انه جبريل عليه
السلام قاله النخعي وروي عن ابن عباس وعلم الكتاب علي هذا علمه بكتب
الله المنزلة اوما في اللوح المحفوظ وقيل علم كتاب سليمان ان يلقيش قال ابن عطية
والذي عليه الجمهور من الناس انه رجل صالح من بني اسرائيل اسمه اصف بن برخيا
روي انه صلى ركعتين ثم قال لسليمان يا نبي الله امدد بصرك فمد بصره نحو اليمن واذا
بالعرش فارد سليمان بصره الا وهو عنده قال مجاهد هو اذا مه النظر
حتى يرتد طرفه خاسئا حسيرا وقيل اذا ما يفتح عينه ثم يطرف هو كما تقول افعل كذا
في طرفة عين وهذا اشبه لانه لو كان الفعل من سليمان لم يكن معجزة وان كان من
اصف او غيره من اولياء الله تعالى فهي كرامة وكرامة الولي معجزة النبي وقال القشيري وقد
انكر كرامات الاولياء من قال انه سليمان يعني الذي عنده علم من الكتاب قال
العفريت انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك وعند هو لا ما فعل العفريت فليس
من المعجزات ولا من الكرامات فان الجن يقدرون على مثل هذا ولا يقطع جوهر في حال
واحدة بل نتصور ذلك بان يهدم الله الجوهر في اقصى المشرق ثم يعيده في الحال
الثانية وهي الحالة التي بعد العدم في اقصى المغرب او يقدم الاماكن المتوسطة
ثم يعيد ما قاله القشيري ورواه ابن وهب عن مالك وقد قيل بل جيء به
في الهواء قال مجاهد كان بين سليمان وبين العرش كما بين الكوفة والبصرة وقال مالك كانت
بلقيس باليمن وسليمان بالشام وفي التفاسير الخرق عرش بلقيس من مكانه الذي هو ثم نبع

بين يدي سليمان قال شداد فطلع العرش من تحت الارض والله تعالى اعلم اي ذلك كان تقوله تعالى

فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي

اي هذا النظر والتمكين من فضل الله ليبلوني قال الاخفش المعنى ليبتليني الاشكام اكفر وقال غيره معنى ليبلوني لتعبدني وهو مجاوز والاصل في الابتلاء الاختبار ليخبرني اشكر نعمته ام اكفرها ومن شكر فانما يشكر لنفسه اي لا يرجع بنفع ذلك الا الى نفسه حيث استوجب بشكره تمام النعمة ودوامها والمزيد منها والشكر قيد النعمة الموجودة وبه تنال النعمة المفقودة ومن كفر فان ربي غني كريم اي غني عن الشكر كريم في التفضل تقوله تعالى

قال نكروا لها عرشها

اي غيروه قيل جعل اعلاه اسفله واسفله اعلاه وقيل غير زيادة او نقصان قال الفراء وغيره انما امر بتنكيره لان الشياطين قالوا له ان في عقلها شيئا فاراد ان يمتحنها وقيل خاف ان يتزوج بها سليمان فيولد له منها ولد فيفوت ملكه بزوال سليمان ابدا فقالوا لسليمان انها ضعيفة العقل ورجلها كرجل حمار فقال نكروا لها عرشها ليعرف عقلها وكان سليمان ناصحا من الجن فقال له كيف ان اري قديمها من غيران اسلها كشفها فقال انا احتال في هذا للفظها واحتال فوق المآ نجاجا حتى نظر انه ما فرفع ثوبها فتريني قديمها لنا هو الصرح الذي اجراه الله منه

فلما جاءت قيل أهكذا عرشك

يريد بلقيس قالت كأنه هو شبهته به لانها كانت خلفته تحت الاغلاق فلم تر بذلك ولم تنكر فعلم سليمان كمال عقلها قال عكرمة كانت تحلبه فقالت كأنه هو وقال مقاتل عرفته ولكن شبهت عليهم كما شبهوا عليها ولو قيل لها امذا عرشك قالت نعم وقاله الحسن بن الفضل ايضا وقيل اراد سليمان ان يعلمها انها لم تزل مسخرة له وكذلك الانبياء ليعرفوا نعم الله بنوه ونوه وقيل هذا من قابله نعمتها الا عرفان بالعلم والجواب واوتينا العلم من قبلها هو من قول بلقيس اي اوتينا العلم بصحة نبوة سليمان من قبل هذه الاية في العرش وكنا مسلمين منقادين لامره وقيل هو من قول سليمان اي اوتينا العلم بقدرة الله على ما ترى من قبل هذه المرأة وقيل واوتينا العلم باسلامها ومجيئها طائعة من قبل ان تجيء وقيل هو من كلام قوم سليمان والله اعلم تقوله تعالى

وصدها ما كانت تعبد من دون الله

الوقف على من دون الله حسن والمعنى منعها من ان تعبد الله ما كانت تعبد من الشمس والقمر فعلى هذا التأويل في موضع رفع من النحاس والمعنى ايضا صدها عبادتها من دون الله وعبادتها ايا ها عن ان تعلم ما علمنا ويجوز ان يكون في موضع نصب ويكون التقدير وصدها سليمان عما كانت تعبده من دون الله اي حال بينها وبينه ويجوز ان يكون المعنى وصدها الله اي منعها الله عز وجل عبادتها غيره فحذفت عنه وتعدى الفعل بنظيره واختار مويس قومه اي من قومه واشتد سيبويه به

بينت عبد الله بالجواصحت كراما موالها لبيا صميمها

وزعم ان المعنى عنده بينت عبد الله انها كانت من قوم كافرين فلما سعيدت جيبرانها بفتح الهمزة وهي في موضع نصب لمعنى انها ذو جوان يكون بدلا من ما قبلها او على ان فاعله الصد والكسر على الاستيناف تقوله تعالى

قيل لها ادخلي الصرح

التقدير عند سيبويه ادخلي الصرح فحذف الي وعدي الفعل والعباس يغلط في هذا قال لان دخل بدل على مدخول وكان الصرح صحنا من زجاج تحته ماء وفيه الحيتان

علم ليربها ملكا اعظم من ملكها قاله مجاهد وقال قتاده كان من قوارير خلقه مآ حسنه
لحجه اي ماء وقيل الصرح القصر من اي عبيده وكما قال تحسب اعلاهن الصروحا
وقيل الصرح الصحن كما يقال هذه صرحه الدار وقاعتها لمعين وحكى ابو عبيد
في الغريب المصنف ان الصرح كل بناء عال مرتفع من الارض وان الممرد الطويل الملاس
اصل هذا انه يقال لكل ما عمل عملا واحدا صرحا من علم ليس بصريح اذا لم يشبه ما ومن
قولهم صرح بالامر ومنه عربي صريح وقيل عمله ليجتبر قول الخزيبها ان اسمها
مزاخر وجدها رجل حمار قاله وهب بن منبه فلما رآت الماء فزعت وظنت
انه قصدها الغرق وتجمعت من كونه كرسبه على الماء وراءت ساقاها ولم يكن لها
بد من امتثال الامر فكشفت عن ساقيها فاذا هي احسن الناس ساقا سليمه مما قاله
الجن عيبا انها كانت كثيرة الشعر فلما بلغت هذا الحد قال لها سليمان بعد ان صرف
بصره عنها انه صرح ممرد من قوارير والممرد المحكوك الملس ومنه الامرد وممرد
الرجل اذا اطاح روح كبنه بعد اداكه قاله الفراء وسته البيحره المرد التي لا درف
عليها ورمله مرداء اذا كانت لا تنبت والمرداء الطويل وسنه قيل للحصن
مارد ن ابو صالح طويل على هيه النخله ابن شجره واسع ن طوله وعرضه قال

غدون صباحا باكرا فوجدتهم قبيل الضحى في السابري الممدد

اي الدرع الواسعه وعند ذلك استسلمت بلقيس واذعنت واسلمت وافرت
على نفسها بالظلم لها بان والاراب سليمن عليه السلام فذبحها قال الناصحه مزاخر ليف
لي ان اقلع هذا الشعر من غير مضره بالجسد فدله على النوره فكانت النوره والحمامات
من يومئذ فيما ويقال ان سليمان تزوجها عند ذلك واسكنها الشام قاله الضحاك
وقال سعيد بن عبد العزيز بن كتابا التفاشي تزوجها وردها الى ملكها باليمن
وكان باثنها على الريح كل شهر مره وولدت له غلاما سماه داود ما تنع زمانه ولي
بعض الانبياء بالنبي صلى الله عليه وسلم قال كانت بلقيس مزاحسن نساء العالمين
ساقين وهي مزارواج سليمان عليه السلام مزاجنه ذكره الطبري وذكر
الثعلبي عزابن موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اول مزاتخذ الحمامات
سليمان عليه السلام فلما الصق ظهره الى الجدار فسنه حرها فقال اواه مزعذاب الله ثم امرها

حمامات يدار فوقها على ملكها بالبرد وامر الجن فبنوا لها بلاط حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا
سحلون وشيدون وعمدان ثم كان سليمان يزورها في كل شهر مره ويقيم عندها ثلثه
ايام وحكى الشعبي ان ناسا مزحمير حفروا بئره الملوك فوجدوا فيها قبرا معقودا فيه
امراه عليها حلل منسوجه بالذهب وعند راسها لوح رخام فيه مكتوب

ايها الاقوام عوجوا معا وارتعوا اني بمقبري العجبا لتعلموا اني تلك التي فتكت ادعى الدهر بلقيسا
شيدت قصر الملك في حمير فوتي وقد ملكت مانوسا وكنت في ملكي وتدبيره ارعى لاسو المعاطيسا
بعلي سليمان النبي الذي قد كان للشوراه دربيسا وسخر الريح له مركبا تغدو بها ناروا مبيسا
مزابن داود النبي الذي قد سنه الرحمن تقديسا وقال محمد بن اسحق ووهب
ابن منبه لما بنت وجها سليمان واتاها قال لها اختاري زوجا فقالت مثلي لا ينكح
الا مزملك ما كان فقال لا بد مع الاسلام مزذلك فاختارت ذا تبع ملك همدان فزوجه
اياها وردها الى اليمن واميرزوجها اميرحمير اليمن ان بطيعه فبنى له المصانع ولم يزل امرا حتى
مات سليمان وقال قوم لم يرد فيه خبر صحيح لا في انه تزوجها ولا في انه زوجها وهي بلقيس
بنت السرح بن الهداهد بن شراحيل بن ادد بن حدد بن السرح بن اخرز بن قيس بن صيفي بن
سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح وكان
جدها الهداهد ملك عظيم الشان قد دلله ابرهيز ولداكلهم ملوك وكان ملك ارض اليمن كلها
وكان ابوها السرح يقول للملوك اذا راف ليس لصداقكم كفوا لي وابي ان يتزوج منهم فزوجوه امراه
مزاخر يقال لها زلخا نبت السكن فولدت له بلقيس ولم يكن له ولد غيرها وقال
ابو مريه قال النبي صلى الله عليه وسلم كان احد ابوي بلقيس جنيا فان ابوها واختلف عليها
فتزوجها فرفتين وملكوا امرهم رجلا فسار بسيرته حتى فجر بسبا رعيته وادرك بلقيس الغيره
فعرضت عليه نفسها فتزوجته ثم لما دخل عليها سقته الخمر ثم حزت راسه ونصبته على
باب دارها فملكوها وقال ابو بكر ذكرت بلقيس عند النبي صلى الله عليه وسلم
فقال لا يفلح قوم ولوا امرهم امراه وقيل ان سبب تزوج ابيها مزاخر انه كان وزيرا
للملكات بعد نصب نساء الرعيه وكان الوزير غيورا فلم يتزوج فصعبره رجلا لا يعرفه
فقال هل لك مزوجه فقال لا تزوج ابدا فان ملك بلدنا يغتصب النساء مزازواجهن
فقال ليزوجت ابنتي لن يغتصبها ابدا قال بلى يغتصبها فقال انا قوم مزاخر لا يقدر علينا

فتزوج ابنته فولدت له بلقيس ثم ماتت الام وابتت بلقيس فضرائر الصرآ فتحدثنا يوما بحديثها
غلطا فمر الملك جزءا فقال يا فلان تكون عند هذه البنت الجميلة وانت لا تأتينا مع علمك بي النسا
وامر بحبسه فارسلت بلقيس اليه ابي بين يديك فتحهز للسير الفرها فلما ام بالدخول بمن معه خرجت اليه
حوارين من بنات الجن مثل صورة الشمس وقلن له الاستحي قالت لك سيدتنا تدخل هو وكل الرجال معك
على اهلك فاذن لهم بالانصراف ودخل وحده فاغلقت عليه الباب وقتلته بالنعال ثم قطعت راسه
ورمت به الى عسكره فامروها عليهم فلم تزل كذلك الى ان بلغ الهدهد خبرها لسليمان عليه السلام وذلك ان
سليمان لما نزل ببعض منازله قال الهدهد ان سليمان قد اشتغل بالنزول فارتفع نحو السما فابصر طول
الدنيا وعرضها والتفت يمينا وشمالا فراى بستانا لبلقيس فنزل اليه فوجد هدهد فقال من اين
اقبلت واين تريد قال اقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود عليه السلام قال ومن سليمان
قال ملك الانس والجن والسباطير والطير والوحش والريح وكل ما بين السما والارض فمن اين انت
قال من هذه الارض وملكتها امراة يقال لها بلقيس تحت يديها اثنى عشر الف قايد تحت يد كل قايد
مايه الف مقاتل من سوى الخدم والحشم فانطلق معه ونظر الى بلقيس وملكها وجنودها وكان سليمان
وقت العصر وكان سليمان قد فقد وقت الصلوة فلم يجده وكانوا على غير ما وقال ابن عباس
في روايه وقعد نقره الشمس فقال لوزير الطير ما بدا لي اموضع من قال يا نبي الله هذا موضع الهدهد قال
وابن ذهب قال لا ادري اصلحه الله الملك فغضب سليمان وقال لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه
ثم دعا بالعقاب سيد الطير واشدها واصرمها فقال ما تريد يا نبي الله قال علي بالهدهد
الساعه فرفع العقاب بنفسه دونا السماء حتى لزق بالهوا فنظر الى الدنيا كالقصعة يتدير
احدكم فاذا هو بالهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض نحوه وانشب فيه مخلبه فقال له
الهدهد اسالك بالله الذي اقدرك علي الا رحمتني فقال له الويل لك وتكلتك امك ان
نبي الله سليمان حلف ليعذبنك او ليذبحنك ثم اتى به فثلغته السود وسائر عساكر الطير
وقالوا الويل لك تؤعد نبي الله فقال ما فعل ما فعلت وما انا الا استثنى قالوا بلى انه قال او
لياتينني بسلطان مبين ثم دخل على سليمان فوضع راسه وارخى ذنبه وجناحيه تواضعا
لسليمان فقال له سليمان ابرئت عن حلفتك وسالك لاعذبنك عذابا شديدا او
لاذبحنك فقال له الهدهد يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى فتذكر سليمان وارتعد وعفا عنه وقال عكرمه انما صرف الله سليمان عن ذبح الهدهد

انه كان برا بوالديه ينقل الطعام اليهما فيزقهما ثم قال له سليمان ما الذي بطاك فقال الهدهد
ما احاط الله عز بلقيس وعرشها وقومها حسب ما تقدم بيانه قال الماوردي والفضل بان ام
بلقيس جنيه مستكمل العقول لتباين الجنسين واختلاف الطبعين وتفارق الحسين
لان الادمي حيوان ناطق والجن حيوان خلق الله تعالى الادمي من صلصال كالفخار وخلق الجان من
مارج من نار ويمتنع الامتزاج مع هذا البيان ويستحيل التناسل مع هذا الاختلاف قال
المولف وقد مضى القول في هذا و العقل لا يحيله مع ما جاء من الخبر في ذلك واذا نظر في اصل الخلق
فاصله الماء على ما تقدم بيانه ولا بعد في ذلك والله اعلم وفي التنزيل وشاركهم في الاموال
والاولاد وسنتقدم وقال تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان على ما ياتي في الرحمن قوله تعالى

قالت رب اني ظلمت نفسي

يعني بالشرك الذي كانت عليه قاله ابن عباس وقال سفيان اي النظر الذي نهيته في سليمان
لانها لما امرت بدخول الصرح حسبته لجه وان سليمان يريد تغريقها فيه فلما بان لها انه صرح ممرد من
قوارير علمت انها ظلمت نفسها بذلك النظر وكسرت ان لانها مبتداه بعد القول ومن العرب
من يفتحها فيجعل فيها القول واسلمت مع سليمان لله رب العالمين اذا سكنت مع فتح حرف الجر
بلا اختلاف بين النحويين واذا فتحها ففيها قولان احدهما انها بمعنى الظرف اسم والاخر انها حرف
خافض مبني على الفتح قاله النحاس

ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا

ان اعبدوا الله الايه

تقدم معناه ٥ فاذا هم فريقان يختصمون قال مجاهد اي مؤمن وكافر قال والخصومة
ما خصه الله تعالى في قوله أتعلمون ان صالحا مرسل من ربه الى قوله كافرون وقيل تخاصمهم
ان كل فرقة قالت لصاحبتها انت على الحق دونكم فقوله تعالى قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة
قال مجاهد العذاب قبل الرحمة والعين لم تؤخرون الايمان الذي يجلب اليكم الثواب ويقدمون
الكفر الذي يوجب العقاب وكان الكفار يقولون لفرط الانكار ائتنا بالعذاب وقيل
اي لم تفعلون ما تستحقون به المعاجلة بالعذاب لانهم التمسوا تعجيل

العذاب لو لا يستغفرون الله اي هلا يتوبون الى الله من الشرك لعلكم ترحمون كي ترحموا
وقد تقدم معناه والحمد لله تعالى

قالوا اطيرنا بك وبمن معك

اي تشاءمنا والشوم النحس ولا تشاءمنا بالراي ولا فساد للتدبير من اعتقاد الطيره
ومن ظن انها تدفع ضرا او تجيق عذابا يرد قضاء او يدفع مقدورا فقد جهل قال الشاعر

طيره الدهر لا تردد قضا ء عذر الدهر لا تشبه بلوم
اي يوم تخصه بسعود والمنايا يزلن كل يوم
ليس يوم الا وفيه سعود ونحوس تجري لقوم وقوم

وقد كانت العرب اكثر الناس تطيرا وكانت اذا اراد احدهم سفرا تقرب طيرا فان طار
يمنه سافر وتيمن وان طار شامه رجع وتشاءم فنهى النبي صلى الله عليه
وسلم عن ذلك وقالوا اقروا الطير وكانها على ما تقدم بيانه في المايده قال
طايركم عند الله اي مصايبكم بل انتم قوم تفتنون اي تختبرون وقيل تعذبون بذنوبكم تقدم معناه

وكان في المدينه تسعه رهط

اي في مدينه صالح وهي الحجر تسعه رهط اي تسعه رجال من ابناء رجالهم قال الضحاك كانوا
هم الذين عقروا الناقه وكانوا يفسدون ويامرون بالفساد فجلسوا عند صخره
عظيمه فقتلها الله عليهم وقال عطاء بن رباح بلغني انهم كانوا يقرضون الدراهم
والدنانير وذلك من الفساد في الارض وقاله سعيد بن المسيب وقيل فساد هم انهم كانوا يشربون
خمورات الناس ولا يشربون عليهم وقيل غير هذا واللازم من الايه ما قاله الضحاك
وغيره انهم كانوا من وجوه القوم واشرافهم واعمامهم وكانوا اهل كفر ومعاصي حمله حملهم على
انهم يفسدون ولا يصلحون والرهط اسم الجماعه فكانهم كانوا تسعه نفر من كل واحد من رهط
والحجر ارهط وارهاط قال

ما بين يثرب الى وضعت ارماط فاستراحوا

وهؤلاء المذكورون كانوا اصحاب قدار عاقر الناقه ذكره ابن عطيه قلت واختلف
في اسمايهم فقال الغزنوي اسماؤهم قدار بن سالف ومصدع واسلم ودمى ودهيم ودعمي
ودفيم ومسال وصداف قال ابن اسحق واسمه قدار بن سالف ومصدع

ابن مهرج فانفهم سبعه وهو بلع بن سلبع وذهير بن غنم ودواب بن مرجح واربعه لم
نعرف اسماءهم وذكر الزمخشري اسماءهم غرزهب بن مسبه الهذيل بن عبد رب
غنم بن غنم رباب بن مهدع ومصدع بن مهرج عمير بن كردبه عاصم بن مخرمه سبيط
ابن صدقه سمعان بن صفي قدار بن سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقه
وكانوا اعمامه قوم صالح وكانوا من ابنائهم استانفهم السهيلي ذكر النقاش التسعه
الذين كانوا يفسدون في الارض ولا يصلحون وسماهم باسمايهم وذلك لا يضبط برايه عز اني ذكره
على وجه الاجتهاد والتخمين ولكن نذكره على ما وجدناه في كتاب محمد بن حبيب
وهم مصدع بن دهر ويقال ادهم وقدار بن سالف وهزيم وصواب ورياب
وداب ودعمي وهرمي ورعين بن عمر قلت وقد تقدم ذكر الداراقطني الماوردي
اسماءهم عن ابن عباس فقال هم زعمي ونعيم وهرمي وهزيم وداب وصواب
ورياب ومصدع وقدار وكانوا بارض الحجر وهي ارض الشام تقدم بيان

قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه واهله

يجوز ان يكون تقاسموا فعلا مستقلا وهو امر اي قال بعضهم لبعض احلفوا ويجوز ان يكون
ماضيا في معنى الحال كانه قال قالوا متقاسمين بالله وقد قيل هذا قال ويل قراه عبد الله
يبيتون اهله والارض ولا يصلحون تقاسموا بالله وليس بها قالوا لنبيتنه واهله
ثم ليقولن لوليه قراه العامه بالنون فيهما واختاره ابو حاتم وقراحمزه والكسايي بالتا
فيهما وضم الياء واللام على الخطاب انهم يخاطبون بذلك واختار ابو عبيد وقراحمد
وحميد بالتا فيهما وضم الياء واللام على الخبر والبيان بياعنه العدو ليلا ومعنى
لوليه اي لرهط صالح الذي له ولايه الدم ما شهدنا مهلك اهله اي ما حضرنا
قتله ولا ندري من قتله وقيل اهله وانا لصادقون في انكارنا القتله والمهلك
بمعنى الاهلاك ويجوز ان يكون الموضع وقراحفص والسلمي بفتح الميم
واللام اي الهلاك يقال ضرب يضرب مضربا اي ضربا وقرا الفضيل وابو بكر
بفتح الميم وجر اللام فيكون اسم المكان كالمجلس لموضع الجلوس ويجوز ان يكون
مصدرا لقوله تقابل اليه مرجعكم اي رجوعكم قوله تقابل ومكروا ومكرنا

مكرا وهم لا يتقدرون ۝ مكرهم ما روي ان هود عليه السلام لما كان في صدر الثلاثة الايام
بعد عقر الناقة وقد اخبرهم صالح بمجيء العذاب اتفقوا وتحالفوا على ان يأتوا دار صالح
ليلا فيقتلوه واهله المختص به قالوا فان كاذبا في وعيده اوقعنا به ما يستحق وان
كان صادقا كنا قد عجلنا قتله وشفينا نفوسنا قاله مجاهد وغيره قال ابن عباس ارسل
الله الملائكة تلك الليلة فامتلأت بهم دار صالح وفي الصفة دار صالح شامر بن سبوههم
فقتلتهم الملائكة رضخا بالحجارة ويرون من رمى منهم وقال قتادة خرجوا
سراعا الى صالح فسلط الله عليهم ملكا بيده صخرة فقتلهم وقال السدي نزلوا على جرف من
الارض فانهار بهم فاهلكهم الله عنه وقيل اختفوا في غار قريب من دار صالح فانخدرت عليهم
صخرة شدختهم جميعا فلذلك كان مكرهم ومكر الله بجازاتهم على ذلك ۝ وانظر كيف كان عاقبة
مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين اي بالصيحة التي اهلكتهم وقد قيل ان اهلاك الكل كان بصيحة
جبريل والاظهر ان السبعة اهلكوا بالعذاب بمفرد ثم هلك الباقون بالصيحة والدمدمة وكان
الاعمش وابن ابي اسحق وعاصم وحمزة والكسائي يقرأ ان بالفتح قال ابن الانباري
فعلى هذا المذهب لا يحسن الوقف على عاقبة مكرهم لان انا دمرناهم خبر كان ويجوز ان يجعل
في موضع رفع على الابتداء لعاقبة ويجوز ان يجعل في موضع نصب بمرفوع قول الفراء خفض
قول الكسائي على معنى بانا دمرناهم ولانا دمرناهم ويجوز ان يجعل في موضع نصب على الابتداء
لموضع كيف فرهذه المذاهب لا يحسن الوقف على مكرهم وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو
انا دمرناهم بكسر الاستيناف فعلى هذا المذهب يحسن الوقف على مكرهم قال الخليل ويجوز
النصب على قبح على جزاء كان ونكون انا في موضع رفع على انها اسم كان ويجوز ان يكون في موضع
رفع على اضمار مبتدا تشبيها للعاقبة والتقدير هي انا دمرناهم قال ابو حاتم وفي حرف
ابي ان دمرناهم بتصديق الفتح فوقف هنا

فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا

قرأ العامة بالنصب على الحال عند الفراء والتحسر اي خالية عن اهلها خرابا ليس بها ساكن
وقال الكسائي وابو عبيدة خاوية نصب على القطع مجازه فتلك بيوتهم
خاوية فلما قطع منها الالف واللام نصب لقوله وله الدين واصبا وقرأ عاصم بن عمر

ونصر بن عاصم والجحدري بالرفع على انها خبر عن تلك ويجوز ان تكون بيوتهم خاوية
خبرا عن تلك ويجوز ان تكون في موضع رفع خاوية على انها خبرا بتداء محذوف اي هي خاوية
او بدلا من بيوتهم لان النكرة تبدل من المعرفة ان في ذلك لاية لقوم يعلمون وانجينا الذين
امنوا بصالح وكانوا يتقون الله ويخافون عذابه قيل امن بصالح قدر اربعة الاف رجل
والباقون خرج بايديهم في قول مقاتل وغيره خراج مثل الحمص وكان ذلك اليوم الاول
احمر ثم صار من الغد اصفر ثم صار في الثالث اسود وكان عقر الناقة يوم الاربعا
وهلاكهم يوم الاحد قال مقاتل تفقأت تلك الحجارات وصاح جبريل عليه السلام
بهم خلال ذلك صيحة محذوا وكان ذلك صفوه وخرج صالح بمن امن معه الى حضرموت فلما
دخلها مات صالح فبنى حضرموت قال الضحاك ثم بنى الاربعة الاف مدينة يقال لها
حاضورا على ما تقدم بيانه في قصة اصحاب الرس فوقف هنا

ولوطا اذ قال لقومه

اي وارسلنا لوطا واذكر لوطا اذ قال لقومه وهم اهل سدوم وقال لقومه اتاتون
الفاحشة اي الفعلة القبيحة الشنيعة وانتم تبصرون انها فاحشة وذلك اعظم
لذنوبكم وقيل بان بعضكم بعضا وانتم تنظرون اليه كانوا لا يستترون عن احد منهم
وتركبون ۝ اينكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء اعاد ذكرها لفرط قبحها وتستغنها
بل انتم قوم تجهلون اما التحريم او العقوبة واختار الخليل وسيبويه تخفيف الهمزة
الثانية من اينكم فاما الخط فالسبيل فيه ان تكتب بالالفين على الوجوه كلها لانها
همزة مبتدأة دخلت عليها الف الاستفهام فوقف هنا

فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا

آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون
اي عيرا دبارا الرجال بقولهم ذلك استهزاء منهم قاله مجاهد وقال قتادة عابوهم
والله بغير عيب بانهم يتطهرون من اعمال السوء فنجيناه واهله الا امرأته قدرنا
كانت من الغابرين قدرناها قرأ عاصم مخففا والمعنى واحد يقال قد قدت الشيء

وفدا وفديته واسرا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين اي ان منتهم فلم يقبل الانذار
وفد مضى بيان هذا في الاعراف وفي هود نحو هذا

قل الحمد لله وسلام على عباده

الذين اصطفى الله خير

قال اهل المعاني قيل للوط قل الحمد لله على هلاكهم وخالف عاد عن الحمد الذي
هنا وقالوا هو مخاطبة لنبينا صلى الله عليه وسلم اي قل الحمد لله على هلاك كفار الامم
الخالية قال النحاس وهذا اولى لان القرآن منزل على النبي صلى الله عليه وسلم وكل
ما فيه فهو مخاطب به عليه السلام الا ما يصح معناه الا لغيره وقيل المعنى اي قل
يا محمد الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى بعبادته عليه السلام قاله الكلبي يعني
اصطفاهم بمعرفته وطاعته وقال ابن عباس وسفيان هم اصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم وقيل امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتلو هذه الآيات لطفه
بالمهتدين على وحدانيته وقدرته على كل شيء وحكمته وان يستفتح بتحميده والسلام
على انبيائه والمصطفين من عباده وفيه تعليم حسن وتوقيف على ادب جميل وبعث
على التيمن بالذكر بين والتزكن بهما والاستظهار بكلمتهما على قبول ما يلقى الى السامعين
واصغائهم اليه وانزاله من قلوبهم المنزلة التي يعقبها السمع ولقد تواترت نعمها
والخطباء والوعاظ كابرا عن كابر بهذا الادب فحمدوا الله وصلوا على رسوله صلى الله عليه
وسلم امام كل علم مهما دقيل كل عظة وفي مفتتح كل خطبة وتسهم المرسلون فاجروا عليه
اوايل كتبهم في الفتوح والتهاني وغير ذلك من الحوادث التي لها شان فوله تعالى الذين
اصطفى اي اختار رسالته وهم الانبياء عليهم السلام دليله قوله تعالى وسلام على المرسلين
الله خير ولجا ابو حاتم الله خير امما يشركون قال النحاس ولا نعلم احدا تابعه على ذلك لان هذه
المدة التي بها فرق بين الاستفهام والخبر وهذه الفاء للتوقيف وخبرها ليس بمعرف فضل
منزلة وانما هو مثل قولك احسان النحوي ولست له بكفو فتركها يجزكما الفداء
فالمعنى فالذي فيه الشرك خير للذي فيه اجر الفداء ولا يجوز ان يكون المعنى من

ذلك اذا فلت فلان شر من فلان فمعناه ان في كل واحد منهما شرا وقيل معنى الخير هنا اي
الذي تتركونه في العباده وجعل سبيويه السعاده احب اليكم الشفاء وسيعلم ان
السعاده احب اليه وقيل هو على بابه من التفضيل والمعنى الله خير لما تشركون
اي ثوابه خير ام عقاب ما تشركون وقيل قال لهم ذلك لانهم كانوا يعتقدون
ان في عباده الاصنام خيرا فخاطبهم الله عز وجل على اعتقادهم وقيل اللفظ لفظ
الاستفهام ومعناه الخبر وقرا ابو عمرو وعاصم ويعقوب يشركون بنا
على الخبر الباقون بالتاء على الخطاب وهي اختيار ابي عبيد وابي حاتم وكان
النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرا هذه الآيه يقول الله خير وابقى واجل واكرم

امن خلق السموات والارض

قال ابو حاتم تقديره الهكم خير ام من خلق السموات والارض وقد ذكر على طريق
وقيل المعنى اعباده ما تعبدون من اوثانكم خير ام عباده من خلق السموات والارض وهو
مردود على ما قبله من المعنى وفيه معنى التوبيخ لهم والتنبيه على قدره الله عز وجل
وهي الهمتم ن فانبتنا به حدايق ذات بهجه الحديقه البستان الذي عليه الحائط
والبهجه المنظر الحسن قال الفراء الحديقه البستان المحظر عليه فان لم يكن عليه حائط
فهو بستان وليس بحديقه وقال قتاده وغيره الحدايق النخل ذات البهجه
الزينه والحسن بهج من زاه ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ه ما ينبغي ومعناه
الحظر والمنع من فعل هذا اي ما كان للبشر ولا يتهيا لهم ولا ينفع تحت قدرتهم
ان ينبتوا شجرها اذهم عجزه عن مثلها لان ذلك اخراج الشيء من العدم للوجود ه
قلت وقد يستدل من هذا على موضع تصوير شيء سواء كان له روح او لم
يكن وهو قول مجاهد وبعضده قوله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل
ومن اظلم ممن ذهب يخلق خلقا كخلقي فليخلقوا ذره وليخلقوا شعيره رواه مسلم
في صحيحه من حديث ابي هريره قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال
الله عز وجل فذكره نعم بالذم والتهديد والمعنى كان من قال طبي شيء مما خلقه الله
وضاهاه في التشبيه في خلقه فيما تفرد به سبحانه من الخلق والاختراع وهذا واضح وقد

الجمهور الى ان تصوير ما ليس فيه روح يجوز هو والاكتساب به وقد قال ابن عباس
للذي سأله انه يضع الصور ان كنت لابد فاعلا فاصنع الشجر وما لا نفس له خرجه
مسلم ايضا والمنع اولى والله اعلم لما ذكرنا وسيأتي لهذا مزيد بيان في سبحان الله
تعالى ثم قال على وجه التوبيخ الاله مع الله اي هل معبود مع الله يعينه على ذلك
بل هم قوم يجعلون بالله غيره وقيل يعدلون عن القصد والحق اي يفرون
وقيل اله مرفوع بمع تقديره امع الله وتكلم اله والوقف على مع الله حسن
قوله عز وجل

ام من جعل الارض قرارا

اي مستقرا وجعل خلالها انهارا اي وسطها مثل وجرنا خلالها نهرا وجعل
لها رواسي يعني جبالا ثوابت تمسكها وتمنعها من الحركة وجعل بين البحرين حاجزا
مانعا من قدرته لئلا يختلط الاجاج بالعذب قال ابن عباس سلطانه من
قدرته فلا هذا بغير ذلك ولا ذلك بغير هذا والبحر الملح الا مع الله اي اذا ثبت انه
لا يقدر على هذا غيره فلم تعبدون ما لا يضر ولا ينفع فاكثرهم لا يعلمون يعني
كانهم يجهلون الله افلا يعلمون ما يجب له من الوحدانية قوله عز

ام من يجيب المضطر اذا دعاه

فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى ام من يجيب المضطر قال ابن عباس هو ذو
الضرورة المجهود وقال السدي الذي لا حول ولا قوة وقال ذو
النون هو الذي قطع العلايق عما دون الله قال ابو جعفر وابو عثمن النيسابوري
هو المفلس وقال سهل بن عبد الله هو الذي اذا رفع يديه داعيا الى الله
لم يكن له وسيلة من طاعته فدنها وجا رجل الى مالك بن دينار وقال انا اسالك
بالله ان تدعو الي فانا مضطر قال اذا فسله فانه يجيب المضطر اذا دعاه قال
الشاعر واني لادعو الله والامر بيننا قريبا ولكن ان تنوخا وبارخ
الثانية وفي مسند ابي داود الطيالسي عن ابي بكرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

في دعاء المضطر اللهم رحمتك ارجو فلا تكلني الى نفسي طرفة عين واصلح لي شاني كله لا اله الا انت
ان الله سبحانه اجاب المضطر اذا دعاه واجرى ذلك غير نفسه وسبب ذلك
ان الضرورة اليه بالجا بنتا عن الاخلاص وقطع القلب عما سواه وللاخلاص عنده سبحانه
موقع وذمه وحمد من مومن اوكه فرطايع او فاجر كما قال تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين
بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم
دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون فاجابهم عند ضرورتهم ووقوع اخلاصهم
مع علمه انهم يعودون الى شركهم بكرمهم وقال تعالى واذا ركبوا في الفلك دعوا الله
مخلصين له الدين الاية فجا المضطر لوضع اضطراره واخلاصه وفي الحديث ثلاث دعوات
لا شك فيهن دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالد على ولده ذكره صاحب الشهاب
وهو حديث صحيح وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لمعاذ لما وجهه
الى اليمن واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب وفي كتاب النسائي بالفواد عوة
المظلوم فانها تحمل على الغمام تقول الله تعالى وعزتي وجلالي لانصرنك ولو بعد حين وهو صحيح
ايضا وخرج الاجري من حديث ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم فاني لا ارد دعوة
من فم كافر فيجيب المظلوم لوضع اخلاصه لضرورته بمقتضى كرمه واجابته لاخلاصه
وان كان كافرا وكذلك ان كان فاجرا في دينه ففجور الفاجر وكفر الكافر لا يعود منه
ولا وهن على ملكه سبحانه فلا يمنعه ما قضى للمضطر من اجابته وفي اجابته للمظلوم
بالنصر على ظالمه بما شا سبحانه من قهره له وانتقامه منه او تسليط ظالم اخر عليه
كما قال الله عز وجل بوكل ملايكته بتلقي دعوة المظلوم وتحملها على الغمام فيفرج عنها
الى السما فتلك الدعوة يراها الله فيقول لملايكته كلمة فيظهر منهم معاونة المظلوم وشفاعة منهم له في
اجابة دعوته رحمة له وفي هذا تحذير من الظلم لما فيه من سخط الله ومعصيته ومخالفة
امره على ما قال على لسان نبيه في صحيح خبره يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته
بينكم محرما فلا تظالموا الحديث فالمظلوم مضطر ويقرب منه المسافر لانه منقطع
عن الاهل والوطن مفرد عن الصديق والحميم لا يكن قلبه الى سعد ولا يعين لغربته
يتقدف ضرورتان الاولى فيخلص اليه في اللجا وهو المجيب المضطر اذا دعاه وكذلك
دعوة الوالد على ولده لا يصدر منه مع ما يعلم من رحمته عليه وشفقته الا عند تكامل

والعين فلا يعلم احد الغيب الا الله فالله بدل من قال الزجاج وقال الفراء
وانما رفع بعد الا لان ما قبلها جحد كقولك ما ذهب احد الا ابوك والمعنى واحد
قال الزجاج ومن نصب نصب على الاستثناء يعني به الكلام قال النحاس
يحتج بهذه الاية على من صدق منجما وقال اخرون يكفر بهذه الاية وقالت عائشة
من زعم ان محمدا يعلم ما في غد فقد اعظم على الله الفرية والله تعالى يقول
قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله خرجه مسلم وروي انه دخل
على الحجاج منجم فاعتقله الحجاج ثم اخذ حصيات فعدهن ثم قال له كم في يدي من
حصى فحسب المنجم ثم قال كذا فاصاب ثم اعتقله واخذ حصيات ثم اعاد ثم قال
كم في يدي فحسب ولحظ ثم حسب فاخطأ فقال ايها الامير اظنك تعرف
عددها قال لا قال فاني لا اصيب قال فما الرق قال ان ذلك الحصيات مخرج عن
حد الغيب وهذا لم يخصه احد بغيب ولا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله
تعالى وقد مضى هذا في ال عمران قوله تعالى

بل ادارك علمهم في الاخره

هذه قراءة اكثر الناس منهم عاصم ونبيه ونافع ويحيى بن وثاب والاعمش وحمزة
والكسائي وقرأ ابو جعفر وابن كثير وابو عمرو وحميد بل ادرك من الادراك
وقرأ عطاء بن يسار واخوه سليمان بن يسار والاعمش بل ادرك غير ممدود
مشددا وقرأ ابن محيصن بل ادرك على الاستفهام وقرأ ابن عباس
بل بإثبات الالف ادرك بهمزة قطع والدال مشددة والف بعدها قال الناس
واسناده اسناد صحيح هو حديث شعبة يرفعه الى ابن عباس وزعم هرون
القاري ان قراءة ابي تدارك علمهم القراءة الاولى والاخرة معناهما واحد
لان اصل ادارك تدارك ادغمت التاء في الدال وجيء بالف الوصل ومعناه
فكلان احدهما ان المعنى بل تكامل علمهم في الاخرة لانهم رأوا كل ما وعدوا
به معاينة فتكامل علمهم به والقول الاخر ان المعنى بل تتابع علمهم اليوم

عجزه عنده وصدق فصروزنه وايا سه عن بروله مع وجود اذيته فيزع اخي الي
اجابته قوله تعالي ويكشف السوايا الضر قال الكلبي اي جود ويجعلكم خلفا
الارض اي سكانها هلك قوما وينشي اخرين وقال ابن زيد الخلائف اي يجعل اولادكم
خلفا منكم وقال الكلبي خلفا من الكفار بيزادون ارضهم وطاعه الله بعد ان تهلم
ه الله مع الله علي جهه التوبيخ كانه قال اله مع الله ويكم اله قال ه مرفوع بمع ويجوز ان
يكون مرفوعا باضمار الا مع الله يفعل ذلك فتعبدوه والوقف علي مع الله
حسن قليلا ما يذكرون قرا ابو عمرو وهشام ويعقوب تذكرون بالتا علي الخبر
لقوله بل اكثرهم لا يعلمون وتعالي الله عما يشركون فاضربا قبلها وبعدها واختاره ابو
حاتم لان قوله بالتا خطابا لقوله ويجعلكم خلفا الارض قوله تعالي امن يهديكم
اي يرشدكم الطريق في ظلمات البر والبحر اذا سافرتم الي البلاد التي تقصدونها
بالليل وقيل جعل سفاونا البر النجوم اعلاما لها وبنجوم البحار كما انها طلما نكلا نه
ليس فيها علم يهتدي به ومن يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته اي قدام المطر
بانقاذا هل ان وبل الله يفعل ذلك وبعينه عليه تعالي الله عما يشركون من دونه
قوله تعالي

امن يبدؤا الخلق ثم يعيده

كانوا يقرون بانه الخالق الرازق فالزمهم الاعاده اي اذا اقدروا علي الابتدا وهو
اهون عليه الا له مع الله يخلق ويرزق ويبدي ويعيد قل هاتوا برهانكم اي حجتكم
لانه شريكا وحجتكم في انه وضع احد شيئا من هذه الاشيا عن الله ان كنتم
صادقين قوله تعالي

قل لا يعلم من في السموات

والارض الغيب الا الله

وعن بعضهم اخفي عنهم امر الخلق ولم يطلع عليها احد ليلا يزاحم في غيبه مكره وقيل
نزلت في المشركين حين سالوا النبي صلي الله عليه وسلم عن قيام الساعه ومتي موضع رفع

والمعين قل لا يعلم احد الغيب الا الله فالله بدل من قوله الا الرجاج وقال الفرا
وانما رفع بعد الا لان ما قبلها جحد كقولك ما ذهب احد الا ابوك والمعين واحد
قال الرجاج ومن نصب نصب علي الاستثنا يعني به الكلام قال النحاس وسمعت
بحتج بهذه الايه علي من صدق منجما وقال ان كان يكذب هذه الايه وقالت عايشه
من زعم ان محمدا يعلم ما في غد فقد اعظم علي الله الفريه والله تعالي يقول
قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله خرجه مسلم وروي انه دخل
علي الحجاج منجم فاعتقله الحجاج ثم اخذ حصيات فعدهن ثم قال له كم في يدي من
حصي فحسب المنجم ثم قال كذا فاصاب ثم اعتقله واخذ حصيات ثم بعد من ثم قال
كم في يدي فحسب فلحظ ثم حسب فاخطا فقال ايها الامير اظنك لا تعرف
عددها قال لا قال فاني لا اصيب قال فما الرق قال ان ذلك الحصيه تخرج من
حد الغيب وهذا لم يخصه بغيب ولا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله
تعالي وقد مضي هذا في ال عمران قوله تعالي

بل ادارك علمهم في الاخره

هذه قراه اكثر الناس منهم عاصم ونبيه ونفع ونحن نذكر ذلك والاعمش وحمزه
والكسائي وقرا ابو جعفر وابن كثير وابو عمرو وحميد بل ادرك من الادراك
وقرا عطا بن يسار واحوه سليمان بن يسار والاعمش بل ادرك غير مهموز
مشددا وقرا ابن محيص بل ادرك علي الاستفهام وقرا ابن عباس
بل بامالتا تاليا ادرك بهمزه قطع والدال مشدده والف بعدها قال الفراس
واسناده اسناد صحيح هو من حديث شعبه يرفعه الي ابن عباس وزعم هرون
القاري ان في قراه ابي تدارك علمهم الخره الاولي والاخره معناهما واحد
لان اصل ادارك تدارك ادغمت التا في الدال وجيء بالف الوصل ومعناه
قولان احدهما ان المعني بل تكامل علمهم في الاخره لانهم راوا كل ما وعدوا
به معاينه فتكامل علمهم به والقول الاخر ان المعني بل تتابع علمهم اليوم

وقال الذين كفروا

بعين مشكي مكه اذا كنا ترابا وابا ونا ايئا لمخرجون
هكذا يقرا نافع هنا وفي سوره العنكبوت وقرا ابو عمرو باستفهامين الا انه
خفف الهمزه وقراها عاصم وحمزه باستفهامين الا انهما حققا الهمزتين وكما ذكرناه
في السور جميعا ولحد وقرا الكسائي وابن عامر وورش ويعقوب اذا بهمزتين
اسانبذ بين علي الخبر في هذه السوره وسوره العنكبوت باستفهامين قال
ابو جعفر النحاس الذي اراه اذا كنا ترابا وابا ونا ايئا موافقه للخط حسنه وقد
عارض فيها ابو حاتم فقال لو اخذ المعين كلامه اذا ليس باستفهام وايئا استفهام
وبينه ان فكيف يجوز ان تعمل ما في حيز الاستفهام فيما قبله وكيف يجوز ان يعمل ما بعد
ان فيما قبلها وكيف يجوز هذا ان يخارج ما اذا كان فيه استفهام كان ابعد
وهنا اذا سبيل فيه كان مشكلا لما ذكره قال ابو جعفر وسمعت محمد بن الوليد يقول
سالنا ابا العباس عن هذا بعينه من القرآن صعبه مشكله وهي قول الله عز وجل وقال
الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد
فقال ان عمل في اذا بينكم كان محالا لانه لا يلتئم ذلك الوقت وان كان عمل فيه ما
بعد ان كان المعنى صحيحا وكان خطا في العربيه ان يعمل ما قبل ان فيما
بعدها وهذا سوال من راينا ان يذكر في السوره التي هو فيها والفرق بينهما
ان الشرط وجوابه بمنزله شيء واحد ومعنى افاين مت فهم الخالدون افاين
مت خلدوا ونظير هذا ان يدخل على الكلام بلا عليه لمعنى
لان ان الذين حملوه فابوه بغتها فصلح فيها الاستفهام والاول كلام يصلح
فيه الاستفهام وانما حذف الاستفهام من الثاني واثبته في الاول وقال
اذا كنا وابا ونا ايئا فحذفه من الثاني لان في الكلام دليلا عليه لمعنى
الانكار لقد وعدنا هذا نحن وابا ونا من قبل ان هذا الا اساطير
الاولين تقدم في سوره المومنين وكانت الانبياء يرتبون امر البعث

مبالغة في التحذير وكلات قريب قوله تعالى قل سيروا في الارض اي قل لهؤلاء الكفار سيروا في بلاد الشام والحجاز واليمن وانظروا اي بقلوبكم وبصائركم كيف كان عاقبة المكذبين ٥ ولا تحزن عليهم اي على كفرهم ومكره ان لم يؤمنوا ولا تكن في ضيق حرج مما يمكرون من الت في المستهزئين الذين اقتسموا عقاب مكره وقد تقدم مكرهم وقرئ في ضيق بالكسر وقد مضى في اخر النحل ويقولون متى هذا الوعد اي اي وقت يجيء العذاب تكذيبا ان كنتم صادقين قوله تعالى

قل عسى ان يكون ردف لكم

اي اقترب لكم ودنا منكم بعض الذي تستعجلون من العذاب قاله ابن عباس وهو من ردفه واتبعه وجاء في اثره وتكون اللام ادخلت لان المعنى اقترب لكم ودنا لكم وتكون متعلقة بالمصدر وقيل بمعناه معكم وقال ابن شجرة معكم ومنه ردف للذي لانه يتبع لها من خلفها ومنه قول الشاعر

عاد السواد بياضا في مفارقه لا مرحبا بسواد الشيب اذ ردفا

قال الجوهري واردفه امر لغة في ردفه مثل تبعه واتبعه لمعنى قال خزيمة بن مالك بن نهد

اذا الجوزا اردفت الثريا ظننت بالفاطمة الظنونا

يعني فاطمة ستذكر احد العاربين وقال الفراء ردف لكم دنا منكم وهذا قول الكسائي وقيل ردفه وردف له بمعنى وبعني مراد اللام للتوكيد عن الفراء ايضا كما يقول بعد به وبعد به له وبعدت له وكلمته وكلمت له وزنته وكلت له وكذلك بعض الذي تستعجلون من العذاب فكان ذلك يوم بدر وقيل عذاب القبر وان ربك لذو فضل على الناس مع تاخير العقوبة وادرار الرزق ولكن اكثرهم لا يشكرون فضله ونعمه قوله تعالى وان ربك ليعلم ما تكن اي تخفي صدورهم وما يعلنون تظهر من الامور وقرا ابن محيصن وحميد ما تكن من كننت اليتي اذا سترته هنا وفي القصص تفسيره ما تكن صدورهم عليهم فكان الضمير الذي في الصدور كالمحل الساتر وقرا بكر فهو المعروف يقال اكننت اليتي اذا احفيته في نفسك قوله تعالى

وما من غايبة في السماء والارض

الا في كتاب مبين

قال الحسن الغايبة القيامة وقيل ما غاب عنهم من عذاب السماء والارض حكاه الثعالبي وقال ابن شجرة الغايبة هنا جميع ما اخفى الله تعالى عن خلقه وغيبه عنهم وهذا عام وانما دخلت الهاء في غايبة لتاكيد الجمع اي ما من خصلة غايبة عن الخلق الا والله عالم بها وقد اثبتها في ام الكتاب عنده فكيف يخفى عليه ما يبيتون هو وما يعلنونه وقيل اي كل شيء هو مثبت في ام الكتاب يحرجه للاجل الموجل له فالذي يستعجلونه من العذاب له اجل مضروب لا يتاخر عنه ولا يتقدم عليه والكتاب اللوح المحفوظ اثبت الله تعالى فيه ما اراد ليعلم بذلك من شاء من ملايكته قوله تعالى

ان هذا القرآن يقص على بني

اكثر الذي هم فيه يختلفون

وذلك انهم اختلفوا في كثير من الاشياء حتى لعن بعضهم بعضا فنزلت والمعنى ان هذا القرآن يبين لهم ما اختلفوا فيه لو اخذوا به وذلك ما حرفوه من التوراة والانجيل وما اسقطوه من كثير من الاحكام وانه بعض البرهان للمدى ورحمة للمومنين خص المومنين لانهم هم المنتفعون به ان ربك يقضي بينهم بحكمه اي بين بني اسرايل فيما اختلفوا فيه والاخر

فيجازي المحق والمبطل وقيل يقضي بينهم في الدنيا فيظهر ما حرفوه وهو
العزيز المنيع الغالب الذي لا يرد امره العزيز الذي لا يخفى عليه شيء
قوله تعالى فتوكل على الله اي فوض اليه امرك واعتمد عليه فانه
ناصرك انك على الحق المبين اي الظاهر وقيل المظهر لمن يتدبر
وجه الصواب انك لا تسمع الموتى يعني الكفار لتزهم التدبر كالموتى
الذي لا حس لهم ولا عقل وقيل هذا فيمن علم انه لا يؤمن ولا يسمع الصم
الدعاء يعني الكفار الذين هم بمنزلة الصم عن قبول المواعظ فاذا دعوا الى
الخير اعرضوا ولو كانهم لا يسمعون نظيره صم بكم عمي كما تقدم وقرا
ابن محيصن وحميد وابن كثير وابن ابي اسحق عن ابن عمرو لا يسمع بفتح التاء
والميم الصم رفعا على الفاعل الباقون يسمع مضارع اسمعت الصم
نصبا مسألة وقد صح عن ابن عباس رضي الله عنهما في انكارها
ان النبي صلى الله عليه وسلم اسمع موتى بدر هذه الاية وقد صح ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ما انتم باسمع منهم قال ابن عطية فيشبه ان قصة بدر خرق عاده
لمحمد عليه السلام في ان يرد الله اليهم ادراكا سمعوا به مقاله ولولا اعتياد
رسول الله صلى الله عليه وسلم سماعهم كلمنا ناده ايام على معنى التوبيخ لمن
بقي منا لكفره وعلى معنى شفاء صدور المؤمنين قلت روى
البخاري حدثني عبد الله بن محمد سمع روح بن عباده قال حدثنا سعيد
ابن ابي عروبة عن قتاده قال ذكر لنا انس بن مالك عن ابي طلحة ان نبي الله
صلى الله عليه وسلم امر يوم بدر باربعة وعشرين رجلا من صناديد
قريش فقذفوا في طوى من اطواء قليب خبيث مخبث وكان اذا ظهر على
قوم اقام بالعرصة ثلاث ليال فلما كان ببدر اليوم الثالث امر براحلته
فشد عليها رحلها ثم مشى واتبعه اصحابه قالوا ما نرى ينطلق الا
لبعض حاجته حتى قام على شفة الركي فجعل ينادي بهم باسمائهم واسماء
اباءهم يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان ايسركم انكم اطعتم الله ورسوله

فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا قال
فقال عمر يا رسول الله ما تكلم من اجساد لا ارواح لها فقال النبي صلى الله عليه
وسلم والذي نفس محمد بيده ما انتم باسمع لما اقول منهم قال قتاده احياهم الله
حتى اسمعهم قوله توبيخا وتصغيرا ونقمة وحسرة وندما خرجه مسلم
ايضا قال البخاري حدثنا عبيد عن هشام عن ابيه عن ابن عمر قال وقف حدثني عمر قال
النبي صلى الله عليه وسلم على قليب بدر فقال هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ثم
قال انهم الان يسمعون ان الذي كنت اقول لهم هو الحق ثم قرات انك
لا تسمع الموتى حتى قرات الاية وقد عورضت هذه الاية بقصه بدر وبالسلام
على الميت وما ورد في ذلك من الارواح بكون ميت شفيا البيوت واوقات
وبان الميت يسمع قرع النعال اذا انصرفوا عنه الى غير ذلك فلو لم يسمع الميت لم
يسلم عليه وهذا واضح وقد بيناه في كتاب التذكره قوله تعالى

وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم

اي كفرهم اي ليس في وسعك خلق الايمان في قلوبهم وفي احمزه وما انت
العمي عن ضلالتهم كقوله افانت تهدي العمي الباقون بهادي وهو
اختيار ابي عبيد وابي حاتم وفي الروم مثله وكلهم وقف على بهادي
بالياء في هذه السوره وتغيرا في الروم اتباعا لمصحف الا يعقوب
فانه وقف فيهما جميعا بالياء واجاز الفراء وابو حاتم وما انت بهاد
العمي وهي الاصل وفي حرف عبد الله وما ان تهدي العمي ان يسمع
اي ما تسمع الا من يومن بايانا قال ابن عباس اي الا من خلقته
للسعاده فهم مخلصون في التوحيد فوله تعالى

واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابه من الارض تكلمهم

اختلف في معنى وقع القول وفي الدابه فقيل معنى وقع القول عليهم

وجب الغضب عليهم قاله قتاده وقال مجاهد اي حق القول عليهم وجب
العضب عليهم بانهم لا يومنون وقال ابن عمر وابو سعيد الخدري
رضي الله عنهما اذا لم يامروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر وجب السخط عليهم
وقال عبد الله بن مسعود وقع القول يكون بموت العلماء وذهاب العلم ورفع
القرآن وقال عبد الله لكثرة القتلة وهو القرآن قبل ان يرفع قالوا
هذه المصاحف ترفع فكيف ما في صدور الرجال قال يسري عليه ليلا
فيصبحون منه فقراء ويبقون لا اله الا الله ونحن نقول كما هي
واشعارهم وفلك حين يقع القول عليهم فلت اسنده ابو بكر البزار
قال حدثنا عبد الله بن يوسف الثقفي قال ثنا عبد المجيد بن عبد العزيز
عن موسى بن عبيدة عن صفوان بن سليم عن عبد الله بن سعيد رضي الله عنه
عن ابيه انه قال اكثروا من زيارة هذا البيت من قبل ان يرفع ونبيسي الناس
مكانه واكثروا من تلاوة القرآن من قبل ان يرفع قالوا يا ابا عبد الرحمن
هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الرجال قال يصبحون فيقولون
كنا نتكلم بكلام ونقول قولا فيرجعون الى شعر الجاهلية واحاديث
الجاهلية وذلك حين يقع القول عليهم وقيل القول هو قوله تعالى ولكن
حق القول مني لاملان جهنم فوقوع الفعل القول وحوالي العذاب على
هؤلاء اي فاذا صاروا الى حد لا يقبل توبتهم ولا تولدهم ولد مومن
فحينئذ تقوم الساعة ذكره القشيري وقول سادس قالت حفصة
بنت سيرين سالت ابا العالية عن قول الله عز وجل واذا وقع القول
عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم فقال اوحى الله الى نوح انه لن
يومن من قومك الا من قد امن فكان كان على وجهي غطا كشف قال
الحارس وهذا من احسن الجوار لان الناس ممتحنون ومعدون
لان فيهم مومنين وصالحين ومن قد علم الله جل وعز انه سيومن ويتوب
فلهذا امهلوا وامر باجذ الجزية فاذا زال هذا وجب القول عليهم

كذا في الاصل

فصار والقوم نوح قال الله عز وجل انه لن يومن من قومك الا من قد امن
فلم يومن جميع الا قليل عشرة او نيف يرجع الى معنى واحد والدليل
عليه اخر الاية ان الذين كانوا يا باتنا لا يوقنون وقريبان بفتح الهمزة
وسيباتي وفي صحيح مسلم من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفسا ايمانها طلوع الشمس من مغربها والدخان
والدابة الارض وقد مضى واختلف في تعيين هذه الدابة وصفتها
ومن اين تخرج اختلافا كثيرا قد ذكرناه في كتاب التذكرة ونذكره
هنا ان شاء الله تعالى مستوفى في اول الاقوال انه فصيل ناقة صالح وهو
اصحها والله اعلم لما ذكره ابو داود الطيالسي في مسنده عن حذيفة قال
ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدابة قال لها ثلاث خرجات من الدهر فتخرج
في اقصى البادية ولا تدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم تكمن زمانا طويلا ثم
تخرج خرجة اخرى دون ذلك فيفشو ذكرها في اهل البادية ويدخل
ذكرها القرية يعني مكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بينا الناس في اعظم
المساجد على الله حرمة حيزوما واكرمها المسجد الحرام لم يرعهم الا وهي ترغو
بين الركن والمقام تزفر عن راسها التراب قد رفضت الناس منها شتى ومعا
وبقيت عصابة من المومنين رفعوا انهم لن يعجزوا الله فيدنون بهم
فحلت وجوههم حتى جعلتها كالكوكب الدري وولت في الارض لا يدركها
هارب حتى ان الرجل ليتعوذ منها بالصلاة فتاتيه من خلفه فتقول
يا فلان الان فصل فيقبل عليها فتسمه في وجهه ثم تنطلق ويبتزل
الناس بالاموال ويصطلحون في الاسواق ويعرف المومن من الكافر حتى
ان المومن يقول يا كافر اقضني حقي وموضع الدليل من هذا الحديث انه
الفصيل قوله وهي ترغو والرغاء انما هو للابل وذلك ان الفصيل
لما فلت الناقة هرب فانفتح له حجر فدخل في جوفه ثم انطبق عليه
الحجر فهو فيه حتى يخرج باذن الله عز وجل وروي انها دابة مرعبة

شعر آذان فوايم طولها ستون ذراعا ويقال لها الجساسه وهو قول
عبدالله بن عمر ورويانها علي حلقة الادميين وهي في السحاب وقوايمها
في الارض ورويانها خلقت من خلق كل حيوان وذكر الماوردي والثعلبي
راسها راس ثور وعينها عين خنزير واذنها اذن فيل وقرنها قرن ايل
وعنقها عنق نعامه وصدرها صدر اسد ولونها لون نمر وخاصرتها
خاصره هر وذنبها ذنب كبش وقوايمها قوايم بعير بين كل مفصل ومفصل
اثني عشر ذراعا ان المختار بن ذراع ادم عليه السلام يخرج معها عصي
موسي وخاتم سليمان فتلثم في وجه المومن بعصي موسي فتكتبه مومنا
فيبيض وجهه وتلثم في وجه الكافر بخاتم سليمان فينسود وجهه قاله
ابن الزبير رضي الله عنهما وفي كتاب الثعلبي عن ابن عباس ان الدابه
تخرج من الشعب الذي عند الكعبه التي اقتلعتها العقاب حين ارادت قريش
بناء الكعبه وحكي الماوردي عن ابي بن كعب عن علي بن ابي طالب عليه
السلام انه سئل عن الدابه فقال اما والله ما لها ذنب وان لها للحيه قال
الماوردي وفي هذا القول منه اشاره الي انها من الانس وان لم يصرح به
ملت وهذا والله اعلم قال المتاخرين من المفسرين انا لا نقول
تكون هذه الدابه انسانا متكلما يناظر اهل البدع والكفر ويجادلهم لينقطعوا
فيهلكوا من هلك عن بينه ويحيي من حي عن بينه قال شيخنا ابو العباس احمد
ابن عمر القرطبي في كتابه المفهم له واما كان عندهذا القايل الا نزر لقوله تعالي
تكلمهم وعلي هذا فلا يكون في هذه الدابه اية خالصه خارقه للعاده ولا
تكون من جمله العشر ايات المذكوره في الحديث لان وجود الناظرين
والمجيبين علي اهل البدع كثير فلا انه فلا ينبغي ان تذكر مع العشر وتدفع
خصوصيه وجودها اذا وقع القول ثم فيه العدول عن تسميه هذا
الانسان الناظر الفاضل العالم الذين علي اهل الارض باسم الانسان
او العالم او بالامام الذي يسمي بدابه وهذا خروج عن عاده الفصحا
وعن تعظيم العلما وليس ذلك بالعقلا فالاولي ما قاله اهل التفسير

والله تعالي اعلم بالامور عليم فلنشرع في الاشكال في هذه الدابه وما
ذكرناه من حديث ينبغي ان يعتمد عليه ولنختلف في اي موضع تخرج
فقال عبدالله بن عمر تخرج من جبل الصفا بمكه ينصدع فتخرج منه فقال
لو شيئان اضع قدمي علي موضع خروجها لفعلت وروي في خبر عن النبي صلي الله
عليه وسلم ان الارض تتشقق عن الدابه وعيسي عليه السلام يطوف
بالبيت وسمعها المسلمون من ناحيه المسعي وانها تخرج من الصفا فتسم
بين عيني المومن هو المومن سمه كانها كوكب دري وتسم بين عيني الكافر
نكته سوداء كافر وذكر في اخبارها ذات وبر وريش ذكره المهدوي
وعن ابن عباس انها تخرج من شعب عنيزه راسها السحاب ورجلاها في
الارض لم تجف بعد ويخرج معها عصا موسي وخاتم سليمان وعن حذيفه
تخرج ثلاث خرجات خرجه في بعض الوادي ثم تكمن وخرجه في البدو
فتفاتل فيها الامر احين تثير الدما وخرجه من اعظم المساجد واكرمها
واشرفها وافضلها ان الزمخشري تخرج من بين الركن حذا دار مخزوم
عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظاره وروي
عن قتاده انها تخرج في تهامه وروي انها تخرج من مسجد الكوفه من
حيث فار التنور علي السلام وقيل من بحر سدوم قاله وهب بن منبه وذكره
الثلاثه اقوال الاخيره الماوردي في كتابه وذكر البغوي ابو القاسم عبدالله
ابن محمد بن عبدالعزيز قال حدثنا علي بن الجعد عن فضيل بن مرزوق
الرقاشي الاغر وسيل عنه يحيي بن معين فقال ثقه عن عطيه العوفي
عن ابن عمر قال تخرج الدابه من صدع في الكعبه يجري ثلاثه ايام
لا يخرج ثلثها قلت هذه اقوال الصحابه والتابعين فمن بعدهم
الدابه وصفتها وهي تدفعل من قال من المفسرين ان الدابه انما هي انسان
متكلم يناظر اهل البدع والكفر وقد روي ابو امامه عن النبي صلي الله عليه
وسلم قال تخرج الدابه فتسم الناس علي خراطيمهم ذكره المهدوي

تكلمهم بضم التاء وشد اللام مكسوره من الكلام قرآه العامه يدل عليه قراءة ابي
تنبيهم وقال السدي تكلمهم بطلان الاديان سوى دين الاسلام وقيل
تكلمهم بما يسوءهم وقيل تكلمهم بلسان دابة تقول لصوت سمعه من قرب ومن
بعد ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون اي يخرجي لا نخرجها من الايات
وتقول الا لعنة الله على الظالمين وقرا ابو زرعة وابن عباس والحسن وابو رجا
تكلمهم من الكلم وهو الجرح قال عكرمة اي تسمهم تكلم المؤمن وتكلم
الكافر والفاجر اي تخرجه وقال ابو حاتم تكلمهم كما تقول لخرجهم يذهب الى انه
تكثير من تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون وقرا الكوفيون وابن
اسحق ان بالفتح وقرا اهل الحرمين واهل الشام واهل البصرة ان بكسر الهمزه
قال الحابس والمفتوحه تؤلان وكذا المكسوره قال الاخفش المعنى بان
وكذا قرا ابن مسعود بان وقال ابو عبيد موضعها نصب بوقوع الفعل
عليها اي بخبرهم ان الناس وقال الكسائي والفراء ان الناس بالكسر على الاستيناف
وقال الاخفش هي بمعنى تقول ان الناس يعني الكفار بآياتنا لا يوقنون
يعني بالقرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم وذلك حين لا يقبل الله من كافر ايمانا ولم
يكن آمن موقنا كما قرون في علم الله قبل خروجها قوله تعالى

ويوم نحشر من كل امة فوجا

اي زمرة وجماعة ممن يكذب بآياتنا يعني القرآن واعلامنا الدالة على الحق
فهم يوزعون اي يدفعون ويساقون الى موضع الحساب قال الشماخ

وكم وزعنا من خميس جحفل ... وكم حبونا من رئيس مسجل

وقال قتادة يوزعون اي يساقون اولهم على آخرهم حتى اذا جاؤا قال الله
قال الله اكذبتم بآياتي التي انزلتها على رسلي وما لآياتي التي اقمتها دلالة على
توحيدي ولم تحيطوا بها علما اي بطلانها حتى تعرضوا عنها بل كذبتم
جاهلين غير مستدلين اما ذا كنتم تعملون تفريع وتوبيخ اي بماذا كنتم
تعملون حين لم تحيطوا عنها ولم تتفكروا فيها ووقع القول عليهم بما ظلموا اي
وجب للعذاب عليهم بظلمهم اي بشركهم فهم لا ينطقون اي ليس لهم عذر فلا حجة
وقيل يختم على افواههم فلا ينطقون قاله اكثر المفسرين قوله تعالى
اولم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه اي يستقرون وينامون والنهار مبصرا
اي يبصر فيه لسعي الرزق ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون بالله ذكر
الدلالة على الاعيان وقدرته اي الم يعلموا كما قدرنا فتوقنوا قوله تعالى

ويوم ينفخ في الصور

اي واذكر يوم او وذكر من يوم ينفخ في الصور وسنها القرآن المعنى وذكرهم
يوم ينفخ في الصور واجاز فيه الحذف والصحيح في الصور انه قرن
من نور تنفخ فيه اسرافيل وقال مجاهد كهيئة البوق وقيل هو البوق بلغة اهل
اليمن وقد مضى في الانعام بيانه وما للعلماء في ذلك ففزع من في السموات ومن
في الارض الا من شاء الله قال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لما
فرغ من خلق السموات والارض خلق الصور واعطاه اسرافيل فهو واضعه
على فمه شاخص ببصره الى العرش ينظر متى يؤمر بالنفخه فلت يا رسول الله
وما الصور قال قرن والله عظيم والذي بعثني بالحق ان عظم داره فيه كعرض
السماء والارض ينفخ فيه ثلاث نفخات النفخة الاولى نفخة الفزع والثانية
نفخة الصعق والثالثة نفخة البعث والقيام لرب العالمين وذكر
الحديث ذكره علي بن سعيد وذكره الطبري والثعلبي وغيرهم وصححه ابن
العربي وقد ذكرناه في كتاب التذكرة وتكلمنا عليه هناك وان الصحيح
في النفخ في الصور نفختان لا ثلاث وان نفخة الفزع انما ان تكون راجعة
الى نفخة الصعق لان الامرين لا زمان لهما اي فزعوا فزعا ما فاماته
او الى نفخة البعث وهو اختيار القشيري وغيره فانه قال في كلامه
على هذه والمراد النفخة الثانية اي يكون فزعون يقولون يا ويلنا من
بعثنا من مرقدنا ويعاينون من الامر ما هولهم ويفزعهم وهذا النفخ الصور
اي كصوت البوق ليجتمع الخلق في ارض المحشر وقال الماوردي

ويوم ينفخ في الصور هو يوم النفخ من القبور قال وفي هذا الفزع
قولان احدهما انه الاجابه والاسراع الي النداء من قولهم فزعت البك
في كذا اذا اسرعت الي نبابك في معونتك والقول الثاني
ان الفزع هنا هو الفزع المعهود من الخوف والحذر لانهم ازعجوا من
قبورهم ففزعوا وخافوا وهذا اشبه القولين قلت والسنه
الثابته من حديث ابي هريره وحديث عبدالله بن عمرو يدل على انهما نفختان
لا ثلاث خرجهما مسلم وقد ذكرناهما في كتاب التذكره وهو الصحيح
ان شاء الله تعالي انهما نفختان قال الله تعالي ونفخ في الصور فصعق
من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله فاستثناهما كما استثنى
في نفخه الفزع فذل انهما واحده وقد روي ابن المبارك عن الحسن
قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم بين النفختين اربعون سنه الاولي
يميت الله بها كل حي والاخري يحيي بها كل ميت فان قيل فان قوله تعالي
يوم نزجف الراجفه تتبعها الرادفه الي ان قال قلوب يومئذ واجفه
وهذا يقتضي بظاهره انها ثلاث فيقال له ليس كذلك وانما اراد
بالزجره النفخه الثانيه التي تكون عنها خروج الخلق من قبورهم كذلك
قال ابن عباس ومجاهد وعطا وابن زيد وغيرهم قال مجاهد هما صيحتان
اما الاولي فيميت كل شيء باذن الله واما الاخري فيحيي كل شيء باذن الله
وقال عطا الراجفه النفخه والرادفه البعث وقال ابن زيد
الراجفه الموت والرادفه الساعه والله اعلم الا من شاء الله اختلف
في هذا المستثنى منهم ففي حديث ابي هريره انهم الشهداء عند ربهم
يرزقون انما يصل الفزع الي الاحياء وهو قول سعيد بن جبير انهم الشهداء
يتقلدون السيوف حول العرش قال القشيري والانبياء
داخلون في جملتهم لان لهم الشهاده مع النبوه وقيل الملائكه وقال
الحسين استثنا طوائف من الملائكه يموتون بين النفختين قال
مقاتل يعني جبرايل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وقيل الحور العين

وقيل هم الموتون لان الله تعالي قال عقيب هذا من جاء بالحسنه فله خير
منها وهم من فزع يومئذ امنون وقال بعض علمائنا الصحيح انه
لم يرد في تعيينهم خبر صحيح والكل محتمل قلت حيي عليه حديث
ابي هريره وقد صححه القاضي ابوبكر بن العربي فليقف عليه لانه نص في التعيين
وغيره اجتهاد والله اعلم وقيل غير هذا على ما بيناه في الزمر وقوله ففزع من في
السموات ماض وسيجيء مستقبل فيقال كيف عطف ماضيا على مستقبل فالجواب
الزاما ان هذا محمول على المعني لان المعني اذا نفخ في الصور ففزع الا من شاء الله
نصب على الاستثنا وكل اتوه داخرين قال ابوحمزه وعاصم والكسائي ونافع
وابن عامر وابن كثير اتوه جعلوه فعلا مستقبلا وقرا الاعمش ويحيي وحمزه
وحفص عن عاصم وكل اتوه مقصورا على الفعل الماضي وكذلك قراه ابن مسعود
وعمر وقتاده كل اتاه داخرين قال النحاس وفي كتاب عزاب اسحق في القرآن
وكل اتوه وحد على لفظ كل ومن قرا اتوه جمع على معناها وهذا الفعل غلط قبيح
لانه اذا قال وكل اتوه فلم يوجد الا جمع ولو وجد لقال اتاه لكن من قال اتوه
جمع على المعني وجاء به ماضيا لانه رده الي ففزع ومن قرا وكل اتوه حمله
على المعني ايضا وقال اتوه لانها جمله منقطعه من الاول قال ابن مقسم وقد حكي
عن ابي اسحق رحمه الله ما لم يقله ونصب ابي اسحق وكل اتوه داخرين وبنا اتوه
فزع حينئذ لفظ كل ومن جمع فلمعناها يزعم اني القرآن وغيره من يوحد خبر كل
فيقول لفظ اوجمع فعلي المعني فلم يأخذ ابوجعفر هذا المعني قال الهدوي
ومن قرا وكل اتوه داخرين فهو فعل من الاثنين وحمل علي معني كل دون
لفظها ومن قرا وكل اتوه داخرين فهو فعل من الاثنين وحمل علي معني كل
دون لفظها ومن قرا وكل اتوه داخرين فهو اسم الفاعل ومن اتي بدل على ذلك
قوله تعالي وكلهم اتيه يوم القيمه فردا ومن قرا وكل اتاه حمله على لفظ كل
كل دون معناه وحمل داخرين على المعني ومعناه صاغرين ذليل عن ابن عباس
وقتاده قوله تعالي

وترى الجبال تحسبها جامدة

قال ابن عباس اي قايمه وهي تسير سير السحاب يقال الفتبي وذلك ان الجبال تجمع وتسير وهي في رويه العين كما نفايه وهي تسير وكذلك كل شئ عظيم وجمع كثير يقصر عنه النظر لكثرته وبعده ما يراه طرافه وهو حسبانا نظر كالواقف وهو يسير قال النابغه في وصف جيش

بارعن مثل الطود تحسبهم ... وقوف لحاج والركاب تهملج

قال الفتبي وهذا يوم اليقنه اي هي لكثرتها كانها جامدة وهي في رويه العين وانكانت في انفسها تسير سير السحاب والسحاب الراكم نظرنا بها وافقه وهي تسير اي تمر مر السحاب حتى لا يبقى منها بقي قال الله تعالى وسيرت الجبال فكانت سرابا ويقال ان الله تعالى وصف الجبال بصفات مختلفه ترجع كلها الى تفريغ الارض منها وابرازما كانت تواريها فاول الصفات الاندكاك وذلك قبل الزلزلة ثم تصير كالعهن المنفوش وذلك اذا صارت اسرع كالمهل وقد جمع الله بينها فقال يوم تكون السما كالمهل وتكون الجبال كالعهن والحال الثالثه ان تصير كالهبا وذلك ان تقطع بعد ان كانت كالعهن والحاله الرابعه ان تنسف لارتفاع الاحوال المتقدمه قاره في مواضعها والارض بحيث يعز بارزه فتنسف عنها لتبرز فاذا انسفت فبارسال الرياح عليها والحاله الخامسه ان الرياح ترفعها على وجه الارض فتظهرها شعاعا في الهوى كانها غبار فمن نظر اليها من بعد حسبها لتكاثفها اجسادا جامده وهي بالحقيقه مارة الا ان مرورها مرور الرياح لانها مندكه متنفشه والحاله السادسه ان تكون سرابا فمن نظر الى مواضعها لم يجد شيئا منها كالسراب قال مقاتل تقع على الارض فيبسوى بها ثم قيل هذا مثل قال الماوردي وفيما ضرب له ثلاثه اقاويل احدها انه مثل ضربه الله تعالى للدنيا ينظر الناظر اليها انها واقعه كالجبال وهي ماخذه بحظها من الزوال كالسحاب قاله سهل بن عبد الله الثاني انه مثل ضرب للابدان تحسبها ثابتا في القلب وعمله صاعدا الى السما الثالث انه مثل

ضرب للنفس حين خروج الروح والروح تسير الى العرش ضع الله الذي اتقن كل شئ هذا من فعل الله وهو فعل مستقن ويروى من رويه العين ولو كانت كذلك رويه القلب لتعدت الى مفعولين والاصل ترايي فالقيت حركه الهمزه على الرا فتحركت الرا وحذفت الهمزه وهنا سبيل تخفيف الهمزه اذا كان قبلها ساكن الا ان التخفيف لازم لنري واهل الكوفه يقرون تحسبها بفتح السين وهو القياس لانه من حسب يحسب الا انه قد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافها انه قرا بالكسر والمستقبل فيكون على فعل يفعل مثل نعم ينعم وبس يبس وحبي يبس يبس من السالم لا يعرف في كلام العرب غير هذه الاحرف وهي تمر السحاب تقديره وهي تمر مر امثل السحاب فاقيمت الصفه مقام الموصوف والمضاف مقام المضاف اليه والجبال تزال عن اماكنها من على وجه الارض فتجمع وتسير كما تسير السحاب ثم تكسر وتعود الى الارض كما قال وسيرت الجبال فساخت عند الخليل وسيبويه منصوب على انه مصدر لانه لما قال عز وجل يوم تمر السحاب دل على انه قد ضع ذلك صنعا ويجوز النصب على الاغرا اي انظروا صنع الله فيوقف على هذا على السحاب ولا يوقف عليه على التقدير الاول ويجوز رفعه على ذلك صنع الله الذي اتقن كل شئ بالرفع على الحكايه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله من عمل عملا فاتقنه وقال قتاده احسن كل شئ والاتقان الاحكام يقال رجل تقن اي حاذق الاشيا وقال الزهري اصله من اتقن ثم يقال لكل حاذق تقن انه لحسن ما تفعلون قرا ابن كثير وابو عمرو ويشام باليا والباقون تفعلون بالتا على الخطاب

من جا بالحسنه فله خير منها

قال ابن مسعود وابن عباس الحسنه لا اله الا الله وقال ابو معشر كان ابرهيم يحلف بالله الذي لا اله الا هو ولا يستثني ان الحسنه لا اله الا الله محمد رسول الله وقال علي بن الحسين بن علي رضوان الله عليهم عن رجل فاخلا بكان

قال لا اله الا الله وحده لا شريك له في ارض الروم في ارض خلقا وبروى رفع صوته
فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له فخرج عليه رجل على فرس عليه ثياب بيض فقال
والذي بعثني بيده انها الكلمه التي قال الله تعالى من جاء بالحسنه الايه وروى ابو ذر
قال قلت يا رسول الله من الحسنات لا اله الا الله قال من افضل الحسنات وفي روايه
قال نعم هي احسن الحسنات ذكره البيهقي وقال قتاده من جاء بالحسنه الاخلاص
والتوحيد وقيل اداء الفرايض كلها قلت اذا اتى بلا اله الا الله على حقيقتها
وما يجب لها على ما تقدم بيانه في سوره ابرهيم فقد اتى بالتوحيد والاخلاص
والفرايض فله خير منها قال ابن عباس اي وصل اليه الخير منها وقاله مجاهد
وقيل فله الجزا الجميل وهو الجنه وليس خير للتفضيل قال عكرمه وابن
جريج اما انه يكون له خير منها بعني من الايمان فلا فانه ليس شي خير من قال
لا اله الا الله ولكن له منها خير وقيل فله خير منها للتفضيل اي ثواب الله خير
من عمل العبد وقوله وذكره وكذلك وصول الله خير للعبد من فعل العبد قاله ابن عباس
وقيل يرجع هذا الى الاضعاف فان الله تعالى يعطيه بالواحده عشرا وبالايمان
سبعمائه بيسير الثواب لا يدرى قاله محمد بن كعب وعبد الرحمن بن زيد وهم من فزع
يومئذ امنون قرا عاصم وحمزه والكسائي من فزع يومئذ بالاضافه
قال ابو عبيد وهذا عجبي لانه اعم النفي وليس ان يكون الامن من جميع
فزع ذلك اليوم واذا كان من فزع يومئذ صار كانه فزع دون فزع قال
القتيبي وقرى من فزع بالتنوين ثم قيل بعيته به فزعا واحدا كما قال لاجزنهم
الفزع الاكبر وقيل عنى النكره لانه مصدر والمصدر صالح للكره قلت
يقبل منا تنون الفزايين بعين قال الهدوي ومن قرا من فزع يومئذ
بالتنوين انتصب يومئذ بالمصدر الذي هو فزع ويجوز ان يكون صفه
لفزع ويكون متعلقا لمحذوف لان المصادر عبر عنها باسما الزمان ونوصف
بها ويجوز ان يتعلق باسم الفاعل الذي هو امنون والاضافه على الاتساع
في الظروف ومن حذف التنوين وفتح الميم بناه لانه ظرف زمان وليس الاعراب
من صرف الزمان ممكنا فلما اضيف الى غير ممكن ولا يعرب بني

واسند سيبويه عجبا الى الناس حال امورهم فقد لا تدفع المال بذل الغلاب

قوله تعالى

ومن جاء بالسيئه

اي بالشرك قاله ابن عباس وابو هريره والنخعي ومجاهد وقتيبه بن سعد والحسن وهو اجماع
من اهل التاويل في ان الحسنه لا اله الا الله وان السيئه الشرك في هذه الايه فكبت
وجوههم في النار قال ابن عباس لما قيت فقال اصحاب طرحت بقال كببت
الانا اي قلبته على وجهه واللائم منه اكب وقل ما ياتي هذا في كلام العرب
هل يجزون اي بقال لهم هل تجزون ثم يجوز ان يكون من قول الله سبحانه وتعالى
ويجوز ايضا ان يكون من قول الملايكه وقوله هل تجزون الا ما كنتم تعملون اي الا
جزا عملكم قوله تبارك وتعالى اما امرت ان اعبد رب هذه البلده التي حرمها يعني
مكه التي عظم الله حرمتها اي جعلها حرما امنا لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها
احد ولا يصاد فيها صيد ولا يعضد فيها شجر على ما تقدم بيانه في غير موضع وقرا
ابن عباس التي حرمها بفتح الحاء والميم بنا للبلده وقرا الجاحد الذي وهو في موضع نصب بفعت
الرب ولو كان الالف واللام لقلت الحرمها فان كان نعتا للبلده قلت الحرمها
هو لا يتبين اظهار المضمر مع الالف واللام لان الفعل جري على غير من هو له قال
قلت التي حرمها لم يجز ان تقول هو وله كل شي خلقا وملكا وامرت ان اكون من
المسلمين المنقادين لامره الموحدين له وان اتلوا القرآن اي وامرت ان اتلوا
القرآن اي اقرأه فمن اهتدى فله ثواب هدايته ومن ضل فليس علي الا البلاغ
نسختها ايه القتال قال النحاس وان اتلوا نصب بان قال الفراء في
احدى القرايتين وان اتل وزعم انه في موضع جزم بالامر فلذلك حذفت منه
الواو قال النحاس ولا نعرف احدا قراها في الحالتين بجميع المصاحف

الفراء وهي

وقل الحمد لله

اي على نعمه وعلى ما هدانا سبيله بكم اياته اي في انفسكم وفي غيركم كما قال

سنريهم ايانا في الافاق وفي انفسهم فيعرفونها اي دلايل قدرته ووحدانيته في انفسكم
وفي السموات وفي الارض نظيره قوله تعالى وفي الارض ايات للموقنين وفي انفسكم
افلا تبصرون وما ربك بغافل عما تعملون قرا اهل المدينه واهل الشام وحفص
عن عاصم بالتاء على الخطاب لقوله سنريكم ايا ته فتعرفونها فيكون الكلام على
نسق واحد ٥ الا قون بالتاء على ان يرد الهما قبله فتزامتديين فاحترز عن تلك
الايه عند السوره والحمد لله رب العالمين

سوره القصص

كلها في قول الحسن وعكرمه وعطا وقال ابن عباس
وقتاده الا ايه انزلت بين مكه والمدينه وقال
ابن سلامه بالجحفه في وقت هجره رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى المدينه في قوله عز وجل ان الذي فرض عليك القرآن
لرادك الى معاد وقال مقاتل فيها من المكي الذين
اتيناهم الكتاب الى قوله سبحانه لا نبتغي الجاهلين
وهي ثمان وثمانون ايه

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل

طسم

تقدم الكلام فيه

تلك ايات الكتاب المبين

في موضع رفع بمعنى هذه تلك وايات بدل منها ويجوز ان تكون تلك في موضع نصب
بيتلو وايات بدل منها ايضا وتنصبها كما تقول زيدا ضربت والمبين اي المبين
بركته وخيره والمبين الحق من الباطل والحلال من الحرام وقصص الانبياء

وسوف محمد صلى الله عليه وسلم يقال ابان الشيء وبان وابان افصح قوله عز وجل

نتلوا عليك من نبا موسى وفرعون

بالحق لقوم يومنون

ذكر قصه موسى وفرعون وهارون واحتج على مشركي مكه قريش وبين ان قرابه
قارون من موسى لم تنفعه مع كفره كذلك قرابه قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم لا تنفعهم
مع كفرهم وبين ان فرعون علا وتجبر فكان ذلك من كبره فليحتنب العلو في
الارض وكذلك التعزز بكثره المال وهما من سيره فرعون وقارون نتلوا عليك
اي نقرا عليك جبريل بامرنا بنا موسى وفرعون اي من خبرهما ومن للتبعيض
ومن بنا مفعول نتلوا اي نتلوا عليك بعض خبرهما لقوله تعالى تنبت بالدهن
ومعنى الحق اي بالصدق الذي لا ريب فيه ولا كذب لقوم يومنون اي
يصدقون بالقرآن ويعلمون انه من عند الله فاما من لم يومن فلا يعتقد انه حق
قوله عز وجل

ان فرعون علا في الارض

اي استكبر وتجبر قاله ابن عباس والسدي وقال قتاده علا في نفسه عن عباده
ربه بكفره وادعا الربوبيه وقيل بلغه وسلطانه فصار عاليا على من
تحت يديه في الارض اي ارض مصر وجعل اهلها شيعا اي فرقا واصنافا في
الخدمه قال الاعشى وبلده يرمى الجواب دلجتها حتى تناه عليها يبتغي الشيعا
فاستضعف طايفه منهم اي من بني اسرايل يذبح ابناهم ويستحيي نساهم انه كان
من المفسدين تقدم القول في هذا في البقره عند قوله يسومونكم سوء العذاب
يذبحون ابناءكم الايه وذلك ان الكهنه قالوا له ان مولودا يولد في بني
اسرايل يذهب ملكك على يده او قال المنجمون له ذلك واري رويا عبرت
بذلك قال الزجاج المعنى من جمله لم يبين الكلام من صدق
فان القتل لا يقع وان كذب فلا معنى للقتل وقيل جعلهم شيعا

هوان مستحكل قوم من بني اسرايل في شغل مفرد انه كان من المفسدين اي في
الارض بالعمل بالمعاصي والتجبر فتوعده تعالى

ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض

اي نتفضل عليهم وننعم ومنه حكايه مننت وتحلمه ايه قال ابن عباس قاده في
الخير وقال مجاهد دعاه الى الخير قتاده وكله دليله فقيل لقتال
وجعلكم ملوكا قتاده وهذا اعم فان الملك لهم يتم به وبهتدي به وتحلم
الوارثين يعني لملك فرعون يرثون ملكه ويسكنون مساكن القبط هذا معنى
قوله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرايل بما صبروا وقوله تعالى ونمكن
لهم في الارض اي نجعلهم مقتدرين على الارض وعلى اهلها حتى يتبوؤا منها حيث
ارض الشام ومصر ونري فرعون وهامان وجنودهما اي ونريد ان نري
فرعون وقرا الاعمش ويجي وحمزه والكسايي ونجعله ورش بالياء على انه
فعل ثلاثي من راي وفرعون وهامان وجنودهما رفعا لانه فاعل الفعل
نري بضم النون وكسر الياء على انه فعل رباعي من اراي يري وهو على نسق الكلام
لان قبله ونريد ونجعله ولكن فرعون وهامان وجنودهما نصبا بوقوع
الفعل وجاز الفرا ونري فرعون بضم الياء وكسر الراء وفتح الالف بمعنى ونري الله
فرعون منهم ما كانوا يحذرون وذلك انهم اخبروا ان هلاكهم على يدي رجل
من بني اسرايل فكانوا على وجل منهم فاراهم الله تعالى ما كانوا يحذرون
قال قتاده كان رجا لفرعون واخباري المنجم قال لهم انه سيولد في هذه
السنه مولود يذهب بملكك فامر فرعون بقتل الولدان في تلك السنه وقد
تقدم ذكر ذلك مرارا

واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه

قد تقدم معنى الوحي ومحامله واختلف في هذا الوحي الى ام موسى فقالت فرقه
كان نبوة لانبي سماها وقال قتاده كان الهاما وقالت فرقه كان ملكا تمثل لها

وقال مقاتل انا هاجبريل عليه السلام بذلك فعلى هذا هو وحي اعلام الهي
واجمع الكل على انها لم تكن نبيه وانما ارسال الملك اليها على نحو تكليم الملك
للامرع والابرص والاعمى في الحديث المشهور خرجه البخاري ومسلم وقد ذكرناه
في سوره براه وغير ذلك مما دون من تكليم الملائكة من غير نبوة وقد سلمت
على عمران يحصين ولم يكن بذلك نبيا واسمها اياوخا وقال ابن عباس في
ذكر السهيلي وقال الثعلبي واسم ام موسى يوخا بنت لاوي بن
ابن يعقوب ان اصفيه وقرا عمر بن عبد العزيز ان اصفيه بكسر النون
كالف وصل حذفت همزه ارضعي تخفيفا ثم كسر النون لالتقا الساكنين
قال مجاهد وكان الوحي الرضاع قبل ان ولدوه وقال غيره بعدها قال السدي لما ولدت
ام موسى موسى امرت ان ترضعه عقيب الولاده وتضع به بالذ الابيه
لان الخوف كان عقيبها الولاده وقال ابن جريج امرت برضاعته اربعه اشهر
في بيتها فاذا خافت ان يصيح لان لبنها لا يكفيه صنعت به هذا فالاول الظهر
الا ان الاخر يعضده قوله فان خفت عليه واذا لما يستقبل من الزمان فروي
انها لما حدثت نابوتا من سعف وقيرته بالقار من داخله ووضعت فيه موسى
والقته في نيل مصر وقد مضى خبره في طه فلما كثر وانتشر بنو اسرايل
بمصر استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصي فسلط الله عليهم القبط فساموهم
سوء العذاب الى ان حكم الله على يد موسى قال وهب يعني ان فرعون ذبح في طلب موسى
سبعين الف وليد ورويانها جبرا قربت وضربها الطلق وكانت بعض
القوابل الموكله بحبالى بني اسرايل مصافيه لام موسى فقالت لها لينفعني
حبك اليوم فعالجتها فلما وقع بالارض هالها نور بين عينيه وارتعش كل
مفصل منها ودخل حبه قلبها ثم قالت لام موسى ما جئتك الا لاقتل مولودك
واخبر فرعون ولكني وجدت لابنك حبا ما وجدت مثله فاحفظيه فلما
خرجت جاءون فرعون فلفته في خرقه ووضعته في تنور مسجور نارا لم
تعلم ما تصنع لما طاش عقلها فطلبوا فلم يلفوا شيئا فخرجوا وهي لا تدري كانه
سمعت بكاه من التنور وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فقوله تعالى

ولا تخاف فيه وجهان احدهما لا تخافي عليه الغرق قاله ابن زيد الثاني لا تخافي عليه الضيعة قاله يحيى بن سلام ولا تحزني فيه ايضا وجهان احدهما لا تحزني لفراقه قاله ابن زيد الثاني لا تحزني انه يقتل قاله يحيى بن سلام ايضا فقيل انها وصفته في ثابوت طوله خمسة اشبار وعرضه خمسة اشبار وجعلت المفتاح مع الثابوت وطرحته في اليم بعد ان رضعته اربعة اشهر وقال احزون ثلثة اشهر وقال الاخرون ثمانية اشهر وحكاه الكلبي وحكي انه لما فرغ البحار من صنعة الثابوت ثم الى فرعون يخبره بصنعه من اخذه فطمس الله على عينيه وقلبه فلم يعرف الطرق فايقن انه المولود الذي يخوف منه فرعون فامر من ذلك الوقت وهو موسى الى فرعون ذكره الماوردي وقال ابن عباس لما توارى عنها ندمها الشيطان وقال في نفسها لو ذبح عندي فواريته وكفنته كان احب الي من القائه في اليم فقال الله تعالى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين الرسل اي الى ارض مصر حكي الاصمعي قال سمعت جارية اعرابية تنشد وتقول

استغفر الله لذنبي كله قتلت انسانا بغير حله

مثل الغزال ناعما في دله فانصلت الليل ولم اصله

فقلت قاتلك الله ما افصحك فقالت او بعد هذا فصاحة مع قوله تعالى واوحينا الى ام موسى الا يه فجمع في ايه واحده بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين قوله تعالى

فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا

قال ذلك لما كان التقاطهم اياه يودي الى كونه لهم عدوا وحزنا فاللام فيه لتكون لام العاقبة ولام الصيرورة لانهم لما اخذوه ليكون لهم قرة عين فكان عاقبة ذلك ان كان لهم عدوا وحزنا فذكر الحال كما قال الشاعر

ولدنا يا لذبي كل مرضعة ودور لخراب الدهر تبنى المساكن

وقال اخر

فللموت ما تلد الوالدات كما لخراب الدهر تبنى المساكن

اي فعاقبة البناء الخراب وان كان من الحال يعمرونها فالالتقاط وجد الشيء من غير طلب ولا ارادة والعرب تقول لما وجدته من غير طلب ولا ارادة التقطته التقاطا ولقيته فلانا التقاطا قال الراجز

ومنهل وردته التقاطا ولقيت فلانا التقاطا

ومنه اللقطة وقد مضى في ذلك من الاحكام في سورة يوسف ما فيه كفاية وقرا الاعمش وابو يحيى والمفضل وحمزة والكسائي وخلف وحزنا بضم الحاء وسكون الزاي الباقون بفتحها واختاره ابو عبيد وابو حاتم قال النحويون فيه وهما لغتان مثل العدم والعدم والسقم والسقم والرشد والرشد ان فرعون وهامان وكان وجنوده من القبط وجنودهما كانوا خاطئين اي عاصين مشركين الى قوله تعالى

وقالت امراة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه

يروى ان اسية امراة فرعون رات التابوت يوم في اليم فامرت بسوقه وفتحه ورات فيه صبيا صغيرا فرحمته واحبته فقالت لفرعون قرة عين لي ولك اي هو قرة عين فحذف هذا قاله الكلبي وقال النحاس وفيه وجه اخر بعيد ذكره ابو اسحق يكون رفعا بالابتداء والخبر لا تقتلوه وانما بعده لانه بصير المعنى انه معروف بانه قرة عين وجوازه ان يكون المعنى اذا كان قرة عين لي ولك فلا تقتلوه وقيل تم الكلام عند قوله ولك ◦ النحاس والدليل على هذا ما قراه عبد الله بن مسعود وقالت امراة فرعون لا تقتلوه قرة عين لي ولك ويجوز النصب بمعنى لا تقتلوا قرة عين لي ولك وقالت لا تقتلوه فان الله اتى به مرا رصراخي وليس من بني اسرائيل عسى ان ينفعنا فنصيب منه خيرا او نتخذه ولدا وكانت لا تلد فاستوهبته موسى من فرعون فوهبه لها وكان فرعون لما راى الرويا وقصها على كهنته وعلمائه على ما تقدم قالوا له ان غلاما من بني اسرائيل يسلبك ملكك فاحدث بني اسرائيل بذبح الاطفال فراى انه يقطع نسلهم فعاد يذبح عاما ويسيخ عاما فولد هرون في عام الاسيخ وولد موسى في عام الذبح قوله تعالى وهم لا يشعرون هذا ابتداء كلام من الله تعالى وهم لا يشعرون ان هلاكهم سببه وقيل هو من كلام امراة

اي وبنو اسرايل لا يدرون انا التقطناه وهم لا يشعرون الا انه ولدنا واختلف
المتاولون في الوقت الذي قالت فيه امرأة فرعون قرة عين لي ولك وقالت
فرقة كان ذلك عند التقاط التابوت لما اشعرت فرعون به ولما اهمته سبق
الى وهمه انه من بني اسرايل وان ذلك قصد ليتخلص به من الذبح فقال
علي بالذباحين فقالت امرأته ما ذكر فقال فرعون اما لي فلا قال النبي صلى الله عليه
وسلم لو قال فرعون نعم لامن موسى ولكن قرة عين له وقال السدي بل
ربته حتى درج فراي فرعون فيه شهامته وظنه من بني اسرايل فاخذه في يده
فمد موسى يده وتفكيه فرعون فهم حينيذ بذبحه فحينيذ خاطبته بهذا
وجربته له في الجمرة واليا قوته فاحترق لسانه وعلق العقدة على ما تقتم
في طه وقال الفراء سمعت محمد بن مروان الذي يقال له السدي يذكر عن الكلبي
عن ابي صالح عن ابن عباس انه قال انها قالت قرة عين لي ولك فقال فرعون
اما لي لا ثم قال بعضوه فالفراء وهو يحتمل قال ابن الانباري واما حكم
عليه بالحزن لانه لو كان كذلك لكان يقتلونه بالنون لان الفعل المستقبل
مرفوع حتى يدخل عليه الناصب او الجازم فالنون فيه علامة الرفع قال الفراء
ويقوي ذلك على رده قراءة عبد الله بن مسعود وقالت امرأة فرعون لا تقتلوه
قرة عين لي ولك بتقديم لا تقتلوه قوله تعالى

وأصبح فؤاد ام موسى فارغا

قال ابن عباس وابن مسعود فارغا من الحزن ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك
وابو عمران الجوني وابو عبيدة فارغا ايخاليا من ذكر كل شيء في الدنيا الا من
ذكر موسى وقال الحسن ابيا وابن زيد فارغا من الوحي اذ اوحي اليها حين
امرت ان تلقيه في اليم لا تخافي ولا تحزني والعهد الذي عهد اليها ان
يرده فجعله من المرسلين فقالت لها الشيطان يا ام موسى كرهتان
يقتل فرعون موسى فغرقتيه انت ثم يلغها ان ولدها وقع في يد فرعون
فانساها عظم البلاء ما كان من عهد الله اليها وقال ابو عبيدة

فارغا من الحزن والغم لعلمها انه لم يغرق وقاله الاخفش ايضا وقال الكسائي
ذاهلا ناسيا وقيل والها رواه سعيد بن جبير عن ابن القاسم عن مالك هو
ذهاب العقل والمعنى انها حين سمعت وقوعه في يد فرعون طاش عقلها من
فرط الجزع والدهش ونحوه قوله تعالى وافئدتهم هواء اي جوف لا عقول لها كما
تقدم في سورة ابراهيم وذلك ان القلوب مراكز العقول الا ترى الى قوله تعالى
فيقولون لهم قلوب يعقلون بها ويدل عليه قراءة من قرأ فرغا ان كادت لتبدي
الاول والذين قالوا اعلم بكتاب الله عز وجل واذا كان فارغا من كل
شيء الا من ذكر موسى فهو فارغ من الوحي وقول ابي عبيدة فارغا من الغم
غلط قبيح لان بعده ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها روى سعيد
ابن جبير عن ابن عباس قال كادت تقول وا ابناه وقرأ فضالة بن عبيد الانصاري
رضي الله عنه ومحمد بن السميفع وابو العالية وابن يحيى فرغا بالقاف والعين المهملة
من القرع اي خاليا عليه ان يقتل ابن عباس فرغا بالقاف والراء والعين
المهملتين وهي راجعة الى قراءة الجماعة فارغا وكذلك قيل للراس الذي لا
شعر فيه افرع لفراغه من الشعر وحكي قطرب ان بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
قرأ فرغا بالقاف والراء والعين المعجمة من غير الف وهو كقولك هدرا وباطلا يقال
دماؤهم بينهم قرع اي هدر والمعين بطل قلبها وذهب وتقيت لا قلب لها من
شدة ما ورد عليها وفي قوله تعالى واصبح وجهان احدهما انها القته
ليلا فاصبح فؤادها في النهار فارغا الثاني انها القته نهارا ومعنى اصبح
اي صار كما قال الشاعر حتى اذا اصبحت من الخلفا بالامر الرشيد واصبحت المدينة للوليد
ان كادت اي انها كادت فلما حذفت الكناية سكنت النون فلذلك ان المخففة
ولذلك دخلت اللام في لتبدي به اي ليظهر امره من بدا يبدو اذا ظهر
قال ابن عباس اي تفضح عند الناس به وابناه السدي كادت تقول
لما حملت لارضاعه وحضانته هو ابني والهاء في به عائدة الى الوحي تقديره
ان كادت لتبدي بالوحي الذي اوحيناه اليها وقال الفراء ان كادت لتبدي
باسمه لصبق صدرها لولا ان ربطنا على قلبها قال قتادة بالايمان

وقال السدي بالعصمة وقيل بالصبر والرجاء على القلب الهام الصبر لتكون من المؤمنين اي من المصدقين بوعد الله حين قالها انا رادوه اليك وقال لتبدي به ولم يقل لتبدئ به لان حرف الصفات قد يزاد في الكلام تقول اخذت الخيل وبالخيل وقيل اي تبدي بالقول به قوله تعالى

وقالت لاخته قصيه

اي قالت ام موسى لاخت موسى ابتغي اثره حتى تعلمي خبره واسمها مريم بنت عمران وافق اسمها اسم مريم ام عيسى عليهما السلام ذكره الثعلبي والسهيلي وذكر الماوردي عن الصحاري ان اسمها كلثمة وقال السهيلي كلثوم جاء ذلك في حديث رواه الزبير بن بكار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لخديجة اشعرت ان الله زوجني معك اخيك مريم بنت عمران وكلثوم اخت موسى واسيه امرأة فرعون فقالت الله اخبرك بهذا فقال نعم فقالت بالرفا والبنين فضرب بمن عن جنب اي نفد قاله مجاهد ومنه الاجنبي قال الشاعر فلا تحرمني يا بثينة عن جنابه فاني امرؤ وسط القباب غريب واصله عن مكان عن جنبي وقال ابن عباس عن جنب اي عن جانب وقال الضحاك بن سالم عن جانب اي عن ناحيه وقيل عن شوق وحنين الى عمرو بن العلاء انها لغة بجذام يقولون جنبت اليك اي اشفقت وقيل عن جنب عن مجانبة لها منه فلم يعرفوا انها منه بسبيل وقال قتاده جعلت تنظر اليه بناحيه لا تريده وكان يقال عن جنب بفتح الجيم واسكان النون وهم لا يبصرون اي انها اخته كانت تمشي على ساحل البحر حتى اتاهم فتلاحظوه قوله تعالى

وحرمنا عليه المراضع

اي منعناه من الارتضاع من قبل اي من قبل مجيء امه واخته والمراضع جمع مرضعه ومرضاع فهو جمع رضاع ومفعال يكون للتكثير ولا تدخل الهاء فيه فرقا بين المذكر والمؤنث لانه ليس بجار على الفعل ولكن من قال مرضعه جاء بها على المبالغة كما يقال مطرانه قال ابن عباس كان يونى بمرضع فيقبلها وهذا تحريم منع لا تحريم شرع قال امرؤ القيس

جالت لتصرعني فقلت لها اقصري انى امرؤ صرعي عليك حرام

اي ممنوع فلما رأت اخته ذلك قالت لهم هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم واهله عند فقالوا ناصحون وما يدريك لعلك تعرفين اهله قالت لا ولكنهم يحرصون على سروره

الملك ويرغبون في ظئره وقالت السدي وان جزع قيل لها لما قالت وهم له ناصحون فذهبت اهل هذا الصبي فتليا عليهم فقالت ارأيتم لملككم ناصحون وله تشفقون على ابن امرأة باسرهم فجاءت بها والصبي على يد فرعون يلاطفه ويشفقه عليه وهي تبكي نظرا للرضاع فدفع اليها فلما وجد الصبي ريح امه قبل ثديها فسر فرعون بذلك فقال لام موسى حين ارتضع منها كيف ارتضع منك ولم يرتضع من غيرك فقالت لانى امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا اكاد اوتى بصبي الا ارتضع مني قال ابو عمران الجوني وكان فرعون يجعل لام موسى كل يوم دينارا قال الزمخشري فان قلت كيف حل لها تأخذ الاجر على رضاع ولدها قلت ميراثا خذته على انه اجر الرضاع ولكنهما لحرجي كانت تأخذه على وجه الاستحقاق قوله تعالى فرددناه الى امه اي رددناه ووفقنا عطف قلبه العدو عليه واوفينا لها يا لوعدكي تقر عينها اي بولدها ولا تحزن اي بفراق ولدها ولتعلم ان وعد الله حق اي وفوعده فانها كانت عالمة ان رده عليها سيكون ولكن اكثرهم اي اكثر آل فرعون لا يعلمون اي كانوا في غفلة عن تقدير سر القضا وقيل اكثر الناس لا يعلمون ان وعد الله في كل ما وعد حق قوله تعالى

ولما بلغ اشده واستوى اتيناه حكما وعلما

قد مضى الكلام في الاشد في الانعام وقول ربيعه وملك انه الحلم الى ما قيل فيه في قوله تعالى حتى اذا بلغوا النكاح وذلك اول الاشد وانقضاه اربع وثلثون سنه وهو قول سفيان الثوري واستوى وقال ابن عباس بلغ والحكم الحكمه قبل النبوه وقيل النبوه وقال مجاهد معرفة بما كانوا فيه من البغي وغيرها والعلم الفهم في قول السدي وقيل النبوه وقال مجاهد الفقه ويعقوب بن اسحق الماني في دينه ودين اباه وكان له شيعه من بني اسرائيل يسمعون منه ويقتدون به ويجتمعون اليه وكان هذا قبل النبوه وكذلك يجزي المحسنين اي كما جزينا ام موسى لما استسلمت لامر الله والقته ولدها في البحر وصدقت بوعد الله رددنا ولدها اليها والطف اليها وهي امه ثم وهبنا لها العقل والحكمه والنبوه وكذلك يجزي كل محسن قوله تعالى

ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها

قيل لما عرف موسى ما هو عليه من الحق في دينه عاب ما عليه قوم فرعون وفشا ذلك منه فخافوه وخافهم فكان لا يدخل مدينة فرعون الا خائفا مستخفيا وقال السدي كان موسى قد وقت هذه القصه على رسم التعلق بفرعون

وكان يركب حين كان يدعي موسى بن فرعون فركب فرعون يوما وسار الى مدينه من مدائن مصر
يقال لها منف على فرسخين من مصر ثم علم موسى بركوب فرعون فركب بعده وكان بينكما القريه
في وقت القائله وهو وقت القيله قاله ابن عباس وقال ايضا هو بين العشا والعتمه وقال
ابن اسحق بل المدينه مصر نفسها وكان موسى في هذا الوقت وذا طمر خلاف فرعون وعائلهم
عباده فرعون الاصنام فدخل مدينه فرعون يوما على حين غفله من اهلها قال سعيد بن
جبير وقتاده وقت الظهيره والناس نيام وقال ابن زيد كان فرعون قد نادى في موسى واخرجه
من المدينه وغاب عنها سنين وجاء والناس على غفله سنين نسيانهم لامره وبعد عهدهم به
وكان ذلك يوم عيد وقال الضحاك طلبان يدخل المدينه وقت غفله اهلها فدخلها
حين علم منهم ذلك فكان منه من قتل الرجل قبل ان يومر بقتله فاستغفر ربه لعقوله
ويقال في الكلام دخلت المدينه حين غفل اهلها ولا يقال على حين غفل اهلها ودخلت
على في هذه الايه لان الغفله هي المقصوده فصار هذا كما تقول جئت على غفله
وان شئت قلت جئت على حين غفله وكذا الايه فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من
شيعته والعني اذا نظر اليهما الناظر قال هذا من شيعته اي من بني اسرائيل وهذا من
اي من قوم فرعون فاستغاثه الذي من شيعته اي قال طلب نصره وعونه كما قال في
الايه بعدها فاذا الذي استنصره بالامس استصرخه اي يستغيث به على فتطلق احدى
اعانه لان نصر المظلوم دين في الملل كلها وفرض في جميع الشرايع قال قتاده اراد
القبطي ان يسخر الاسرائيلي ليحمل حطبا لمطبخ فرعون فابى عليه واستغاث بموسى قال
سعيد بن جبير وكان حبازا لفرعون فوكزه موسى قال قتاده بعصاه وقال مجاهد
بكفه اي دفعه والوكز واللكز واللهز والنهز معني واحد وهو الضرب بجميع الكف
وقيل الضرب بجمع الكف مجموعا كعقد ثلثه وسبعين وقال الكسائي نهزه مثل نكزه
ووكزه اي ضربه ودفعه ولهزه لهزا اي دفعه لثله ونهزه ولكزه لهده قال طرفه

بطئ عن الداعي سريع الى الخنا ذليل بإجماع الرجال ملهد

اي مدفع والمناشد للكزه وقال عايشه فلهدني رسول الله صلى الله عليه وسلم لهده
اوجعني وزجره وسلم ففعل موسى عليه السلام ذلك وهو لا يريد قتله وانما قصد دفعه
فكانت فيه نفسه وهو معنى قضى عليه وكل شي اتيت عليه وفرغت منه فقد قضيت عليه
قال فدعصه فقضى عليه الاسبع قال هذا من عمل الشيطان اي من اغوايه قال الكسائي

لم يكن يحل قتل الكافر يومئذ في تلك الحال لانها كانت حال الفترة عن القتال انه عدو مضل مبين
حيرة بعد حيرة قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له ندم موسى عليه السلام على ذلك الوكز الذي
كان فيه ذهابا بالنفس فحمله ندمه على الخضوع لربه والاستغفار من ذنبه فاغفاه عرق
والله المزج فاستغفر ثم لم يزل صلى الله عليه وسلم يعد ذلك على نفسه مع علمه بانه قد غفر له حتى
انه في المقيم يقول اني قتلت نفسا لم اومر بقتلها وانما عده على نفسه ذنبا وقال اظلمت نفس
فاغفر لي مع اجل انه لا ينبغي لنبي ان يقتل حتى يومر وايضا فان الانبياء مشفقون مما لا يشفق
غيرهم منه قال القاشاني لم يقتله عن عمد مريدا للقتل وانما وكزه وكزه يريد بها دفع ظلمه
قال وقد قيل ان هناك ان قبل النبوه وقال كعب كان ذلك ابن اثنتي عشره سنه وكان قتله مع ذلك
خطا فان الوكزه والوكزه في العاده لا تقتل ان روى مسلم عن سالم بن عبد الله بن عمر انه قال
يا اهل العراق ما اسألكم عن الصغيره واركبكم للكبيره سمعت عبد الله بن عمر يقول سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان الفتنه تجيء من ههنا واومى بيده نحو المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان
وانتم يضرب بعضكم رقاب بعض وانما قتل موسى الذي قتل من فرعون خطا فقال الله تعالى وقتلت نفسا
فنجيناك من الغم وفتناك فتونا قوله تعالى

قال رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين

فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى قال رب بما انعمت علي اي من المغفره والحكمه او التوحيد فلن اكون ظهيرا اي عونا
للكافرين قال القشيري ولم يقل بما انعمت علي من المغفره لان هذا من قبل الوحي وما كان عالما بان الله
غفر له ذلك القتل وقال الماوردي بما انعمت علي وجهان احدهما من المغفره وكذلك ذكر الهدوي
والثعلبي قال المهدوي بما انعمت علي بالمغفره فلم تعاقبني الوجه الثاني من الهدايه قلت فقوله فاغفر له يدل على
المغفره والله اعلم الزمخشري فله تعالى بما انعمت علي يحتمل ان يكون قسما جوابه محذوف اي اقسم
بانعامك علي بالمغفره لا تبرين ولن اكون ان عصمتني ظهيرا للمجرمين واما ان يكون ظاهرا للمجرمين اما صحبة فرعون
واستظهاره في جملته بكثير سواده حيث كان يركب كوكبا كولد ابي الولد كان يسمى ابن فرعون واما
مظاهره من اذنت مظاهرته في الجرم والاثم كمظاهره الاسرائيلي الموديه الى القتل الذي لم يحل له قتله
وقيل ليس هنا جزاء لان اي فلا اكون بعد هذا ظهيرا اي فلا تجعلني ان ربي ظهيرا للمجرمين وقال
الفراء المعنى اللهم فلن اكون ظهيرا للمجرمين وزعم انه قوله هنا هو قول ابن عباس قال النحاس
وان يكون بمعنى الجزاء بين واشبه بسبق الكلام كما قيل لا افعلن كذا ان فعلت كذا وهنا

قول ابن عباس على الحقيقة لما حكاه الفراء عن ابن عباس قال لم يستثن فابتلى مرتا في يوم ولا استثنا
لا يكون في الدنيا ولا يقال اللهم اغفر لي إن شئت واعجب لا شيا ان الفراء روى ان ابن عباس قال هذا تم حلي
عنه قوله قلت قد مضى هذا المعنى ملخصا مبينا في سورة النحل وانه خبر لا دعا وعن ابن عباس لم يستثن
فابتلى مرة اخرى يعني لم يقل قلن اكون ان شا الله وهذا كقوله ولا تركنوا الى الذين ظلموا الاية الثانية
قال سلمة بن نبيط بعث عبد الرحمن بن مسلم الى الضحاك بعطا اهل بخارا وقال اعطهم فقال اعفني فلم
يزل يستعفيه حتى اعفاه فقيل له ما عليك ان تعطيهم انت ولا يردا شيا قال لا احب ان اعين الظلمة على شي
من امرهم وقال عبد الله بن الوليد الرصافي قلت لعطا بن ابي رباح ان لي ضياعا تقلني وانا اكره ان
اخرج وله عيال ولو تركت ذلك لاحتاج واداني فقال امن الربيس قلت خالد القسري فقال اما تقرا ما
قال العبد الصالح ربما انعمت علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين قال ابن عباس لم يستثن فابتلى ابنه فاعماه الله
فلا يعينهم احول قال الله يعينه قال اعطا فلا يحل لاحد ان يعين ظالما ولا يكتب له ولا يصححه واندان فعل
شيا من ذلك فقد صار معينا للظالمين وفي الحديث ينادي مناد يوم القيمة اين الظلمة واشباه
الظلمة واعوان الظلمة حتى من لاقلم دواه او بري لهم قلما فيجمعون في تابوت من حديد فيرمى بهم
في جهنم وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من مشى مع مظلوم ليعينه على مظلمته ثبت الله
قدميه على الصراط يوم تزل فيه الاقدام ومن مشى مع ظالم ليعينه على ظلمه ان الله قد مبيه على الصراط
يوم تنحض فيه الاقدام وفي الحديث من مشى مع ظالم فقد اجترم فالمشي مع الظالم لا يكون جرما
الا اذا مشى معه ليعينه لانه ارتكب نهي الله تعالى في قوله سبحانه ولا تعاونوا على الاثم والعدوان قوله تعالى

فاصبح في المدينة خايفا يترقب

قد تقدم في طه وغيرها ان الانبيا صلوات الله عليهم لا يخافون ردا على من قال غير ذلك وان الخوف لا ينافي
المعرفة بالله ولا التوكل عليه فقيل اصبح خايفا من قبل النفس ان يوخذ بها وقيل خايفا من قومه ان يستلوه
وقيل خايفا من الله تعالى يترقب قال سعيد بن جبير يترقب نزول الخوف وقيل ينتظر الطلب وينتظر ما
تحدثه الناس وقيل خرج يستخبر الخبر ولم يكن احد علم بقتل القبطي غير الاسرايل واصبح
يحتمل ان يكون بمعنى سار اي لما قتل صار خايفا ويحتمل ان يكون دخل في الصباح اي في
صباح اليوم الذي في يومه خايفا وخايفا منصوب على خبر اصبح وان شيت على الحال ويكون
الظرف في موضع الخبر فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه فاذا صاحبه الاسرايلي الذي
خلصه بالامس من قتل قبطي اخر اراد ان يستخره والاستصراخ الاستغاثة وهو من
الصراخ وذلك لان المستغيث يصوت ويصرخ في طلب الغوث قال كما اذا ما انا ناصاخ فزع كان الصراخ له قرع

الطنابيب

قيل كان هذا الاسرايلي المستنصر السامري استخره طباخ وهون وحمل الحطب للمطبخ ذكره القشيري
والذي رفع بالابتدا ويستصرخه في موضع الخبر ويجوز ان يكون في موضع نصب على الحال وامس لليوم
الذي قبل يومك وهو مبني على الكسر لالتقا الساكنين فاذا دخلته الالف واللام والاضافة تمكن فاعرب
بالرفع والفتح عند اكثر النحويين ومنهم من يثبته وفيه الالف واللام وحكى سيبويه وغيره ان من
العرب من يجري امس مجرى ما لا ينصرف في موضع الرفع خاصة وربما اضطر الشاعر فجعل هذا في الخفض
والنصب وقال الشاعر

لقد رايت عجبا مذ امسي ... يحفر بدا ماضي واللغة الجيدة الرفع

فاجرى امس في الخفض مجراه في الرفع على اللغة الثانية فقال له موسى انك لغوي مبين والغوي
الحائد لانك مسارع لا تطيقه وقيل ضال بين الضلالة فقلت بسببك امس رجلا وتدعوني
اليوم لقتل اخر والغوي فعيل من غوي يغوي وهو بمعنى يغو وهو كالوجيع والاليم بمعنى
الموجع والمولم وقيل الغوي بمعنى الغاوي اي اني لغوي في قتال من لا تطيق دفع شره عنك
وقال الحسن انما قال للقبطي انك لغوي مبين في استنجاد هذا الاسرايلي وهم ان يبطش به
بطش بيبطش ويبطش والضم افصح لانه فعل لا يتعدى قال يا موسى اتريد ان تقتلني
قال ابن جبير اراد موسى ان يبطش بالقبطي فتوهم الاسرايلي انه يريده لانه اغلظ له في القول
فقال اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس فسمع القبطي الكلام فاشاعه وقيل اراد ان
يبطش الاسرايل بالقبطي فنهاه موسى فخاف منه فقال اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس
ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض قال الفراء قال عكرمة والشعبي لا يكون الا ان جبارا
حتى نقتل نفسين بغير حق وما ينبغي ان يكون من المصلحين اي الذين يصلحون بين الناس فقول تعالى
وجا رجل قال اكثر اهل التفسير هذا الرجل مؤمن قيل من صور اسمه حزقيل من ال فرعون وكان ابن
عم فرعون ذكره الثعلبي وقيل طالون ذكره السهيلي وقال المهدوي عن قتادة اسمه شمعون مؤمن ال
فرعون وقيل سمعان قال الدارقطني لا يعرف سمعان بالسين المعجمة الا الذي عند ورد في اذ فرعون
امر بقتل موسى فسيق ذلك الرجل الخبر فقال يا موسى ان الملا يامرون بك اي يتشاورون وقرئ فتلك
بالقبطي الذي قتله بالامس وقيل بامر بعضهم بعضا نظير قوله وايتمروا بينكم بمعروف وقال
المبرد من تولب ان الناس قد احنوا بسمه ... وفي كل حادثة تولب فاخرج انك لمن الناصحين
فخرج منها خايفا يترقب اي ينتظر الطلب قال رب نجني من القوم الظالمين وقيل الجبار الذي
يريد من الضرب والقتل بظلم لا يستحق العواقب ولا يدفع بالتي هي احسن وقيل المنتظر الذي لا يتواضع لامر الله تعالى
قوله تعالى **ولما توجه تلقا مدين قال عسى ربي ان يهديني سوا السبيل**

لما خرج موسى عليه السلام فارًا بنفسه منفردا خايفا لا شئ معه من زاد ولا راحله ولا حذا يخوم مدين
للنسب الذي بينه وبينهم لان مدين من ولد ابرهيم وموسى من ولد يعقوب بن اسحق بن ابرهيم ورا حاله
وعدم معرفته بالطريق وخلوه من زاد وغيره استدامه الى الله تعالى بقوله عسى ربي ان يهديني
سواء السبيل وهذه حاله المضطر قلت روي انه كان يتقوت ورق الشجر وما صل حتى سقط
خف قدميه قال ابو مالك وكان فرعون وجه في طلبه وقال لهم اطلبوه في ثنيات الطريق
فان موسى لا يعرف الطريق فجا ملك راكب فرسًا ومعه عنزه وقال لموسى اتبعني فاتبعه
فهداه الى الطريق وقيل انه اعطاه العنزه فكانت عصاه ويروى ان عصاه انما اخذها
لرعيه الغنم من مدين وهو اكثر واصح وقال مقاتل والسدي ان الله بعثا اليه جبريل ولله اعلم
وبين مدين ومصر ثمانية ايام قاله ابن جبير والناس وكان ملك مدين لغير فرعون قوله تعالى

ولما ورد ماء مدين وجد عليه الى قوله وكيل

فيه اربعه وعشرون مساله الاولى في قوله تعالى ولما ورد ماء مدين يعني موسى عليه السلام حين
ورد ماء مدين اي بلغها وورود الماء بلغه لانه دخل فيه ولفظ الورود قد تكون بمعنى
الدخول في الورود وقد تكون بمعنى الاطلاع عليه والبلوغ اليه وان لم يدخل فورود موسى هنا
الماء كان بالوصول اليه ومنه قول زهير ولما وردنا الماء زرقا جمامه وضع عصي الحاضر المتخيم
تقدمت هذه المعاني عند قوله وان منكم الا واردها ومدين لا تنصرف اذ هو بلد معروفه قال
الشاعر دهان مدين لو رأوك تنزلوا والعصم من شعف الجبال العاقد
وقيل قبيله من ولد مدين بن ابرهيم وقد يجئ في الاعراف القول فيه والامه الجمع الكثير
ويقوت معناه ما يثبتهم ويمرضهم معناه ناحيه اليجمه الى النجاة منها فوصل اليها انتهى قيل في
اليا الاسه ووجد بها يذودان ومعناه يمنعان ويحبسان ومنه قوله عليه السلام وليذادن رجال
عن حوضي وفي بعض الصحاح ما رايتهما حابستين يذودان يقال اذاد يذود اذادة وذاد يذود
التي حبسته قال الشاعر ابيت على باب القوافي كانما اذود بها سربا نزا الوحش نزعا
اي امنعها وقيل يذودان يطردان قال لقد سلبت عصاك يا تيم فما تذري باي عصا تذود
اي تطرد وتكف وتمنع قال ابن سلام يمنعان غنمهما ليلا تختلط بغنم الناس فحذف
المفعول لها شاعلي المخاطب واما اسقينا بجمله قال ابن عباس يذودان عنهما عز الما
خوفا من سقاه الاقويا قال النحاس والاول اولى لان بعده قالتا لا نسقي
حتى يصدر الرعاء ولو كانتا يذودان عن غنمهما الناس لم يجز اعتذارهما

حتى يصدر الرعاء فلما رآى موسى عليه السلام ذلك منهما قال ما خطبكما اي شانكما قال رويه
يا عجبا من خطبه وخطب قال ابن عطيه وكان استعمال السوال بالخطب انما هو حيث
ان يضطهدا ومن يشفق عليه وانا ان تنكر من الامر فكانه باكله في سر فاخبراه بخبرهما وان
اباهما شيخ كبير فلما لعلمه لا يستطيع لضعفه ان يباشر امر غنمه وانما لضعفهما وقلة طاقتهما
لا يقتدران على مزاحمه الاقويا وان عادتهما التاني حتى يصدر الناس عن الماء ويخلي وجيبتد يردان
وقرا ابن عامر وابو عمرو يصدر وهو صدور اي يرجع الرعاء والبا قون يصدر بضم الياء
من اصدر حتى يصدر وامن ورودهم والرعاء جمع راع مثل تاجر وتجار وصاحب وصحاب قالت
فرقه كانت الابار مكشوفه وكانت زحمه الناس تمنعهما فلما اراد موسى ان يسقي لهما زحم
الناس وغلبهم على الماء حتى سقا فعز هذا الفعل الذي كان منه وصفته احداهما بالقوه
وقالت فرقه انما كانتا يتتبعان فضاله ما ساقه الصهاريج فان وجدتا في الحوض بقيه كانت
ذلك سقيهما وان لم يكن فيه عطفت غنمهما فرقها موسى وقد ابى بيركانت معظاه
والناس يسقون من غيرها لان حجرها لا يرفعها الا سبعه قاله ابن زيد وقال ابن جبير عشره
وقال ابن عباس ثلاثون الزجاج اربعون فرفعه وسقا لهما تين وغير رفع الصخره وصفته بالقوه
وقيل ان بيرهم كانت واحده وانه رفع عنها الحجر بعد انفصال السقاه اذ كانت عاده
المراعيز شرب الفضلات روي عمرو بن ميمون عن عمر بن الخطاب انه قال لما استقى الدلو
حطوا على البير صخره لا يقلها الا عشر رجال فجا موسى فاقلها واستقى ذنوبا واحدا لم يحتج
الى غيره فمن هما التا بيته ان قيل كيف ساغ لبني الله الذي هو شعيب صلى الله عليه وسلم
ان يرضى لابنته بسقي الماشيه قيل له ليس ذلك محظورا والدين لا يا باه وانما المروه فالناس
مختلفون في ذلك والعادات مبا ينه فيه واحوال العرب فيه خلاف احوال العجم ومذهب
اهل البدو غير مذهب اهل الحضر خصوصًا اذا كانت الحاله حاله ضروره التا بيته
قوله تعالى ثم تولى الى الظل اي الى ظل سمره قاله ابن مسعود وتعرض لسوال ما يطعمه بقوله اني
لما انزلت اي من خير فقير وكان لم يتناول طعاما من سبعه ايام وقد لصق بطنه بظهره
فعرض بالدعا ولم يصرح بسوال هكذا رواه جميع المفسرين انه طلب في هذا الكلام ما ياكله
فالخير يكون بمعنى الطعام كما في هذه الايه ويكون بمعنى المال كما قال ان ترك خيرا
وقوله وانه لحب الخير لشديد ويكون بمعنى الفقه كما قال اللهم خيرا م فقه وتبع ويكون بمعنى
العباده لقوله واوحينا اليهم فعل الخيرات قال ابن عباس وكان قد بلغ به الجوع واخضر لونه من اكل

البقل في بطنه وانه لاكرم الخلق على الله ويروى انه لم يحل لي مدين حين سقط بطن قدميه
وفي هذا معتبر واشعار بهوان الدنيا على الله قال ابو بكر بن طاهر في قوله اني لما انزلت
الي من خير فقير اي اني لما ابديت اليه فقري الى ان تغنى بك عما سواك
قلت ماذكره اهل التفسير اولي فان الله تعالى انما اغناه بواسطة شعيب والي مدين اخاهم
شعيبا كذا في سورة الاعراف الشعراء كذب اصحاب الايكة واصحاب مدين وقد مضى في الاعراف
الرابعة قوله تعالى فجاءته احديهما تمشي على استحياء في هذا الكلام اختصار يدل عليه هذا
الظاهر فانه ابو اسحق فذهبتا الى ابيهما سريعتين وكانتا عادتهما الابطاء في السقي
فحدثتاه بما كان من الرجل الذي سقى لهما فامر الكبرى من بنتيه وقيل الصغرى ان تدعوه
له فجاءت على ما في هذه الاية قال عمر بن ميمون ولم يكن يتلفع من النساء جارحه ولا
وجه وقيل جاءته ساترة وجهها بكم درعها قاله عمر بن الخطاب وروي انها سمراء حيية
ليا والاخرى صفورا ابنتا يرون ويرون هو شعيب وقيل ابن اخي شعيب وان شعيبا كان
قد مات واكثر الناس على انهما ابنتي شعيب عليه السلام وهو ظاهر القرآن قال الله تعالى
والي مدين اخاهم شعيبا كذا في سورة الاعراف وفي سورة الشعراء كذب اصحاب الايكة
واصحاب مدين قال قتادة بعث الله شعيبا الى اصحاب الايكة واصحاب مدين وقد
بينا في الاعراف اختلاف في اسم ابيه فروي ان موسى عليه السلام لما جاءه بالرسالة
بشرها وكان بين موسى وبين ابيها ثلاثة اميال فمشت نحوه ضمت قميصها فوصفت
عجيزتها فجرح موسى من النظر اليها فقال ارجعي خلفي وارشديني على الطريق
بصوتك وقيل ان موسى قال ابتداء كوني وراءي فاني رجل عيراني لا انظر
في ادبار النساء ودلني على الطريق يمينا او يسارا فذلك سبب وصفها الامانة
قال ابن عباس لما وصل موسى الى ماء عين قصر عليه امره مرارا وله الى اخذه
فاسنه بقوله لا تخف نجوت من القوم الظالمين وكانت مدين خارجة عن ملكه
فرعون وقرب اليه طعاما فقال موسى لا اكل انا اهل بيت لا نبيع ديننا
بملء الارض ذهبا فقال شعيب ليس هذا عوض البئر ولكنه عادتي وعادة
اباءي قري الضيف واطعام الطعام فجلس فاكل موسى الخامسة قوله تعالى قالت
يا ابت استاجره فيه دليل على ان الاجارة كانت عندهم مشروعة معلومة
وكذلك كانت في كل ملة وهي مشروعة الخليفة ومصلحة الخلطة بين الناس

خلافا للاصم حيث كان عن سماعها اصم السادسة قوله ابي اريد ان انكحك الاية
فيه عرضا لولي ابنته على الرجل وهذه سنة قايمة عرض صالح مدين ابنته على صالح بني
اسرايل وعرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابنته حفصة على ابي بكر وعثمان رضي الله عنهما
وعرضت الموهوبة نفسها على النبي صلى الله عليه وسلم فمن احسن عرضا ممن عرض لولي
نفسها على الرجل الصالح افتقدا السلف الصالح قال ابن عمر لما تايمت حفصة قال
عمر لعثمان ان شيت انكحك حفصة بنت عمر الحديث انفرد باخراجه البخاري
السابعة في هذه الاية دليل على ان النكاح الى الولي لا خلاف في ذلك بين العلماء
مدين تولاه وبه قال فقهاء الامصار وخالف في ذلك ابو حنيفة وقد تقدم
الثامنة هذه الاية تدل على ان للاب ان يزوج ابنته البكر البالغ من غير
استيمار وبه قال مالك واحتج بهذه الاية وهو ظاهر قوي في الباب واحتجا به
ايضا على انه كان يجوز في الاسرائيليات كما تقدم ويقول مالك في هذه المساله
قال الشافعي وليس من العلم واقال ابو حنيفة اذا بلغت الصغيرة فلا يزوجها
احد الا برضاها لانها بلغت حد التكليف فاما اذا كانت صغيرة فانه يزوجها
بغير رضاها لانه لا اذن لها ولا رضى يعتبر خلاف التاسعة استدل
اصحابنا في قوله اني اريد ان انكحك على ان النكاح موقوف على لفظ التزويج
والانكاح وبه قال ربيعة وابو ثور وابو عبيد وداود وملك على اختلاف عنه
وقال مالك في المشهور ينعقد النكاح بكل لفظ وقال ابو حنيفة ينعقد بكل لفظ
يقتضي التمليك على التابيد اما الشافعي فلا حجة لهم في الاية لانه شرع من قبلنا
وهم لا يرونه حجة في المشهور عنهم واما ابو حنيفة واصحابه والثوري
والحسن بن حي فقالوا ينعقد النكاح بلفظ الهبة وغيره اذا كان فيه ما يشهد
عليه لان الطلاق يقع بالصريح والكناية قالوا فكذلك النكاح قالوا والذي
خصه به النبي صلى الله عليه وسلم نفي البضع من العوض لا النكاح بلفظ
الهبة وتابعهم ابن الهيثم فقال ان وهب ابنته وهو يريد انكاحها فلا
احفظ عن مالك فيه شيا وهو عندي جايز كالبيع قال ابو عمر والصحيح
انه لا ينعقد نكاح بلفظ الهبة كما لا ينعقد بلفظ النكاح هبة شيء من الاموال
وايضا فان النكاح يفتقر الى الصريح لتقع الشهادة عليه وهو ضد الطلاق

فكيف يقاس عليه وقد اجمعوا على ان النكاح لا ينعقد بقوله ابحت لك واحللتك
فكذلك الهبه وقال صلى الله عليه وسلم استحللتم فروجهن بكلمه الله يعني القرآن
وليس في القرآن عقد النكاح بلفظ الهبه وانما فيه التزويج والنكاح وفي اجاره
النكاح ينعقد بلفظ الهبه ابطال لبعض خصوصيه النبي صلى الله عليه وسلم العائده
قوله تعالى احدى ابنتي هاتين يدل على انه عرض لا عقد لانه لو كان عقد لتعين
المعقود عليها له لان العقد ان كانوا قد اختلفوا في جواز البيع اذا قال
بعتك احدى عبدي هذين بيتر كذا فانهم اتفقوا على ان ذلك لا يجوز
في النكاح لانه جبار وشئ من الجبار لا يليق بالنكاح الحادي عشره
قال مكي في هذه الايه خصائص في النكاح منها انه لم يعين الزوجه ولا حدا ول
الامر وجعل المهر اجاره ودخل ولم يعقد شيا قلت هذه اربع مسايل تضمنتها
المساله الحاديه عشره الاولى من الاربع مسايل قال علماونا اما التعيين
فيشبه انه كان في ثاني حال الراوضه واما عرض الامر ملا وعين بعد ذلك وقد قيل
انه زوجه صفورا وهي الصغرى بسروي عن ابي ذر رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سيلتاني الاجلين قضيت فلا تعتدي عليه واوفاهما
وان سيلتاني ايا الدارين تزوج فقل الصغرى وهي التي جاءت خلفه وهي التي قالت يا ابت
استاجره ان خير من استاجرت القوي الامين قبل ان الحكمه في تزويجها الصغرى منه قبل
الكبرى وان كانت الكبرى احوج من الصغرى الى الرجال انه توقع ان يميل اليها لانه
راها في رسالته وما شاهدها في اباله اياها معها فلو عرض عليه الكبرى ربما لم
الاحتياط وهو بضم غين وقيل غير هذا والله اعلم وفي بعض الاخبار انه تزوج الكبرى حكاه القشيري
الثانيه واما ما ذكر من ان الله فلم يذكر في الايه ما يقتضي اسقاطه فهو مسلوب عنه فاما رسماه
والاولى منه ما ذكرناه وقت العقد الثالثه واما النكاح بالاجاره فظاهر من الاباحه
وهو امر قد قرره شرعنا وجرى به حديث الذي لم يكن عنده الا شئ من القرآن رواه الايمه وفي بعض
طرقه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تحفظ من القرآن فقال سوره البقره والتي تليها فقال علمها
عشرين ايه وهي امرأتك واختلف العلماء في هذه المساله على ثلثه اقوال فكرهه مالك ومنعه ابن القصير
واجازه ابن حبيب وهو قول الشافعي واصحابه وقالوا يجوز ان يكون منفعه الحر صداقا كما يجوز
القرآن وقال ابو حنيفه لا يصح وجوز ان يتزوجها بان يخدمها عبده سنه او يسكنها داره سنه لان العبد
والدار مال وليس
حنفيا بنفسه ملك

وقال ابو الحسن الكرخي ان عقدا النكاح بلفظ الاجاره جايز كقوله تعالى والذين يتوفون
منكم ويذرون ازواجا وقال ابو بكر الرازي لا يصح لان الاجاره عقد موقت وعقد النكاح مؤبد فهما
متنافيان وقال ابن القاسم يفسخ قبل البنا ويثبت بعده قال اصبغ ان تقدمه شئ فيه
اختلاف وان لم يتقدمه واشتد فان نزل مضى على كل حال بدليل قصه شعيب قاله ملك
وابن الموازي واشهب وقد عول على هذه الايه جماعه من المتاخرين والمتقدمين في هذه
المساله قال ابن خويز منداد تضمنت هذه الايه النكاح على الاجاره والعقد صحيح ويكره
ان يجعل الاجاره مهرا وينبغي ان يكون المهر مالا كما قال عز وجل ان تبتغوا
باموالكم محصنين هذا قول اصحابنا خميعا ان الرابعه واما قوله ودخل ولم يتقد فقد
اختلف الناس في هذا هل دخل حين عقد ام حين سافر فان كان حين عقد فانعقد
وقد منع علماونا من الدخول حتى يعقد ولو ربع دينار قاله ابن القاسم فان دخل قبل
ان يقدم على ان الصداق رعيه الغنم فقد فسد الشروع في الخدمه وان كان دخل حين سافر
فطول الانتظار في النكاح جايز فان كان مدى الغير بغير شرط واما ان كان بشرط
فلا يجوز الا ان يكون العرض صحيحا مثل الذاهب للبنا وانتظار صلاحيه الزوجه
للدخول ان كانت صغيره نص عليه علماونا الثالثه عشره في هذه الايه اجماع
اجاره ونكاح وقد اختلف علماونا في ذلك على ثلثه اقوال الاول قال في يا بنه ابي
زيد يكره ابتداء فان وقع مضى الثاني قال مالك وابن القاسم في المشهور لا يجوز ويفسخ
قبل الدخول وبعده لاختلاف مقاصدهما كسايل العقود المتباينه الثالث اجازه
اشهب واصبغ قال ابن العربي هذا هو الصحيح وعليه تدل الايه وقال مالك
النكاح اشبه شئ بالبيوع فاي فرق بين اجاره وبيع او بين بيع ونكاح فرع
وان اصدقها تعلم شعر مباح صح قال المزني وذلك مثل قول الشاعر

يقول المزفايدين ومالي ونقوي الله افضل ما استفادا

الرابعه عشره قوله تعالى على ان تاجرني ثماني حجج جرى بذكر الخدمه مطلقا وقال
ملك انه جايز ويحمل على العرف فلا يحتاج الى التسمية الى الخدمه وهو ظاهر قصه موسى
فانه ذكر اجاره مطلقه وقال ابو حنيفه والشافعي لا يجوز لانه مجهول وقد ترجم

البخاري باب من استاجر اجيرا فبين له الاجل ولم يبين له العمل لقوله
تعالى على ان تاجرني ثماني حجج قال المهلب ليس كل ارتجم لان العمل كان عندهم معلوما
من سقي وحرث ورعي وما شاكل عمل البادية في مهنة اهلها فهذا متعارف وان لم
يبين له اشخاص الاعمال ولا مقاديرها مثل ان يقول له انك تحرث كذا من السنه
وترعى كذا من السنه فهذا انما هو على المعهود من خدمة البادية وانما الذي لا يجوز
عندنا جميع ان يكون المدة مجهوله والعمل محمول غير معهود لا يجوز حتى يعلم قال
ابن العربي وقد ذكر اهل التفسير انه عين له رعي الغنم ولم يرو من طريق صحيحه
ولكن قالوا ان صالح مدين لم يبن له عمل الا رعي الغنم فكان ما علم من حاله قائما
مقام التعيين للخدمة فيه الخامسه عشر اجمع العلماء على انه يجوز ان يستاجر الراعي
شهورا معلومه باجر معلوم له رعايه غنم معدوده فان كانت معدوده معينه فيها
تفصيل لعلمائنا قال ابن القاسم لا يجوز حتى يشترط الخلفان ماتت وهي في رعايه
ضعف جدا وقد استاجر صالح مدين موسى على غنمه وقدرها ولم يشترط
خلفا وان كانت مطلقه غير مسماه ولا معينه جازت عند علمائنا وقال ابو
حنيفه والشافعي لا يجوز بحال لانها عدل علمائنا عن العرف حتى به ما ذكرناه احتاطوا انه
يعطي بقدر ما يحمل قوته وزاد بعض علمائنا انه لا يجوز حتى يعلم المستاجر
بقدر قوته وهو صحيح فان صالح مدين عرف قوه موسى برفع الحجر السادسه
عشر قال مالك وليس على الراعي ضمان وهو مصدق فيما هلك وسرق
لانه امين كالوكيل وقد ترجم البخاري باب اذا ضرب الراعي او الوكيل شاه
تموتها وشيا بعيد فاصلح ما يخاف الفساد وساق حديث كعب بن مالك
عن ابيه انه كانت له غنم ترعى بسلع فابصرت جاريه لنا بشاه من غنمنا تموت
فكسرت حجرا فذبحتها به فقال لهم لا تاكلوا حتى اسال النبي صلى الله عليه وسلم
او ارسل من يسال له وانه سال النبي صلى الله عليه وسلم او ارسل اليه فامره
باكلها قال عبد الله فتجبني انها امه وانها ذبحت قال
المهلب فيه من الفقه تصديق الراعي والوكيل فيما ايتمنا عليه حتى يظهر عليهما
دليل الخيانه والكذب وهذا قول مالك وجماعه وقال ابن القاسم

اذا خاف الموت على الشاه فذبحها لم يضمن وصدق فاذا جاء بها مذبوحه وقال
غيره يضمن حتى يبين ما قال السابعه عشر واختلف ابن القاسم واشهب
اذا انتزا الراعي على اناث الشاه بغير اذن اربابها فهلكت فقال ابن القاسم
لا ضمان عليه لان الانزاء من اصلاح المال ورعايه وقال اشهب عليه الضمان
وقول ابن القاسم اشبه بدليل حديث كعب وانه لا ضمان عليه فيما تلف عليه
باجتهاده واذا كان من اهل الصلاح ومن يعلم اشفاقه على المال واما ان كان
من اهل الفسوق والفساد وارادة صاحبها المال ان يضمنه فعل لانه لا يصدق
انه راى الشاه موتا الفسفه التاسعه عشر لم يقل ملكانت احرى قوسي
عليه السلام ولكن روى يحيى بن سلام ان صالح مدين جعل لموسى كل سخله توضع
خلفا فلون امها فاوحى الله الى موسى ان العصا لا تهش بليل فخلف
شبههن كلهن وقال غير يحيى بل جعل له كل بلقا تولد فولدن له كلهن بلقا
وذكر القتيري بان شعيبا لما استاجر موسى قال له ادخل بيت كذا واخذ
عصا من العصي الذي في البيت فاخرج موسى عصا وكان اخرجها آدم من الجنه
وتوارثتها الانبياء حتى صارت الى شعيب فامره شعيب ان يلقيها في البيت
وياخذ عصي اخرى فدخل واخرج تلك العصا وذلك سبع مرات كل ذلك يقع
بيده غير تلك فعلم شعيب ان له شانا فلما اصبح قال له سق الاغنام في مفرق
الطرق وخذ عن يمينك وليس بها مشتبيه ولا تاخذ عن يسارك فان بها
عشبا كثيرا وتبنا كثيرا يقتل المواشي فساق الى ان مفرق الطرق فاخذت
عن اليسار ولم يقدر موسى على ضبطها فقام موسى واخرج التنين فقامت العصا
وصارت شعبتاها حديدا وحاربت التنين حتى قتلته وعادت الى
موسى عليه السلام فلما ابتدته موسى راى العصا مخضوبه بالدم والتنين مقتولا
فعاد الى شعيب عشيا وكان شعيب ضرير البصر فاخرج الاغنام فراى لبنا مخضبا د
عليها فساله عن القصه فاخبره بها ففرح شعيب وقال كلما ولدت هذه
المواشي هذه السنه قالب لونا ابيض فانه لونين فهو لك فجاء جميع السخال تلك
السنه ذات لونين فعلم شعيب ان لموسى عند الله مكانه وروى عبيد بن حصن

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجر موسى نفسه بشبع بطنه وعفة فرجه فقال له
شعيب لكمتها يعني من تاجر عنه ماجات به قالبلون ليس فيها عروز ولا فشوش
ولا كموش ولا صبوب ولا مكسيه ولا نقل قال الهروي العروز النكيه ماخوذ من
العزاز وهي الارض الصلبه وقد تقدمت الشاه والفشوش التي نفش لبنها ليس فيها من
غير حلب ومثله لسخة الاحليل ومثله الفسوخ والبرون ومن امثالهم لا فسد فيتش
الوطب اي لا خرج غضبه وكرك من راسك ويقال فتش السقا اذا خرج منه الريح
ومنه الحديث ان الشيطان يفتش بين اليتي احكم حتى يخيل اليه انه احدث اي ينفخ نفخا
ضعيفا والكموش الصغيره الضرع وهي الكميشه ايضا سميت بذلك لانكماش ضرعها
وهو تقلصه ومنه يقال رجل كميش الازار والكشور مثل الكموش والصبوب الصبيقه
ثقب الاحليل والصب الحلب بشده العصر والنعل الشاه التي لها زياده لحم وهي النعلا
والنقل زياده السن وتلك الزياده هي النقل ورجل انقل والنقل مخرج الرقاق
الهروي وتغير قالب لون في الحديث انها جاءت على غير لونها لتاسعه عشر الاجاره
بالعوض المجهول لا يجوز فان ولاده الغنم غير معلومه وان من البلاد الخصيه ما يعرف
قبلها ولا الغنم قطعا وعدتها وسلامه سخالها كدبا بمصر وغيرها شتان ذلك لا يجوز
في شرعنا ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن العزل ونهى عن المضامين والملاقيح
والمضامين ما في بطون الاناث والملاقيح ما في اصلاب الفحول او على خلاف ذلك
قال الشاعر ملقوحه في بطن ناب حامل وقد مضى في سوره الحج
بيانه على ان راشد بن سعد اجاز الاجاره على الغنم بالثلث والربع وقال
ابن سيرين وعطا نسج الثوب بنصيب منه جايز وبه قال احمد العشرون
اللقاء في النكاح معتبره واختلف العلما هل في الدين والمال والكتب او في بعض ذلك
والصحيح جواز نكاح الموالي العربيات والعربيات كقوله تعالى ان اكرمكم
عند الله اتقاكم وقد جا موسى الى صالح مدين غريبا فزيد طريدا جايعا
عريانا فانكحه ابنته لما تحقق ورايي من حاله واعرض عما سوى ذلك وقد
تقدمت هذه المساله موعبه والحمد لله العشرون قال بعضهم هذا
الذي جرى من شعيب لم يكن ذكر الصداق المراه وانما كان اشتراطا لنفسه

على ما يفعله الاعراب فانما تشترط صداق بناتها وتقول لي لكنا في حاصه بنفسي
ونزل المهر مفوضا ونكاح التفويض جايز قال ابن العربي هذا الذي يفعله الاعراب
هو حلوان وزياده على المهر وهو حرام لا يليق بالانبيا فما ادا اشترط الولي
شيا لنفسه فقد اختلف العلما فيما يخرجه الروح من يده ولا يدخل في يد المراه على
قولين احدهما انه جايز والاخر لا يجوز والذي لا يصح عند التقسيم فان المراه
لا يخلوان تكون بكرا او ثيبا فان كانت ثيبا جاز لان نكاحها بيدها وانما يكون للولي
مباشره العقد ولا يمتنع اخذ العوض كما ياخذه الوكيل على عقد البيع وان كانت
بكرا فان العقد بيده فكانه عوض في النكاح لغير الزوج وذلك باطل فان وقع منع
قبل البنا وثبت بعده على مشهور الروايه الثانيه والعشرون لما ذكر
الشرط واتبعه بالتطوع في العشر خرج كل واحد منهما على حكمه ولم يلحق الاخر بالاول ولا اشترك
الفرض والتطوع ولذلك يثبت في العدد المشروط المتفق عليها ثم يقال وتطوع
بكذا فيجري الشرط على سبيله والتطوع على حكمه والتفصل الواجب من التطوع وقيل
من لفظ شعيب حسن في لفظ العقود في النكاح انكحه اياها اولى من انكحها اياه
على ما يباني بيانه في الاحزاب وجعل الثعيبا الثانيه الاعوام شرطا وكل
العاشره الى الروه الثالثه والعشرون قوله تعالى قال ذلك بيني وبينك
ايما الاجلين قضيت فلا عدوان علي الما فرغ كلام شعيب قرره موسى عليه السلام
وكرر معناه على جهه التوثق وان الشرط انما وقع في ثماني حجج وايما استفهام منصوب
بقضيت والاجلين مخفوض باضافه اي اليها وما صله للتاكيد وفيه معنى الشرط
وجوابه فلا عدوان وان عدوان منصوب بلا وقال ابن كيسان ما في
موضع خفض باضافه اي اليها وهي نكره والاجلين بدل منها وكذلك قوله فيما رحمه
من الله اي رحمه بدل من ما قال مكي وكان يتلطف في ان الاجمل شيا نايدا
في القرآن ويخرج له وجها يخرجه من الزياده وقرا الحسن ايا يكون اليا وقرا
ابن مسعود اي الاجلين ما قضيت وقرا الجمهور عدوان بضم العين وابو جعفر
بكسرها والمعنى لا تبعه علي ولا طلب لي في الزياده عليه والعدوان التجاوز وفي غير
الواجب والحجج السنون قال الشاعر

لمن الديار بقنة الحجر اقوين من حجج ومن دهر

الواحده حجه بكسر الحا والله اعلم بما يقول وقيل هو من قول موسى عليه السلام وقيل
هو من قول الملكه فاكثر الصاكان صلوات الله عليهما في الاشهاد عليها بالله ولم
يشهد احد من الخلق وقد اختلف العلما في وجوب الاشهاد في النكاح وهي الرابعه
والعشرون على قولين احدهما انه لا ينعقد الا بشاهدين وبه قال ابو حنيفه والشافعي
وبه قال ابو حنيفه والشافعي وقال مالك انه ينعقد دون شهود لانه
عقد معاوضه فلا يشترط فيه الاشهاد كالبيع وانما يشترط فيه الاعلان والتصريح
وفرق ما بين النكاح والسفاح الدف وقد مضت هذه المساله في البقره مستوفاه
وفي البخاري عن ابن هريره ان رجلا سال بعض بني اسرايل ان يسلفه الف دينار
فقال ايتني بالشهدا فقال كفى بالله شهيدا قال ايتني بكفيل قال كفى بالله كفيلا
قال صدقت فدفعها اليه وذكر الحديث قوله تعالى

فلما قضى موسى الاجل

قال سعيد بن جبير سالني رجل من النصارى اي الاجلين قضى موسى فقلت لا ادري
حتى اقدم على حبر العرب فاساله فاساله اعني ابن عباس فقدمت اليه فسالته فقال
قضى اكملهما واوفاهما فاعلمت النصراني فقال صدق والله هذا العالم وروي عن
ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم سال عن ذلك جبريل فاجره انه قضى عشرتين
وحكى الطبري عن مجاهد انه قضى عشرا وعشرا بعدها قال ابن عطيه هذا ضعيف
الثانيه قوله تعالى وسار باهله فيه دليل على ان الرجل يذهب باهله حيث شا
لما عليها من فضل القوامه وزياده الدرجه الا ان يلتزم لها امرا والمومنون
عند شروطهم واحق الشروط ان يوفي بها ما استحللتم به الفروج الثالثه
قوله تعالى انس من جانب الطور نارا الايه تقدم القول في ذلك في طه
والجذوه بكسر الجيم قراه العامه وضمها حمزه ويحيى وفتحها عاصم والسلمي وزر
ابن جبيش قال الجوهري الجذوه والجذوه والجذوه الجمره
والجمع جذي وجذي وجذي قال مجاهد في قوله تعالى او جذوه من

النار اي قطعه من الجمر قال وهي بلغه جميع العرب وقال ابو عبيده الجذوه
مثل الحمه وهي القطعه الغليظه من الخشب كان في طرفها نار او لم يكن قال
مقبل باتت حواطب ليلى يلتمسن لها جزل الجذي غير خوار ولا زعر
وقال الاخر والقى على قبس من النار جذوه شديدا عليها حميها ولهيبها

قوله تعالى

فلما اتاها

يعني الشجره فتم ضميرها عليها كما تقدم في مواضع لي الوادي الواد من الاودي
والثانيه لابتدا الغايه اي اتاه النداء من شاطي الوادي من قبل الشجره ومن الشجره بدل
من قوله من شاطي الوادي بدل الاشتمال لان الشجره كانت نابته على الشاطي وشاطي
الوادي شطه وجانبه والجمع شطان وشواطي ذكره الفشيري قال الجوهري
وتقول شاطي الوادي ولا تجمع وشاطا نهر اذا مشيت على شاطي ومشي مد على
شاطي اخر الايمان عن يمين موسى وقيل عن يمين الجبل في البقعه المباركه وقرا
الاشهب العقيلي في البقعه بفتح الباء وقولهم بقاع يد ل على بقعه كما يقال حفنه وحفان
ودرهم ابيقه قال بقع مثل عرفه وعرف من الشجره اي من ناحيه البحر ينزل
كانت شجره العليق وقيل سمره وقيل عوسج ومنها كانت عصاه ذكر الزمخشري وقيل
عناب والعوسج اذا عظم يقال له العرفه وفي الحديث انه شجر اليهود فاذا نزل عيسى
عليه السلام وقتل اليهود الذين مع الدجال فلا يختفي احدهم خلف شجره الا نطقت
وقالت يا مسلم هذا يهودي وراي فاقتله الا العرفه فانه من شجر اليهود
فلا ينطق خرجه مسلم قال المهدوي وكلم الله تعالى موسى عليه السلام من فوق
عرشه فاسمعه كلامه من الشجره على ما شا ولا يجوز ان يوصف الله تعالى بالانتقال
والزوال وشبه ذلك من صفات المخلوقين قال ابو المعالي واهل الحق يقولون
من كلمه الله وخصه بالرتبه العليا والغايه القصوى فيدرك كلامه الغير المتقدس
عن مشابهه الحروف والاصوات والعبارات والتقطع وضروب اللغات كما ان من خصه
الله بمنازل الكرامات واكل عليه نعمته ورفعه رويته يرى الله سبحانه منزها

عن جائز الاجسام واحكام الحوادث ولا مثل له سبحانه في ذاته وصفاته واجمعنا لانه
على ان الرب تعالى خص موسى عليه السلام بكلامه وغيره من المصطفين من الملائكة
بكلامه قال الاستاذ ابو اسحق اتفق اهل الحق على ان الله سبحانه وتعالى
خلق لموسى عليه السلام معنى من المعاني ادرك به كلامه كان اختصاصه في سماعه
وانه قادر على مثله من جميع خلقه واختلفوا في نبينا عليه السلام هل سمع لربه
الا سر اكلام الله وهل سمع جبريل كلامه على قولين وطريق احدهما النقل المقطوع
به وذلك منتفٍ واتفقوا على ان سماع الخلق له عند قراءة القرآن على معنى انهم
سمعوا العباد الذين عرفوا بها معناه دون سماعه له في عينه وقال عبد الله
ابن سعيد بن كلاب ان موسى عليه السلام فهم كلام الله القديم من اصوات
مختلفة اثبتها الله تعالى في بعض الاجسام قال ابو المعالي ومما يدود
بحب اختصاص موسى عليه السلام بادراك كلام الله خرقا للعادة ولو لم يقل
ذلك لم يبن لموسى عليه السلام اختصاص بتكليم الله اياه وارب تعالى اسمعه كلامه
العزيز وخلق له علما ضروريا حين علم انه سمع كلام الله وان الذي كلمه وناداه
هو الله رب العالمين وقد ورد في الاقاصيص ان موسى عليه السلام قال سمعت
كلام ربي بجميع جوارحي ولم اسمعه من جهة واحدة من جهاتي وقد حين هذا المعين
في القرآن سقوني ان يا موسى انه في موضع نصب بحذف حرف الجر اي بان يا موسى
اني انا الله رب العالمين نفى لربوبيته غيره سبحانه وصار هذا الكلام من صفتي الله
عز وجل ورسله لانه لا يصير رسولا الا بعد امره بالرسالة والامر بها انما كان بعد
هذا الكلام فقوله تعالى

وان الق عصاك

عطف على ان يا موسى وتقدم الكلام في هذا في النمل وفي طه ومدار نصب على
الحال وكذلك موضع فوله ولم يعين موضع نصب على الحال ايضا يا موسى اقبل ولا
تخف قال ومعنى قيل له ارجع الى حيث كنت فرجع فلف درعه على يده فقال

له الملك اما بينت ان اراد الله ان يصيبك باخاذ ما يفعل لقد يدك قال لا ولكني
ضعيف خلقت من ضعيف وكشف يده فادخلها في فم الحية فعادت عصا فلما رأى
الا شيخ اي ما اخاذ من قوله تعالى اسلك يدك في جيبك الاية تقدم القول فيه
واضمم اليك جناحك من الرهب من متعلقه بولي اي ولي مدبرا من الرهب وقرا
حفص والبيلي وعيسى بن عمرو وابن ابي اسحق من الرهب بفتح الراء فاسكان
الهاء وقرا ابن عامر والكوفيون الا حفصا بضم الراء وجزم الهاء والباقون بفتح الراء
والهاء واختاره ابو عبيد وابو حاتم لقوله تعالى ويدعونا رغبا ورهبا وكلها لغات
وهو بمعنى الخوف والمعنى اذا هالك امر يدك وشعاعها فادخلها في جيبك
وارددها اليه تعد كما كانت وقيل امره الله ان يضم يده الى صدره فيذهب عنه
خوف الحية عن مجاهد وغيره ورواه الضحاك عن ابن عباس قال فقال ابن عباس
ليس من احد يدخله رعب بعد موسى عليه السلام ثم يدخل يده فيضعها على صدره
الا ذهب عنه بالروع ويحكى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله ان كاتبا كان يكتب
بين يديه فانفلتت منه فلتة زحر فجعل وانكسر فقام فضرب بقلمه
الارض فقال له عمر خذ قلمك واضمم اليك جناحك وليفرغ عنك فاني ما سمعتها
من احد اكثر مما سمعتها من نفسي وقيل المعنى اضمم يدك الى صدرك لينهب الله
ما في صدرك من الخوف وكان موسى من تقدم خوفا اما من فرعون واما من الثعبان
وضم الجناح هو السكون لقوله واخفض لهما جناح الذل من الرحمة يريد الرفق
وكذلك قوله واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين اي ارفق بهم وقال الفراء
اراد بالجناح عصاه وقال بعض اهل المعاني الرهب الكم بلغة اهل حمير
وبني حنيفة قال مقاتل سألتني اعرابية شيئا وانا آكل فلات الكف واومأت
اليها فقالت ههنا في رمي تريد في كمي وقال الاصمعي سمعت اعرابيا يقول
لاخر اعطني ما في رهبك فسألته فزا رهب فقال اكم فعلى هذا يكون معناه
اضمم اليك يدك واجعلها من اكمك لانه تناول العصا بيده التي في كمه وقوله اسلك
يدك في جيبك يدل على انها اليد اليمنى لان الجيب على اليسار ذكره الفتيبي قلت
وما فسروه من ضم اليد الى الصدر يدل على ان الجيب موضع الصدر وقد جاء في سورة

النور بيانه ٥ الزمخشري ومن بدع التفاسير ان الكم الراهب بلغة حمير وانهم يقولون مال زوهب وليت شعري كيف صحته في اللغه وهل سمع من الاثبات الثقات الذي يرتضى عربيتهم وليت شعري كيف موقعه في الايه وكيف تطبيقه المفصل لكبريات التنزيل على ان موسى صلوات الله عليه ما كان عليه ليله المناجاه والارز ما نقته من صوف لاكمي لها قال القتيبي وقوله واضمم اليك جناحك اي ثمر واستعد لتحمل اعباء الرساله قلت فعلى هذا يقبل انذر من الامنين اين المرسلين لقوله تعالى اني لا يخاف لدي المرسلون قال ابن بحر فصار على هذا التاويل رسولا بهذا القول وقيل انا صار رسولا بقوله فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملايه والبرهانان اليد والعصا وقرا ابن كثير وابو عمرو فذانك بتشديد النون وخففها الباقون وروى ابو عماره عن ابي الفضل عن ابي بكر عن ابن كثير فذانيك بالتشديد واليا وعن ابي عمر وايضا قال لغه هذيل فذانيك بالتخفيف واليا ولغه قريش فذانكما قرا ابو عمرو وابن كثير وفي تعليل جمله اقوال قيل شدد النون عوضا من الالف الساقطه في ذانك الذي هو تثنيه ذا المرفوع وهو رفع بالابتداء والف ذا محذوفه لدخول الف التثنيه عليها ولم يلتفت الى التقاء الساكنين لان اصله فذانك فحذف الالف الاولى عوضا من البوت التشديد وقيل التشديد بدلت كيدكما ادخلوا اللام في ذلك بلى وقيل ان من عمد انا بناه على لغه من قال في الواحد ذلك فلما بني اثبت اللام بعد نون التثنيه ثم ادغم اللام في النون على حكم ادغام الثاني في الاول والاصل ان يدغم الاول بدا في الثاني الا ان يمنع من ذلك علمه فيدغم الثاني في الاول والعله التي منعت في هذا ان يدغم الاول في الثاني الا ان يمنع من ذلك علمه فيدغم الثاني في الاول والعله التي منعت في هذا ان يدغم الاول في الثاني انه لو فعل ذلك لصار في موضع النون التي تدل على التثنيه لام مشدده فيتغير لفظ التثنيه فادغم الثاني في الاول وقد قيل انه لما اثبتنا اللام في ذلك قبل النون ثم ادغم الاول في الثاني على اصله الادغام فصارت نونا مشدده وقيل شددت فرقا بينها وبين الظاهر التي بسقط الاضافه

نونه لان ذان لا يضاف وقيل الفرق بين الاسم المتمكن وبينها وكذلك العله في تشديد النون في الذين وهاذان قال والما اختص ابو عمرو هذا الحرف بالتشديد دون كل تثنيه من حيث لقله حروفه فقراه بالتثقيل ومن قرا فذانيك بيا مع تخفيف النون فالاصل عنده فذانك بالتشديد فابدل من النون الثانيه ياء كراهيه التضعيف لاملاه في املوه فابدلوا اللام الثانيه الفا ومن قرا بيا بعد النون المشدده فوجهه انه اشبع كسره النون فنشات عنها اليا قوله تعالى

فارسله معي ردا

اي معينا مشتقا من ازادنه اي اعنته والردي العون قال الشاعر

المرء ان امرم كان ردئي وجبن ان نزع في قبل وقال

قال الخاسر وقد ارداه ورداه اعانه وترك همزه تخفيف وبه قرا نافع وهو معين المهدوي قال المهدوي ويجوز ان يكون ترك الهمز فيه لتسلم الالف على الاصل فيها فكان الصل ارسله معي زياده في تصديقي قال سلم من جذب وانشد قول الشاعر

واسمر خطيا كان كعوبه نوى القسب قد اردى ذرعا على العشر

كذا انشد الماوردي هذا البيت قد ارداه وانشده الفرزدق والجوهري في الصحاح قد اني قال والقسب الصلب والقسب تمر يابس تتفتت في الفم صلب النواه قال يصف رمحا والبيت رد الذي يرد رداه فهو رديء اي فاسد واراد انه افسد ته واراد انه ايضا يعني عنته تقول ارداته بفتحي ان كنت له ردا وهو العون قال الله تعالى ارسله معي ردا يصدقني قال الخاسر وقد جعل ردا ردا وجمع ردي ردا وقراحمزه وعاصم يصدقني بالرفع وجزم ابو عبيد على الجواب في اختيار ابي حاتم على جواب الدعا واختار الرفع ابو عبيد على الها في ارسله اي ارسله ردا يصدقا حاله التصديق

لقوله انزل علينا مايده من السما تكون لنا عيدا لكاينه حال صرف الى الاستقبال ويجوز
ان يكون صفه لقوله ردا اي اخاف ان يكذبون اذا لم ينزل ذلك ويزيد ولا يعبر لانهم
لا يكادون يفهمون عني فقال الله جل وعز له سنشد عضدك باخيك اي سنقويك
به وهذا تمثيل لان قوه اليد بالعضد قال طرفه

اني ليثنيني لشتم لي بعد الايد لبستها عضد

ويقال في دعا الخير شد الله عضدك وفي ضده شد الله في عضدك ونجعل
لكما سلطانا اي حجه وبرهانا فلا يصلون اليكما بالاذي باياتنا اي تمنعان منهم
باياتنا فيجوز ان يوقف على اليكما ويكون في الكلام تقديم وتاخير وقيل التقدير
انتما ومن اتبعكما الغالبون باياتنا قاله الاخفش والطبري قال المهدوي وفي
هذا التقدير الصله على الموصول الا ان يقدر انتما غالبان باياتنا انتما ومن
اتبعكما الغالبون وعني الايات سايد معجزاته قوله تعالى فلما جاءهم
موسى باياتنا بينات اي ظاهرات واضحات قالوا ما هذا الا سحر مفترى مكذوب
مختلق وما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين وقيل ان هذه الايات مما
احتج به موسى في اثبات التوحيد من الحجج العقليه وقيل هي معجزاته قوله
تعالى وقال موسى ربي اعلم الاسم بالواو وفي مجاهد وابن كثير وابن
محيصن قال بلا واو وكذلك هو في مصاحف اهل مكه ربي اعلم بمن جاء بالهدى
اي بالرشاد من عنده ومن يكون فتح الكوفيون الياء هنا يكون بالياء والباقون
بالنون وقد تقدم هذا غايه الدنيا اي داره الجزا انه لا يميز الامر والشان لا
يفلح الظالمون قوله تعالى

وقال فرعون يا ايها الملا ما علمت

لكم من اله غيري الايه

قال ابن عباس كان بينها وبين قوله انا ربكم الاعلى اربعون سنه وكذب
عدو الله بل علم ان له ربا هو خالقه وخالق قومه ولكن سألتهم من خلقهم
ليقولن الله فاوقع يا هامان على الطين اي اطبخ لي الاجر عن ابن عباس وقال

قتاده هو اول من صنع الاجر وبني به ولما امر فرعون وزيره هامان ببنا الصرح
جمع هامان العمال خمسين الفا سوى الاتباع والاجرا وامر بطبخ الاجر والحطب
وبحر الخشب وضرب المسامير فنشروا ورفعوا البنا وشيدوه بحيث لم يبلغه بنيان
منذ خلق الله السموات والارض فكان الرجل لا يقدر ان يقوم على راسه شيء اراده
ان يفتنهم فيه فجعل السدبان فرعون صعدا الصرح وربي تشابه بخار السما فرجعت
اليه ملطخه دما فقال قد قتلت اله موسى فرد الله عز وجل عنه حاله
والله اعلم بصحته فضرب الصرح بجناحه فقطعه ثلاث قطع فقطعه على عسكر فرعون
فقتلت منهم الفا لف وقطعه في البحر وقطعه في المغرب وهلك كل من عمل فيه شيئا وابى
الله الا ان يكذب الظن هامان تنكر على الله لانه فتان الراهبين
ما لا يحل على ذي قطه قوله تعالى واستكبر اي تعظم هو وجنوده اي عن
الايمان بموسى وفي الارض بغير الحق اي بالعدوان اي لم يكن له بحجه يدفع ما جاء به
موسى وظنوا انهم الينا لا يرجعون اي توهموا انه لا معاد ولا بعث وقرا نافع
وشيبه وابن محيصن وحميد ويعقوب همزه والكسائي لا يرجعون بفتح الياء وكسر
الجيم على انه مبني للفاعل والباقون يرجعون على المفعول المجهول وهو اختيار ابي عبيد
والاول اختياره ابو حاتم فاخذناه وجنوده وكانوا الفا وسميا به الف فنبذناهم
في اليم فطرحناهم في البحر الملح قال قتاده بحر مغرق بمصر يقال له اساف
اغرقهم الله فيه وقال وهب السدير المكان الذي اغرقهم الله فيه شاطيء القلزم يقال له
بطن مريه وهو الي اليوم غضبان وقال مقاتل يعني زمر البحر والمنهور
الاول فانظر ايا محمد كيف كان عاقبه الظالمين الذين خرجوا مع فرعون
زعما يتبعون على الكفر فيكون عليهم وزرهم ووزر اتباعهم حتى يكون عقابهم اكثر وقيل
جعل الله الملائكه فوسه رؤسا للسفله منهم فهم يدعون الى جهنم وقيل اليه يا تهم
دعوه العرى يقط بهم اهل البصائر يدعون الى النار اي الى عمل اهل النار ويوم
القيمه لا ينصرون واتبعناهم في هذه الدنيا لعنه اي امرنا العباد بلعنهم فهم ذارهم
لعنهم وقيل اي الزمناهم العار اي اعدناهم من الخير من المقبوحين اي من المهلكين

المنوعين قاله ابن كيسان وابو عبيده وقال ابن عباس المنوعين الخلقة سوداء الوجوه
وزرقة العيون وقيل من المبعدين يقال فحه الله اى نحاه من كل خير فتحه وفتحه اذا جعله
فيحا قال ابو عمرو فتحه وجهه بالتخفيف لمن فتحت قال الشاعر

الا فتح الله الرواح كلها وفتح يربوعا وفتح دارسا

واستضب يوم على الحمد على موضع نصب هذه الدنيا واستغنى عن حرف العطف فى قوله
من المنوجين كما استغنى عنه فى قوله سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويجوز ان يكون
العامل فيه يوم مضمرا يدل عليه قوله هم من المنوجين فيكون كقوله يوم يبدى ساقه
لا يشرين يوم يبدى للمجدمين ويجوز ان يكون العامل فى يوم قوله وهم من المنوجين
وان كان الظرف متقدما ويجوز ان يكون منصوبا على السعة كانه قال واتبعناهم فى
هذه الدنيا لعنة ولعنة يوم القيمة قوله تعالى

ولقد اتينا موسى الكتاب

يعنى التوراة قاله قتادة قال يحيى بن سلام هو اول كتاب نزل فيه الفرائض
والحدود والاحكام وقيل الكتب ستة من المثانى السبع التى انزلها الله على
رسوله محمد صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس ورواه مرفوعا ٥ بعد ما
اهلكنا القرون الاولى قال ابو سعيد الخدرى قال النبى صلى الله عليه وسلم
ما اهلك الله قوما ولا قرنا ولا امة ولا اهل قرية بعذاب من السماء ولا من الارض
منذ انزل الله التوراة على موسى غير القرية التى مسخت قردة الم تر الى قوله تعالى ولقد اتينا
موسى الكتاب من بعد ما اغرقنا فرعون وقومه وخسفنا بقارون بصائر
للناس ليتبصروا وهدى اى من الضلالة لمن عمل بها ورحمة لمن امن لعلهم يتذكرون
اى ليذكروا هذه النعمة فيقيموا على ايمانهم فى الدنيا ويثقنوا بثوابهم فى الاخرة قوله
تعالى وما كنت اى ما كنت يا محمد بجانب الغربى اى بجانب الجبل الغربى
قال الشاعر اعطاك اعظم هدى النبيا نور ابين المنير الغربيا
اذ قضينا الى موسى الامر ٥ اى اذ كلفناه امرنا ونبينا والزمناه عهدنا

وقيل اى اذ قضينا الى موسى امرك وذكرنا كى يحذر وقال ابن عباس اذ قضينا الى
اخبرنا انه حتم لامم وما كنت من الشاهدين اى من المخاطبين قوله
تعالى ولكنا انشانا قرونا اى من بعد موسى فتطاول عليهم العمر حتى نسوا ذكر الله اى
عهده وامره بنظم فتطاول عليهم الامد ففسدت قلوبهم وطال عهدهم بحيان يكون
حيا النبيا عليه السلام ذكرى ذلك الوقت وان الله سيبعثه ولكن طالت
المدة وغلبنا القسوة فنسى القوم ذلك وقيل انشا موسى الكتاب واخذنا على
قومه العهود ثم تطاول العهد فدرسوا فارسلنا محمدا صلى الله عليه وسلم مجددا للدين
وداعيا للخلق اليه قوله تعالى وما كنت ثاويا فى اهل مدين اى مقيما كاقام
موسى وشعيب بينهم قال العجاج

وما حنت بدخل الوى اى الصيف الهيم وقوله نقال

تتلوا عليهم اياتنا اى تذكرهم بالوعد والوعيد ولكنا كنا مرسلين اى ارسلناك الى
اهل مكة واتيناك كتابا فيه هذه الاخبار ولولا ذلك لما علمتها قوله تعالى

وما كنت بجانب الطور اذ نادينا

اى كما لم تحضر جانب المكان الغربى اذ ارسل الله موسى الى فرعون فلذلك لم تحضر
جانب الطور اذ نادينا موسى لما ابى السبعين مع السبعين وروى عمرو بن دينار
يرفعه قال نودى يا امة محمد اجبتكم قبل ان تدعونى واعطيتكم قبل ان تسالونى
فذلك قوله وما كنت بجانب الطور اذ نادينا وقاله ابو هريرة وفى رواية عن ابن
عباس ان الله تعالى قال يا امة محمد اجبتكم قبل ان تدعونى واعطيتكم قبل ان تسالونى
وغفرت لكم قبل ان تستغفرونى ورحمتكم قبل ان تسترحمونى قال وهب وذلك
ان موسى لما ذكر الله له فضل محمد صلى الله عليه وسلم وامته قال رب اجعلنى منهم فقال الله تعالى
انك لن تدركهم وان شئت نادينهم فاسمعك صوتهم قال بلى يا رب فقال الله تعالى
يا امة محمد فاجابوا من اصلاب ابائهم فقال قد اجبتكم قبل ان تدعونى ومعنى الاية على هذا
ما كنت بجانب الطور اذ كلمنا موسى فنادينا اسمك واخبرناه باكتبنا لك

ولامنك من ارحمه الى اخر الدنيا ولكن فعلنا ذلك رحمة منا بكم قال الاخفش
رحمة نصب على المصدر اي لكن رحمناك رحمة وقال الزجاج هو مفعول من
اجله اي فعل ذلك بك لاجل الرحمة قال النحاس اي لم تشهد قصص الانبيا
ولا تلبث عليك ولكنا بعثناك واوحينا ما اليك للرحمة الكسائي على اخبر
كان التقدير ولكن كان رحمة قال ويجوز الرفع بمعنى ولكن هي رحمة
○ الزجاج الرفع بمعنى ولكن فعلنا ذلك رحمة لتنذر قوما ما اتاهم
من نذير من قبلك يعني العرب اي لم تشاهد تلك الاخبار ولكن اوحيناها
اليك رحمة بمن ارسلت اليه لتنذرهم بها لعلهم يتذكرون قوله تعالى

ولولا ان تصيبهم مصيبة

بما قدمت ايديهم قرئ تصبهم بالجزم عطفا على يقولوا وقرئ تصيبهم
بالرفع على الاستئناف وقيل اليهود ومصيبة اي عقوبة ونقمة بما قدمت
ايديهم من الكفر الماضي وخص الايدي بالذكر لان الغالب من الكسب ايما تقع بها
وجواب لولا محذوف اي لولا ان يصيبهم عذاب بسبب معصيتهم المتقدمة فيقولوا
ربنا لولا ارسلت الينا رسولا لما بعثنا الرسل وقيل لعاجلناهم بالعقوبة
وبعثة الرسل ازاحة لعذر الكفار كما تقدم في سبحان واخر طه فيقع
انا بالنصب على جواب التخضيض ويكون عطف عليه من المؤمنين اي من
المصدقين وقد احتج بهذه الاية من قال ان العقل يوجب الايمان والشكر
لانه قال لما قدمت ايديهم وذلك يوجب العقاب اذا تقرر الوجوب قيل
بعثة الرسل وانما يكون ذلك بالعقل قال القشيري والصحيح ان
المحذوف لولا كذا لما احتيج الى تجديد الرسل الى هؤلاء الكفار انهم غير
معذورين اذا بلغتهم الرسل الشرايع السابقة والدعاة الى التوحيد ولكن
العهد فلو عذبناهم قبل قيام العهد بالرسل ويظهر ان ذلك
عذر ولا عذر لهم بعد ان يلغهم حجز الرسل ولكن اكملنا ازاحة العذر
واتممنا البيان فبعثناك بالحجة اليهم وقد حكم الله انه لا يعاقب

هذا الاعذار اكمال البيان والحجة وبعثة الرسل قوله تعالى

فلما جاءهم الحق من عندنا

يعني محمدا صلى الله عليه وسلم قالوا يعنون كفار مكة لولا اي هلا اوتي
ما اوتي موسى من العصا واليد البيضا وانزل عليه القرآن جملة واحدة كالتوراة
وكان بلغهم ذلك من امر موسى قبل محمد فقال الله اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل
محمد فقالوا الله تعالى اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل قالوا ساحران تظاهرا
اي موسى ومحمد تعاونا على السحر قال الكلبي بعثت قريش الى اليهود بيثربة
من يعث محمد وشأنه فقالوا انا نجده في التوراة بنعته وصفته فلما رجع الجواب
اليهم قالوا ساحران تظاهرا وقال قوم ان اليهود علموا المشركين وقالوا قولوا
لمحمد لولا اوتي مثل ما اوتي موسى فانه اوتي التوراة جملة واحدة فهذا
الاحتجاج وارد على اليهود او يكفروا وهو لاء اليهود بما اوتي موسى حين قالوا
عن موسى وهرون هما ساحران تظاهرا وانا بكل كافرون وانا كافرون بكل واحد منهما
وقرأ الكوفيون سحران بغير الف اي الانجيل والقرآن وقيل التوراة والقرآن
قاله الفراء وقيل التوراة والانجيل قاله ابو رزين الباقون ساحران بالف وبه
ثلاثة اقاويل احدها موسى ومحمد عليهما السلام وهذا قول مشركي العرب
وبه قال ابن عباس والحسن الثاني موسى وهرون وهذا قول اليهود في
ابتداء الرسالة وبه قال سعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد فيكون الكلام
احتجاجا عليهم وهذا بدل على ان المحذوف في قوله ولولا ان تصيبهم مصيبة
لما جددنا بعثة الرسل لان اليهود اعترفوا بالتوراة ولكنهم حرفوا وغيروا
فاستحقوا العذاب فقال قد اكملنا ازاحة عذرهم ببعثة محمد صلى الله عليه
وسلم ان لم تتبع عيسى ومحمد صلوات الله عليهما وهذا قول اليهود اليوم وبه
قال قتادة وقيل اول بكفر جميع اليهود بما اوتي موسى في التوراة من ذكر
المسيح وذكر الانجيل والقرآن قرأ عيسى ومحمد ساحران والكتابين سحرين

قوله تعالى

قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اتبعه الايه

اي قل يا محمد اذكروا ايتم معاشر المشركين بعد ان الكتابين فاتوا كتابا من عند الله هو اهدى منهما ليكون ذلك عذرا لكم في الكف ان كنتم صادقين في انهما ساحران او فاتوا بكتاب هو اهدى من كتاب موسى ومحمد عليهما السلام ومذا يتوبن قراه الكوفيين سحران اتبعه قال الفراء الرفع لانه صفة للكتاب وكما تنكره قال واذا جزمت وهو الوجه فعلى الشرط فقوله تعالى فان لم يستجيبوا لك يا محمد ان لم يأتوا كتاب من عند الله فاعلم انما يتبعون اهوائهم اي انما قلوبهم وما استحسنوه وحببه لهم الشيطان وانما حجة لهم ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله اي لا احد اضل منه ان الله لا يهدي القوم الظالمين قوله تعالى

ولقد وصلنا لهم القول

اي اتبعنا بعضه بعضا وبعثنا رسولا بعد رسول وقرا الحسن وصلنا مخففا وقال ابو عبيده والاخفش معنى وصلنا اتممنا لصلة النبي وقال ابن عيينه والسدي بينا وقاله ابن عباس وقال مجاهد فصلنا وكذلك كان يقرأها وقال ابن زيد وصلنا لهم خبر الدنيا بخبر الاخرة حتى كانهم عاينوا الاخرة في الدنيا وقال اهل المعاني والبنا واتبعنا وانزلنا القرآن يتبع بعضه بعضا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ونصايح ومواعظ اراده ان يتذكروا فيفلحوا واصله من وصل الحبال بعضها الى بعض قال الشاعر

فقل لبني مروان ما بال ذمة وحبل ضعيف ما يزال يوصل

وقال امرؤ القيس

ذرير لحذروفا لوليد امرة بقلب بكفه مخبط موصل

والضمير في لهم لقريش عن مجاهد وقيل هو لليهود وقيل لهم جميعا والايه رد على من قال هذا وفي القرآن حمله واحده لعلهم يتذكرون قال ابن عباس يتذكرون محمدا فيؤمنوا به وقيل يتذكرون فيخافون ان ينزل بهم ما نزل بمن قبلهم قاله علي ابن عيسى وقيل لعلهم يتعظون بالقرآن عن عباده الاوثان حكاه النقاش قوله تعالى

الذين اتيناهم الكتاب من قبله هم به يومنون

اخبر ان قوما ممن اوتوا الكتاب من بني اسرايل من قبل القرآن يومنون بالقرآن كعبد الله بن سلام وسلمان ويدخل فيه من اسلم من علماء النصارى وهم اربعون رجلا قدموا مع جعفر بن ابي طالب المدينه اثنان وثلثون من الحبشه وثمانيه نفر اقبلوا من الشام كانوا ايمه النصارى منهم بحيرا الراهب وابرهه والاشرف وعامر وابن وادريس وتمام كما سماهم الماوردي وان الله تعالى انزل فيهم هذه الايه وان بعضها اولها يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا قاله قتاده وعنه ايضا انها نزلت في عبد الله بن سلام وتميم الداري واخوانه والعبدي وسلمان الفارسي اسلموا فانزل فيهم هذه الايه وعمر فاعه بن قرظه نزلت في عشره انا احدهم وقال الزهري نزلت في النجاشي واصحابه ووجه ثنتي عشر رجلا فجلسوا مع النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا بوجهل واصحابه قريبا منهم فاسلموا فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقاموا من عنده فتبعهم ابو جهل ومن معه فقالوا لهم حسكم الله من ركب وقبحكم من وفد لم نلبثوا ان صدقتموه وما بنا ركبا احمق منكم ولا اجهل فقالوا سلام عليكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم وقد تقدم هذا في المايده عند قوله واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى وقال ابو العاليه هولا قوم امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل ان بعث وقد ادركه بعضهم من قبله اي من قبل القرآن وقيل من قبل محمد عليه السلام هم به اي بالقرآن ومحمد عليه السلام يومن واذا تلي عليهم قالوا امنا به انه الحق

من ربنا اي اذا قرئ عليهم القرآن قالوا صدقنا بما فيه انا كنا من قبله اي من قبل
نزوله او من قبل بعثته محمد صلى الله عليه وسلم مسلمين موحدين او مومنين بانه سيبعث
محمد وينزل القرآن قوله تعالى

اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا

فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ثبت في
صحيح مسلم عن ابي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة يؤتون اجرهم
مرتين رجل من اهل الكتاب امن بنبيه وادرك النبي صلى الله عليه وسلم فامن به
واتبعه وصدقه فله اجران وعبد مملوك ادى حق الله عز وجل وحق سيده فله اجران
ورجل كانت له امة فغذاها فاحسن غذاها ثم ادبها فاحسن ادبها ثم اعتقها وتزوجها
فله اجران ثم قال الشعبي لخراساني في هذا الحديث بغير شيء فقد كان الرجل يرحل فيما
دون هذا الى المدينة خرجه البخاري ايضا قال علماؤنا لما كان كل واحد
من هؤلاء الثلاثة مخاطبا بامرين من جهتين استحق كل واحد منهم اجرين فالكتابي كان مخاطبا
من جهة نبيه ثم اذ خوطب من جهة نبينا فاجاب به واتبعه واجابه فله اجر المليتين
وكذلك العبد هو مامور من جهة الله تعالى ومن جهة سيده ۞ ورب الامة لما
قام بما خوطب به من جهة امته وربها وادبها فقد احياها باكمل ما كان يجب
اكمالها فيه لمنصبه فقد قام بما امر به فيها فاجر كل واحد منهما اجرين ثم ان كل واحد
من الاجرين يتضاعف في نفسه الحسنة بعشر امثالها فتتضاعف الاجور وكذلك
قيل ان العبد الذي يقوم بحق سيده وحق الله تعالى افضل من الحر وهو الذي ارتضاه
ابو عمر بن عبد البر وغيره وفي الصحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم للعبد المملوك المصلح اجران والذي نفس محمد بيده لولا الجهاد في سبيل الله
والحج وبر امي لاحببت ان اموت وانا مملوك قال سعيد بن المسيب وما لعنا
ان ابا هريرة لم يكن يحج حتى ماتت امه لصحبتها وفي الصحيح ايضا عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعما للعبد المملوك ان يتوفى حين
يتوفى حسن الله وصحابه سيده تعالى الثانية قوله تعالى بما صبروا اعلم في صبرهم على ما سمعوا

ثم على هذه وعلى الاذى الذي يلقونه من الكفار وغير ذلك الثالثة قوله تعالى
ويدرؤون بالحسنة السيئة اي يدفعون درات افاد فقت والدرء الدفع وفي الحديث ادرؤا
الحدود ما استطعتم قيل يدفعون بالاضمال والكلام الحسن الذي وقيل يدفعون
بالتوبة والاستغفار الذنوب وعلى الاول وهو وصف لمكارم الاخلاق اي من فعل هذا سوا
لاسيوه وقابلوه من القول الحسن بما يدفعه وهذه ايه مهدية وهي من صدد الاسلام
وهي مما نسخها ايه السيف وبقي حكمها فيما دون الكفر بما عاطاه امته محمد صلى الله عليه وسلم
الى يوم القيمة ومنه قوله عليه السلام لمعاذ واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس
بخلق حسن ومن الخلق الحسن دفع المكروه والاذى والصبر على الجفا بالاعراض عنه
ولين الجانب الرابعة قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون اثنى عليهم بانهم
ينفقون من اموالهم في الطاعات وفي رسم الشرع وفي ذلك حض على الصدقات وقد
يكون الانفاق من الابدان بالصوم والصلوات ثم مدحهم ايضا على اعراضهم عن
اللغو كما قال واذا مروا باللغو مروا كراما اي اذا سمعوا ما قال لهم المشركون من الاذى
والشتم اعرضوا عنه ولم يشتغلوا به وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم
اي مباركة مثل قوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما اي لنا ديننا ولكم دينكم
سلام عليكم اي امنة لكم منا فانا لا نحاربكم ولا تشاتمكم وليس من التحية هنا في شيء قال
الزجاج وهذا قبل الامر بالقتال لا تتبغي الجاهلين اي لا تظلمهم بالجدال والمراجعة
والمشاتمة قوله تعالى

انك لا تهدي من احببت

الاية قال الزجاج اجمع المسلمون على انها نزلت في شان ابي طالب قلت
والصواب ان يقال اجمع كل المسلمين على انها نزلت في شان ابي طالب عم النبي صلى الله عليه
وسلم ۞ البخاري وهو نص حديث البخاري وسلم وقد تقدم ذلك في براءة
وقال ابو روق قوله ولكن الله يهدي من يشاء اشاره الى العباس وقاله
قتاده وهو اعلم بالمهتدين قال مجاهد لمن قدر له ان يهتدي وقيل معنى
من احببت اي من احببت ان يهتدي وقال حبر من عظم لم يسمع احدا نوحي

يلتفت على النبي صلى الله عليه وسلم الى ابي بكر الصديق فانه سمع جبريل وهو يقول يا محمد
افزع الملك لقد تزين لحبيب ولكن الله يهدي من يشاء قوله تعالى

وقالوا ان نتبع الهدى معك

نتخطف من ارضنا

قال ابن عباس قايل ذلك الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف القرشي
قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لنعلم ان قولك حق ولكنا نخشى ان نتبع الهدى معك
ونؤمن بك نخافه ان تخطفنا العرب من ارضنا يعني مكة لاجتماعهم على خلافك ومحاربتك
لنا بهم وكان هذا من تعللاتهم فاجاب الله تعالى عما اعتلوا به فقال اولم نمكن
لهم حرما امنا اي ذا امن وذلك ان العرب في الجاهلية كانت تغير بعضهم على بعض وتقتل
بعضهم بعضا واهل مكة امنون حيث كانوا بحرمة الحرم واخبر انه قد امنهم بحرمه
البيت ومنع منهم عدوهم فلا يخافون ان تستحل العرب حرمه في قتالهم والتخطف
الاستلاب بسرعة وقد تقدم قال يحيى بن سلام يقول كنتم امنين في حرم يأكلون
رزقي وتعبدون غيري فتخافون اذا عبدتموني واستمعتم بي ۝ يجبى اليه ثمرات كل شيء
اي يجمع اليه ثمرات كل ارض عن ابن عباس وغيره يقال جبى الماء في الحوض اذا جمعه
واجبيته الحوض العظيم وقرأ نافع يجبى بالتاء لاجل الثمرات الباقون بالياء لقوله
كل شيء واختاره ابو عبيدة قال لانه خالف الاسم المؤنث وبين وبعد حايل وايضا
فان الثمرات جمع وليس بتانيث حقيقي رزقا من لدنا اي من عندنا ولكن اكثرهم لا
يعلمون ابا لا يعقلون اي هم غافلون عن الاستدلال وان من رزقهم وامنهم فيما
هم فيه حال كفرهم يرزقهم لو اسلموا ويمنع الكفار عنهم في اسلامهم ورزقا نصب على المفعول
من اجله ويجوز نصبه على المصدر بالمعنى لان معنى يجبى يرزق وقرئ يجنى
بالنون من الجنى وتعديته الى كقولك جنى لفلان وجنى الى الخانة قوله تعالى

وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها

بين لهم انهم لو امنوا لقاتلهم العرب ان الخوف منع من الايمان اكثر فكم من قوم كفروا
ثم حل بهم البوار والبطر الطغيان بالنعمة قاله الزجاج معيشتها اي في معيشتها فلما حذف
في تقدير الفعل قاله المازني والزجاج كقوله واختار موسى قومه ۝ الزام منصوب على
التفسير كما تقول ابطر كل مالك وبطرته ونظيره عندي الا من سفه نفسه وكذا
عندي فان طيب لكم عن شيء منه نفسا ونصب المعارف على التفسير محال عند
البصريين لان معنى التفسير والتبيين ان يكون واحدا نكرة يدل على الجنس وقيل
انتصب بسطرت ومعنى بطرت جهلت فالمعنى جهلت شكر معيشتها فتلك مساكنهم
لم تسكن من بعدهم الا قليلا اي لم تسكن بعد هلاك اهلها الا قليلا من المسافرين
واكثرها خراب والاستثناء يرجع الى المساكن قاله الفراء غير من عليه يقتل
لو كان الاستثناء يرجع الى المساكن لقال الا قليل لانك تقول القوم لم تضرب الا
قليل برفع اذا كان المضروب قليلا واذا نصبت كان القليل صفة للضرب
اي لم يضرب الا ضربا قليلا فالمعنى اذا فتلك مساكنهم لم يسكنها الا المسافرون ومن يمر
بالطريق يوما او بعض يوم اي لم تسكن من بعدهم الا سكونا قليلا وكذلك قال ابن عباس
لم يسكنها الا المسافرون ومار الطريق يوما او ساعة وكنا نحن الوارثين اي لما خلفوا
بعد هلاكهم قوله تعالى

وما كان ربك مهلك القرى

اي القرى الكافرة اهلها حتى ينهوا في امها قرى بضم الهمزة وكسرها لانها ام الجزء يعني مكة
رسولا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل في امها في اعظمها رسولا يتلو عليهم
في اوايلها قلت ومكة اعظم القرى حرمة واولها لقوله ان اول بيت وضع للناس
وخصت بالعظم لبعثة الرسول فيها لان الرسل تبعث الى اشراف القوم وهم يسكنون المدائن
وهي ام ما حولها وقد مضى هذا المعنى في اخر سورة يوسف يتلو عليهم اياتنا
يتلو في موضع الصفة اي تاليا اي يخبرهم ان العذاب ينزل بهم ان لم يؤمنوا وما
كنا مهلكي القرى وسقطت النون للاضافة مثل الطالمي اهلها الا واهلها

ظالمون اي لم اهلكهم الا وقد استحقوا الاهلاك لاصرارهم على الكفر بعد الاعذار اليهم وفي هذا بيان لعدله وتقدسه عن الظلم اخبر انه لا يهلكهم الا اذا استحقوا الاهلاك بظلمهم ولا يهلكهم مع كونهم ظالمين الا بعد تاكيد الحجه والالزام بعثه الرسل ولا يجعل علمه بحوالهم حجه عليهم وتره ذاته ان يهلكهم وهم غير ظالمين كما قال عز من قايل وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون فنص في قوله بظلم انه لو اهلكهم وهم مصلحون لكان ذلك ظلما منه لم وان حاله تنافي عقابه وحكمته تنافي الظلم دال على ذلك بحرف النفي مع لامه كما قال وما كان الله ليضيع ايمانكم قوله تعالى وما اوتيتم من شيء فمتاع الحياه الدنيا وزينتها اي تتمتعون بها مده حياتكم او مده بقاء حياتكم فاما ان تزولا عنها او تزول عنكم وما عند الله خير وابقى اي افضل وادوم يريد الدار الاخره وهي الجنه افلا تعقلون ان الباقي افضل من الفاني قرا ابي عمرو يعقلون بالياء الباقون بالتاء على الخطاب وهو الاختيار لقوله وما اوتيتم

قوله تعالى

افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه

يعني الجنه وما فيها من الثواب كمن متعناه متاع الحياه الدنيا فاعطيناها بعض ما اردنم ثم هو يوم القيمه من المحضرين قال ابن عباس نزلت في حمزه بن عبد المطلب وابي جهل بن هشام وقال هشام نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وابي جهل وقال محمد بن كعب نزلت في حمزه وعلي وابي جهل وعماره بن الوليد وقيل في عمار وابن الوليد بن المغيره قاله السدي قال الفراء وانما نزلت في المومن والكافر وعلى القسم الثاني وبالجمله فانها نزلت في كل كافر متع في الدنيا بالعافيه والغنى وله في الاخره النار وفي كل مومن صبر على بلاء الدنيا ثقه بوعد الله وله في الاخره الجنه قوله تعالى ويوم يناديهم اين شركائي يناديهم الله يوم القيمه هو لاي المشركين يقول اين شركائي الذين زعمتم انهم ينصرونكم ويشفعون فيكم قال الذين حق عليهم القول اي وجب عليهم كلمه العذاب وهم الروساء قاله الكلبي وقال قتاده هم الشياطين ربنا هو لاء الذين اغوينا اي

دعوناهم الى الغي فقبل لهم اغووهم فقالوا اغويناهم كما غوينا يعنون اغويناهم كما كنا ضالين تبرانا اليك اي تبرا بعضنا من بعض والشياطين يتبرون من قبل منهم كما قال الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين قوله تعالى وقيل ادعوا شركاءكم اي استغيثوا بالهتكم الذين عبدتموها في الدنيا لتنصركم وتدفع عنكم فدعوهم اي استغاثوا بهم فلم يستجيبوا لهم اي فلم يجيبوهم ولا انتفعوا بهم ورا العذاب لو انهم كانوا يهتدون ما دعوهم وقيل المعنى ودوا حين راوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون في الدنيا اذ راوا العذاب يوم القيمه قوله تعالى وما ذا اجبتم المرسلين اي يقول الله لهم ماذا كان جوابكم لما ارسل اليكم من النبيين لما بلغوكم من رسالاتي فعميت عليهم الانبا يومئذ اي خفيت عليهم الحجه قاله مجاهد لان الله قد اعذر اليهم في الدنيا فلا يكون لهم عذر ولا حجه يوم القيمه والانبا الاخبار سميت حججهم انبا لانها اخبار تجري بينهم فهم لا يتساءلون اي لا يسال بعضهم بعضا عن الحجج لان الله تعالى اذ خصر حججهم قال الضحاك وقال ابن عباس لا يتساءلون اي لا يقدرون بحجه وقيل لا يتساءلون في تلك الساعه ولا يدرون ما يجيبون به من هول تلك الساعه ثم يحيبون بعد ذلك كما اخبر عنهم والله ربنا ما كنا مشركين وقال مجاهد لا يتساءلون بالانساب وقيل لا يسال بعضهم بعضا ان يحمل من ذنوبه شيئا حكاه ابن عيسى قوله تعالى فاما من تاب اي من الشرك وامن اي صدق وعمل صالحا اي الفرايض واكثر من النوافل فعسى ان يكون من المفلحين اي الفايزين بالسعاده وعسى من الله واجبه قوله تعالى

وربك يخلق ما يشاء ويختار

هذا متصل بذكر الشركا الذين عبدوهم واختاروهم للشفاعه اي الاختيار الى الله تعالى في الشفعا لا للمشركين وقيل هو جواب الوليد بن المغيره حين قال لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعني نفسه وعروه بن مسعود الثقفي من الطايف وقيل هو جواب اليهود اذ قالوا لو كان رسولا الى محمد غير جبريل لامنا به قال ابن عباس والعني وربك يخلق ما يشا

من خلقه ويختار من يشاء لبوته قلت وفي كتاب البزار مرفوعا صحيحا
عن جابر ان الله اختار اصحابي على العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي من
اصحابي اربعة يعني ابا بكر وعمر وعثمن وعليا فجعلهم اصحابي وفي اصحابي كلهم خير
واختار امتي على سايد الامم واختار لي من امتي اربعة قرون وذكر سفين بن عيينه
عن عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله عز وجل وربك يخلق ما يشاء
ويختار قال من النعم الضان ومن الطير الحمام والوقف التام ويختار قال علي بن
سليمان هذا وقف التام ولا يجوز ان يكون في موضع نصب لم تعد عليها شيء قال
وفي هذا رد على القدرية قال النحاس التمام ويختار اي ويختار الرسل ما كان لهم
الخيرة اي لم يرسل من اختاروه هم وقال ابو اسحق ويختار هذا وقف التمام
المختار فيجوز ان يكون في موضع نصب بيختار ويكون المعنى ويختار الذين كان لهم فيه
الخيرة قال الفتيبي والصحيح الاول لاطباقهم الوقف على قوله ويختار
قال المهدوي وهو اشبه بمذهب اهل السنة ومما من قوله ما كان لهم الخيرة
نفي عام يجمع الاشياء التي يكون للعبد فيها سوى اكتسابه بقدرة الله عز وجل
ما كان لهم الخيرة بيان لقوله ويختار لان معناه ويختار ما يشاء وهنا لم يدخل
العاطف والمعنى ان الخيرة لله تعالى في افعاله وهو اعلم بوجوه الحكمة فيها اي ليس
لاحد من خلقه ان يختار عليه وقال الزجاج ان يكون ما منصوبا بيختار
وانكر الطبري ما قاله لان يكون المعنى انهم لم يكن لهم الخيرة فيما بعض دعي لهم فيما
يستقبل ولانه لم يتقدم كلام ينفي قال المهدوي ولا يلزم ذلك لان ما
في الحال والاستقبال كليس ولذلك عملت عملها ولان الاي كانت تنزل على النبي
صلى الله عليه وسلم على ما سيل عنه وعلى ما هم مصرون عليه من الاعمال وان لم يكن
ذلك نزل النص وتقدير الاية عند الطبري ويختار لو لا يتهم الخيرة من خلقه
لان المشركين كانوا يختارون خيارا موالهم فيجعلونهم لالهتهم فقال الله
تبارك وتعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار للهداية من سبقت له السعادة
في علمه كما اختار المشركون خيارا موالهم لالهتهم فعلى هذا المن يعقل
وهي لمعنى الذي والخيرة رفع بالابتداء ولهم الخيرة والجملة خبر كان وشبهه

بفعلك كان زيدا ابوه منطلق وفيه ضعف اذ الكلام يعود على اسم كان لا ان يعذف
فيه حذف فيجوز على بعد وقد روي بمعنى ما قاله الطبري عن ابن عباس قال
الثعلبي وما نافية اي ليس لهم الاختيار على الله وهذا اصوب كقوله تعالى وما كان
لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم قال
محمد الوراق توكل على الرحمن في كل حاجة اردت فان الله يقضي ويقدر
اذا ما يرد ذو العرش امرا لعبده ينبه وما للعبد لا يتخير
وقد هلك الانسان من وجه حذره ويحمد الله حين يجذر
احر العبد ذو ضجر والرب ذو قدر والدهر ذو دول والرزق مقسوم
واكيس جمع بما اختار خالقنا وفي اختياره سواه الشوم واللوم
قال العلماء لا ينبغي لاحد ان يقدم على امر من امور الدنيا الاخروية حتى يستخير الله الخيرة
في ذلك وذلك بان يصلي ركعتين صلاة الاستخارة يقرا في الركعة الاولى بعد الفاتحة
قل يا ايها الكافرون وفي الركعة الثانية قل هو الله احد واختار بعض الشيوخ
ان يقرا في الركعة الاولى وربك يخلق ما يشاء ويختار الاية وفي الركعة الثانية وكان
لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم وكل حسن
ثم يدعو عقيب هذا الدعاء بعد السلام وهو ما رواه البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله
قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الامور كلها كما يعلمنا
السورة من القرآن يقول اذا هم احدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة
ثم ليقل اللهم اني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك واسالك من فضلك العظيم
فانك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر
خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة امري او قال في عاجل امري واجله فاقدره لي ويسره لي
ثم بارك لي فيه اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة امري او
قال في عاجل امري واجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به
قال ويسمي حاجته وقد روت عايشة رضي الله عنها عن ابي بكر رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد امرا قال اللهم خر لي واختر لي

وروي انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا انس اذا هممت بامر
فاستخر ربك فيه سبع مرات ثم انظر الى ما سبق فقلبه فانه يخرج فيه قال
العلماء وينبغي له ان يفرغ قلبه من جميع الخواطر حتى لا يكون ميلا الى امر من الامور فعند
ذلك ما سبق الى قلبه يعمل عليه فان فيه الخيرة ان شاء الله تعالى وان عزم على سفر
فوجي سفره يوم الخميس او يوم الاثنين اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
نزه سبحانه نفسه عما نسبه اليه الكفار بقوله الحق فقال سبحان الله اي تنزيها وتعالى اي تقدس
وتمجد عما يشركون وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون يظهرون وقرأ
ابن محيصن وحميد تكن بفتح التاء وضم الكاف وقد تقدم هذا في النمل يمدح سبحانه
بانه عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه شيء وهو الله لا اله الا هو وله الحمد في الاولى
والاخرة وله الحكم واليه ترجعون تقدم معناه وانه المنفرد بالوحدانية
وان جميع المحامد انما يجب له لان الحكم الاله واليه المصير قوله تعالى

قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا

اي دائما ومنه قول طرفة لعمرك ما امري على بغمة نهاري ولا ليلي على بسرمد
ينزه سبحانه نفسه عما لا يليق به من اسباب المعيشة ليقوموا بشكر نعمته ٥ من اله غير الله ياتيكم
بضياء اي بسود تظلمون فيه المعيشة وقيل نهارا تبصرون فيه في معايشكم وتصلح
فيه الثمار والبنات افلا تسمعون سماع فهم وقبول قل ارايتم ان جعل الله عليكم
النهار سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون فيه اي تستريحون
فيه من النصب افلا تبصرون ما انتم فيه من الخطا في عباده غيره واذا افرد تم
بانه لا يقدر على اتيان الليل والنهار غيره فلم تشركون به ومن رحمته جعل لكم الليل
والنهار لتسكنوا فيه اي فيهما وقيل الضمير للزمان وهو الليل والنهار
ولتبتغوا من فضله اي لتطلبوا من رزقه فيه اي في النهار بالتصرف ولعلكم
تشكرون الله على ذلك قوله تعالى

ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون

اعاد هذا الاختلاف الحالين دون مرة فيقال لهم اين شركائي فيدعون الاصنام
فلا يستجيبون فيعلمون خزيهم ثم يناديهم مرة اخرى فيبكتون وهو توبيخ وزيادة
خزي والمناداة هنا ليست من الله لان الله لا يكلم الكفار لقوله تعالى لا يكلمهم الله يوم
القيمة لكنه تعالى يامر من يوبخهم ويبكتهم ويقيم الحجج عليهم فيتكلم الكساب
وقيل يحتمل ان يكون من الله وقوله لا يكلمهم الله خبر كما يقال لم احسن اليها ولا
تكلمون وقال شركائكم لانهم جعلوا لهم نصيبا من اموالهم قوله تعالى
ونزعنا من كل امة شهيدا اي نبيا عن محمد وقيل هم عدول الامم
يشهدون على العباد باعمالهم في الدنيا والاول اظهر لقوله تعالى فكيف اذا جئنا
من كل امة بشهيد وشهيد كل امة رسولها الذي يشهد عليها والشهيد الحاضر اي
احضروا رسولهم المبعوث اليهم فقلنا هاتوا برهانكم اي حجتكم فعلموا ان الحق لله
اي علموا صدق ملجات به الانبياء وضل عنهم اي ذهب عنهم وبطل ما كانوا يفترون
اي يختلقونه من الكذب على الله تعالى من ان معه الها تعبد قوله تعالى

ان قارون كان من قوم موسى

لما قال الله تعالى وما اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا بين ان قارون اوتيها
واغتر بها ولم يعبه من عذاب الله تعالى كما لم يعبه فرعون ولسنا ايها المشركون
باكثر عددا ولا اشد قوة من قارون وفرعون فلم ينفع فرعون جنوده واموالهم
٥ ولم ينفع قارون قرابته من موسى ولا كنوزه قال النحاس وقتاده وغيرهما
كان ابن عم موسى بحا وهو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب
وموسى بن عمران بن قاهث وقال ابن اسحاق كان عم موسى لابيه وامه
وقيل كان ابن خالته ولم يجر في العجمة والتعريف وما كان على وزن

فاعرف اعجميا لا يحسن فيه الالف واللام لم ينصرف في المعرفه ولا تنصرف في النكره فان حسنت فيه الالف واللام انصرف لان كان اسما للذكر بخوطاوس وراقود قال الزجاج ولو كان قارون من قرية ليس لا نصرف فبغى عليهم وبغيه انه زاد في طوله ثوبه شبرا قاله شهر بن حوشب وفي الحديث لا ينظر الله الى من جر ازاره بطرا وقيل بغيه كفره بالله عز وجل قاله الضحاك وقيل بغيه استخفافه بهم لكثره ماله وقلته قاله قتاده وقيل بغيه نسبته ما اتاه الله من الكنوز الى نفسه بعلمه وجبلته قاله ابن جريج وقيل بغيه قوله اذا كانت النبوه لموسى والمذبح والقربان لهرون فالي فسوري انه لما جاوزبهم موسى البحر وصارت الرساله والكسوره لهرون تقرب بالقربان وبكون ما شيا فيهم وكان القربان الى موسى فحسده موسى الى اخيه وحسد قارون في نفسه وحسدهما فقال لموسى الامر لكما ولست على شيء الى متى اصبر قال موسى هذا صنع الله قال والله لا صدقنك حتى تاتي بايه فامر موسى روساء بني اسرائيل ان يجيء كل واحد منهم بعصاه فجمعها والقاها في القبه التي كان الوحي ينزل عليه منها وكانوا يحرسون عصيهم بالليل فاصبحوا واذا عصى هرون تهتز لها ورق اخضر وكانت من شجر اللوز فقال قارون ما هو بامر اعجب مما تصنع من السحر فبغى عليهم من البغي وهو الظلم وقال يحيى بن سلام وابن المسيب كان قارون عاملا لفرعون على بني اسرائيل فتعدى عليهم وظلمهم وكان منهم وهو قول سابع وروي عن ابن عباس قال لما امر الله تعالى موسى برجم الزاني عمد قارون الى امراه بغي فاعطاها مالا وحملها على ان ادعت ان موسى زنا بها وانه احبلها فعظم على موسى ذلك واحلفها بالله الذي فلق البحر لبني اسرائيل واسئل النوراه على موسى لاصدقت فتاركها الله فقالت اشهد انك بريء وان قارون اعطاني مالا وحملني على ان قلت ما قلت فانت الصادق وقارون الكاذب فجعل الله امر قارون الى موسى وامر الارض ان تطيعه فجاء وهو يقول للارض يا ارض خذيه وهي تاخذه شيا وهو يستغيث يا موسى الذساخ في الارض هو داره وحلبه الذين كانوا على مذهبه وروي ان الله تعالى اوحى الى موسى يا موسى استغاثك بك عبادي فلم ترحمهم اما انهم لو دعوني لوجدوني

فهما مجيبا وقال ابن جريج بلغنا انه يخسف بهم كل يوم قامه فلا يبلغون الى اسفل الارض الى يوم القيمه وذكر ابن ابي الدنيا في كتاب الفرج حدثني ابو مسلم راشد قال حدثني داود بن مهران عن الوليد بن مسلم عن مروان بن جناح عن يونس ابن ميسره بن حلبس قال لقي قارون يونس في طلمان الحر فنادى قارون يونس فقال يا يونس تب الى الله فانك تجده عندا وقدم ترجع بها اليه فقال يونس ما منعك من التوبه قال ان توبتي جعلت الى ابن عمي فابى ان يقبل مني وفي الخبر انه اوصل قارون الى الارض السابعه نفخ اسرافيل في الصور والله اعلم قال السدي وكان اسم البغي سبريا وبذل لها قارون الف درهم على ان قذفه وكان قطع البحر من بني اسرائيل وكان يسمى المنور لحسن صوته بالتوراه ولكن عدو الله نافق كالسامري قوله تعالى

وآتيناه من الكنوز

قال عطا اصاب كنزا من كنوز يوسف عليه السلام وقال الوليد بن مروان انه كان يعمل الكيميا ما ان مفاتحه ان واسمها وخرها في صله ما وما صفوله انبتا قال النحاس وسمعت علي بن سليمان يقول ما اقبح ما يقول الكوفيون في الصلات انه لا يجوز ان يكون صله الذي واخواته ان وما عملت فيه وفي القرآن ما ان مفاتحه وموجع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به ومن قال مفتاح قال مفاتيح ومن قال هي للخزائن قرأها مفتح بالفتح لتنوء العصبه احسن ما قيل فيه ان المعنى لتثقل العصبه اي تمتلئ بثقلها فلما انفتحت اليا دخلت اليا كما قالوا هو يذهب بالبوس ويذهب البوس واختضار لتنوء بالعصبه بجعل العصبه تنوء اي بنهض متثاقله كقولك قم بنا اي اجعلنا نقوم يقال ناء ينوء نوءا اذا نهض بثقل قال الشاعر

تنوء باحراها فلا هي نائمها ... وتمشي الهوينا عن قريب فتبهر

اخر احدث فلم املك ونوت فلم انم كاني من طول الزمان مقيد

ونابني وانابني اذا انعلق عن ابي زيد وقال ابو عبيده تقول لتنوء بالعصبه

منقلوب والمعنى ينوؤها العصبه اي ينهض بها ابو زيد ينوء بالحمل اذا نهضت
قال الشاعر انا وجدنا خلفا بئس الخلف عبدا اذا ما آب بالحبل وقف
والاول معين قول ابن عباس وابن صالح والسدي وهو قول الفراء والزجاج
قال كابقول ذهبت به واذهبتموجئت به واجأته وانأنه ونؤت به وانأتا
فولهم عندي ما ساءه وناءه فهو انئ كان يجب ان يقال واناه ومثله هنأني الشئ
ومرأني واحد ما تقدم وحدث وقيل معناه مأخوذ من النأي وهو البعد ومنه
قول الشاعر

ينؤون عنا وما تنأى مودتهم فالقلب فيهم رهين ان هم كانوا

وقرا بديل بن عبيده لتنوأ بالهمز اي لينوء الواحد منها او المذكور فحمل على المعنى
وقال ابو عبيده قلت لرؤبه بن العجاج في قوله

فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق

ان كنت اردت الخطوط فقل كانها وان اردت السواد والبلق فقل كانهما فقال اردت
كل ذلك واختلف في العصبه وهي الجماعه التي ينقصت بعضهم لبعض على احد عشر قولا الاول
ثلثه رجال قاله ابن عباس وعنه ايضا من ثلاثه الى العشره وقال مجاهد العصبه
هاهنا ما بين العشره الى خمسه عشر وعنه ايضا من عشره الى خمسه ذكره الاول الثعلبي
والثاني القشيري والماوردي والثالث المهدوي وقال ابو صالح والحكم بن
عيينه وقتاده والضحاك اربعون رجلا السدي ما بين العشره الى الاربعين وقال
قتاده ايضا وقال عكرمه منهم من يقول اربعون ومنهم من يقول سبعون وهو قول
ابي صالح ان العصبه سبعون رجلا ذكره الماوردي والهدلي ذكره عنه الثعلبي
وقال سبعون رجلا فقال سعيد بن جبير ستون او سبعون عبد الرحمن بن زيد
ما بين الثلاثه لقول اخوه يوسف ونحن عصبه قاله مقاتل وقال اخيثمه وجدت
في الانجيل ان مفاتح خزائن قارون وقر ستين بغلا مرة محمله وانها لتنوء بالاشد
ثقلها ما بين يد مفتح منها على صبع لكل مفتح منها كنز قال لو قسم ذلك الكنز
على اهل البصره لكفاهم وقال مجاهد كانت المفاتح من جلود الابل وقيل

اتخذها من جلود البقر لتخف عليه فكانت تحمل معه اذا ركب على ستين بغلا بيض
ذكر القشيري وقيل على اربعين بغلا وهو قول الضحاك وعنه ايضا ان مفاتحه
اوعيته وكذا قال ابو صالح ان المراد بالمفاتح الخزائن والله اعلم اذ قال له قومه
ايها الموسوف من بني اسرائيل قاله السدي وقال يحيى بن سلام القوم هنا موسى
قاله الفراء قال وهو جمع اريد به واحد لقوله الذين قال لهم الناس والناس هو نعيم
ابن مسعود على ما تقدم لا تفرح اي لا تأشر ولا تبطر ان الله لا يحب الفرحين اي البطرين
قاله مجاهد والسدي قال الشاعر

ولست بفراح اذا الدهر سرني ولا ضارع في صرفه المتقلب

وقال الزجاج المعنى لا تفرح بالمال فان الفرح بالمال لا يوجد حقه وقال
الحسن بن عبد الله لا تفرح لا تفتد قال الشاعر

اذا انت لم تبرح تؤدي امانه وتحمل احرى فارتحل الودائع

اي افتد نفسك وقال ابو عمرو وارجحه الذين ثقله وانشد اذا انت البيت وارجحه
سره فهو مشترك قال الزجاج والفارحين والفارجين سواء وفرق بينهما
الفراء فقال معنى الفرحين الذين هم في حال فرح والفارجين الذين يفرحون في
المستقبل وزعم ان مثله طمع وطامع ومبت ومابت ويدل على خلافه ما قال
الله عز وجل انك ميت وهم ميتون ولم يقل مايتون وقال مجاهد فرحا
معجبا لا تفرح لا تبغ ان الله لا يحب الفرحين اي البائرين وقال ابن كيسان
ان الله لا يحب الباخلين قوله تعالى

وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخره

اي اطلب فيما اعطاك الله من الذهب الدار الاخره وهي الجنه قال ابن عباس
يا ابن آدم لا تنس نصيبك من الدنيا ان تأخذ منها ما ينفعك في الاخره لا في التخيير والبناء
عباس والجمهور لا تضيع عمرك في ان تعمل عملا صالحا في دنياك لان الاخره انما تنال بها
فنصيب الانسان عمره وعمله الصالح فيها قال الكلام علي هذا تام ويبتدئ الوقف
وقال الحسن وقتاده معناه لا تنس حظك من دنياك في تمتعك بالحلال

وطلبها باه ونترك لعاجة دنياك فالكلام على هذا ان ويل فيه بعض الرفق به
واصلاح الهر الذي يشتهيه وهذا ما يحب استعماله مع الوعوظ حتى يبعد النفوس من
الشدة قال ابن عطية قلت وهذان التاويلان قد جمعهما ابن عمر في قوله
احرثه بياك كانك تعيش ابدا واعمل لاخرتك كانك تموت غدا وعز الحسن قدم
الفضل وامسك ما تبلغ وقال مالك هو الاكل والشرب بلا سرف وقيل اراد بنصيبه
الكفن فهذا وعظ متصل كانهم قالوا لا تنس انك تترك جميع مالك الا نصيبك هذا
الذي هو الكفن ونحو هذا قول الشاعر

نصيبك مما تجمع الدهر كله ردا ان تلوي فيها وحنوط

وقال آخر

هي القناعة لا تبغي بها بدلا فيها النعيم وفيها راحة البدن
انظر لمن ملك الدنيا بأجمعها هل راح منها بغير القطن والكفن

قال ابن العربي وابدع ما قيل عندي قول قتادة ولا تنس نصيبك الحلال فيما
نصيبك من الدنيا وبأيها احسن هذا ۞ واحسن كما احسن الله اليك اي اطع الله واعبده
كما انعم عليك وسنه الحديث ما الاحسان قال ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه
فانه يراك وقيل هذا امر بصلة المساكين قال ابن العربي فيه
اقوال كثيرة جماعها استعمال نعم الله في طاعة الله وقال مالك هو الاكل والشرب
من غير سرف قال ابن العربي اراد مالك الرد على الغالين في العبادة والتقشف
فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب الحلو ويشرب العسل ويستعمل الشواء ويشرب الماء
البارد وقد مضى هذا المعنى في غير موضع ولا تبغ الفساد في الارض اي لا تعمل
بالمعاصي ان الله لا يحب المفسدين ثم قال

قال انما اوتيته على علم عندي

يعني علم التوراة وكان فيما روي من قرأ التوراة منهم واعلمهم بها وكان احد العلماء السبعين
الذين اختارهم موسى لميقاته وقال ابن زيد اي انما اوتيته لعلمه بفضلي
ورضاه عني وقوله عندي معناه ان عندي ان الله اتاني هذه
الكنوز علم مني باستحقاقي اياها لفضل فيّ وقيل اوتيته على علم عندي بوجوه
الكسب والتجارات قاله علي بن عيسى وقد علم ان الله تعالى لو لم يسهل عليه اكسابها لما اجتمعت
عنده وقال ابن عباس على علم عندي بصنعة الذهب واشار الى علم الكيميا
وحكى النقاش ان موسى عليه السلام علم الثلث من صنعة الكيميا ويوشع الثلث
وهرون الثلث فخدعهما قارون وكان علي يانه حتى علم ما علماه وعمل الكيميا
فكثر ماله وقيل ان موسى علم الكيميا الثلثه يوشع بن نون وطالوت وقارون
واختار ان حاج القول الاول وانكر قول من قال انه عمل الكيميا قال لان الكيميا
باطل لا حقيقة لها وقيل ان موسى علم اخته الكيميا وكانت زوجة قارون
وعلمت اختها موسى قارون وقوله تعالى

اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله

اي بالعذاب من القرون اي الامم الخالية الكافرة من هو اشد منه قوة
واكثر جمعا اي مالا ولو كان المال يدل على فضل لما اهلكهم وقيل النفوذ الاثر
والجمع للاهوال والانصار والكلام خرج مخرج التقريع من الله تعالى لقارون اي اولم
يعلم قارون ان الله قد اهلك من قبله من القرون ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون اي
لا يسالون سؤال استعتاب كما قال ولا هم يستعتبون ومنهم من المعنيين فيما
يسالون سؤال تقريع وتوبيخ لقوله فوربك لنسئلنهم اجمعين قاله الحسن وقال
مجاهد لا يسئل الملائكة عنا لانهم يعرفون بسيماهم فانهم يحشرون سود
الوجوه زرق العيون وقال قتادة لا يسال المجرمون عن ذنوبهم لظهورها
وكثرتها بل يدخلون النار بلا حساب وقيل لا يسال المجرمون هذه الامة عن
ذنوب الامم الخالية الذين عذبوا في الدنيا وقيل اهلك من اهلك من القرون
عن علم منه بذنوبهم فلم يحتج الى مسالتهم عنها فقوله تعالى

فخرج على قومه في زينته

قال الذين يريدون الحيوة الدنيا الآية

اي على بني اسرايل فيما راه زينه من متاع الحياه الدنيا من الثياب والدواب والبغل
يوم الوعيد قال الفرزدق يوم البست فيه زينته اي مع زينته قال الشاعر

اذا ما قلوص للقوم طارت مخافه منا لحوقا راسها بالفرس الواجل

اي مع الفرس وكان خرج في سبعين الفا من بنيه عليهم المعصفرات قال وكانوا اول من
صنع الثياب المعصفره السديح الدرعا الحوار البيض على بغال بيض سروج ذهب
على قطف الارجوان قال ابن عباس خرج على البغال الشهب قال
مجاهد على براذين بيض عليها سروج الارجوان وعليهم المعصفرات وكان ذلك اول
يوم راي فيه المعصفر وقال قتاده خرج على اربعه الاف دابه عليهم ثياب حمر
منها الف بغل ابيض عليها قطف حمر قال ابن جريج خرج على بغله شهبا
عليها الارجوان ومعه ثلثمايه جاريه على البغال الشهب عليهم الثياب الحمر وابن زيد
خرج في سبعين الفا عليهم المعصفرات وقال الكلبي خرج في ثوب اخضر وكان الله
انزله على موسى فسرقه منه قارون وقال جابر بن عبد الله كانت زينته
الفرس قال الفرس صنع احمر مثل الارجوان والارجوان في اللغه صنع احمر ذكره
القتبي في قوله تعالى قال الذين يريدون الحياه الدنيا يالبت لنا مثل ما اوتي قارون
انه لذو حظ عظيم اي نصيب وافر من الدنيا ثم قيل هذا من قول موسى ذلك الوقت
لمن تمنى ماله رغبه في الدنيا وقيل هو من قول اقوام لم يرغبوا في الاخره قوله
تعالى وقال الذين اوتوا العلم ويحهم اجر بني اسرايل للذين امنوا وعملوا صالحا
يعني الجنه اي لمن امن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون اي لا يوفق الاعمال
الصالحه او لا يوتى الجنه في الاخره الا الصابرون على طاعه الله وحاز ضميرها لانها
المغيبه بقوله ثواب الله قوله تعالى

فخسفنا به وبداره الارض

قال مقاتل لما امر موسى الارض فابتلعته قالت بنو اسرايل انما اهلكه
ليرث ماله لانه كان ابن عمه اخر ابيه فخسف الله تعالى بداره وجميع امواله بعد

ثلاثه ايام واوحى الى موسى ان كل اجعل طاعه الارض الى احد بعدك ابدا فما خسف
المكان يخسف خسوفا ذهب في الارض وخسفه الله به الارض خسفا اي غيب فيها
ومنه قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض وخسف هو في الارض وخسف به وخسوف
القمر كسوفه قال ثعلب كسفت الشمس وخسف القمر وهذا احد الكلام فاما الخسف
يقال رجل فلان باخسف اي البغيض فاما كان له من فيه اي جماعه وعما به ينصرونه
من دون الله وما كان من المنتصرين لنفسه اي الممتنعين مما نزل به من الخسف
ويروى ان قارون ينزل كل يوم بقدر قامه حتى اذا بلغ قعر الارض ينتهي السفل
فتخرج اسرافيل في الصور وقد تقدم والله اعلم قوله تعالى

واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس

اي صاروا يندمون على ذلك التمني ويقولون ويكان الله حرف ندم قال
النحاس احسن ما قيل في هذا قول الخليل وسيبويه ويونس والكسائي ان القوم
تنبهوا او تنبهوا فقالوا وي والمنتدم من العرب يقول في خلال ندمه وي وقال
الجوهري وي كلمه تعجب ويقال ويل وويس لعبد الله وقد تدخل وي على ان المخففه
والمشدده تقول ويكان الله او قال الخليل هي مفصوله تقول وي ثم تبتدئ فتقول
كان الله يبسط الرزق والمراد هي كلمه تقديرها لفوتك اما تراني اصنع لاسواحسانه وذكر
ان اعرابيه قالت لزوجها اين ابنك فقال ويلا انه وراء البيت اي اما تراه
وقال ابن عباس والحسن ويل كلمه ابتداء وتحقيق تقديره ان الله يبسط
الرزق وقيل هو تنبيه نزلته منزله الواو في قولك لا تفعل واساق فولك
اما بعد قال الشاعر

سالتاني الطلاق اذ رايتاني قل مالي قد جئتماني بنكر
ويكان من يكن له نشب يحبب ومن يفتقر يعش عيش ضر

وقال فطرب انا مي ويلك فاسقطت لامه وضمنت الكاف التي هي للخطاب
الى وي قال عنترة

ولقد شفا نفسي وابرا سقمها قول الفوارس ويد عنترة اقدم

وان كره النحاس وغيره وقالوا ان المعنى لا يصح عليه لان القوم لم يخاطبوا احدا بقولوا له ويلك ولو كان كذلك لكانه بالكسر وايضا فان حذف اللام من ويلك لا يجوز وقال بعضهم التقدير ويلك اعلم انه احمق فاضمر اعلم ○ ابن الاعرابي ويكان الله اي اعلم وقيل معناه الم تران الله وقال القتيبي معناه رحمه له بلغة حمير اعلم ○ ابن الاعرابي ويكان الله اي اعلم وقيل معناه الم تران الله وقال القتيبي معناه رحمه له بلغة حمير ○ الكسائي وي صله وفيه معنى التعجب وروي عنه ايضا الوقف على وي وقال كله تنجع من قال ويل فوقف على الكاف معناه اعجب لان الله يبسط الرزق فاعجب لانه لا يفلح الكافرون ويبتدي ان يكون الكاف حرف خطاب لا اسما لان وي ليست مما تضاف وانما كتبت منفصله لانها لما كتبتا سقوطها حملتا مع ما بعدها كشيء واحد لولا ان من الله علينا بالايمان والرحمه وعصمنا من مثل ما كان عليه قارون من البطر والبغي لخسف بنا وقرا الاعمش لولا من الله علينا وقرا حفص لخسف مسمى الفاعل الباقون على ما لم يسم فاعله وهو اختيار ابي عبيد لان في حرف عبد الله لا نخسف بنا فنقول انطلق بنا وكذلك قرا الاعمش وطلحه بن مصرف واختار قراءه الجماعه ابو حاتم لوجهين احدهما قوله فخسفنا به وبداره الارض والثاني قوله لولا ان من الله علينا لخسف بنا فهو بان يضاف الى الله تعالى لقرب اسمه منه اولي ويل انه لا يفلح الكافرون عند الله والله الموفق للصواب قوله تعالى

تلك الدار الاخره

بعيني الجنه وقال ذلك على جهه التعظيم لها والتفخيم لشانها يعني تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض اي رفعه وتكبرا على الايمان والمومنين وفسادا عملا بالمعاصي وقال ابن خثيم ومقاتل وعكرمه ومسلم البطين الفساد اخذ المال بغير حق وقال الكلبي الدعاء الى غير عباده الله تعالى وقال يحيى بن سلام هو قتل الانبياء والمومنين والعاقبه

للمتقين قال الضحاك الجنه وقال ابو معويه الذي لا يريدون علوا هو من لم يجز عن ذلها ولم يبا فس في عزها وارتفعهم عند الله استدم تواضعا واعرفهم عند الله الزهم لذيل الدنيا روى سفيان بن عيينه عن اسماعيل بن ابي خالد قال مر علي بن الحسين وهو راكب على مسا كين ياكلون كسرا لهم فسلم عليهم ودعوه الى طعامهم فقال هذه الايه للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا ثم نزل فاكل معهم ثم قال قد اجبتكم فاجيبوني فحملهم الى منزله فاطعمهم وكساهم ووصلهم خرجه الطبراني ابو سليمان احمد قال حدثنا عبد الله بن احمد بن حنبل قال ثنا سفيان بن عيينه وذكره وقيل لفظ الدار الاخره يشمل الثواب والعقاب والمراد انما ينتفع بتلك الدار من اتقى ومن لم يتق فتلك الدار عليه لا له لانها تضره لا تنفعه قوله تعالى

من جاء بالحسنه فله خير منها

تقدم في النمل قال عكرمه ليس شيء خير من لا اله الا الله وانما المعنى من جاء باكثر منها فله منها خير ومن جاء بالشيء اي الشرك فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون اي يجازون بما يليق بعمله قوله تعالى

ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد الايه

ختم السوره ببشاره نبيه محمد صلى الله عليه وسلم برد ملكه قاهر الاعداء وقيل هو بشاره له بالجنه والاول اكثر وهو قول جابر بن عبد الله وابن عباس ومجاهد وغيرهم قال القتيبي معاد الرجل بلده لانه يصرف ثم يعود وقال مقاتل خرج النبي صلى الله عليه وسلم من الغار ليلا مهاجرا في غير الطريق مخافه الطلب فلما رجع الى الطريق ونزل الجحفه نزل الطريق الى مكه فاشتاق اليها فقال له جبريل ان الله يقول ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد اي الى مكه ظاهرا عليها وقال ابن عباس نزلت هذه الايه بالجحفه فهي لاهلها ولاهل مدينه ○ وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس المعاد قال الى الموت وعن مجاهد

ايضا وعكرمه والزهري والحسن عن المعنى ان المعنى لرادك الى يوم القيمه وهو اختيار
الزجاج يقال بيني وبينك ان المعاد اي يوم القيمه لان الناس يعودون فيه احيا وروى معناه
انزل وعن مجاهد وابي صالح ايضا وابي مالك وابي صالح الى الجنه وهو قول ابي سعيد
الخدري وابن عباس ايضا لانه دخلها ليله الاسرا وقيل لانه اراه ادم خرج منها
قل ربي اعلم اي قل لكفار مكه اذا قالوا انك لفي ضلال ربي اعلم بمجازاة المهتدي وهو بي
ضلال مبين انا ام انتم قوله تعالى

وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب

اي ما علمت انا نرسلك الى الخلق وننزل عليك القرآن الا رحمه من ربك قال الكسائي
هو استثنا منقطع معنى لكن فلا تكونن ظهيرا للكافرين اي عونا لهم وساعدا
وقد تقدم في هذه السوره قوله تعالى ولا يصدنك عن ايات الله بعد اذ انزلت
اليك يعني في الهم وكذبهم واذاهم ولا تلتفت نحوه وامض لامرك وشانك وقرا
يعقوب يصدنك مجزوم النون وقري يصدنك من اصده بمعنى صده وهي لغه
في كلب وقال الشاعر

انا سراصدوا الناس بالسيف عنهم صدود السوافي عن ذوات الحوائر

وادع الى ربك اي الى توحيده وهذا يتضمن المهادنه والموادعه وهذا كله
منسوخ بايه السيف وسبب هذه الايه ما كانت تدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى تعظيم اوثانهم وعند ذلك القى الشيطان في امنيته امر الغرانيق قوله تعالى

ولا تدع مع الله الها اخر

اي لا تعبد معه غيره فانه لا اله الا هو نفي لكل معبود واثبات لعبادته كل شي
هالك الا وجهه قال مجاهد الا هو وقال الصادق دينه وقال ابو العتاهيه
وسفيان اي الا ما اريد به وجهه الا ما يقصد والبه بالقربه قال

استغفر الله ذنبا لست محصيه رب العباد اليه الوجه والعمل

وقال محمد بن يزيد حدثني الثوري قال سالنا ابا عبيده عن قوله كل شي هالك الا

الا وجهه فقال الا جاهه كما تقول لفلان وجه في الناس اي جاه له الحكم في الاول
والاخره واليه ترجعون قال الزجاج وجهه منصوب على الاستثنا ولو كان في
غير القرآن كان الا وجهه بالرفع بمعنى كل شي غير وجهه هالك كما قال

وكل اخ مفارقه اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان

والمعنى كل اخ غير الفرقدين مفارقه اخوه واليه ترجعون بمعنى ترجعون البه

في قول الحسن وعكرمه وعطا وجابر ومدينه
كلها في احد قولي ابن عباس وقتاده وفي القول
الاخر لها وهو قول يحيى بن سلام مكيه الا عشر ايات من
اولها فانها نزلت بالمدينه في شان من كان من المسلمين
بمكه وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه نزلت بين مكه
والمدينه وهي تسع وسبعون ايه

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى

الم احسب الناس ان يتركوا

قد تقدم القول في اوايل السور وقال ابن عباس المعنى انا الله اعلم وقيل
هو اسم للسور وقيل اسم للقرآن احسب استفهام اريد به التقرير والتوبيخ
ومعناه اظن ان يتركوا في موضع نصب بحسب وهي وصلتها مقام المفعولين عند قول
سيبويه وان الشابه منزان يقولوا في موضع نصب على احد جهتين بمعنى لان
يقولوا او يا يقولوا او على ان يقولوا والجهه الاخري ان يكون على التكرير التقدير
الم احسب الناس اذ يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون قال ابن عباس

وعيّر من يد بالناس فوقا من المومنين كانوا اكبه وكان الكفار من قريش يوذونهم
ويعذبونهم على الاسلام كسلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعه والوليد بن الوليد
وعمار بن ياسر وابي ابنه وسميه امه وعده من مخزوم وغيرهم وكانت صدورهم
تضيق لذلك وربما استكروا ان يكبر الله الكفره من المومنين قال مجاهد وغيره
نزلت هذه الايه بسببهم واعلمه ان هذه مي سبيله في عباده اختيار المومنين
وفتنتهم قال ابن عطيه هذه الايه وان كانت نزلت بهذا السبب فمعناها
معنى الاقوال التي بإثبته في امه محمد صلى الله عليه وسلم موجود حكمها بقيد الدهر
وذلك ان الفتنه من الله تعالى باقيه في ثغور المسلمين بالاسر ونكايه العدو
وغير ذلك واذا اعتبر ايضا كل موضع ففيه ذلك بالامراض وانواع المحن ولكن النبي
تشبه نازله المومنين مع قريش بما ذكرناه من اسر العدو في كل ثغر قلت
ما احسن ما قال ولقد صدق فيما قال رضي الله عنه ن وقال مقاتل نزلت في سبعة
مولى عمر بن الخطاب كان اول قتيل من المسلمين يوم بدر رماه عامر بن الحضرمي بسهم
فقتله فقال النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر سبد السهدا بمجع وهو اول
من يدعى الى باب الجنه من هذه الامه مجزع عليه ابواه واخوانه فنزلت هذه الايه
الم احسب الناس وقال الشعبي نزل مفتتح هذه السوره في اناس كانوا
بمكه من المسلمين فكتب اليهم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من المدينه انه لا يقبل منكم
اقرار بالاسلام حتى تهاجروا فخرجوا فاتبعهم المشركون فاذوهم فنزلت فيهم
هذه الايه الم احسب الناس ان يتركوا فكتبوا اليهم بما نزلت فيكم ايه كذا فقالوا نخرج
وان اتبعنا احدا قاتلناه فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا وذ
ونزل فيهم ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا وهم لا يفتنون لمختون
اي الذين جزعوا من اذى المشركين ان يقع منهم ان يقولوا انا مومنون ولا يمتحنون
في ايمانهم وانفسهم واموالهم ما يتبين به حقيقه ايمانهم قوله تعالى

ولقد فتنا الذين من قبلهم

اي ابتلينا الماضين كما نخلص الذهب في النار ولقوم نشروا في دين الله فلم يرجعوا عنه
روى البخاري عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد
برده له في ظل الكعبه فقلنا الا تستنصر الا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يوخذ
الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها فيجا بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل نصفين
ويمشط بامشاط الحديد لحمه وعظمه فما يصرفه ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الامر
حتى يسير الراكب من صنعا الى حضرموت لا يخاف الا الله والذيب على غنمه ولكنكم تستعجلون
وخرج ابن ماجه عن ابي سعيد الخدري قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم
وهو يوعك فوضعت يدي عليه فوجدت حره بين يدي فوق اللحاف فقلت يا
رسول الله ما اشد ها عليك قال انا كذلك يضعف لنا البلا ويضعف لنا الاجر
قلت يا رسول الله اي الناس اشد بلا قال الانبيا قلت ثم من قال الصالحون ان
كان احدهم ليبتلى بالفقر حتى ما يجد الا العباه يحوبها وان احدهم ليفرح بالبلا كما يفرح
احدكم بالرخا وروى سعد بن ابي وقاص قال قلت يا رسول الله اي الناس اشد بلا
قال الانبيا ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان في دينه
صلبا اشتد بلاوه وان كان في دينه رقه ابتلي على حسب دينه فما يبرح
البلا بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض ما عليه من خطيه وروي عبد الرزاق عن
زيد ان عيسى عليه السلام كان له وزير فركب يوما فاخذه السبع فاكله فقال
عيسى يا رب وزيري في دينك وعونى على بني اسرائيل وخليفتي فيهم سلطت
عليه كلبا فاكله قال انهم كانت له عندي منزله رفيعه لم احد عمله يبلغها فابتليته
بذلك لابلغه تلك المنزله وقال وهب قرات في كتاب حزقيل من الحواريين
اذا سلك بك سبيل البلا فقر عينا وان سلك بك سبيل الرخا فابك على نفسك
فقد خولف بك عن سبيلهم قوله تعالى

فليعلمن الله الذين صدقوا

اي فليبرين الله الذين صدقوا في ايمانهم وقد مضى هذا المعنى في البقره وغيرها
قال الزجاج ليعلم صدق الصادق بوقوع صدقه منه وقد علم الصادق من

من الكاذب قبل ان يخلقهما ولكن القصد قصد وقوع العلم بما يجازي وانما يعلم
الصدق الصادق واقعا كائنا وقوعه وقد علم انه سيقع وقال النحاس فيه قولان
احدهما ان يكون صدقوا مشتقا من الصدق والكاذبين مشتق من الكذب الذي هو ضد
الصدق ويكون المعنى فليبينن الله الذين صدقوا فعلوا الحق موسومون واعتقدوا
مثل ذلك والذين كذبوا حين اعتقدوا غير ذلك والقول الآخر ان يكون الذين صدقوا
مستثنا من الصدق وهو الصلب والكاذبين مشتقا من كذب اذا انهزم فيكون
المعنى فليعلمن الله الذين ثبتوا في الحرب والذين انهزموا كما قال الشاعر

ليث بعثر يصطاد الرجال اذا ما الليث كذب عن اقرانه صدقوا

فجعل ليعلمن في موضع فليبينن مجازا وقرأه الجماعة فليعلمن بفتح الياء واللام وقرأ
علي بن ابي طالب بضم الياء وكسر اللام وهي بتين معنى ما قاله النحاس ويحتمل ثلاثة
معان الاول يعلم في الآخرة هؤلاء الصادقين وانكاذبين بما ظهر من ثوابه وعقابه
وبما علم في الدنيا بمعنى يوقفهم على ما كان منهم الثاني ان يكون المفعول الاول
محذوفا تقديره وليعلمن الناس والعالم هؤلاء الصادقين والكاذبين اي يفضحهم
ويشهرهم هؤلاء في الخبر وهؤلاء في النشر وذلك في الدنيا والآخرة الثالث ان يكون ذلك
من العلامة اي يضع لكل طائفة علامة تشتهر بها فالآية على هذا نظير قول النبي صلى الله عليه
وسلم من اسر سريرة البسه الله رداءها فقوله تعالى ام حسب الذين يعملون السيئات
اي الشرك ان يسبقونا اي يفوتونا ويعجزوا قبل ان نواخذهم بما يفعلون قال ابن عباس
يريد الوليد بن المغيرة وابا جهل والاسود والعاصي بن هشام وشيبه والوليد
ابن عتبة وعقبة بن ابي معيط وحنظلة بن ابي سفين والعاصي بن وابل بئسما يحكمون
اي بئس الحكم حكمهم في صفاتهم انه مسبوق وانه القادر على كل شيء وما
في موضع نصب بمعنى شيئا الذي يحكمون ويجوز ان يكون ما في موضع رفع
بمعنى شيء الذي او الحكم حكمهم وهذا قول الزجاج وقد رها ابن كيسان تقديرين
آخرين خلاف ذينك احدهما ان يكون موضع ما يحكمون بمنزلة شيء واحد كما تقول
اعجبني ما صنعتاي صنعك فما والفعل مصدر في موضع رفع التقدير

ساحكمهم والتقدير الآخر ان يكون ما لا موضع لها من الاعراب وقد قامت
مقام الاسم كذا وكذلك نعم وبئس قال ابو الحسن بن كيسان وانا اختار ان اجعل لها
موضعا من الاعراب في كل ما قدر عليه لان قوله نحو قوله عز وجل فبما رحمة من الله
لنت لهم وكذا بما نقضهم وكذا ايا الاجلين ما قضى موصوف حقض بهذا كله وما بعدها
تابع لها وكذا ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة ما في موضع نصب وبعوضة
تابع لها والله الموفق للصواب قوله تعالى

من كان يرجو لقاء الله فان اجل الله لات

يرجو بمعنى يخاف من قول الهذلي وصف عسالا انا السعنة النحل يرجو لسعها
واجمع اهل التفسير على ان المعنى من كان يخاف الموت فليعمل عملا صالحا فانه
لابد ان يأتيه ذكره النحاس الزجاج معنى يرجو لقاء الله ثواب الله ومن في موضع
جزم بالشرط ويرجوني موضع خبر كان والجزاء فان اجل الله لات وهو السميع
العليم قوله تعالى ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه اي ومن جاهد في الدين
وصبر على قتال الكفار واعمال الطاعات فانما يسعى لنفسه اي ثواب ذلك له
ولا يرجع الى الله نفع من ذلك ان الله لغني عن العالمين عن اعمالهم وقيل المعنى من جاهد
عدوه لنفسه ولا يريد وجه الله فليس لله حاجة بجهاده قوله تعالى والذين امنوا
اي صدقوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم اي لنغطينهم هذه المغفرة لها
ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون اي باحسن اعمالهم وهو الطاعات ثم قيل
يحتمل ان نكفر عنهم كل معصية عملوها في الشرك ونجزيهم باعلى ما عملوا من حسنة في الاسلام
ويحتمل ان نكفر عنهم سيئاتهم بالتوبة والاسلام ونجزيهم باعلى حسناتهم في الكفر
والاسلام قوله تعالى

ووصينا الانسان بوالديه حسنا

نزلت في سعد بن ابي وقاص فيما روى الترمذي قال نزلت في اربع آيات فذكر
فقالت ام سعد فقد امرالله بالبر والله لا اطعم طعاما ولا اشرب شرابا حتى اموت

او تكفر قال فكانوا اذا اراد ان يطعمها شجروا فاها فنزلت هذه الآيه ووصينا الانسان
بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي الآيه قال ابو عيسى هذا حديث صحيح حسن
○ وروي عن سعد انه قال كنت بارا بامي فاسلمت فقالت لتدعن دينك او لا اكل
ولا اشرب حتى اموت فتعير بي ويقال يا قاتل امه وبقيت يوما ثم يوما فقلت
يا امه لو كانت لك مايه نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني هذا فان شئت
فكلي وان شئت فلا تاكلي فلما رات ذلك اكلت فنزلت وان جاهداك لتشرك بي
وقال ابن عباس نزلت في عياش بن ابي ربيعه اخي ابي جهل لامه وقد فعلت
امه مثل ذلك وعنه ايضا نزلت في جميع الامه اذ لا يصبر على بلا الله الا صديق
وحسنا نصب عند البصريين على انك بر اي وصينا مصيبا وقيل على الفطع تقديره
ووصيناه بالحسن كالقول وصيته خيرا اي بالخير وقال اهل الكوفه تقديره
ووصينا الانسان ان يفعل حسنا فيقدر له فعل قال الشاعر

عجبت من دهما اذ شكوتا ومن ابي دهما اذ توصينا خيرا بها كانا حنونا

اي بوصينا ان نفعل بها خيرا لقوله فطفق مسحا اي نمسح مسحا وقيل
تقديره ووصيناه امرا ذا حسن فاقيمت الصفه مقام الموصوف وحذف المضاف
واقام المضاف اليه مقامه وقيل معناه الزمناه حسنا وقراه العامه حسنا
بضم الحا واسكان السين وقرا ابو رجا وابو العاليه والضحاك بفتح الحا والسين
وقرا الجحدري احسانا على المصدر فكذلك في مصحف ابي والتقدير ووصينا
الانسان ان يحسن اليهما احسانا ولا ينتصب بوصينا لانه قد استوفى مفعوليه الى
مرجعكم وعيد في طاعه الوالدين في معين الكفر فانبئكم بما كنتم تعملون والذين امنوا
وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحات كرر تعالى التمثيل بحاله المومنين
العاملين لتحرك النفوس الى تيل مراتبهم وقوله لندخلنهم في الصالحين مبالغه على
معنى انهم الذين هم في نهايه الصلاح وابعد غايات ان يجعل المرء منا الحكم بحيل
تمنه وجزاوه وهو الجنه قوله تعالى

ومن الناس من يقول امنا بالله

هذه الآيه نزلت في المنافقين كانوا يقولون امنا بالله فاذا اوذوا في الله جعلوا فتنه الناس
اي اذاهم كعذاب الله في الآخره فارتد عن ايمانه وقيل جزع من ذلك كما يجزع من عذاب الله
ولا يصبر على الاذيه في الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن هو لاء المرتدون انا كنا معكم اكاذبون
فقال الله لهم اوليس الله اعلم بما في صدور العالمين يعني الله اعلم بما في صدور منهم
بانفسهم قال مجاهد نزلت في ناس كانوا يومنون بالسنتهم فاذا اصابهم بلاء من
الله او مصيبه في انفسهم افتنوا وقال الضحاك نزلت في ناس من المنافقين
بمكه كانوا يومنون بالسنتهم فاذا اوذوا رجعوا الى الشرك وقال عكرمه كان قوم
قد اسلموا فاكرههم المشركون على الخروج معهم الى بدر فقتل بعضهم فنزل الله ان الذين
توفاهم الملايكه ظالمي انفسهم فكتبها المسلمون من المدينه الى المسلمين بمكه
فخرجوا فلحقهم المشركون فافتتن بعضهم فنزلت هذه الآيه فيهم وقيل نزلت في
عياش بن ابي ربيعه اسلم وهاجر ثم اوذي وضرب فارتد وانا عذبه ابو جهل
والحرث وكانوا اخوته لامه فقال ابن عباس ثم عاش بعد ذلك بدهر
وحسن اسلامه ويعلم الله الذين امنوا وليعلمن المنافقين قال قتاده منزلك
في القوم الذين ردهم المشركون الى مكه قوله تعالى

وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا الآيه

اي ديننا وليحمل خطاياكم جزم على الامر قال الفراء والزجاج هو امر في تاويل
الشرط والجزا على ان تتبعوا سبيلنا نحمل خطاياكم كما قال

فقلت ادعي وادع فان اندى لصوت ان تنادي داعيان

اي ان دعوت دعوت قال المبرد وجاء وقوع الامر بعد النفي على الاكثر على المعنى
على الاعمل على المعنى لان المعنى ان تتبعنا سبيلنا نحمل خطاياكم فلما كان الامر
يرجع في المعنى الى الجزا وقع عليه النكنيب كما يوقع على الجزا قال مجاهد قال
المشركون قريش نحن وانتم لا نبعث فان كان علينا وزر فعلينا اي نحن نحمل

عليكم ما يلزمكم والحمل ههنا بمعنى الكلفة لا الحمل على الظهر وردي ان قابيل ذلك لولديه
مغيره وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وقال قتاده من دعى الى ضلاله كان عليه
وزرها ووزر من عمل بها ولا ينقص من اوزارهم شيء نظيره قوله تعالى ليحملوا اوزارهم
كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم وينظر اليه هذا قوله عليه
السلام من سن سنة حسنة فعليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير ان ينقص
من اوزارهم شيء روي من حديث ابي هريرة وغيره وقال الحسن قال النبي صلى الله عليه
وسلم من دعى الى هدى فاتبع عليه وعمل به فله من الاجور من تبعه لا ينقص من
اوزارهم شيء والداعي دعا الى ضلاله فاتبع عليها وعمل بها بعده فعليه اوزار
من عمل بها ممن اتبعه لا ينقص ذلك من اوزارهم شيئا ثم قرأ الحسن فليحملن اثقالهم
واثقالا مع اثقالهم قلت هذا مرسل وهو معنى حديث ابي هريرة خرجه مسلم
ونص حديث انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ايما داع دعا
الى ضلاله فاتبع فان له مثل اوزار من اتبعه ولا ينقص من اوزارهم شيء وايما
داع دعا الى هدى فاتبع فان له مثل اجر من اتبعه ولا ينقص من اجورهم
شيء خرجه ابن ماجه في السنن وفي اسناد حديثه وجرح وقد قيل
ان المراد اعوان الظلمة وقيل اصحاب البدع اذا اتبعوا عليها وقيل محدثوا
السنن الجارية اذا عمل بها من بعدهم والمعنى متقارب والحديث يحمل ذلك
كله والله الموفق للصواب فوله تعالى

ولقد ارسلنا نوحا الى قومه
فلبث فيهم الف سنه الا خمسين عاما

ذكر قصه نوح تسليه لنبيه صلى الله عليه وسلم اي ايسلى النبيوت فلك بالكفار فصبروا
وخص نوحا بالذكر لانه اول رسول ارسل الى الارض وقد امتلات كفرا على ما تقدم بيانه
في هود واعلم ان ما لقي نوح من قومه ما لقي نبينا عليه السلام من قريش وروي
قتاده عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اول نبي ارسل نوح قال قتاده وبعث
من الجزيره واختلف في مده عمره فقيل مبلغ عمره ما ذكر الله في كتابه قال قتاده

لبث فيهم قبل ان يدعوهم ثلثمايه سنه ودعاهم ثلثمايه سنه ولبث بعد الطوفان
ثلثمايه وخمسين سنه وقال ابن عباس بعث نوح لاربعين سنه ولبث في
قومه الف سنه الا خمسين عاما وعاش بعد الغرق ستين سنه حتى كثر الناس وكثروا
وعنه ايضا بعث وهو ابن مايتين وخمسين سنه ولبث فيهم الف سنه الا خمسين وعاش بعد
الطوفان مايتي سنه وقال وهب عمر نوح الف واربع مايه سنه وقال كعب
الاحبار لبث نوح في قومه الف سنه الا خمسين عاما وعاش بعد الطوفان سبعين
عاما فكان مبلغ عمره الف سنه وعشرين عاما وقال عون بن ابي شداد بعث نوح
وهو ابن خمسين وثلثمايه سنه ولبث في قومه الف سنه الا خمسين عاما وعاش بعد
الطوفان ثلثمايه وخمسين عاما فكان مبلغ عمره الف سنه وستمايه سنه وخمسين
سنه ونحو عن الحسن وقال الحسن اتى ملك الموت نوحا ليقبض روحه فقال يا
اطول الانبياء عمرا كم عشت في الدنيا قال قال ثلاثمايه سنه قبل ان اغرق والف سنه الا خمسين عاما
في قومي وثلثمايه وخمسين سنه بعد الطوفان قال ملك الموت وكيف وجدت
الدنيا قال نوح مثل دار لها بابان دخلت من هذا وخرجت من هذا وروي من حديث
انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث الله نوحا الى قومه بعثه وهو ابن خمسين
ومايتي سنه فلبث في قومه الف سنه الا خمسين عاما وبقي بعد الطوفان خمسين ومايتي
سنه فلما اتاه ملك الموت قال يا نوح يا اكبر الانبياء وياطويل العمر وياجاب الدعوه
كيف رايت الدنيا قال مثل رجل بنى بيتا له بابان فدخل من واحد وخرج من الاخر
وقد قيل دخل من اصدها وحلس هنيئه ثم خرج من الباب الاخر وقال ابن الورد
بني نوح بيتا من قصب فقيل له لو بنيت غير هذا فقال هذا البيت الزائل وقال ابو الهيثم
لبث نوح في قومه الف سنه الا خمسين عاما ثم اتاه بيت من شعر فقيل له يا نبي الله ابنت بيتا
فقال اموت عنه وقال وهب بن منبه مرت بنوح خمسمايه سنه لم يبق
الا شاب او جلد من الموت وقال مقاتل وجد مع ادم عليه السلام حين كبر ودق
عظمه فقال رب اني متى اكون صبيا قال يا ادم حتى يولد لك ولد مخنوق فولد له نوح
بعد عشره ابطن وهو ابن الف سنه الا ستين عاما وقال بعضهم الا اربعين
عاما والله اعلم فكان نوح بن لامك بن متوشلخ بن ادريس وهو خنوخ بن يرد

ابن مهلايل بن قينان بن انوشن بن شيث بن ادم وكان اسم نوح السكن وانما سمي
السكن لان الناس بعد ادم سكنوا اليه وهو ابو هم وولد له سام وحام ويافث فولد
سام العرب وفارس والروم وفي كل هولاء جبر وولد حام القبط والسودان والبربر
وولد يافث الترك والصقالبه ويأجوج ومأجوج وليس في ولد نوح هولاء جبر وقال
ابن عباس في ولد سام بياض وادمه وفي ولد حام سواد وبياض وقليل وفي ولد
يافث الصفره والحمره وكان له ولد رابع وهو كنعان الذي غرق والعرب تسميه لام بام وسمي
نوح نوحا لانه ناح على قومه الف سنه الا خمسين عاما يدعوهم الى الله فاذا كفروا بكى
وناح عليهم وذكر القشيري ابو القاسم عبد الكريم في كتاب التحبير له رويان نوحا
عليه السلام كان اسمه يشكر ولكثره بكايه على خطيئته سمي نوح فاوحى الله اليه يا
نوح كم تنوح فسمي نوحا فقيل يا رسول الله فايش كانت خطيئته فقال انه مر بكلب
فقال في نفسه ما اقبحه فاوحى الله اليه اخلق انت احسن من هذا وقال
بزبيدا فايش انما سمي نوحا لطول ما ناح على نفسه فان قيل فلم قال الف سنه
الا خمسين عاما ولم يقل تسع مايه وخمسين عاما فعنه جوابان الاول ان المقصود
بكثرة العدد فكان ذكر الالف في اللفظ اكثر في العدد من ثلاثمايه وخمسين
من العمر الف سنه فوهب من عمره خمسين سنه لبعض ولده فلما حضره الوفاه رجع في استكمال
الالف فذكر الله سبحانه ذلك تنبيها على ان النقيصه كانت من جهته فاخذهم الطوفان
قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتاده المطر وقال الضحاك الغرق وقيل الموت
روته عايشه رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم ومنه قول الشاعر

ه افناهم طوفان موت جارف قال النحاس يقال لكل كثير مطيف انه يجمع
من مطر او قتل او موت طوفان وهم ظالمون جمله في موضع الحال والف سنه
منصوب على الظرف الا خمسين عاما منصوب على الاستثناء من الموجب وهو عند سيبويه
بمنزله المفعول لانه مستغرق له كالمفعول فاما المبرد ابو العباس محمد بن يزيد
فهو عنده مفعول محض كانك قلت استثنيت زيدا فانقلبه تثبيته روي
ابو حسان بن غالب بن بجيح ابو القاسم المصري قال حدثنا عبد الرزاق عن سعيد بن
المسيب عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جبريل يذاكرني فضل

عمر فقلت له يا جبريل ما بلغ فضل عمر فقال يا محمد لو لبثت معك ما لبث نوح في قومه
ما بلغت لك فضل عمر ذكره الخطيب ابو بكر احمد بن ثابت البغدادي هو قال
تفرد به رواية حسان بن غالب عن مالك وليس بثابت فرجه بينه قوله قال
وابرهيم قال الكسايي وابرهيم منصوب بانجينا بمعنى انه معطوف على الها
ويجوز ان يكون معطوفا على نوح والمعنى وارسلنا الى ابرهيم وقوله ثالث
ان يكون منصوبا بمعنى واذكر ابرهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله اي افردوه
بالعباده واتقوه اي اتقوا عقابه ذلكم خير لكم اي من عباده الاوثان ان كنتم
تعلمون قوله تعالى

انما تعبدون من دون الله اوثانا

اي اصناما قال ابو عبيده الصنم ما يتخذ من ذهب او فضه او نحاس والوثن ما يتخذ
من رجص او حجاره الجوهري الوثن الصنم والجمع اوثان ووثن مثل اسد واساد وتخلقون
افكا قال الحسن معنى تخلقون بجثون فالمعنى انما تعبدون اوثانا واتم تنحتونها
وقال مجاهد الافك الكذب فالمعنى تعبدون الاوثان وتخلقون الكذب وقرا ابو عبد
الرحمن وتخلمون وقري وتخلصون من خلق بمعنى الكذب وتخلقون من يخلق
بمعنى يكذب وتحرص وقريا افكا وفيه وجهان ان يكون مصدرا لخلق الكذب ولعب والافك
كالكذب والعنت وان يكون صفه على فعل اي خلقا افكا ذا افك وباطل واوثانا
نصب بتعبدون وما كافه ويجوز في غير القرآن رفع اوثان على ان تجعل ما اسما
لان ويعبدون صلته وحذفت الها الطول الاسم وحملت اوثان خبر ان فاما وتخلصون
افكا فهو منصوب بالفعل لا غير وكذا لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق
ايا صرفوا رجاءكم عنكم واردتم الله واياه فاسلكوه وحدوه دون غيره
وان يكذبوك فقد كذب امم من قبلكم قيل هو من قول ابرهيم اي التكذيب عاده
الكفار وليس على الرسل الا التبليغ فوه الطاب

اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده

قراه العامه بالكسا على الخبر والتقدير يخلهم وهي قراه ابي عبيد وابي حاتم قال ابو عبيد
لذكر الامم كافه قال اولم يري الامم كيف وقرا ابو بكر والاعمش وابن وثاب
وحمزه والكسايي وطلحه بالتاء خطابا بالقوله تعالي وان يكذبوك وقد قيل
وان يكذبوا خطاب لقريش ليس بمردود قول ابرهيم ثم يعيده يعني الخلق والبعث
وقيل المعني المريء كيف يبدء الله الثمار ثم تفنى ثم يعيدها ابدا فكذلك بدا
خلق الانسان ثم يهلكه بعد ان يخلق منه ولدا وخلق من الولد ولدا وكذلك سايز
الحيوان اي فاذا رايتم قدرته علي الابتدا والايجاد فهو قادر علي الاعاده
ان ذلك علي الله يسير لانه اذا اراد امرا يقول له كن فيكون قوله تعالي
قل سيروا في الارض اي قل لهم يا محمد سيروا في الارض فانظروا كيف بدا الله الخلق
علي كثرتهم وتفاوت هياتهم واختلاف السنتهم والوانهم وطبايعهم وانظروا
الي مآثر القرون الماضيه وديارهم واثارهم كيف اهلكتهم لتعلموا بذلك كما قدرته
ثم الله ينشي النشاه الاخره وقرا ابو عمرو وابن كثير النشاه بفتح الشين والمد وهما
لغتان مثل الرافة والرافه وبنهما الجوهري يقال الله خلقه والاسم النشاه
والنشاه بالمد عن ابي عمرو بن العلا ان الله علي كل شي قدير يعذب من يشا اي بعدله
ويرحم من يشا اي بفضله واليه تقلبون ترجعون وتردون وما انتم بمعجزين
في الارض ولا في السما قال الفراء معناه ولا من في السما بمعجزين الله وهو غامض في
العربيه للصغير الذي لم يظهر في الشابن وهو كقول حسان

فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سوا

اراد ومن يمدحه وينصره سوا فاضمر من وقاله عبد الرحمن بن زيد ونظيره قوله
سبحانه وما منا الا له مقام معلوم اي منزله والمعني ان الله لا يعجزه اهل الارض
في الارض ولا اهل السما ان عصوه وقال فيظهر ولا في السما لو كنتم فيها
كما تقول لا تبغوني فلان بالبصره ولا تهنا بمعني لا تطلبوني بالبصره لوصار اليها وقيل
لا يتطيعون هربا في الارض ولا في السما وقال المبرد المعني ولا من في السما علي ان من
ليس بموصوله ولكن تكون نكره وفي السما صفتها فاقيمت الصفه مقام الموصوف
ورد ذلك علي بن سليمان وقال لا يجوز وقال ان مزادا كانت تذكره فلا بد من

وصفها بصفتها كالصله ولا يجوز حذف الموصوف وترك الصله قال ابن عباس
الناس خوطبوا بما يفقهون والجن لو كنتم في السما ما اعجزتم الله كما قال لو كنتم
في بروج مشيده وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ويجوز نصبه بالرفع علي الوضع ويكون
من زايده والذين كفروا بايات الله اي بالقرآن او بما نصب من الادله والاعلام اولئك يئسوا
من رحمتي اي من اجنته وشبهها يئسا اليم والمعني او يئسوا وهذه الايات اعترض
بها تعالي تذكيرا وتحذيرا لاهل مكه ثم عاد الخطاب الي قصه ابرهيم فقال فما كان
جواب قومه حين دعاهم الي الله الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه ثم اتفقوا علي تحريقه
فانجاه الله من النار اي من اذي النار بان نزل ذلك اي نجاه فجعلها عليه من النار العظيمه حتي لم
تحرقه بعد ما القي فيها لايات وقراه العامه جواب بنصب الباء علي انه خبر كان
وان قالوا في محل الرفع اسم كان وقرا سالم الافطس وعمرو بن دينار جواب
بالرفع علي انها اسم كان وان في موضع الخبر نصا وقال ابرهيم انما اتخذتم من دون الله
اوثانا موده بينكم في الحياه الدنيا قرا حفص وحمزه موده بينكم وابن كثير وابو عمرو
والكسايي موده بينكم والاعشي عن ابي بكر عن عاصم وابن وثاب والاعمش موده بينكم
الباقون موده بينكم فاما قراه ابن كثير ففيها ثلاثه اوجه ذكر الزجاج منها وجهين
احدهما ان الموده ارتفعت علي خبران ويكون ما بمعني الذين والتقدير ان الذين
اتخذتموهم من دون الله اوثانا موده بينكم والوجه الاخر ان يكون علي اضمار مبتدا
اي هو موده اوثانكم موده والمعني انكم اوجبتم موده بينكم قال ابن الانباري
اوثانا وقف حسن لمن رفع الموده باضمار وذلك موده بينكم ومن رفع الموده علي
انها خبر ان لم يقف والوجه الثالث الذي لم يذكره ان يكون موده رفعا بالابتدا
وفي الحياه الدنيا خبره فاما اضافه موده الي بينكم فانه يجعل بينكم اسما غير
ظرف والنحويون يقولون جعله مفعولا يجعل اسمه وحكي سيبويه يا سارق الليله اهل الدار
ولا يجوز ان يضاف اليه وهو ظرف لعله ليس هذا موضع ذكرها ومن رفع
موده ونونها فعلي معني ما ذكر وبينكم بالنصب ظرفا ومن نصب موده ولم
ينونها جعلها مفعوله بوقوع الاتخاذ عليها وجعل الظرف واحدا ولم يجعلها
بمعني الذي فيجوز نصب الموده علي انه مفعول من اجلها كما تقول

جنبكم اتقا الخير و قصدت فلانا مودة له بينكم بالخفض و من نون مودة و نصبها
فعلى ما ذكر بينكم بالنصب من غير اضافة قال ابن الانباري و من قرأ مودة
بينكم و مودة بينكم لم يقف على الاوثان . وقف على الحياة الدنيا و معنى الاية جعلتم
الاوثان يحابون عليها و على عبادتها في الحياة الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضكم
ببعض و يلعن بعضكم بعض شر الاوثان من عبادتها و الرؤساء من السفلة كما قال
الله عز و جل الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين و مأواكم النار و هو
خطاب لعبدة الاوثان الرؤساء منهم و الاتباع و قيل يدخل فيه الاوثان كقوله
تعالى انكم و ما تعبدون من دون الله حصب جهنم قوله تعالى فآمن له لوط اهل
مرصد قال ابراهيم حين رأى النار عليه بردا و سلاما قال ابن اسحق آمن له
لوط بابراهيم و كان ابن اخيه و امن به سارة و كانت ابنة عمه و قال ابن مهاجر اني
ربي قال النخعي و قتادة الذي قال اني مهاجر الى ربي هو ابراهيم عليه
السلام قال قتادة هاجر من كوثا و هي قرية من سواد الكوفة الى حران ثم الى
الشام و معه ابن اخيه لوط بن هاران بن تارخ و امرأته سارة بن الكلي هاجر
من ارض حران الى فلسطين و هو اول من هاجر من ارض الكفر قال مقاتل
هاجر ابراهيم و هو ابن خمس و سبعين سنة و قيل الذي قال اني مهاجر الى
ربي لوط عليه السلام ذكره البيهقي عن قتادة قال انا اول من هاجر الى الله عز و جل
باهله عثمان بن عفان رضي الله عنه قال قتادة سمعت النضر بن انس يقول
خرج عثمان بن عفان و معه رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ارض الحبشة
فاطلع علي رسول الله صلى الله عليه وسلم جزعهم فقدمت امرأة من قريش فقالت يا
محمد رأيت ختنك و معه امرأته فعلى اي حال رأيتها قالت رأيته قد حمل
امرأته على حمار من هذه الدابة و هو يسوقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
صحبها الله ان عثمان لاول من هاجر باهله بعد لوط قال البيهقي
هذا في الهجرة الاولى و اما الهجرة الثانية الى الحبشة التي فيها من هم الوافدين
سنة خمس من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم الى ربي راض عني و الى حيث امرني
انه هو العزيز الحكيم تقدم الكلام في الهجرة في النساء و غيرها

قوله تعالى

ووهبنا له اسحق و يعقوب

اي من الله عليه بالاولاد فوهب له اسحق ولدا و يعقوب ولد ولد و انما وهب له اسحق
بعد اسماعيل و يعقوب بن اسحق و معنى في ذريته النبوة و الكتاب فلم يبعث الله
نبيا بعد ابراهيم الا من صلبه و وحد الكتاب لانه اراد المصدر كالنبوة
و المراد التوراة و الانجيل فنوعباره عن الجمع فالتوراة انزلت على موسى من ولد
ابراهيم و الانجيل على عيسى من ولده و القرآن على محمد من ولده صلى الله عليه وسلم
و اتيناه اجره في الدنيا يعني اجتماع الملل عليه قال عكرمه و روى سفين عن حميد
ابن قيس قال سأل سعيد بن جبير اسنانا ان بعل عكرمه عن قوله جل ثناؤه
و اتيناه اجره في الدنيا فقال لانا هل الملل كلها تدعيه و تقول هو بيننا
فقال سعيد صدق و قال قتادة هو نسل فعله و اتيناه في الدنيا حسنة اي عاقبة
و ثناء حسنا و ذلك ان اهل كل دين يتولونه و قيل اتيناه اجره بي
الدنيا ان اكثر الانبياء من ولده و انه في الاخرة لمن الصالحين لمن في الاخرة داخلا
في الصلة و انما هو تبيين و تخصيص في البرهنة ببيانه و كل هذا حث على الاقتداء بابراهيم
عليه السلام في الصبر على الدين الحق قوله تعالى و لوطا اذ قال لقومه قال
الكسائي المعنى و اذكر لوطا و اذ ارسلنا لوطا قال و هذا لوجه احب الي و يجوز ان
يكون المعنى و اذكر لوطا اذ قال لقومه موبخا و محذرا ايكم لتأتون الفاحشة
ما سبقكم بها من احد من العالمين تقدم القراءة في هذا و بيانها في سورة الاعراف
و تقدم قصة لوط مع قومه في الاعراف و في هود ايضا و تقطعون السبيل
قيل كانوا قطاع الطريق قاله ابن زيد و قيل كانوا يأخذون الناس من الطرف
لقضاء الحاجة حكاه ابن شجرة و قيل انه قطع النسل بالعدول عن النساء الى الرجال
قاله وهب بن منبه اي استغنوا بالرجال عن النساء قلت و لعل الجميع فذ كانوا
فيهم و كانوا يقطعون الطريق لاخذ الاموال و الفاحشة و يستغنون عن النساء بذلك و تأتون
في ناديكم المنكر الذي كانوا يأتونه فيه

فقالت فرقة كانوا يجذفون الناس بالحصا ويسخفون بالعزيمة الحاظر عليهم وروته
ام هانئ عن النبي صلى الله عليه وسلم قالت ام هانئ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل
وتأتون في ناديكم المنكر قال كانوا يحذفون من مر بهم ويسخرون منه فذلك المنكر
الذي كانوا يأتونه اخرجه ابو داود الطيالسي وذكروا النحاس والثعلبي والهدوي
والماوردي وذكر الثعلبي وقال سعاويه قال النبي صلى الله عليه وسلم ان قوم لوط كانوا
يجلسون في مجالسهم وعند كل رجل قصعة فيها الحصى فاذا مر بهم عابر حذفوه
فايهم اصابه كان اولى به بعين يذهب به للفاحشة فذلك قوله وتأتون في
ناديكم المنكر وقالت عائشة وابن عباس والقاسم بن ابي بزة والقاسم لان محمد
انهم كانوا يتضارطون في مجالسهم وقال مجاهد ومنصور كانوا يأتون الرجال
في مجالسهم ويضرب بعضهم بعضا وعن مجاهد كان من مزاحهم لعب الحمام وتطريف
الاصابع بالحنا والصفير والحذف وتبذ الجبائر في جميع امورهم قال
ابن عطية وقد توجد هذه الامور في بعض عصاة امة محمد صلى الله عليه وسلم
قال النقاش واجب قال مكحول عشرة في هذه الامة من اخلاق قوم لوط مضغ
العلك وتطريف الاصابع بالحنا وحل الازار وتشقير الاصابع والعمامة التي تلف
فوق الراس والتشابك ورمي الجلاهق والصفير والحذف واللوطية وعن ابن
عباس قال ان قوم لوط كان فيهم ذنوب غير الفاحشة منها انهم يتطالمون فيما بينهم ويشتم
بعضهم بعضا ويتضارطون في مجالسهم ويحذفون ويلعبون بالنرد والشطرنج
ويلبسون بالمصبغات ويتناقرون بالديكة ويتناطحون بالكباش ويطرف اصابعهم
بالحنا وتتشبه الرجال بلباس النساء والنساء بلباس الرجال ويضربون الكوبة على كل
عابر ومع هذا كله كانوا يشركون بالله وهم اول من ظهر على بيهم اللوطية والسحاق
فلما وافتهم لوط عليه السلام على هذه القبائح رجعوا الى التكذيب والانكار
فقالوا ائتنا بالعذاب اي ان ذلك لا يكون ولا يعتد عليه وهم لم يقولوا هذا
الا وهم مصممون على اعتقاد كذبه ولبئن يصح في الخاطر ان يكون معاند
يقول هذا ثم استنصر لوط عليه السلام ربه فبعث عليهم ملائكة لعذابهم
فجاءوا ابراهيم اولا مبشرين بنصر لوط على قومه حسبما تقدم بيانه في هود

وعيسى وقرأ الاعمش ويعقوب وحمزة والكسائي لتجيئه واهله بالتخفيف وشدد
الباقون وقرأ ابن كثير وابو بكر وحمزة والكسائي وهما لغتان ايجي ويجي بمعنى وقد
تقدم وقرأ ابن عامر انا منزلون بالتشديد وهي قراءة ابن عباس والباقون بالتخفيف
وقوله ولقد تركنا منها اية بينة لقوم يعقلون قال قتادة هي الحجارة
التي ابقيت وقاله ابو العالية وقيل انه يريد بها قوم من هذه الامة وقال
ابن عباس هي اثار منازلهم الخربة وقال مجاهد هو الماء الاسود على وجه الارض
وكل ذلك باق فلا تعارض قوله تعالى

والى مدين اخاهم شعيبا

اي وارسلنا الى مدين اخاهم شعيبا وقد تقدم ذكرهم وفسادهم في الاعراف وهود
وارجوا اليوم الاخر قال يونس الخوف اخشوا الاخرة التي فيها الجزاء على الاعمال ولا تعثوا
في الارض مفسدين اي لا تكفروا فان اصل كل فساد والعثو والعثي اشد الفساد عثا
يعثى وعثا يعثو لغتان بمعنى واحد وقد تقدم وقيل وارجوا اليوم الاخر اي صدقوا
به فان القوم كانوا ينكرونه قوله تعالى وعادا وثمود قال الكسائي قال بعضهم
هو راجع الى اول السورة اي ولقد فتنا الذين من قبلهم وفتنا عادا وثمودا قال
واجب الى ان يكون على فاخذتهم الرجفة واخذت عادا وثمود ومن زعم الزجاج
ان التقدير واهلكنا عادا وثمود وقيل المعنى واذكر عادا اذ ارسلنا اليهم
هودا فكذبوه فاهلكناهم وثمود ارسلنا اليهم صالحا فكذبوه فاهلكناهم
بالصيحة كما اهلكنا عادا بالريح العقيم وقد تبين لكم يا معاشر الكفار من مساكنهم
بالحجر والاحقاف اثار تدل على هلاكهم فتخشوا فاعل البينات وزين لهم الشيطان
اعمالهم اي اعمالهم الخبيثة فحسبوها رفيعة فصدهم عن السبيل اي عن الطريق
الحق وكانوا مستبصرين فيه فقال احدهما وكانوا مستبصرين في الضلالة
قاله مجاهد والاخر وكانوا مستبصرين فتركوا الحق مع ما لاح لهم ظهوره البراهين
وهذا القول اشبه فانه انما يقال فلان مستبصر اذا عرف الشيء على الحقيقة
قال الفراء كانوا عقلاء ذوي بصائر فلم ينفعهم بصائرهم وقيل انوا ما انوا وقد تبين

لهم ان عاقبتهم العذاب فوله تعالى

وقارون وفرعون وهامان

قال الكسائي ان شيئ كان محمولا على عاد وكان فيه ما فيه وان شيئ كان على قصدهم عن السبيل وصد قارون وفرعون وهامان وقيل اي واهلكنا هؤلاء بعد ان جائهم الرسل فاستكبروا في الارض عن عباده الله وكانوا سابقين اي فائتين وقيل سابقين في الكفر بل قد سبقهم للكفر قرون كثيره فاهلكناهم قال الكسائي وكلا منصوب باخذنا اي اخذنا كلا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا يعني قوم لوط والحاصب ريح تاتي بالحصبا وهي الحصبا الصغار ويستعمل في كل عذاب ومنهم من اخذته الصيحة يعني ثمود واهل مدين ومنهم من خسفنا به الارض قارون ومنهم من اغرقنا قوم نوح وقوم فرعون وما كان الله ليظلمهم لانه انذرهم وامهلهم وبعثنا اليهم الرسل وازاح العذر فوله تعالى

مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء

كمثل العنكبوت الايه

قال الاخفش كمثل العنكبوت وقف تام ثم قص فضربها قال اتخذت بيتا قال ابن الانباري وهذا غلط لانا اتخذت مثل العنكبوت كانه قال مثل الذي اتخذت بيتا فلا يجيز الوصف على الصله دون الموصول وهو بمنزله فعلك كمثل الحمار يحمل اسفارا يجعل صله الحمار ولا يجيز الوقف على الحمار دون يحمل وقال الفراء مثل ضربه الله سبحانه لمن اتخذ من دونه الها لا ينفعه ولا تضره كما ان بيت العنكبوت لا يقيه حرا ولا بردا ولا يجيز الوقف على العنكبوت لانه لما قصد بالتشبيه لبيتها الذي لا يقيها من شيئ فشبه الاله الذي لا تنفع ولا تضر به فان اهل البيوت اي اضعف البيوت لبيت العنكبوت وقال الضحاك ضرب مثلا لضعف المشركين ووهنها فشبههم ببيت العنكبوت لو كانوا يعلمون لو لم يتعلقوا ببيت العنكبوت اي لو علموا

ان عباده الاوثان كاتخاذ بيت العنكبوت الذي لا يغني عنهم شيئا وان هذا مثلهم لما عبدوها لانهم لا يعلمون ان بيت العنكبوت ضعيف وقال النخاه ان بيت العنكبوت اخرها مؤنثه لانها تسقط في التصغير والجمع وهي مؤنثه وحكى الفراء ذكرها وانشد

على مسطالهم منهم بيوت كان العنكبوت موانساها

ويروي على هطالهم منهم بيوت قال الجوهري الهطال اسم جبل والعنكبوت دويبه معروفه وهي التي تنسج نسجا رقيقا سهلا بين الهوي وجمع عنكب وعناكب وعكبات وعكب وقد حكى انه يقال عنكب وعنكباه وقال الشاعر

كانها سقط من لغامها بيت عكبات على زمامها

وتصغير فيقال عنيكب وقد حكى يزيد بن مبيره ان العنكبوت شيطان مسخها الله تعالى وقال عطا الخراساني نسجت العنكبوت مرتين مره على داود حين كان حالف يطلبه ومره على النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك نهى عن قتلها وروي عن علي رضي الله عنه انه قال طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فانه يورث الفقر وقيل ان الذي يورث الفقر هو العنكبوت الكبير فوله تعالى ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيئ ما يعني الذي ومن للتبعيض ولو كانت زايده للتوكيد لاقتضى العموم والمعنى ان الله يعلم صنف ما يعبدون من دونه وقرا عاصم وابو عمرو ويعقوب بالتاء على الخطاب وهي اختيار ابي عبيد لذكر الامم قبلها الباقون بالياء على الخبر فوله تعالى وتلك الامثال اي هذا المثل وغيره مما ذكر في القرآن والحكم وغيرهما نضربها يعني نبينها للناس وما يعقلها اي يفهمها الا العالمون اي العاملون بها كما روي جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته فوله تعالى خلق الله السموات والارض بالحق اي بالعدل والقسط وقيل كلامه وقدرته وذلك هو الحق ان من ذلك لايه اي علامه ودلاله للمؤمنين المصدقين فوله عز وجل

اتل ما اوحي اليك من الكتاب واقم الصلوه الايه

فيه اربع مسايل الاولى فوله تعالى امر بالتلاوه والدوب عليها

وقد حصن ٢ طه الوعيد فيما عرض عنها وفي مقدمة الكتاب الامر بالحظ عليها والكتاب
يراد بالقرآن الثابت فيه قوله تعالى واقم الصلوة الخطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم وامته واقامة الصلوة اداؤها في وقتها بركوعها وسجودها وقعودها وتشهدها
وجميع شروطها وقد تقدم بيان ذلك في البقرة فلا معنى للاعادة الثالثة قوله تعالى
ان الصلوة تنهى عن الفحشا والمنكر بيان ان الصلوة الخمس هي التي تكفر ما بينها من الذنوب
كما قال عليه السلام ارايتم لو ان نهرا بباب احدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى
من درنه شيا قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا رجحه
الترمذي من حديث ابي هريرة وقال فيه حديث حسن صحيح وقال ابن عمر الصلاة منا
القرآن والمعنى الذي يتلى في الصلوة ينهى عن الفحشا وعن الربا والمعاصي قلت
وهذا الحديث الصحيح فسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين مريد قراءة الفاتحة وقال
حماد بن ابي سليمان وابن ابي نجيح والكلبي العبد ما دام العبد في صلاته لا يأتي فحشا
ولا منكرا اي ان الصلوة تنهى ما دمت فيها قال ابن عطية وهذا عجيب وابن
هذا مما رواه انس بن مالك قال كان فتى من الانصار يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم
ولا يدع شيا من الفواحش والمرقة الا ركبه فقيل ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال
ان صلاته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وصلحت حاله فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الم اقل لكم وفي الهيثمية تاويل ثالث وهو الذي ارتضاه المحققون وقال
به شيخه الصوفية وذكره المفسرون فقيل المراد بالصلوة اداؤها والقيام
بحدودها ثم اخبر حكما منه بان الصلوة تنهى صاحبها وممتثلها عن الفحشا والمنكر
وذلك ما فيها من تلاوة القرآن المشتمل على الموعظة والصلاة تشغل كل بدن المصلي
فاذا دخل المصلي في محرابه وخشع واخبت لربه وتذكر انه واقف بين يدي
مولاه وانه مطلع عليه وانه يراه صلحت لذلك نفسه وتذللت جوارحه وارتقب
الله تعالى وظهرت على جوارحه هيبتها ولم يكد يفتر من ذلك حتى يصلي صلاة اخرى
فلت لا سيما وان اشرفها ان هذا ربما يكون اخر عمله فهو ابلغ في المقصود
وانتم في المراد فان الموت ليس له سن محدود ولا زمن مخصوص ولا مرض معلوم

وهذا ما لا خلاف فيه وروي عن بعض السلف انه كان اذا قام الى الصلوة واصفر لونه
تكلم في ذلك فقال اني واقف بين يدي الله تعالى وحق لي هذا مع ملوك الدنيا فكيف مع ملك الملوك
فهذه صلاة تنهى ولا بد عن الفحشا والمنكر ومن كانت صلاته دابره حول الاجزاء ولا
الخشوع فيها ولا تذكر ولا فضايل الصلاة وليتها تجزي فتلك تترك صاحبها من تركته
حيث كان فان كان على طريقه مما من بعده من الله تركته الصلاة تمادى على بعد
وعلى هذا يخرج الحديث المروي عن ابن مسعود وابن عباس والحسن والاعمش فوالله
من لم تنهه صلاته عن الفحشا والمنكر لم تزده من الله الا بعدا. وقد روي ان الحسن ارسله
عن النبي صلى الله عليه وسلم وذلك غير صحيح السند قال ابن عطية سمعت ابي رضي الله عنه
يقوله فاذا فرزناه ونظرمعناه فغير جايز لمن يقول ان نفس صلاة العاصي تبعده من الله
حتى كانها معصية وانما يخرج ذلك على انها لا توثر في تنزيهه من الله بل يتركه في حاله
ومعاصيه من الفحشا والمنكر بعيدة فلم تزده الصلاة الا تقربا من ذلك البعد الذي كان
بسببه فكانها بعدته حين لم يكف بعده عن الله وقيل لابن مسعود ان فلانا
كثير الصلوة فقال انها لا تنفع الا من اطاعها قلت وعلى الجملة فالمعنى المقصود
بالحديث لم تزده من الله الا بعدا ولم يزدد بها من الله الا مقتا اشاره الى ان من تكب
الفحشا والمنكر لا قدر لصلاته لغلبة المعاصي على صاحبها وقيل هو خبر بمعنى
الامر اي لينته المصلي عن الفحشا والصلاة بنفسها لا تنهى ولكنها سبب لانتهاء
وهو كقوله هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق وقوله ام انزلنا عليهم سلطانا
فهو يتكلم بما كانوا به يشركون المساله الرابعة قوله تعالى ولذكر الله اكبر
اي ذكر الله لكم بالثواب والثنا عليكم اكبر من ذكركم له في عبادتكم وصلاتكم قال
معناه ابن مسعود وابن عباس وابو الدرداء وسلمان والحسن وابو قرة وهذا
اختيار وروي مرفوعا من حديث موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال في قول الله عز وجل ولذكر الله اكبر قال ذكر الله اياكم اكبر من ذكركم
اياه قيل ذكركم الله في صلاتكم وفي قراءة القرآن افضل من كل شيء وقيل المعنى ان
ذكر الله اكبر مع المداومة من الصلاة في النهي عن الفحشا والمنكر وقال الضحاك ولذكر
الله عند ما يحرم فيترك اجل الذكر وقيل المعنى ولذكر الله للناهي عن الفحشا والمنكر

اكبر اي كبير واكبر يكون بمعنى كثير وقال ابن زيد وقتاده معناه ولذكر الله اكبر
من كل شيء اي افضل من العبادات كلها بغير ذكر وقيل ذكر الله يمنع من المعصيه
فانه من كان ذاكرا له لا يخالفه قال ابن عطيه وعندي ان المعنى
ولذكر الله اكبر على الاطلاق اي هو الذي ينهى عن الفحشآء والمنكر فالخير الذي منه
في الصلوه ينهى ذلك وكذلك يجعل في غير الصلاه لان الانهاء لا يكون الا من ذكر
الله مراقبا له وثواب ذلك الذاكر ان يذكره الله كما في الحديث من ذكرني في نفسه
ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منهم والحركات التي في الصلوه
لا تاثيرها في نفي والذكر النافع هو مع العلم وافعال القلب وتعرفه الا
من الله واما ما لا يتجاوزه اللسان فغير ذي رتبه اخروي وذكر الله تعالى للعبد
هو افاضه الهدي ونور العلم عليه وذلك ثمره لذكر العبد لربه قال الله عز وجل
فاذكروني اذكركم وفي الايه ضرب من الوعيد والحث على المراقبه قوله تعالى

ولا تجادلوا اهل الكتاب
الا بالتي هي احسن الايه

فيه مسئلتان الاولى اختلف العلمآء في قوله تعالى ولا تجادلوا قال
مجاهد وهي محكمه فيجوز مجادله اهل الكتاب بالتي هي احسن على
معنى الدعا لهم الى الله عز وجل والتنبيه على حجته واياته حاجا بتهم
الى الايمان لا على طريق الاغلاظ والمخاشنه وقوله على هذا الا الذين ظلموا
معناه ظلوكم والا فكلهم ظلمه على الاطلاق وقيل المعنى لا تجادلوا من آمن
محمد صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب الا من كعبد الله بن سلام ومن آمن معه
الا بالتي هي احسن اي بالموافقه فيما جدتموه به من اخبارهم وغير ذلك
وقوله على هذا التاويل الا الذين ظلموا يريد به من بقي على كفره منهم كمن
كفر وغدر من قريظه والنضير وغيرهم والايه ايضا على هذا محكمه
وقيل هذه الايه منسوخه بايه القتال قوله تعالى قاتلوا الذين لا

يومنون قاله قتاده لا الذين ظلموا اي جعلوا لله ولدا وقالوا يد الله مغلوله
وان الله فقير ونحو لا آلمشركون في سقوط الجزيه فانظروا قال النحاس وعبد
من قال هي منسوخه اجمع ان الايه مكيه ولم يكن في ذلك الوقت قتال
مفروض ولا طلب جزيه ولا غير ذلك وقول مجاهد حسن لان احكام الله
عز وجل سبقي ان لا يبدل فيها انها منسوخه الا بجزيه يقطع العذر ا وجه من معقول
واختار هذا القول ابن عربي وقال مجاهد وسعيد بن جبير وقوله الا الذين
ظلموا منهم معناه الا الذين نصبوا للمومنين الحرب فجدالهم بالسيف حتى يسلموا او
يعطوا الجزيه الثانيه قوله تعالى وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل
اليكم روى البخاري عن ابي هريره قال كان اهل الكتاب يقرون التوراه بالعبرانيه
ويفسرونها بالعربيه لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا
اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وما انزل الينا واليكم وروي
عبد الله بن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تسالون اهل الكتاب عن شي فانهم
لن يهدوكم وقد ضلوا اما ان يكذبوا بحق واما ان يصدقوا باطل وفي البخاري
عن حميد بن عبد الرحمن سمع معاويه يحدث رهطا من قريش بالمدينه وذكر
كعب الاحبار فقال ان كان من اصدق هولا المحدثين الذين يحدثون عن الكتاب
وان كنا مع ذلك ليبلوا عليه الكذب قوله تعالى

وما كنت تتلوا من قبله من كتاب
ولا تخطه بيمينك الايه

فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى وما كنت تتلوا من قبله الضمير
في قبله عايد الى الكتاب وهو القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم اي و
كنت يا محمد قبل القرآن لا تقرا كتابا ولا تخطه بيمينك فلما انزل الله عليك القرآن
الاعجاز والنظم للعيون وغير ذلك فلو كنت ممن يقرا الكتاب ويخط حروفا
لارتاب المبطلون اي من اهل الكتاب وكان لهم في ارتيابهم متعلق وقالوا
الذي يجده في كتبنا انه يكتب ولا يقرا وليس به قال مجاهد كان اهل

الكتاب يجدون في كتبهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم لا يخط ولا يقرأ فنزلت هذه الآية
ن الخاسرين ليلا على بنوته لقربتي لانه لا يكتب ولا يخالط اهل الكتاب ولم يكن
بكه اهل الكتاب بمجاهم باخبار الانبياء والامم ونالت الريبة والشك الثابتة
ذكر القاشاني في تفسير هذه الآية عن الشعبي انه قال لما مات النبي صلى الله عليه وسلم
حين كتب واسند ايضا حديث ابي ابي بشة السلولي بمضمنه انه صلى الله عليه وسلم
قرأ صحيفة لعبيدة بن حصن واخبر بمعناها قال ابن عطية وهذا كله ضعيف
وقول الباجي منه قلت وقع في صحيح مسلم من حديث البراء ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال لعلي اكتب الشرط بيننا بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقاله له المشركون لو نعلم انك رسول الله ما منعناك ن وفي رواية
بايعناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فامر عليا ان يمحاها فقال والله لا امحاها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اريني مكانها فاراه فمحاها وكتب ابن عبد الله قال علماؤنا
رضي الله عنهم ظاهر هذا انه عليه السلام محى تلك الكلمة التي هي رسول الله صلى الله عليه
مكانها ابن عبد الله وقد رواه البخاري باظهر من هذا فقال فاخذ رسول الله صلى الله عليه
وسلم الكتاب فكتب وزاد في طرة اخرى ولا يحسن ان يكتب فقال جماعة يجوز هذا
المظام عليه وانه كتب بيده منهم السمناني وابو ذر والباجي وراوا ان ذلك غير قادح
في كونه اميا ولا معارض لقوله وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك
ولا لقوله انا امة امية لا نكتب ولا نحسب بل راوه زيادة في معجزاته واستظهارا
على صدقه وصحة رسالته وذلك انه كتب من غير تعلم لكتابة ولا تقاط لاسبابها وانما
اجرى الله تعالى على يده وقلمه حركات كانت عنها خطوط معهودة بها ابن عبد الله لمن
قراها فكان ذلك خارقا للعادة كما انه عليه السلام علم علم الاولين والآخرين من غير تعلم
ولا اكتساب فكان ذلك ابلغ في معجزاته واعلم واعظم في فضائله ولا يدخل
عنه اسم الامي بذلك ولذلك قال الراوي عنه في هذه الحالة ولا يحسن ان يكتب فبقي
عليه اسم الامي مع كونه قال كتب شيخنا ابو العباس ابو العباس احمد بن عمر وقد
انكر هذا كثيرا من متفقهة الاندلس وغيرهم وشددوا النكير فيه وسبوا قائله

الى الكفر وذلك دليل على عدم العلوم النظرية وعدم التوقف في تكفير المسلمين ولم يتفطنوا
لان تكفير المسلم تفسقه على ما جاء عنه عليه السلام في الصحيح لا سيما ممن شهد له اهل
عصره بالعلم والفضل والامانة على ان المسالة ليست قطعية لم يسندها ظواهر
اخبار احاد صحيحة غير ان العقل لا يحيلها وليس في الشريعة قاطع يحيل وقوعها
قلت وقال بعض المتاخرين ومن قال هي اية فارقه فيقال له الكتابة تكون اية
لانكر لولا انها منافية لاميته لاية اخرى وهو كونه اميا لا يكتب ويكونه اميا في امه
اميه فانت الحجة والفرق الواحد والحكمة التشهيه فكيف يطلق الله تعالى يده
فيكتب فتكون اية وانا الاية ان لا يكتب والعجز ان تتخيل ان يدفع بعضها بعضا وانما
هي كتب واخذ القلم اي امر من يكتب جبريل من كتابه وكان كتبة الوحي بين يديه
صلى الله عليه وسلم ستة وعشرون كاتبا الثالثة ذكر القاضي عياض عن
معاوية انه كان يكتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقاله القي الدواة وحرف القلم
واقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم قال القاضي
وهذا وان لم يصح الرواية انه صلى الله عليه وسلم كتب فلا يبعد ان يرزق علم
هذا ويمنع القراءة والكتابة قلت هذا هو الصحيح في الباب انه ما كتب
ولا حرفا واحدا وانما امر من يكتب ولذلك ما قرأ ولا تعلم فان قيل فقد جاء النبي صلى الله
عليه وسلم حين ذكر الدجال فقال ملكوب بين عينيه ك ف ر وقد قلتم ان المعجزة
قائمة في كونه اميا قال الله للعظيم وما كنت تتلوا من قبله من كتاب الاية وقال
انا امة اميه لا نكتب ولا نحسب فكيف هذا والجواب ما قاله عليه السلام
في حديث تضعيفه والحديث كالقرآن يفسر بعضه بعضا وفي حديث حذيفة
يقرأه كل مومن كاتب وغير كاتب فقد نص في ذلك على غير الكاتب من
غير ان يكون اميا وهذا من اوضح ما يكون جليا قوله تعالى

بل هو ايات بينات

يعني القرآن قاله الحسن وزعم الفراء ان في قراءة عبد الله بل هي ايات بينات
المعنى بل ايات القرآن ايات بينات قال ومثله هنا نصابر ولو كانت هذه

كاز ونظيره هذا وحمه من ذي قال احسن اعطيت هذه الامه احفظ وكان من
قبلها لا يقرؤن كتابهم الا نظرا فاذا الطبقوه لم يحفظوا منه الا اليسير ثم قال
كعب في صفه هذه الامه انهم حكما علماء هم في الفقه انبيا في صدورا الذين اوتوا العلم
اي ليس هذا القرآن كما يقوله المبطلون من انه سحر او شعر ولكنه علامات دلايل
يعرف بها دين الله واحكامه وهي كذلك في صدور الذين اوتوا العلم وهم اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم والموصوفون به يعظمونه ويقرؤنه ووصفهم بالعلم لانهم ميزوا
بافهامهم بين كلام الله وكلام البشر والشياطين وقال قتاده وابن عباس بل
هو يعني محمد صلى الله عليه وسلم ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم من
اهل الكتاب يجدونه مكتوبا عندهم في كتبهم هذه الصفه اميا لا يقرا ولا يكتب
ولكنهم ظلموا انفسهم وكتموا وهذا اختيار الطبري ودليل هذا القول قراءه ابن مسعود
وابن السميفع بل هو ايات بينات وكان عليه السلام ايات بينات لا آيه واحده
لانه دل على اشياء كثيره من امر الدين فلهذا قال بل هو ايات بينات وقيل
بل هو ذو ايات بينات تختلف المضاف وما يجحد بايتنا الا الظالمون
اي الكفار لانهم جحدوا نبوته وما جاء به قوله تعالى

وقالوا لولا انزل عليه ايه من ربه

هذا قول المشركين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومعناه هلا انزل عليه ايات كايات
الانبيا قيل كما جا صالح بالناقه وموسى بالعصا وعيسى باحيا الموتى اي قل لهم يا
محمد انما الايات عند الله وهو ياتي بها كما يريد فاما انا فما ارسلها ولست عندي وانما
انا نذير مبين وقرا ابن كثير وابو بكر وحمزه والكسائي ايه بالتوحيد وجمع
الباقون وهو اختيار ابي عبيد لقوله قل انما الايات قوله تعالى

اولم يكفهم انا انزلنا عليك

الكتاب يتلى عليهم الايه

هذا جواب لقولهم لولا انزل عليه ايه من ربه اي اولم يكفهم من الايات
هذا الكتاب المعجز الذي قد تحديتهم انبيا نقا بمثله او بسوره منه فعجزوا ولو
اتيتهم بايات موسى وعيسى لقالوا سحر ونحن لا نعرف السحر والكلام مقدور لهم وبعد
ذلك عجزوا عن المعارضه وقيل انما سبب نزول هذه الايات ما رواه ابن عيينه
عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعده قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم نفر من اليهود فقال
لقد كفى بقوم ضلاله ان يرغبوا عما جا به نبي غير نبيهم وكتاب غير كتابهم فانزل
الله تعالى اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب الايه اخرجه الدارمي ابو محمد
في مسنده وذكر اهل التفسير في كتبهم وفي نزول هذا قال النبي صلى الله عليه وسلم
لعمر رضي الله عنه لو كان موسى بن عمران حيا لما وسعه الا اتباعي وفي مسند قال
صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن اي يستغني به عن غيره وهذا
تاويل البخاري رحمه الله في الايه واذا كان لقاريه بكل حرف عشر حسنات واكثر على
ما ذكرناه في مقدمه الكتاب فارغب عنه الى غيره ضلال وحسران وعمى
ونقصان ان في ذلك اين في الدنيا والآخره وقيل رحمه في الدنيا
باستيفائه من اضلاله وذكري في الدنيا بارشادهم الى الحق لعلهم يؤمنون
قوله تعالى

قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم

اي قل للمكذبين لك كفى الله شهيدا يشهد لك بالصدق فيما ادعيته من انك
رسوله وان هذا القرآن كتابه يعلم ما في السموات والارض لا يخفى عليه شيء وهذا
احتجاج عليهم لانهم فكافروا بعلمه فلن يهم ان يقروا بشهادته والذين امنوا
بالباطل قال يحيى بن سلام بالبيس وقيل بعباده الاوثان والاصنام قاله
ابن شجره وكفروا بالله لتكذيبهم برسله وجحدهم كتابه وقيل بل اشركوا به
من الاوثان واضافوا اليه من الاولاد والاصداد فاولئك هم الخاسرون
انفسهم واعمالهم في الآخره قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب

لما ايقدم بالعذاب قالوا الفرط الانكار يعجل لنا العذاب وقيل ان قائل ذلك النضر
ابن الحرث وجهل حين قالا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السما و قولهم عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب وقوله لولا اجل مسمى لجاءهم
العذاب قال ابن عباس يعني هو ما وعدتك ان لا اعذب قومك وا وحرهم
الى يوم القيمه يبانه بل الساعه موعدهم قال الضحاك مدة اعمارهم في الدنيا
وقيل المراد بالاجل المسمى النفخه الاولى قاله حبن بن سلام وقيل الوقت الذي قدر
الله لهلاكهم وعذابهم قاله ابن بحره وقيل لجاءهم العذاب يعني الذي استعجلوه
وليأتينهم بغته اي مجاه وهم لا يشعرون وتاكيد لا يعلمون بنزوله بهم يستعجلونك بالعذاب
اي يستعجلونك بعذابهم جهنم وانها سيحيط بهم حين قالوا او بسقط السما كما زعمت علينا
كسفا قوله تعالى يوم يغشاهم العذاب من فوقهم قيل هو متصل بما قبله اي
يوم يصيبهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم فاذا غشيتهم العذاب احاط بهم جهنم
وانما قال من تحت ارجلهم للمقارنه والا فالعذاب من فوق قال
اعلقها تبنا وما يا ويا وقال اخر
لقد كان فؤاد الجبان الى العدى عليهم اعاب من قنا ودروع
قرا اهل المدينه والكوفه ونقول بالنون الباقون بالياء واختاره ابو عبيد
لقوله قل كفى بالله ويجعل ان يكون الملك الموكل بهم يقول ذوقوا والقراءتان ترجع الى
معنى واحد يقول الملك ذوقوا قوله تعالى

يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعه

هذه الايه نزلت في تحريض المؤمنين الذين كانوا بمكه على الهجره في قول مقاتل
والكلبي فاجبرهم الله تعالى ان سعه ارضه وان البقا في بعضه على اذى الكفار ليس بصواب
قيل الصواب ان يقتدي عباده الله في كل موضع الصبر في عباده اي ان كنتم في
ضيق من اظهار الايمان بها فهاجروا الى المدينه فانها واسعه لاظهار التوحيد
بها وقال ابن خثيم معناه ان الارض التي فيها الظلم والمنكر

تزيد فيها منه الايه ويلزم الهجره عنها الى بلد حق وقاله مالك وقال مجاهد
ان ارضي واسعه فهاجروا وجاهدوا وقال مطرف بن الشخير المعنى ان رحمتي واسعه
وعنه ايضا ان ارضي لكم واسع فاعبدوني في الارض قال سفين الثوري اذا
كنت بارض غاليه فانتقل الى غيرها فلعلك تجد بها بردا وقيل المعنى ان
ارضي التي هي ارض الجنه واسعه فاعبدون حيثما وردتموها فاياي فاعبدون
اياي منصوب بفعل يفسره اي فاعبدوا اياي فاعبدون فاستغنى باحد الفعلين
عن الاخر والفاء في قوله فاياي لمعنى الشرط اي ان ضاق بكم موضع فاياي
فاعبدوا الان ارضي واسعه قوله تعالى

كل نفس ذائقه الموت ثم الينا ترجعون

تقدم قول عمران وما ذكرها تحقيرا لامر الدنيا ومحاوفها كان بعض المؤمنين نظر
في عاقبه تلحقه فرجع من وطنه من سكنه انه يموت او يجوع او نحو هذا فحذر الله
والهجره اليه والى ما يمنعك ثم وعد المؤمنين العاملين سكنى الجنه تخريصا منه
تعالى وذكر الجزا الذي ينالونه ثم نعتهم بفعله الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون
قرا ابو عمرو ويعقوب والبحدري وابن ابي اسحق وابن محيصن والاعمش وحمزه
والكسائي وخلف يا عبادي باسكان الياء وفتحها الباقون ان ارضي فتحها ابن
عامر وسكنها الباقون وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من فر
بدينه من ارض الى ارض ولو قيد شبر استوجب الجنه وكان رفيق محمد وابرهيم
عليهما السلام ثم الينا ترجعون قرا البزي وابو بكر عن عاصم ترجعون
بالتا لقوله سبحانه كل نفس ذائقه الموت وقرا الباقون بالياء لقوله تعالى
يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعه واشد بعضهم

الموت في كل حين ينشر الكفنا ونحن في غفله عما يراد بنا
لا تركنن الى الدنيا وزخرفها وان تمتعت من انوابها حسنا
ابنا لاهبه ما جزان ما فعلوا اين الذين هم كانوا لنا سكنا

سه سقام الموت كاسا عز صافيه صاروا بها تحت اطباق التراب رهنا
وقرا ابن مسعود فالاعمش وزجر بن ثابت وحمزه والكسايي لنبوئنهم بالهمز مكان الياء
من الثواء وهو الاقامه اي لنغطينهم غرفا يبوون فيها وقرا روبس عن يعقوب
والجحدري والنبلي لنبوينهم بالياء مكان الواو من الثوي لنسترنهم غرفا
جمع غرفه وهي العليا المشرفه وفي صحيح مسلم عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان اهل الجنه ليتراؤون اهل الغرف من فوقهم كما يتراؤون الكوكب
الدري الغابر من الافق من المشرق او المغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك
منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم بلى والذي نفسي بيده رجال امنوا بالله وصدقوا
المرسلين وخرج الترمذي عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان في الجنه لغرفا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها فقام اليه اعرابي
فقال لمن هذه يا رسول الله فقال لمن اطاب الكلام واطعم الطعام وصلى بالليل
والناس نيام وقد ذكرنا هذا المعنى بيانا في كتابنا الجنه مزكا بالتذكره
والحمد لله فوله تعالى

وكاي من دابه لا تحمل رزقها

الله يرزقها واياكم الايه

اسناد الواحدي عن يزيد بن هارون قال نا الجراح بن منهال عن النهري وهو عبد الرحيم
ابن عطا عن عطا عن ابن عمر قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخلنا
بعض حيطان الانصار فجعل يلتقط من الرمث فقال يا ابن عمر مالك لا تاكل فقلت
لا اشتهيه يا رسول الله فقال لكني اشتهيه وهذه صبيحه رابعه لم اذق لها ما
ولو شئت دعوت ربي فاعطاني مثل ملك كسرى وقيصر فكيف لك يا ابن عمر
اذا بقيت في قوم يحبون رزق سنتهم وبضعفا اليقين قال والله ما برحنا
حتى نزلت وكاي من دابه لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم
قلت وهذا ضعيف بضعفه انه عليه السلام كان يدخر لاهله

فقد ستتهم اتفق عليه البخاري ومسلم وكانت الصحابه يفعلون ذلك وهم القدوه
واهل اليقين والايه لمن بعدهم من المتقين المتوكلين وقد روى ابن عباس ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال للمهبنين مكه اذا نام المتوكون اخرجوا الى المدينه وهاجروا
ولا تجاوروا الظلمه قالوا لبيك نتاها دار ولا غفاء ولا من يطعمنا ولا من يسقينا فنزلت
وكاين من دابه لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم اي ليس معها رزقا مدخرا وكذلك انتم
يرزقكم الله في دار الهجره وهذا ابشه من العقل الاول وتقدم الكلام في كاين وان هذه
اي دخلت عليها كاف التشبيه وصارت بمعنى كم والتقدير عند الخليل وسيبويه
كم عدد دابات كثير من العدد من دابه قال مجاهد يعني الطير والبهائم تاكل
يوما بعد يوم ولا تحمل شيا الحسن تاكل رزقها ولا تدخر لغد وقيل لا تحمل رزقها اي
لا تقدر على رزقها الله يرزقها اين ما توجهت واياكم وقيل الحمل بمعنى الحمال له
وحكى الكسائي ان الراد النبي صلى الله عليه وسلم باكل ولا يدخر قلت وليس
هذا بشي لاختلاف لفظ الدابه وليس مستعملا في العرف الا على الادمي فكيف على
النبي صلى الله عليه وسلم وقد تعين هذا في النمل عند قوله واذا اوقع القتل عليهم اخرجنا
لهم دابه من الارض تكلمهم قال ابن عباس الدواب هو كل ما دب من الحيوان فكله
لا يحمل رزقه ولا يدخر الا ابن ادم والنمل والفار وعن بعضهم رايت البليل يختزن في خصبه
ويبتاك للعقيق فقلت مخابي الا انه بيناها الله يرزقها واياكم فهو يسوق بين
الكريم والمتوكل في رزقه وبين الراغب والقانع وبين الجبول والعاجز حتى لا يفتر
الجلد انه يرزق بكليته ولا يتصور للعاجز انه ممنوع بعجزه وفي الصحيح
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقتكم
كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وهو السميع لقولكم بحد ما تنفق
بالمدينه العليم بما في قلوبكم فوله تعالى

ولين سالتهم من خلق السموات والارض

لما عيب المشركون المسلمين بالفقر وقالوا لو كنتم على حق

لم تكونوا فقرا وكان هذا نهيا اذ كان في الكفار فقرا ايضا قال الله تعالى هذه الشبهه
وكذا قول من قال ان ماجرنا لم نجد ما ننفق اي فانا اغنى فنحن بان الله خلق هذه الاشياء
فكيف تشكون في الرزق فمن بيده تكوين الكائنات لا يعجز عن رزق العبد ولهذا وصله
بقوله الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له فاني يوفكون اي كيف
تكفرون بتوحيدي وتشغلون عن عبادتي الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده
اي لا يختلف امر الرزق بالايمان والكفر فالتوسيع والتقتير منه فلا يعتبر بالفقر
فان كل شيء بقضائه وقدره ان الله بكل شيء عليم من احوالكم وامورهم وقيل عليم
بما يصلحكم اي من اقتار او توسع قوله تعالى

ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء

اي من السحاب مطرا فاحيا به الارض بعد موتها اي جدبها ولفظ احياها يقولن الله
فاذا اقررتم بذلك فلم تشركون به وتنكرون الاعادة واذا قدر على ذلك فهو اقدر
على غنا المومنين فقرنا كيدا قل الحمد لله اي على ما اوضح من الحجج والبراهين على
قدرته بل اكثرهم لا يعقلون اي لا يتدبرون هذه الحجج وقيل الحمد لله على
اقرارهم بذلك وقيل على انزال الماء واحياء الارض وما هذه الحياة الدنيا
الا لهو ولعب اي شغل تلهي به وتلعب اي ليس ما اعطاه الله الا غنيا من الدنيا الا
وهو بصدد تحول وزوال كاللعب الذي لا حقيقة له ولا ثبات قال بعضهم الدنيا
ان تقيمت لك لم تبق لها واتئد

تروح لك الدنيا بغير الذي غدت ... وحدث من بعد الامور امور
وتجري الليالي بالجماع وفرقة ... وبالبؤس احيانا وحينا حبور
فمن ظن ان الدهر باق سروره ... فذاك محال لا يدوم سرور
عفا الله عمن صير الهم واحدا ... فايقن ان الدائرات تدور

قلت وهذا كله في امور الدنيا من المال والجاه والمكسب النابذ على الضرور

الذي به قوام العيش والقوة على الطاعات واما ما كان منها لله ونوع لا حظ
وهو الذي يبقى كما قال ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام اي ما ابتغي به ثوابه
ورضاه وان الدار الاخرة لهي الحيوان اي دار الحياة الباقية التي لا تزول
ولا موت فيها وزعم ابو عبيدة ان الحيوان والحياة والحي كبر الحا واحد كما قال
وقد يرى ان الحياة حي وغيره يقول ان الحي جمع على فعول مثل عصي والحيوان يقع
على كل شيء حي وحيوان عين في الجنة وقيل اصل حيوان حييان فابدلت احدى الياءين
واوا لاجتماع المثلين لو كانوا يعلمون لما كانت كذلك قوله تعالى

فاذا ركبوا في الفلك

اي السفن وخافوا الغرق دعوا الله مخلصين اي صادقين في نياتهم ونزكوا عباده الاصنام
ودعاها فلما انجاهم الى البر اذا هم يشركون اي يدعون معه غيره وما لم ينزل
به سلطانا وقيل اشراكهم ان يقول قائلهم لولا الله والربيس والملاح لغرقنا
فيجعلون ما فعل الله لهم من النجاة فعل من دون الله تعالى وبرئ خلقه قوله تعالى
ليكفروا بما اتيناهم وليتمتعوا قيل هي لام كي اي كي يكفروا ولكي تتمتعوا
وقيل انها هم يشركون لتكون ثمرة شركهم ان يجحدوا انعم الله تعالى ويتمتعوا
بالدنيا وقيل هما لام امر معناه التهديد والوعيد اي كفروا بما اعطيناهم
من النعمة والنجاة من البحر وتمتعوا دليل هذا قراءة ابي وتمتعوا ابن الانباري
ويقوي هذا قراءة الاعمش ونافع وحمزة وليتمتعوا بجزم اللام الخاسر وليتمتعوا
لام كي ويجوز ان يكون لام امر كما فاصل لام الامر الكسر الا انه امر فيه معنى
التهديد ومن قرا وليتمتعوا باسكان اللام لم يجعلها لام كي لان لام كي لا يجوز
اسكانها وهي قراءة ابن كثير والمسبحي وقالون عن نافع والكسائي وحمزه
وحفص عن عاصم الباقون بكسر اللام وقرا ابو العالية ليكفروا بما اتيناهم فتمتعوا
فسوف تعلمون تهديد ووعيد قوله تعالى

اولم يروا انا جعلنا حرما امنا

قال عبد الرحمن بن زيد في مكه وهم قريش امنهم الله بها وتخطف الناس حولهم قال الضحاك يقتل بعضهم بعضا ويسبي بعضهم بعضا والخطف الاخذ بسرعه وقد مضى في القصص وغيرها فاذكرهم الله هذه النعمه ليذعنوا له بالطاعه اي جعلت لهم حرما امنوا فيه من السبي والغاره والقتل وخلصتهم في البر كاخلصتهم في البحر فصاروا يشركون في البر ولا يشركون في البحر هذا تعجيب من تناقض احوالهم افبالباطل يومنون قال قتاده افبالشرك وقال يحيى بن سلام افبالبيض ويبغضه الله يكفرون قال ابن عباس افبما فيه الله وقال ابن بحر اعطاء الله واحسانه وقال ابن سلام اي بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى وحسبي النقاش افباطعامهم من جوع وامنهم من خوف يكفرون وهذا تعجب وانكار خرج مخرج الاستفهام قوله تعالى

ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا

اي لا احد اظلم ممن جعل مع الله شريكا وولدا واذا فعلوا فاحشه قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها اوكذب بالحق لما جاءه قال يحيى بن سلام بالقرآن السبب بالتوحيد ابن شجره محمد صلى الله عليه وسلم وكل قوله يتناول القولين السبين في جهنم مثوى للكافرين اي منتقر وهو استفهام تقرير قوله تعالى والذين جاهدوا فينا اي جاهدوا الكفار فينا لطلب مرضاتنا وقال السدي وغيره ان هذه الايه نزلت قبل فرض القتال قال ابن عطيه فهي قبل الجهاد العرفي وانما هو جهاد عام في دين الله وطلب مرضاته قال الحسن بن ابي الحسن الايه في العباده وقال عياش وابرهيم بن ادهم في الذين يعملون بما يعلمون وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم علمه الله ما لم يعلم ونزع بعض العلما بقوله واتقوا الله ويعلمكم الله وقال عمر بن عبد العزيز انما قصرنا عن علم ما جهلناه تقصيرنا في العمل بما علمناه ولو عملنا ببعض ما علمنا لاورثنا علما لا نقوم به ابدانا قال الله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله وقال ابو سليمان الداراني ليس

الجهاد في الايه مثال الكفار فقط بل هو نصر الدين والرد على المبطلين وقمع الظالمين وعظه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وسنه مجاهده النفوس في طاعه الله وهو الجهاد الاكبر وقال سفيان بن عيينه لابن المبارك اذا بيننا الناس قد اختلفوا فعلى اي المجاهدين واهل الثغور فان الله يقول لنهدينهم وقال الضحاك يعني الايه والذين جاهدوا في الجهه لنهدينهم سبل الثبات على الايمان ثم قال مثل السنه في الدنيا كمثل الجنه في العقبى من دخل الجنه في العقبى سلم لذلك من لزم السنه في الدنيا سلم وقال عبد الله بن عباس والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا وهدايتنا ولعمومه الطاعه جميع الاقوال ونحوه قول عبد الله بن الزبير قال يقول الحكمه من طلبني فلم يجدني فليطلبني في موضعين ان يعمل بحسن ما يعلمه ويجتنب اسوا ما يعلمه وقال حسين ابن الفضل فيه تقديم وتاخير اي الذين هدينا هم الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا يعني طريق الخير طريق الجنه قاله السدي النقاش توفقهم لدين الحق وقال يوسف بن اسباط المعنى لنخلصن بيانهم وصدقاتهم وصلواتهم وصيامهم وان الله لمع المحسنين لام توكيد ودخلت في مع على احد وجهين ان يكون اسما ولام التوكيد انما تدخل على الاسما او حرفا فتدخل عليها لان فيها معنى الاسم كما تقول ان زيدا لفي الدار ومع انا سكنت فهي حرف لا غير واذا فتحت جاز ان تكون اسما وان تكون حرفا والاكثر ان تكون حرفا جاء لمعنى وتقدم معنى الاحسان والمحسن في البقره وغيرها وهو عمهم بالنصره والمعونه والحفظ والهدايه مع الجمع بالاحاطه والقدره فبين المعيه بون

تمت السوره والحمد لله

سوره الروم مكيه كلها
من غير خلاف وهي ستون ايه

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى

الم غلبت الروم في ادنى الارض

روي النرمذي عن ابي سعيد الخدري قال لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس فاعجب ذلك المومنين فنزلت الم غلبت الروم في ادنى الارض الى قوله يفرح المومنون بنصر الله ينصر من يشاء قال ففرح المومنون بظهور الروم على فارس قال هذا حديث غريب في هذا الوجه هكذا قرانا نصر بن علي الجهضمي عن غلبنا الروم ورواه ايضا مرحديث ابن عباس في قول الله عز وجل الم غلبت الروم في ادنى الارض قال غلبت وغلبت كان المشركون يحبون ان تظهر فارس على الروم لانهم وايا هم اهل اوثان وكان المسلمون يحبون ان تظهر الروم على فارس لانهم اهل كتاب فذكروه لابي بكر فذكره ابو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام اما انهم سيغلبون فذكره ابو بكر لهم فقالوا اجعل بيننا وبينك اجلا فان ظهرنا كان لنا كذا وان ظهرتم كان لكم كذا وكذا فجعل الاجل خمس سنين فلم يظهروا فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال الا جعلته الى دون البضع قال اراه العشر قال ابو سعيد والبضع ما دون العشرة قال ثم ظهرت الروم بعد فذلك قوله الم غلبت الروم الى قوله ويومئذ يفرح المومنون بنصر الله قال سفيان سمعت انهم ظهروا عليهم يوم بدر قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب ورواه ايضا عن سنان بن مكرم الاسلمي قال لما نزلت الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين وكانت فارس يوم نزلت هذه الاية قاهرين للروم وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم لانهم وايا هم اهل كتاب وفي ذلك يقول الله تعالى هذه الاية خرج ابو بكر الصديق رضي الله عنه يصيح في نواحي مكة الم غلبت الروم وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين قال ناس من قريش لابي بكر فذلك بيننا وبينكم زعم صاحبك ان الروم تغلب فارسا في بضع سنين افلا ناخذك على ذلك قال بلى وذلك قبل تحريم الرهان فارتهن ابو بكر والمشركون وتواضعوا الرهان وقالوا لابي بكر كم تجعل البضع ثلاث سنين او تسع سنين فسمى بيننا وبينك وسطا ننتهي اليه قال فسموا بينهم ست سنين قال فمضت الست سنين قبل ان يظهروا فاخذ المشركون رهان ابي بكر فلما ظهرت الروم بعد الست السنين فرح المسلمون على ابي بكر تسعة سنين قال الله تعالى في بضع سنين قال واسلم عند ذلك ناس كثير قال ابو عيسى هذا حديث حسن غريب صحيح وروى القتيبي وابن عطية وغيرهما انه لما نزلت الاية خرج ابو بكر بها الى المشركين فقال اسركم ان غلبنا الروم ان بيننا اجلا اجلنا الله تعالى انهم سيغلبون في بضع سنين فقال له ابي خلف وامية احوه وقيل شيبان بن حرب يا ابا فصيل بعرصون بكنيته بالبكر فلتناجب اي تتاهن وذلك قبل ان يحرم القمار وجعلوا الرهان خمس قلايص والاجل ثلاث سنين وقيل جعلوا الرهان ثلاثة قلايص ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال هلا احطتنا فان البضع ما بين الثلاثة والتسع والعشر ولكن ارجع فزدهم في الرهان واستزدهم في الاجل ففعل ابو بكر فجعل القلايص مايه والاجل تسعا فغلبت الروم في اثنا الاجل وقال الشعبي ظهروا في تسع سنين وقال القتيبي المشهور في الروايات ان ظهور الروم كان في السابعة من غلبه فارس للروم ولعل رواية الشعبي تصحيف من السبع الى التسع من بعض النقلة وفي بعض الروايات انه جعل القلايص سبعة الى تسع سنين ويقال ان اخر فتوح كسرى ابروين فتح القسطنطانية حتى بنا فيها بيت النار فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فساءه ذلك فانزل الله تعالى ما شن الابتبت وحكى الثعالبي وغيره ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه لما اراد الهجرة من النبي صلى الله عليه وسلم تعلق به ابي بن خلف فقال له امطن كفيلا باخطر ان غلبت فكفل به ابنه عبد الرحمن فلما اراد ابي الخروج الى احد طلبه عبد الرحمن بالكفيل فاعطاه كفيلا

فان ابي بكره مزح جرحه النبي صلي الله عليه وسلم وظهرت الروم علي فارس يوم الحديبيه
علي راس تسع سنين من مناجبهم وقال الشعبي لم تمض تلك المده حتي غلبت الروم
فارس وربطوا خيلهم بالمدائن وبنوا روميه فمزا ابو بكر ابيا واخذ مال الخطر من ورثته
فقال له النبي صلي الله عليه وسلم تصدق به فتصدق به وقال المفسرون ان
سبب غلبه الروم فارس امرآه كانت في فارس لا تلد الا الملوك فقالها كسري اريد ان
استفل احد بنيك علي جيشي اجهزه الي الروم فقالت هذا هرمز اروغ من ثعلب واجلد
من صقر وهذا فرخان احزم من نمل وهذا شهربزان احلم من كذا
فاختر قال فاختار الحكيم وولاه فسار الي الروم باهل فارس فظهر علي الروم
قال عكرمه وغيره ان شهربزان لما غلب الروم حرب ديارها حتي بلغ الخليج
فقال اخوه فرخان لقد رايتني جالسا علي سرير كسري فبلغ ذلك كسري فكتب الي
شهربزان ان ارسل الي براس فرخان فلم يفعل فكتب كسري الي فارس اني قد استعملت
عليكم فرخان وعزل شهربزان وكتب الي فرخان اذا ولي ان يقتل شهربزان فاراد
فرخان قتل شهربزان ثلاث صحايف من كسري يامره بقتل فرخان وراجعته ابدا في
امرك ثم تقتلني انت بكتاب واحد فزاد الملك الي اخيه وكتب شهربزان الي قيصر ملك الروم
فتقاوما علي كسري فغلبت الروم فارس وسار كسري وجا الخبر الي النبي صلي الله عليه
وسلم يوم الحديبيه ففرح من معه من المسلمين فذلك قوله الم غلبت الروم فاديني
الارض بعين ارض الشام ○ عكرمه باذرعات وهي ما بين بلاد العرب والشام
وقيل ان قيصر كان بعث رجلا يدعي يحنس وبعث كسري شهربزان فالتقيا
باذرعات وبصري وهي اديني بلاد الشام الي العرب والعجم ○ مجاهد بالجزيره
وهو موضع بين العراق والشام ○ مقاتل بالاردن وفلسطين وادني معناه اقرب
قال ابن عطيه فان كانت الواقعه باذرعات فهي من ادني الارض الي العباس
الي مكه وهي التي ذكرها امرؤ القيس في قوله

تنورتها من اذرعات واهلها بيثرب ادني دارها نظر عالي

وان كانت الواقعه بالجزيره فهي من ادني بالنسبه الي ارض كسري وان كانت بالاردن

فتح لشهربزان

فهزادني الي ارض الروم فلما طرا ذلك وغلبنا الروم سر الكفار فبشر الله عباده بان
الروم سيغلبون وتكون الدوله لهم في العرب وقد مضي الكلام في فواتح السور وقرا
ابو سعيد الخدري وعلي بن ابي طالب ومعاويه بن قره غلبت بفتح الغين واللام
وتاويل ذلك ان الذي طرا يوم بدر انما كانت الروم غلبت فعز ذلك علي كفار
قريش وسر بذلك المسلمون فبشر الله عباده انهم سيغلبون ايضا في بضع سنين
ذكر هذا التاويل ابو حاتم قال ابو جعفر النحاس وقراه اكثر الناس غلبت الروم بضم
الغين وكسر اللام وروي عن ابن عمر وابي سعيد انهما قرا غلبت الروم وقرا سيغلبون
وحكي ابو حاتم ان عصمه هذا ضعيف وابو حاتم كثير الحكايه عنه والحديث
يدل علي ان القراءه غلبت بضم الغين فكان في هذا الاخبار دليل علي نبوه محمد
صلي الله عليه وسلم لان الروم غلبتها فارس فاخبر الله عز وجل بنيه ان الروم ستغلب
فارس في بضع سنين وان المومنين يفرحون بذلك لان الروم اهل كتاب
فكان هذا من علم الغيب الذي اخبر الله عز وجل به مما لم يكن واما بادران ابراهيم
علي ذلك فان سبائع في الرهان ثم حرم الرهان بعد ونسخ بتحريم القمار قال
ابن عطيه القراءه بفتح الغين اصح واجمع الناس علي سيغلبون انه بفتح الباء يراد
به الروم وروي عن ابن عمر انه قرا ايضا بضم الثاني سيغلبون وفي هذه القراءه
قلب للمعني الذي نظام من الروايات به قال ابو جعفر النحاس ومن قرا
سيغلبون فالمعني عنده وفارس من بعد غلبهم من بعد ان غلبوا سيغلبون
وروي ان ابتداع الروم بالفرس كان يوم بدر كما في حديث ابي سعيد الخدري من
حديث الترمذي وروي ان ذلك كان يوم الحديبيه وان الخبر وصل يوم بيعه
الرضوان قاله عكرمه وقتاده قال ابن عطيه وفي كلي اليومين كان نصر الله
تعالي للمومنين وقد ذكر الناس ان سبب سرور الناس بغلبه الروم وسهم
ان يغلبوا انما هو ان الروم اهل كتاب كالمسلمين وهم من الاوثان كما تقدم بيانه في
الحديث النحاس وقول اخر وهو اولي ان فرحهما انما كان لانجاز وعد الله جل وعز
اذ كان فيه دليل علي النبوه لانه اخبر جل وعز بما يكون في بضع سنين فكان فيه دليل
النبوه ○ ابن عطيه ويشبه ان يعلل ذلك بما يقتضيه الفطر من محبه ان يغلب

العدو الاصغر لانه ابيرهُ ونه ومن غلبه الاكبر كثر الخوف منه فتامل هذا المعنى مع ما
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نرجاه من ظهوره دينه وشرع الله الذي بعثه به
وغلبته على الامم واراده كفار مكه ان يرميه الله بملك يبتاصله ويريحهم منه وقيل
سرورهم انما كان ببضر رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين لان جبريل اخبر بذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم بدر حكاه القشيري قلت ويحتمل ان يكون سرورهم
بالمجموع من ذلك شر وا لظهورهم على عدوهم وظهور الروم ايضا وانجاز وعد الله وقرا
ابو حيوه الشامي وحمزه السبيع من بعد غلبهم بسكون اللام وهما لغتان مثل الطعن
والطعن واصله افاسه الصلاه قال النحاس وهذا غلط لا يحمل على كثير من اهل النحو
لان اقام الصلاه مصدر حذف منه الاعتلال فعله فجعلت التاء عوضا من
المحذوف وغلب لين لمفعل ولا حذف منه بني وقد حكي الاصبعي طرد طردا وحلب حلبا
وغلب غلبا فاي حذف في هذا وهل يجوز ان يقال في اكل اكلا وما اشبهه حذف
منه في بعض سبن حذف الهاء من بضع وفرقا بين المذكر والمونث وقد جاء الكلام
فيه في يوسف وفتحت النون من سنين لانه جمع مسلم ومن العرب من يقول في بضع
سنين كما تقول في غسلين وجاز ان يجمع سنه جمع من يعقل بالواو والنون والباء
لانه قد تحدث مهابتي فحمل هذا الجمع عوضا من النقص الذي في واحده لان اصل
سنه سنهه او سنوه وكسرت السين منه دلاله على ان حمعه خارج عن قياسه
وغلطه هذا قول البصريين ويلزم القرآن بضمها لانه يقول الصفه دليل على الواو وقد
حذف منه سنه واو في احد القولين ولا بضمها احد علمناه قوله تعالى

لله الامر من قبل ومن بعد

اخبر تعالى بانفراده بالقدره وان ما في العالم من غلبه وغيرها انما هي منه وبارادته
وقدره فقال لله الامر اي انفاذ الاحكام من قبل ومن بعد اي من قبل هذه الغلبه
ومن بعدها وقيل من قبل كل شي ومن بعد كل شي ومن قبل ومن بعد طرفان بنيا على
الضم لانهما حذف ما اضيفا اليه وصارا منضمين ما حذف في الغايات لتعريف الاسما
وانتهاء الحروف في التضمين فتبنيا وخصا بالضم لشبههما بالمنادى المفرد

نه اذا نكر واضيف زال بناؤه ولذلك قضا وبقايا من قبل ومن بعد وعلى
الكسر اي لله الامر من قبل ومن بعد الاول محذوف منون والثاني مضموم بلا تنوين
وعلى الفرا من قبل ومن بعد محذوف من غير تنوين وانكره النحاس وردده وقال الفرا
في كتابه في القرآن اشياء كثيره الغلط فيها بين منها انه زعم انه يجوز من قبل ومن
بعد وانما يجوز من قبل ومن بعد على انها نكرتان قال الزجاج المعنى من متقدم
ومن متاخر يومئذ يفرح المومنون بنصر الله تقدم ذكره يعني ببضع من ينشا من اوليايه
لان نصره مختص بغلبه اوليايه لاعدايه فاما غلبه اعدايه لاوليايه فليس بنصر وانما
هو ابتلا وقد سبى ظهرا وهو العزيز في تمننه الرحيم لاهل طاعته فوله تعالى
وعد الله لا يخلف الله وعده لان كلامه صدق ولكن اكثر الناس لا يعلمون وهم
الكفار وهم اكثر وقيل المراد مشركوا مكه واضيف وعد الله على المصدر اي وعد
ذلك وعدا ثم بين تعالى مقدار ما يعلمون فقال يعلمون ظاهرا من الحيوه الدنيا
يعني امر معايشهم ودنياهم يتيدعون ومتى يحصدون وكيف يغرسون وكيف
يبنون قاله ابن عباس وعكرمه وقتاده وقال الضحاك وهو بنيان قصورها
وتشقيق نهورها وغرس اشجارها والمعنى واحد وقيل هو تلقيه الشياطين
اليهم من امور الدنيا عنا سنر افتهم السمع من سما الدنيا قاله سعيد بن جبير وقيل
الظاهر الباطل كما قال في موضع احرام بظاهر من القول قلت وقول ابن عباس
اشبه بظاهر الحيوه الدنيا حين لقنها الاكسن بلغ والله من علم احدهم بالدنيا انه ينفد
الدرهم فيحركه وزنه ولا يحسن ان يصلي وقال ابو العباس المبرد قسم كريم
ايامه فقال يصلح يوم الزنج للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو
ويوم الشمس للحوائج قال ابن خالويه ما كانا عرفهم ببياسه دنياهم يعلمون
ظاهرا من الحيوه الدنيا وهم عن الاخره ابعد عن العلم بها والعمل لها هم غافلون قال بعضهم

ومن البليه ان ترى لك صاحبا ... في صوره الرجل السميع المبصر
فطن بكل مصيبه في ماله ... واذا اصيب بماله لم يشعر

قوله تعالى

اولم يتفكروا في انفسهم

قوله في انفسهم ظرف للتفكر وليس بمفعول يعني اليه يتفكروا بحرف جر كانهم لم يؤمروا ان يتفكروا في خلق انفسهم انما امروا ان يستعملوا التفكر في خلق السموات والارض وانفسهم حتى يعلموا ان الله لم يخلق السموات وغيرها الا بالحق قال الزجاج في الكلام حذف اي فتعلموا لان الكلام دليلا عليه الا بالحق قال المراد معناه الا الحق يعني الثواب والعقاب وقيل الا لاقامة الحق وقيل بالحق بالعدل وقيل بالحكمة والمعنى متقارب وقيل بالحق اي انه هو الحق وللحق خلقها وهو الدلالة على توحيده وقدرته واجل مسمى اي للسموات والارض اجل ينتهيان اليه وهو يوم القيمة وفي هذا تنبيه على الفناء وعلى ان لكل مخلوق اجلا وعلى ثواب المحسن وعقاب المسيء وقيل واجل مسمى اي خلق ما خلق الى وقت سماه لذلك يخلق ذلك الشيء فيه وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون ○ اللام للتوكيد والتقدير للكافرين بلقاء ربهم على التقديم والتاخير والمراد بالكافرين المكذبون بالبعث بعد الموت وتقول ان زيدا في الدار جالس ولو قلت ان زيدا لفي الدار لجالس جاز فان قلت ان زيدا جالس لفي الدار لم يجز لان اللام انما يؤتى بها توكيدا للاسم ان وخبرها واذا جئت بها لم يجز ان يأتي بها وكذا ان قلت ان زيدا لجالس لفي الدار لم يجز قوله تعالى اولم يسيروا في الارض فينظروا بابصارهم وقلوبهم كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض اي قلبوها للزراعة لان اهل مكة لم يكونوا اصحاب حرث قال الله تعالى تثير الارض وعمروها اكثر مما عمروها اي وعمر اولئك اكثر مما عمر هؤلاء فلم ينفعهم عمارتهم ولا طول مدتهم وجاءتهم رسلهم بالبينات اي بالمعجزات وقيل بالاحكام فكذبوا ولم يؤمنوا فما كان الله ليظلمهم بان يهلكهم من غير ذنب فلا رسل ولا حجة ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالشرك والعصيان قوله تعالى

ثم كان عاقبة الذين اساوا السوء

اي السوأى فعلى من السوء تانيث الاسوأ وهو الاقبح كما ان الحسنى تانيث

الاحسن وقيل يعني بها جهنم قاله ابن عباس ومعنى اساوا اي اشركوا دليله عليه ان كذبوا بايات الله والسوأى اسم جهنم كما ان الحسنى اسم الجنة ان كذبوا بايات الله اي لان كذبوا قاله الكسائي وقيل بان كذبوا وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو ثم كان عاقبة الذين بالرفع اسم كان وذكرت لان تانيثها غير حقيقي والسوأى خبر كان وابن عامر ثم كان على خبر كان السوأى بالرفع اسم كان ويجوز ان يكون اسمها التكذيب فيكون التقدير ثم كان التكذيب عاقبة الذين اساوا ويكون السوأى صفة لاساوا او صفة لمحذوف اي العذاب السوأى وروي عن الاعمش انه قرا ثم كان عاقبة الذين اساوا السوأى بنصب السوأى قال الخاسر السوأة الشر والسوأى الفعلة منه كذبوا بايات الله قيل بجحدهم والقرآن قاله الكلبي ○ منا تل بالعذاب ان نزل بهم الضحاك بمعجزات محمد صلى الله عليه وسلم وكانوا بها يستهزؤن قوله تعالى

الله يبدأ الخلق ثم يعيده

ثم اليه ترجعون الاية

قرا ابو عمرو وابو بكر ترجعون بالتاء الباقون بالياء ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون وقرا ابو عبد الرحمن السلمي يبلس بفتح اللام والعرف ابلس الرجل اذا سكت وانقطعت حجته ولم يؤمل ان يكون له حجة ولو فتح سينه يجز كما قال العجاج

ياصاح هل تعرف رسما مكرسا قال نعم اعرفه وابلسا

وقد زعم بعض النحويين ان ابليس مشتق من هذا وانه ابلس لانه انقطعت حجته ان الخاسر ولو كان كما قال لوجب ان ينصرف وهو في القرآن غير منصرف وقال الزجاج المبلس الساكت المنقطع في حجته الايس من ان تهتدي لها ولم يكن لهم من شركائهم اي ما عبدوه من دون الله شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين قالوا البسوا بالهة يتزوا منها وبنات سنهم حسبما تقدم في موضع قوله تعالى

ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون

يعني المؤمنين من الكافرين ثم بين كيف تفريقهم فقال فاما الذين امنوا قال النحاس سمعت
الزجاج يقول معنى اما دع ما كان فيه وخذ في غيره ولذا قال سيبويه ان معناها
مهما يكن من شيء فخذ غير ما كان فيه فهم في روضة يحبرون قال الضحاك الروضه
الجنه والرياض الجنان وقال ابو عبيد الروضه ما كان في تسفل فاذا كان
مرتفعا فهو نزعه وقال غيره احسن ما يكون الروضه اذا كانت في موضع مرتفع غليظ كما
قال الاعشى ما روضة من رياض الحزن معشبه خضراء جاد عليها مسبل مطل
تضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بعميم النبت مكتهل
يوما باطيب منها نشر رائحة ولا باحسن منها اذ دنا الاصل
الا انه لا يقال للهار وضه الا اذا كان فيها نبت فان لم يكن فيها نبت وكانت
مرتفعه فهي نزعه وقد قيل في النزعه غير هذا وقال القشيري والروضه عند
العرب ما نبت حول الغدير من البقول ولم يكبر عندهم بحيث احسن منه الجوهري
والجمع روض ورياض صارت الواو ياء لكسره ما قبلها والروض يحوز نصف الغربه
ما في الحوض وضه من الماء اذا غطى اسفله واستند ابو عمرو
وروضه شقيت منها بنصوبي بحبرون قال الضحاك وابن عباس يكرمون
وقيل ينعمون قال المجاهد وقتاده وقيل يسرون ◎ السدي يفرحون ◎ والحبره
عند العرب السرور والفرح ذكره الماوردي وقال الجوهري والحبر العبور وهو
السرور يقال حبره يحبره بالضم حبرا وحبره قال ثعلب فهم في روضه يحبرون
اي يتنعمون ويكرمون ويسرون ورجل محبور مغفول من الحبور النحاس وحكي
الكسائي حبرته اياكرمته ونعمته وسمعت علي بن سليمان يقول هو مشتق
من قولهم على اساي حبره اي اثر فيحبرون يتبين عليهم اثر النعيم والحبر من هذا
مشتق قال الشاعر حبار
لا تملا الدلو وعرق فيها اماتي جاد ومن يسقيها
وقيل اصله من التحبير وهو التحسين فيحبرون يحسنون يقال فلان حسن
الحبر والسير اذا كان جميلا حسن الهيئه ويقال ايضا فلان حسن الحبر والسير بالفتح

وهذا كانه مصدر قولهم حبر تحبيرا اذا حسنه والاول اسم ومنه الحديث يخرج
رجل من امتي يقرء القرآن تحبيرا يعني حسنه وقال يحيى بن ابي كثير في روضه يحبرون قال
السماع في الجنه وقال الاوزاعي قال اذا اخذ اهل الجنه في السماع لم يبق
في الجنه شجره الا حنت في التسبيح بالعنا بالتسبيح والتقديس وقال الاوزاعي ليس احد
من خلق الله احسن صوتا من اسرافيل فاذا اخذ في السماع قطع على اهل سبع
سموات صلاتهم وتسبيحهم زاد غير الاوزاعي ولم تبق شجره في الجنه الا وردت ولم يبق
سترولا باب الا ارتج وانفتح ولم يسق حلقه الا طنت بالوان طنينها ولم يبق احد من
اجام الدر الا وقع هو بالزمخ في مقاصبها فزمرت تلك المقاصب يفتون الزمر ولم يبق جاريه
من حوار الكور العين الا غنت باعلى اصواتها والطير باحسن الحانها ويوحي الله تبارك وتعالى الى الملائكه
ان اخبروهم واسمعوا عبادي الذين تركوا السماع عن مزامير الشيطان فيجابون باصوات
واكان روحانيين فتختلط هذه الاصوات فتصير وجها واحدا ثم يقول الله جل
ذكره يا داود قم عند ساق عرشي فمجدني فيندفع داود بتمجيد ربه بصوت يعجب
الاصوات وتجلها وتتضاعف الله فذلك قوله تعالى فهم في روضه يحبرون
ذكره الترمذي الحكيم وذكر الثعلبي رحمه الله من حديث ابي الدرداء ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يذكر الناس فذكر الجنه وما فيها من الازواج والنعيم
وفي اخر بيان القوم اعرابي فقال يا رسول الله هل في الجنه من سماع فقال نعم يا اعرابي
ان في الجنه لنهرا حافتاه الابكار من كل خصاصانه بتغنين باصوات لم تسمع الخلايق
بمثلها قط فتلك افضل نعيم الجنه فسال رجل ابا الدرداء بماذا يتغنين فقال بالتسبيح
والخصاصانه المرهفه الاعلا الخصاصانه البطن الصخمه الاسفل قلت وهذا
كله من النعيم والسرور والاكرام فلا تعارض بين تلك الاقوال وبين هذا
من قوله الحق فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قره اعين على ما يأتي وقوله
عليه السلام فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
وقد روي ان في الجنه لاشجارا عليها اجراس من فضه فاذا اراد اهل الجنه السماع
بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل
الدنيا لماتوا طربا ذكره الزمخشري

واما الذين كفروا وكذبوا بايانا

تقدم الكلام فيه ولقا الاخره بالبعث فاولئك في العذاب محضرون اي فيموت
وقيل مجموعون وقيل معذبون وقيل باربون وبينه قوله تعالى اذا حضر
احدكم الموت اي نزل به قاله ابن شجره والمعنى متقارب قوله تعالى

فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون

فيه ثلاث مسايل الاول قوله فسبحان الله الاية فيه ثلثه اقوال الاول انه خطاب
للمومنين لامرهم بالعباده والحض على الصلاه في هذه الاوقات قال ابن عباس الصلوات
الخمس في القران فيل له اين فقال قال الله تعالى فسبحان الله حين تمسون صلاه
المغرب والعشا وحين تصبحون صلاه الفجر وعشيا العصر وحين تظهرون الظهر
وقال الضحاك وسعيد بن جبير وعزا ابن عباس ايضا وقتاده ان الايه
مبينه على اربع صلوات المغرب والصبح والعصر والظهر قالوا والعشا الاخره
هي نظيرها خري في ذكر افقات العوده وقال النحاس
اجمعوا اهل التفسير على ان هذه الايه فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون
في الصلوات وسمعت علي بن سليمان يقول حقيقته عندي فسبحوا الله في الصلوات
لان التسبيح يكون في الصلوه وهو العمل الثاني والقول الثالث فسبحوا الله
حين تمسون وحين تصبحون ذكره الماوردي وذكر القول الاول ولفظه فيه فصلوا
لله حين تمسون وحين تصبحون وفي تسميه الصلاه بالتسبيح وجهان احدهما
لما تضمنها لاذكر التسبيح الركوع والسجود الثاني ماخوذ من السبحه والسبحه
الصلوه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم يكون لهم سبحه يوم القيمه اي صلاه
الثاني سبحه وقوله وله الحمد في السموات والارض اعتراض بين الكلام بدوب
الحمد علي نعمه والايه وقيل معنى وله الحمد اي الصلاه لاختصاصها بفراه الحمد
والاول اظهر فان الحمد لله من نوع تعظيم الله تعالى والحظ على عباده ودوام نعمه
فيكون نوعا اخر خلاف الصلوه والله اعلم وبدا بصلاة المغرب لان الليل يتقدم

النهار وفي سوره سبحان بدا بصلاه الظهر اذ هي اول صلاه صلاها جبريل عليه السلم
بالنبي صلى الله عليه وسلم قال الماوردي وخص صلوه الليل باسم التسبيح وصلاه النهار
باسم الحمد لان للانسان في النهار منقلبا في احوال توجب حمد الله عليها وفي الليل
على خلوه تنزه به الله من الاسوا فيها ولذلك صار الحمد بالنهار اخص فسميت به
صلاه النهار والتسبيح بالليل اخص فسميت به صلاه الليل الثالثه قراءكرمه
حينا تمسون وحينا تصبحون فيه محذوف تحقيقا والفعل فيه كالفعل في
واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيا ن وعشيا قال الجوهري العشا والعشيه
من صلاه المغرب الي العتمه يقال اتيته عشيه وعشا امس وتصغير العشا
عشيان غير نكره كانهم صغروا عشيانا والجمع عشيات وقيل في تصغيره عشيشان
وتصغير العشيه عشيشه والجمع عشيشيات والعشا بالمد والكسر مثل العشا
من المغرب والعتمه وزعم قوم ان العشا من زوال الشمس الي طلوع الفجر واشدوا

عدونا عدوه سحر ليل عشا بعدما انتصف النهار

قال الماوردي والفرق بين المسا والعشا ان المسا بدا الظلام بعد المغيب
والعشا اخر النهار عند ميل الشمس للمغيب ٥ وهو ماخوذ من عشا العين وهو
نقص النور من الناظر كنقص نور الشمس قوله تعالى

يخرج الحي من الميت

الايه بين كمال قدرته اي كما احيا الارض باخراج النبات بعد هودها كذلك
يحييكم بالبعث وفي هذا دليل على صحه القياس وقد مضى في ال عمران
بيان تخرج الحي من الميت قوله تعالى

ومن اياته ان خلقكم من تراب

اي من علاماته وبديع بينه ووحدانيته ان خلقكم من تراب اي خلق ابا كم
منه والفرع كالاصل وقد مضى بيان هذا في الانعام وان في موضع رفع
بالابتدا وكذلك ان خلق لكم من انفسكم ازواجا ثم اذا انتم تبشر

تنتشرون ثم انتم عقلا ناطقون تتصرفون فيما هو قوام معايشكم فلم يكن خلقكم
عبثا ومن قدر بشرا تنتشرون ثم انتم عقلا ناطقون تتصرفون فيما هو قوام لكم
على هذا من اهل العلاده والتسبيح ومعنى خلق لكم من انفسكم ازواجا
اي نسا تسكنون اليها من انفسكم اي من نطفة الرجال ومن جنسكم وقيل
المراد حوا خلقها من ضلع ادم قاله قتاده وجعل بينكم موده ورحمه قال ابن عباس
ومجاهد الموده الجماع والرحمه الولد وقاله الحسن وقيل الموده والرحمه عطف
قلوب بعضهم على بعض وقال السدي الموده المحبه والرحمه الشفقه وروي معناه
عن ابن عباس قال الموده حب الرجل امراته والرحمه رحمته اياها ان يصيبها بسو ويقال [illegible]
ان الرجل من الارض وفيه قوة الارض وفيه الفرج الذي منه بدا خلقه فيحتاج
الى سكن وخلقت المراه سكنا للرجل قال الله تعالى ومن اياته ان خلقكم من تراب الايه وقال
ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها فاول ارتفاق الرجل بالمراه
سكونه اليها مما فيه من غليان القوه وذلك ان الفرج اذا تحمل فيه هيج ما الصلب اليه
فاليها يسكن وبها يتخلص من الهياج وللرجال خلق البضع منهن قال الله تعالى
وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم فاعلم الله عز وجل الرجال ان ذلك الموضع
خلق منهن للرجال فعليها بذله في كل وقت يدعوها الزوج فان منعته
فهي ظالمه وفي حرج عظيم ويكفيك من ذلك ما ثبت في صحيح مسلم من حديث ابي
هريره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو
امراته الى فراشه فتابى عليه الا كان الذي في السما ساخطا عليها حتى يرضى عنها
وفي لفظ اخر اذا باتت المراه هاجره زوجها لعنتها الملايكه حتى تصبح ومن اياته
خلق السموات والارض تقدم في البقره وكانوا يعترفون بان الله هو الخالق
السنتكم والوانكم اللسان في الفم وفيه اختلاف اللغات من العربيه والعجميه
والتركيه والروميه واختلاف الالوان في الصور من البياض والسواد والحمره
فلا تكاد ترى احدا الا وانت تفرق بينه وبين الاخر وليس هذه الاشيا من فعل
النطفه ولا من فعل الارض فلا بد من فاعل فعلم ان الفاعل هو الله تعالى فهذا من ادل
دليل على المدبر البارى ان في ذلك لايات للعالمين اي البر والفاجر وقرا حفص

للعالمين بكسر اللام جمع عالم ومن اياته منامكم بالليل والنهار وقيل في هذه
الايه تقديم وتاخير والمعنى ومن اياته منامكم بالليل وابتغاؤكم من فضله بالنهار
فحذف حرف الجر لاتصاله بالليل وعطفه عليه والواو تقوم مقام حرف الجر اذا اتصلت
بالمعطوف عليه في الاسم الظاهر خاصه فجعل النوم بالليل دليلا على الموت والتصرف
بالنهار دليلا على البعث ان في ذلك لايات لقوم يسمعون يريد سماع تدبر وتفهم وقيل
يسمعون الحق فيتبعونه وقيل يسمعون الوعظ فيخافونه وقيل يسمعون القران
فيصدقونه والمعنى متقارب وقيل كان منهم من اذا تلي القران وهو حاضر سد اذنيه
حتى لا يسمع فبين الله عز وجل هذه الدلايل عليه ومن اياته يريكم البرق خوفا وطمعا قيل
المعنى ان يريكم فحذف لدلالة الكلام عليه قال طرفه
الا ايها ذا اللايمي احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدي
قيل هو على التقديم والتاخير اي ويريكم البرق من اياته وقيل من اياته اي ايه يريكم
ايه يريكم بها البرق كما قال الشاعر
وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش اكدح
وقيل اي من اياته ان يريكم البرق خوفا وطمعا من اياته قاله الزجاج فيكون عطف جمله
على جمله اي خوفا اي للمسافر وطمعا للمقيم قاله قتاده وقال الضحاك خوفا
من الصواعق وطمعا في الغيث وقال يحيى بن سلام خوفا من البرد ان يهلك
الزرع وطمعا في المطر ان يحيي الزرع ابن بحر خوفا ان يكون البرق برقا خلبا
لا يمطر وطمعا ان يكون ممطرا وانشد قول الشاعر
لا يكن برقك برقا خلبا ان خير البرق ما الغيث معه
وقال اخر فقد اردت المياه بغير زاد سوى عدي لها برق الغمام
والبرق الخلب الذي لا غيث فيه كانه خادع ومنه قيل لمن يعد ولم ينجز
انما انت كبرق خلب والخلب ايضا السحاب الذي لا مطر فيه ويقال
برق خلب بالاضافه وينزل من السما ما فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك
لايات لقوم يعقلون تقدم ومن اياته ان تقوم السما والارض بامره
ان في محل رفع كما تقدم اي قيامها واستمساكها بقدرته بلا عمد وقيل بتدبيره

وحكمته اني بسكها بغير عمد لمنافع الخلق وقيل بامره باذنه والمعنى واحد ثم اذا دعاكم
دعوه من الارض اذا انتم تخرجون اي فعل هذه الاشيا قادر على ان يبعثكم من
قبوركم والمراد سرعه وجود ذلك من غير توقف ولا لبث كما يجيب الداعي المطاع
سدعوه كما قال القايل

دعوت الكلب فكما دعوت تراس الطود اهوا سرع

يريد براس الطود الصدى او الحجر اذا تذهده وانما عطف هذا على قيام السموات
والارض ثم لاعظم ما يكون من ذلك الامر وا قتداره على فعله وهو ان يقول يا اهل
القبور قوموا فلا يبقى نسمه من الاولين والاخرين الا قامت تنظر كما قال
ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون فلا تبقى نسمه من الاولين والاخرين الا
قامت تنظر كما قال ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وانا الاولى في
قوله تعالى اذا دعاكم للشرط واثر بيه في قوله اذا انتم للفاجاه وهي تنوب
مناب الفا في جواب الشرط واجمع القرا على فتح التا ما في تخرجون واختلفوا
في التي في الاعراف فقرا اهل المدينه ومنها تخرجون بضم التا وقرا اهل العراق
بالفتح والية تميل ابو عبيده والعينان متقاربان الا ان اهل المدينه فرقوا
بينها لسبق الكلام فيسق الكلام في التي في الاعراف بالضم اشبه اذ كان الموت
ليس من فعلهم ولذا الاخراج والفتح في سوره الروم اشبه بسبق الكلام اي اذا دعاكم
خرجتم ايا ما تعتم فالفعل امسه وهذا الخروج انما هو بنفخه اسرافيل النفخه الاخره
على ما تقدم وبيانه وقرئ تخرجون بضم التا وفتحها ذكره الزمخشري لم يوجد على هذا البنا
ولم يذكر ما ذكره من الفرق والله اعلم ان وله من في السموات والارض خلقا وملكا
وعبدا كله قانتون روى عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل
قنوت في القرآن فهو طاعه قال الخاشعون مطيعون طاعه انقياد وقيل
قانتون مقرون بالعبوديه ما قاله واما دلاله قاله عكرمه وابو مالك والسدي
وقال ابن عباس قانتون مصلون الربيع بن انس كل له قانتون اي قايمون
يوم القيمه كما قال يوم يقوم الناس لرب العالمين اي للحساب الحسن دلاله قايمون

بالشهاده وانه عبد له سعيد بن جبير قانتون مخلصون فوقه تعالى

وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده

اما بدء خلقه فيخلقه في الرحم قبل ولادته واما اعادته فاحياؤه بعد الموت
بالفتحه الثانيه للبعث فجعل ما علم من ابتدا خلقه دليلا على ما ينكر من اعادته استدلالا
بالشاهد على الغايب ثم اكد ذلك بقوله وهو اهون عليه وقرا ابن مسعود وابن عمر
يبدئ الخلق من ابدا يبدئ دليله قوله تعالى انه يبدئ الخلق ثم يعيده ودليل قراه العامه
قوله سبحانه كما بدأكم تعودون واهون بمعنى هين اي الاعاده هين عليه قاله
الربيع بن خيثم واهون بمعنى هين لانه ليس شي اهون على الله تعالى من شي قال ابو عبيده
ومن جعل اهون بمعنى تفضيل بنى على شي ففي قوله مردود بقوله تعالى وكان
ذلك على الله يسيرا وبقوله ولا يؤده حفظهما والعرب تحمل الفعل على فاعل ومنه قول
الفرزدق ان الذي سمك السما بنا لنا بيتا دعايمه اعز واطول

اي دعايمه عزيز طويله وقال اخر

لعمرك ما ادري وابي لاجل على ابنا بانى للتيه اول

اراد اي اول وانشد ابو عبيده ايضا

اني لامنح الصدود وانني قسما اليك مع الصدود لاميل

اراد لاميل وانشد احمد بن يحيى

تمنى رجالا ان اموت وان امت فتلك سبيل لست فيها بواحد

اراد بواحد وقال الاخر

لعمرك ان الزبرقان لباذل لمعروفه عند السنين وافضل

اي وافضل ومنه قولهم الله اكبر والمعنى الله الكبير وروي معمر عن قتاده
قال في قراه عبد الله بن مسعود وهو عليه هين وقال مجاهد وعكرمه
والضحاك ان المعنى ان الاعاده اهون عليه اي على الله من البدا به اي ايسر وان
كان جميعه على الله تعالى هينا وقاله ابن عباس ووجهه ان هنا مثل ضربه

الله تعالى لعباده تقول اعاده الشئ على الخلايق اهون من ابتدايه فينبغي ان تكون
البعثه لمن قدر على البدايه عندكم وفيما بينكم اهون عليه من الانشا وقيل الضمير
في عليه للمخلوق اي وهو اهون عليه اي على الخلق يصاح بهم صيحه واحده فيقومون
ويقال لم كونوا فيكونون وذلك اهون عليه من ان يكونوا نطفا ثم علقا ثم مضغا
ثم اجنه ثم اطفالا ثم غلمانا ثم شبانا ثم رجالا اونسا قاله ابن عباس وقطرب
وقيل اهون اسهل قال

وهان علي اسما ان شطت النوى بحز اليها والهوى وينوق

اي سهل عليها وقال الربيع بن خيثم في قوله تعالى وهو اهون عليه قال ما شي
على الله عزيز وقال عكرمه يعجب الكفار من احيا الله الموتى فنزلت
هذه الايه وله المثل الاعلى اي ما اراد جل وعز كان وقال الخليل
المثل الصفه اي وله الوصف الاعلى في السموات والارض كما قال مثل الجنه التي وعد
المتقون اي صفتها وقد معنى الكلام من ذلك وعز جاء ما المثل الاعلى فقول لا اله الا الله
ومعناه اي الذي له الوصف الاعلى اي الارفع الذي هو الوصف بالوحدانيه
ولذا قال قتاده ان المثل الاعلى شهاده ان لا اله الا الله وبعضه قوله تعالى ضرب لكم مثلا من
انفسكم على ما بينه انفا ان شا الله تعالى وقال الزجاج وله المثل الاعلى في
السموات والارض اي قوله وهو اهون عليه فتضرب به لكم مثلا بما يصعب ويسهل
يريد التقسيم الاول وقال ابن عباس اي ليس كمثله شئ وهو العزيز الحكيم تقدم قوله تعالى

ضرب لكم مثلا من انفسكم

فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى من انفسكم ثم قال من شركائكم ثم قال مما ملكت
ايمانكم فمن الاولى للابتدا كانه قال احد مثلا واسرعه من اقرب شئ منكم وهي انفسكم
والثانيه للتبعيض والثالثه زايده بتاكيد الاستفهام والايه نزلت بسبب نفار
قريش كانوا يقولون في تلبيته لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه
وما ملك قاله سعيد بن جبير وقال قتاده هذا مثل ضربه الله للمشركين

والمعنى هل يرضى احدكم ان يكون مملوكه في ماله ونفسه مثله فاذا لم يرضوا هذا لانفسهم
فكيف جعلتم لله شركا الثانيه قال بعض العلما هذا لايه اصل في الشركه
بين المخلوقين لافتقار بعضهم الى بعض ويقرها عز الله سبحانه وذلك انه لما قال جل وعز
ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم الايه فيجب ان يقولوا بلى
عبيدنا شركا وفيما رزقناهم فيقال لهم فكيف ينصور ان تشركوا نفوسكم من
مشاركه عبيدكم وتجعلوا عبدي شركا في خلقي فهذا حكم فاسد وقله نظر
وعما قليل فيذا بطلنا الشركه بين العبيد وساداتهم فيما تملكه السادات والخلق
كلهم عبيد الله تعالى فيبطل ان يكون شيا من العالم شركا به في شئ من نعمه فلم يبق
الا انه واحد يستحيل ان يكون له شريك اذ الشركه لمعنى المقارنه ونحن مفتقرون
الى معاونه من بعضنا بعضا بالمال والعمل والقديم الاول منزه عن ذلك جل وعز
وهذه المساله افضل للطالب من حفظ ديوان كامل في الفقه لان جميع العبادات
لا تصح الا بتصحيح هذه المساله في القلب فافهم ذلك قوله تعالى بل اتبع
الذين ظلموا اهواهم بغير علم لما قامت الحجه عليهم ذكر انهم يعبدون الاصنام لاتباع
اهوايهم في عباداتها وتقليد الاسلاف في ذلك فمن يهدي من اضل الله اي لا
هادي لمن اضله الله تعالى وفي هذا رد على القدريه وعالم من ناصرين فقوله تعالى

فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله

فيه ثلاث مسايل الاولى قال الزجاج فطره منصوب بمعنى اتبع فطره الله
قال الفراء معنى ذلك فطر الله الناس فطره وقيل معنى ذلك اتبعوا دين الله الذي
خلق الناس عليه وعلى هذا القول يكون الوقف على حنيفا تاما وعلى القولين
الاولين يكون متصلا فلا يوقف على حنيفا وسمي الفطره دينا لان الناس
يخلقون له قال جل وعز وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وينبغي ان يكون
معنى لها كقوله تعالى وان اساتم فلها والخطاب يا قيم وجهك للنبي صلى الله
عليه وسلم امره باقامه وجهه للدين المستقيم كما قال فاقم وجهك للدين القيم

وهو دين الاسلام واقامه الوجه هو توقف بهم القصد والقوه علي احد في اعمال
الدين وخص الوجه بالذكر لانه جامع حواس الانسان واشرفه و دخل في هذا الخطاب
امته باتفاق من اهل التاويل وحنيفا معناه معتدلا ما يلا عن جميع الاديان المحرفه
المنسوخه الثابته في الصحيح عن ابي هريره رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما من مولود الا يولد علي الفطره فابواه يهودانه وينصرانه
ويمجسانه كما تنتج البهيمه بهيمه جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول ابو هريره
واقرؤا ان شئتم فطره الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله في روايه حتي
تكونوا انتم تجدعونها قالوا يا رسول الله افرايت من يموت صغيرا قال الله اعلم بما كانوا
عاملين الثالثه واختلف العلماء في معني الفطره المذكوره في الكتاب
والسنه علي اقوال سنعده منها الاسلام قاله ابو هريره وابن شهاب وغيرهما
قالوا وهو المعروف عند عامه السلف من اهل التاويل واحتجوا بالايه وحديث
ابي هريره وعضدوا ذلك بحديث عياض بن حمار المجاشعي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال للناس يوما الا احدثكم بما حدثني الله في كتابه ان الله خلق ادم
وبنيه حنفا مسلمين واطعامهم المال حلالا لا حرام فيه فجعلوا ما اعطاهم الله حلالا
وحراما الحديث وبقوله صلى الله عليه وسلم خمس من الفطره فذكر منها قص الشارب
وهي من سنن الاسلام وعلي هذا التاويل فيكون معني الحديث ان الطفل خلق
سليما من الكفر علي الميثاق الذي اخذه الله علي ذريته ادم حين اخرجهم من صلبه
وانهم اذا ما نوا قبل ان يدركوا في الجنه اولاد المسلمين كانوا اولادا كفارا وقال
اخرون الفطره هي البدايه التي ابتداهم الله عليها اي علي ما فطرهم الله عليه خلقه
من انه ابتداهم للحياه والموت والشقاوه والسعاده والي ما يصيرون اليه عند
البلوغ قالوا والفطره من كلام العرب البدايه والفاطر المبتدي واحتجوا بما روي
عن ابن عباس انه قال لم اكن ادري ما فاطر السموات والارض حتي اتاني
اعرابيان يختصمان في بير فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدانتها قال المروزي
كان احمد بن حنبل ذهب الي هذا القول فتركه قال ابو عمر في كتاب
التمهيد له ما رسمه مالك في موطاه وذكر في ابواب القدر فيه من الاثار يدل علي

ان مذهبه في ذلك نحو قوله هذا والله اعلم احتجوا بما روي عن كعب القرظي
في قوله تعالي فريقا هدي وفريقا حق عليهم الضلاله قال من ابتدا الله خلقه للضلاله
صيره الي الضلاله وان عمل باعمال الهدي ومن ابتدا خلقه علي الهدي صيره الي الهدي
وان عمل باعمال الهدي ومن ابتدا الله خلقه علي الهدي صيره الي الهدي وان عمل باعمال
الضلاله ابتدا الله خلقه علي الهدي صيره الي الهدي وان عمل باعمال الضلاله ابتدا الله خلق
ابليس علي الضلاله وعمل باعمال السعاده مع الملائكه ثم يرده الله تعالي الي ما ابتدا لخلقه
عليه قال وكان من الكافرين قلت فقد مضي قول كعب هذا في الاعراف وحا
سنناه مرفوعا من حديث عايشه رضي الله عنها قالت دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم
الي جنازه غلام من الانصار فقلت يا رسول الله ان هذا لعصفور من عصافير الجنه
لم يعمل السوء ولم يدركه قال وغير هنا يا عايشه ان الله خلق للجنه اهلا خلقهم
وهم في اصلاب ابايهم وخلق للنار اهلا خلقهم لها وهم في اصلاب ابايهم خرجه
ابن ماجه في السنن وخرج ابو عيسي الترمذي عن عبد الله بن عمر قال خرج
علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يديه كتابان فقال اتدرون ما هذان الكتابان
فقلنا لا يا رسول الله الا ان تخبرنا فقال للذي في يده اليمني هذا كتاب من الله رب العالمين
في اسماء اهل الجنه واسماء ابايهم وقبايلهم ثم اجمل علي اخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص
منهم ابدا وذكر الحديث وقال فيه حديث حسن وقال في قوله تعالي الناس
الموتوق اذ لو فطروا والجميع علي الاسلام لما كفر احد وقد ثبت انه خلق افواجا للنار
كما قال ولقد ذرانا لجهنم واخرج الذر به من صلب ادم سودا وبيضا وقال في
الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافرا وروي عن ابي سعيد الخدري
قال صلي بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر بنهاوند وفيه وكان فيما حفظنا ان
قال الا ان بني ادم خلقوا طبقات شتي فمنهم من يولد مومنا ويحيي مومنا ومنهم
من يولد كافرا ويحيي كافرا ويموت كافرا ومنهم من يولد مومنا ويحيي مومنا
ويموت كافرا ومنهم من يولد كافرا ويحيي كافرا ويموت مومنا ومنهم حسن القضا
حسن الطلب ذكر حماد بن زيد قال ثنا علي بن زيد عن ابي نضره عن ابي سعيد

قالوا والعموم يجيء الخصوص كثيرا في لسان العرب الا ترى الى قوله عز وجل تدمر كل شيء ولم تدمر السموات والارض وقوله ففتحنا عليهم ابواب كل شيء ولم يفتح عليهم ابواب الجنة وقال اسحق بن راهويه الحنظلي ثم الكلام عنده قائم وحهل للدين حنيفا ثم قال فطر الله اي فطره الله الخلق فطره اما بينه اولنا ره اليه اشار النبي صلى الله عليه وسلم في قوله كل مولود يولد على الفطرة وهذا قال لا تبديل لخلق الله قال شيخنا ابو العباس ره قال في سابقة السعادة والشقاوة وهذا انما يليق بالفطرة المذكورة في القرآن لان الله تعالى قال لا تبديل لخلق الله واما في الحديث فلا لانه قد اخبر في بقية الحديث انها تبدل وتغير وقالت طايفة من اهل الفقه والنظر الفطرة هي الخلقة التي خلق عليها المولود في المعرفة بربه فكانه قال كل مولود يولد على خلقته يعرف بها ربه اذا بلغ مبلغ المعرفة بربه يريد خلقه مخالفه لخلقة البهايم التي لا تصل بخلقتها الى معرفته واحتجوا على ان الفطرة الخلقة والفاطر الخالق بقول الله عز وجل الحمد لله فاطر السموات والارض يعني خالقهن وبقوله لا تبديل لخلق الله فطر الناس يعني الذي فطرهن يعني الذي خلقهن وبقوله الذي فطرني يعني خلقني قالوا فالفطرة الخلقة والفاطر الخالق وانكروا ان يكون المولود يفطر على كفر او ايمان ومعرفة او انكار قالوا وانما المولود على السلامة في الاغلب خلقه وطبعه وبنيته ليس معها ايمان ولا كفر ولا انكار ولا معرفة ثم يعتقد وقت الكفر والايمان بعد البلوغ اذا ميز واحتجوا بقوله في الحديث كما تنتج البهيمة بهيمة جمعا يعني سالمة هل تجدون فيها من جدعاء يعني مقطوعة الاذن فمثل قلوب بني ادم بالبهايم لانها تولد كاملة الخلق ليس فيها نقصان ثم يقطع اذنها بعد وانوفها فيقال هذه كانت سوايب تقول فكذلك قلوب الاطفال من جبن ولادتهم ليس لهم كفر ولا ايمان ولا معرفة ولا انكار كالبهايم السايبة فلما بلغوا استهوتهم الشياطين فكفر اكثرهم وعصم الله افلهم قالوا ولو كان الاطفال قد فطروا على شيء من الكفر والايمان في اوليه امرهم ما انتقلوا عنه ابدا وقد تجدهم ليموتون ثم يكفرون قالوا ويستحيل في المعقول ان يكون الطفل حين ولادته يعقل كفرا او ايمانا لان الله اخرجهم في حال لا يعقلون معها شيئا قال الله تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا فمن لا يعلم شيئا استحال منه كفر او

ايمان او معرفة او انكار قال ابو عمر بن عبد البر هذا اصح ما قيل في معنى الفطرة الذي تقوله الناس عليها ومن الحجة في هذا ايضا قوله تعالى انا نجزي من ما كنتم تعملون كل نفس بما كسبت رهينة ومن لم يبلغ وقت العمل لم يرتهن بشيء وقال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ولما اجمعوا على دفع القود والقصاص والحدود والاثام عنهم في الدنيا كانت الاخرة اولى بذلك والله اعلم ويستحيل ان تكون الفطرة المذكورة الاسلام كما قال ابن شهاب كان الاسلام والايمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح وهذا معدوم من الطفل لا يحمل ذلك ذو عقل واما قول الاوزاعي فيما تلازمه عن رجل عليه رقبة اجزي عنه الصبي ان يعتقه وهو رضيع قال نعم لانه ولد على الفطرة يعني الاسلام فانما اجزء عتقه عنه من اجازه لان حكمه حكم ابويه وخالفهم اخرون فقالوا لا يجزي في الرقاب الواجبة الا من صام وصلى وليس في قوله تعالى كتب عليكم الصيام دليل على ان الطفل يولد حين يولد مومنا او كافرا لما استهدت له العقول ان في ذلك الوقت ليس من يعقل ايمانا ولا كفرا والحديث الذي جاء فيه ان الناس خلقوا على طبقات ليس من الاحاديث التي لا مطعن فيها لانها تفرد به علي بن زيد بن جدعان وفي كان شعبة يتكلم فيه على انه تحمل قوله يولد مومنا اي يولد ليكون مومنا ويولد ليكون كافرا على سابق علم الله فيه وليس في قوله في الحديث خلقت هولاء للنار ولا اكتراث لما يحتج به لهم لان النار في حين خلقت هو لمن يدخلها من عصاة المومنين او لمن يعقل كفرا او ايمانا فلما اختاره ابو عمر واحتج له ذهب غير واحد من المحققين منهم ابن عطية في تفسير قوله تعالى الفطرة التي فطر الناس عليها قال ابن عطية والذي يعتمد عليه في تفسير هذه اللفظة انها الخلقة والهيئة التي في نفس الطفل التي في معدة ومهياة لان تميز بها مصنوعات الله ويستدل بها على ربه ويعرف شرايعه ويومن به فكانه تعالى قال اقم وجهك للدين الذي هو الحنيف وهو فطرة الله الذي على الاعداد له فطر البشر لكن تغرضهم العوارض ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه فذكر الابوين انما هي مثال للعوارض التي هي كثيرة وقال شيخنا في عبارته ان الله تعالى خلق قلوب

موهله لقبول الحق كما قال اعينهم واسماعهم قابله للربوبيات والمسموعات فادامت
باقيه على ذلك القبول وعلى تلك الاهليه ادركت الحق ودينها الاسلام هو الدين الحق
ويدل على صحه هذا المعنى قوله كما تنتج البهيمه بهيمه جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء
يعني ان البهيمه تلد ولدها كامل الخلقه سليما من الافات فلو ترك على اصل تلك
الخلقه لبقي كاملا بريا من العيوب لكن يتصرف فيه مجدع ويوسم وجهه فتنظر اليه
الافات والنقايص فيخرج عن الاصل وكذلك الانسان وهو شبيه واقع ووجهه واضح
قلت وهذا القول مع القول الاول موافق له في المعنى وان ذلك بعد الادراك حين عقلوا
امر الدنيا وتاكدت حجه الله عليهم بما نصب من الايات الظاهره من خلق السموات والارض والشمس
والقمر والبر والبحر واختلاف الليل والنهار فلما علمنا هو لهم فيه انهم الشياطين فدعتهم
الى اليهوديه والنصرانيه فتهتهت باهوايهم يمينا وشمالا وان هم ما تفاصفا فانهم في
الجنه اعني جميع الاطفال لان الله تعالى لما اخرج ذريه ادم من صلبه في صوره الذر
افرواله بالربوبيه وهو قوله تعالى واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم
واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ثم اعادهم في صلب ادم بعد ان
اقر واله بالربوبيه وان الله لا اله غيره ثم يكون العبد في بطن امه شقيا او سعيدا
على الكتاب الاول فان كان في الكتاب الاول شقيا عمد حتى يجري عليه القلم فينقض الميثاق
الذي اخذ عليه في صلب ادم بالشرك وان كان في الكتاب الاول سعيدا عمد
حتى يجري عليه القلم فيصير سعيدا ومن مات صغيرا من اولاد المشركين قبل ان
يجري عليه القلم فهو مع اباه في الجنه ومن كان من اولاد المشركين فمات قبل ان يجري
عليه القلم فليس يلحقون مع اباهم لانهم ماتوا على الميثاق الاول الذي اخذ عليهم في
صلب ادم ولم ينقض الميثاق ذهب الى هذا جماعه من اهل العلم بالاثار وبالفقه وهو يجمع
بين الاحاديث ويكون معنى قوله عليه السلام لما سئل عن اولاد المشركين
فقال الله اعلم بما كانوا عاملين يعني لو بلغوا ودل على هذا التاويل ايضا حديث
البخاري عن سمره بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم الحديث الطويل حديث الرؤيا
وفيه قوله صلى الله عليه وسلم واما الرجل الطويل الذي في الروضه
فابو ابراهيم عليه السلام واما الولدان حوله فكل مولود يولد على الفطره قال فقيل

يا رسول الله واولاد المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم واولاد المشركين
وهذا نص مرتفع الخلاف وهو اصح شيء روي في هذا الباب وغيره من الاحاديث
فيها علل وليست من احاديث الابيه الفقها قاله ابو عمر بن عبد البر وقد روي من حديث
ابن قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اولاد المشركين فقال الله
اذ كانوا لهم حسنات فيكونوا من سكان الجنه ولم تكن لهم سيات فيعاقبوا عليها فيكونوا
من اهل النار فهم خدم لاهل الجنه ذكره يحيى بن سلام في التفسير له وقد ذكرنا هذه
المساله بيانا في كتاب التذكره وذكرنا في كتاب المقتبس في شرح موطا مالك بن
انس ما ذكره ابو عمر بن عبد البر من ذلك والحمد لله وذكر اسحق بن راهويه
قال يحيى بن ادم قال اخبرني بن حازم عن ابي رجا العطاردي قال سمعت ابن
عباس يقول لا يزال امر هذه الامه مواتيا او مقاربا او كلمه تشبه هذا بين
حتى يتكلموا او يخوضوا في الاطفال والقدر قال يحيى بن ادم فذكرته لابن المبارك فذكره
لابن المبارك فقال ابسكت الانسان على الجهل قلت فتامرنا بالكلام قال فسكت
وقال ابو بكر الوراق فطر الله التي فطر الناس عليها هي الفقر والقانه
وهذا حسن فانه منذ ولد الى حين يموت فقير محتاج نعم وفي الاخره قوله تعالى

لا تبديل لخلق الله

اي هذه الفطره لا تبديل لها من جهه الخالق ولا يجري الامر على خلاف هذا الوجه
اي لا يشقي من خلقه سعيدا ولا يسعد من خلقه شقيا وقال مجاهد المعنى لا تبديل
لدين الله وقاله قتاده وابن جبير والضحاك وابن زيد والنخعي قالوا هذا معناه
في المعتقدات وقال عكرمه وروي عن ابن عباس وعمر بن الخطاب ان المعنى
لا تغيير لخلق الله من البهائم ان تخصى فحولها فيكون المعنى النهي عن خصاء الفحول
من البهائم وقد مضى هذا في النساء ذلك الدين القيم اي دين الاسلام هو الدين
القيم المستقيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي لا يتفكرون فيعلموا بان لهم خالقا
معبودا والهاقديما سبق قضاؤه ونفذ حكمه قوله تعالى

منيبين اليه

احلف في معناه فقيل راجعين اليه بالتوبه والاخلاص وقال يحيي
ابن سلام والفرا مقبلين اليه قال عبد الرحمن بن زيد مطيعين له وقيل تائبين
اليه ومنه قول قيس بن الاسلت

فان تابوا فان بني سليم وقومهم هوازن فدانوا

والمعنى واحد فان تاب وتاب وثاب واب معناه الرجوع وقال الماوردي
وفي اصل الانابه قولان احدهما ان اصله القطع ومنه اخذ اسم الناب لانه
قاطع فكان الانابه في الانقطاع الى الله عز وجل بالطاعه اتت من اصله الرجوع من
تاب يتوب اذا رجع مره بعد اخري ومنه التوبه لانها الرجوع الى عباده الجوهري
واناب الى الله اقبل وناب بالتوبه واحده التوب يقول جانك توبتك ونبانك
وهم بيننا وبون التوبه فيما بينهم في المآ وعيزه وانتصب على الحال قال محمد بن يزيد
لان معني فاقم وجهك اي اقيموا وجوهكم منيبين وقال الفرا المعني المعني
فاقم وجهك ومن معك منيبين وقيل انتصب على القطع اي فاقم وجهك
انت وامتك المنيبين اليه لان للامر له امر لامته فحسن ان يقول منيبين اليه
وقد قال تعالي يا ايها النبي اذا طلقتم النسا وانفوه اي خافوه وامتثلوا ما امركم
واقيموا الصلوه ولا تكونوا من المشركين وقد مضي هذا مبينا في النسا والكهف
وغيرهما ان من الذين فرقوا دينهم تاوله ابو هريره وعايشه وابو امامه انه
لاهل القبله من اهل الاهوآ والبدع وقد مضي في الانعام بيانه وقال الربيع
ابن انس الذين فرقوا دينهم اهل الكتاب من اليهود والنصاري وقاله قتاده
ومحمد وفراحمزه والكسايي فارقوا دينهم وقد قرا بذلك علي بن ابي طالب
رضي الله عنه اي فارقوا دينهم الذي يجب اتباعه وهو التوحيد وكانوا شيعا
اي فرقا قاله الكلبي وقيل اديانا قاله مقاتل كل حزب بما لديهم فرحون
اي مسرورون معجبون لانهم يتبعوا الحق وعليهم ان يتبعوه وقيل كان
هذا قبل ان تنزل الفرايض وقول ثالث ان العاصي يسمي فرحا
بمعصيته وكذلك الشياطين وقطاع الطريق والله اعلم وزعم الفرا انه

يكون التمام ولا تكونوا من المشركين ويكون المعني من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا
على الاستيناف وانه يجوز ان يكون منصلا بما قبله ن الخاسرين اذا كان مفصلا مما
قبله وهو عندي الضرب من علي البدل باعاده الحرف كما قال جل وعز وقال الذين استكبروا
للذين استضعفوا لمن امن منهم ولو كان بلا حرف لكان قوله تعالى

واذا مس الناس ضرا

اي لخطوه شدده دعوا ربهم ان يرفع ذلك عنهم منيبين اليه قال ابن عباس مقبلين
عليه بكل قلوبهم لا يشركون ومعني هذا الكلام التعجب عجب نبيه من المشركين
في تلك الانابه الى الله تعالى مع تتابع الحجج عليهم اي اذا مس هولا الكفار ضر من مرض
وشده دعوا ربهم اي استغاثوا به في كشف ما نزل بهم مقبلين عليه وحده دون
الاصنام لعلمهم بانه لا يرفع عنهم اذا فهم منه رحمه اي عافيه ونعمه اذا فريق منهم
بربهم مشركون اي يشركون به في العباده قوله تعالى

ليكفروا بما اتيناهم

قيل في لام كي وقيل في لام امر فيه معني التهديد كما قال جل وعز فمن شا فليومن
ومن شا فليكفر فتمتعوا فسوف تعلمون تهديد ووعيد وفي مصحف عبد الله وليتمتعوا
اي كفاهم من ذلك لكي يتمتعوا فهو اخبار عن غايب فمثل ليكفروا وهو علي خط المصحف
خطاب بعد الاخبار عن الغايبين اي ليتمتعوا ايها الفاعلون لهذا قوله تعالى
ام انزلنا عليهم سلطانا استفهام فيه معني التوقيف قال الضحاك سلطان
اي كتاب وقال قتاده والربيع بن انس واضاف الكلام الى الكتاب توسع وزعم
الفرا ان العرب تونث السلطان تقول قضت به عليك السلطان وامالبصريون
فالتذكير عندهم افصح وبه جا القران والتانيث عندهم جايز لانه بمعني الحجه
اي حجه تنطق لبزكم قاله ابن عباس والضحاك ايضا قال علي بن سليمان
سمعت ابا العباس محمد بن يزيد قال سلطان جمع سليط مثل رغيف ورغفان

فتذكره على معنى الجمع وبوبته على معنى الجماعة وقد مضى في آل عمران الكلام في السلطان ايضا مستوفى والسلطان ما يدفع به الانسان عن نفسه امرا يستوجب به عقوبة وكما قال لا ذنحنه او ليأتيني بسلطان مبين قوله تعالى

واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها الآية

يعني الخصب والسعة والعافية قاله يحيى بن سلام الفاشي النعمة والبطر الاشر والدعة والمعنى متقارب وفرحوا بها اي بالرحمة وان تصبهم سيئة اي بلاء وعقوبة قاله مجاهد السدي فحظ المطر بما قدمت ايديهم اي بما عملوا من المعاصي اذا هم يقنطون اي ييأسون من الرحمة والفرج قاله الحسن وقال الحسن ان القنوط ترك الرضا بقضاء الله سبحانه وفي القرآن قنط يقنط بالكسر فيهما وهي قراءة ابي عمرو والكسائي ويعقوب وقرأ الاعمش قنط يقنط بالكسر فيها مثل حسب يحسب والآية صفة للكافر يقنط عند الشدة ويبطر عند النعمة كما قيل

كما الانسان اعلقته رماح الناس ان جاع لهف
وكيف من لم يرسخ الايمان في قلبه لهذه المشابهة وقد مضى في هذا موضح فاما المؤمن فيشكر به عند النعمة ويرجوه عند الشدائد قوله تعالى

اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر

اي يوسع ويزيد في الدنيا لمن يشاء ويضيق فلا يجوز ان يدعى ظهر الغيب الى القنوط ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون قوله تعالى

فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل الآية

فيه ثلاث مسائل الاولى لما تقدم انه سبحانه يبسط الرزق

ويقتدر امر من وسع عليه الرزق ان يصل الى الفقير كفايته ليمتحن شكر الغني الخطاب للنبي عليه السلام والمراد هو وامته فانه قال ذلك خير للذين وامر بايتاء ذا القربى لقرب رحمه فجزا الصدقة ما كان عليها لقريب وفيها صلة الرحم فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة على الاقارب على عتق الرقاب وقال لميمونة وقد عتقت وليدة اما انك لو اعطيتها اخوالك كان اعظم لاجرك الثانية واختلفوا في هذه الآية فقيل هي مستوعبة بآية المواريث وقيل لا نسخ بل للقريب حق لازم في الرزق على كل حال وهو الصحيح قال مجاهد وقتادة صلة الرحم فرض من الله عز وجل حتى قال مجاهد لا تقبل صدقة من احد وجهه محتاج وقيل القربى قربى النبي صلى الله عليه وسلم والاول اصح فان حقهم مبين في كتاب الله جل وعز في قوله فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى وقيل ان الامر بالايتاء لذي القربى على جهة الندب قال الحسن حقه المواساة في اليسير وقيل ميسور في العسر والمسكين قال ابن عباس اي اطعم السائل الطواف وابن السبيل الضيف فجعل الضيافة فرضا وقد مضى جميع هذا مبسوطا مبينا في مواضعه والحمد لله

الثالثة ذلك خير للذين يريدون وجه الله اي اعطاء الحق افضل من الامساك اذا اريد بذلك وجه الله والتقرب اليه واولئك هم المفلحون اي الفائزون بمطلوبهم من الثواب في الآخرة وقد تقدم في البقرة الفلاح قوله تعالى

وما آتيتم من ربا ليربو في اموال الناس فلا يربو عند الله

فيه اربع مسائل الاولى لما ذكرنا ما يراد به وجه ربت عليه غير ذلك من الصفة وما يراد به ايضا وجهه وقرأ الجمهور آتيتم بالمد بمعنى اعطيتم وقرأ ابن كثير ومجاهد وحميد بغير مد بمعنى ما فعلتم كما تقول اتيت صوابا واتيت خطأ واجمعوا على المد في قوله وما آتيتم من زكاة والربا الزيادة وقد مضى في البقرة معناه وهو منكر محرم وهنا حلال وتبين هذا انه فيهات منطلق وسنة حرام قال عكرمة في قوله تعالى وما آتيتم من ربا ليربو في اموال الناس

قال الربا ربان فربا حلال وربا حرام اما الربا الحلال فهو الذي يهدي بالتمس ما هو افضل منه
منه وعن الضحاك في هذه الاية هو الربا الحلال الذي يهدي ليثاب ما هو افضل منه
ولا عليه ليس له فيه اجر وليس عليه فيه اثم كذلك قال ابن عباس قال وما اتيتم من ربا
يريد هديه الرجل التي يرجو ان يقال فضل منه تلك الذي لا يربو عند الله ولا يرجو
صاحبه ولكن لا اثم عليه وفي هذا المعنى نزلت الاية قال ابن عباس وابن جبير وطاوس
ومجاهد هذه الاية في هبة الثواب قال ابن عطية وما جرى مجراها مما يصنعه الانسان
ليجازى عليه كالسلام وغيره تهنوان كان لا اثم فيه فلا اجر فيه ولا زيادة عند الله
تعالى وقاله القاضي ابو بكر بن العربي وفي كتاب النسائي عن عبد الرحمن بن علقمة
قال قدم وفد ثقيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم هديه وصدقة فان كانت
هديه فانما ابتغي بها وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقضا الحاجه وان كانت
صدقة فانما ابتغي بها وجه الله تعالى فقالوا الا هديه قبلها منهم وقعد منهم وقعد منهم يسالهم
ويسالونه وقال ابن عباس ايضا وابرهيم النخعي نزلت في قوم يعطون قرابتهم
واخوانهم على معنى نعمهم وتوليهم والتفضل عليهم وان يرداني اموالهم على وجه النفع
قال الشعبي معنى الاية ان ما خدم الانسان به احدا وخف به لينتفع به في دنياه
فان ذلك النفع الذي يجزى به الخدمة لا يربو عند الله وقيل هذا كان محرما
على النبي صلى الله عليه وسلم على الخصوص قال الله ولا تمنن تستكثر وهي ان يعطي شيئا ياخذ
اكثر منه عوضا وقيل اية الربا المحرم فيحرم لا يربو عند الله على هذا القول لا يكلم به
لاخذه بل هو مأخوذ منه قال السدي نزلت هذه الاية في باثقيف فانهم كانوا
يعاملون بالربا ويجعله فيهم قريش الخامسة قال القاضي ابو بكر بن العربي ينتج الاية فيمن
يهب يطلب الزيادة من اموال الناس فالمكافاة قال المهلب اختلف العلماء فيمن وهب
هبة يطلب ثوابها وقال انما اردت الثواب فقال مالك ينظر فيه فان كان مثله ممن
يطلب الثواب من الموهوب له فله ذلك مثل هبة الفقير للغني وهبة الخادم لصاحبه
وهبة الرجل لامير ومن فوقه وهو احد قولي الشافعي وقال ابو حنيفة لا يكون له
ثواب اذا لم يشترط وهو قول الشافعي الاخر قال والهبة للثواب
باطل لا ينعقد لانها بيع بثمن مجهول واحتج الكوفي بان موضع الهبة

يبتغي ولو اوجبنا فيه العوض لبطل معنى التبرع وصارت في معنى المعاوضات
والعرب قد فرقت بين لفظ البيع ولفظ الهبة فجعلت لفظ البيع على ما يستحق فيه
العوض والهبة بخلاف ذلك ودليلنا ما رواه مالك في موطاه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
انه قال ايما رجل وهب هبة يرى انها للثواب فهو على هبته حتى يرضى منها ونحوه عن علي
رضي الله عنه قال المواهب ثلاثة مواهب يراد بها وجه الله وموهبة يراد بها وجه
الناس ومواهب يراد بها الثواب فموهبة الثواب يرجع فيها صاحبها اذا لم يثب منها
وترجم البخاري رحمه الله بابا بالكافاة في الهبة وساق حديث عائشة قالت كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها واثاب على لقحة ولم ينكر على
صاحبها حين طلب الثواب وانما انكر سخطه للثواب وكان زايدا على البينة خرجه
الترمذي السادسة ما ذكره علي رضي الله عنه وفضله من الهبة صحيح وذلك
ان الواهب لا يخلو في هبته من ثلاثة احوال احدها ان يريد بها وجه الله تعالى
ويبتغي عليها الثواب منه والثاني ان يريد بها وجه الناس رياء ليحمدوه
ويثنوا عليه من اجلها والثالث ان يريد بها الثواب من الموهوب له وقد مضى الكلام
فيه وقال صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات وانما لكل امرء ما نوى فاما
اذا اراد هبته وجه الله تعالى وابتغى عليه الثواب من عنده فله ذلك عند الله بفضله
ورحمته قال الله عز وجل وما اتيتم من زكوة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون
كذلك من بخيل فرائضه ليكون غنيا حين لا يكون كذلك فالنية في ذلك متوعة فان
كان ليتظاهر بذلك دينا فليس لوجه الله وان كان ماله عليه من حق القرابة
وبينها سجية الرحم فانه لوجه الله واما من اراد هبته وجه الناس رياء ليحمدوه
عليها ويثنوا عليه من اجلها فلا منفعة له في هبته لثواب في الدنيا ولا اجر في
الاخرى قال الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى
كالذي ينفق ماله رياء الناس واما من اراد هبته الثواب من الموهوب
له فله ما اراد هبته وله ان يرجع فيها ما لم يثب بقيمتها على مذهب ابن القاسم
او ما لم يرض منها بالزيد من قيمتها على ظاهر قول عمر وعلي وهو قول مطرف في الواضحة

ان الهبه ما كانت فايه العيز وان زادت ونقصت فلغرامها رجوع بها واما ثابه
الموهوب بها اكثر منها وقد قيل انها اذا كانت فايه العيز لم تتغير فانه ياخذ ماشا
وقيل يلزمه اليقيه كنكاح المقومين واما اذا كان بعد فوت الهبه
فليس له الا اليقيه اتفاقا فاقاله ابن العربي السابعه قوله تعالي ليربوا قرا جمهور القرا
السبعه ليربوا بالياء واسناد الفعل الي الربا وقرا نافع وحده بضم الياء ساكنه علي الخطاب
بمعني تكونوا ذوي زيادات وهذه قراءه ابن عباس والحسن وقتاده والشعبي
قال ابو حاتم هي قراءتنا وقرا ابو مالك ليربوها بضم الموحده فلا يربوا عند الله
اي لا يزكوا ولا يثيب عليه لانه لا يقبل الا ما اريد به وجهه وكان خالصا له وقد
تقدم وما اتيتم من زكاه قال ابن عباس اي من صدقه تريدون وجه الله
فاولئك هم المضعفون اي ذلك الذي يفعله ويضاعفه له عشر اضعافه
او اكثر كما قال من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا
كثيره وقال ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا
من انفسهم كمثل جنه بربوه وقال فاولئك هم المضعفون ولم يقل فاتم المضعفون
لانه رجع من المخاطبه الي الغيبه مثل قوله حتي اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وفي معني
المضعفون قولان احدهما يضاعف لهم الحسنات كما ذكرنا والاخر انهم قد اضعف
لهم الخير والنعيم اي هم اصحاب اضعاف يقال فلان مضعف اذا كانت ناقته قويه
اوله اصحاب اقويا ومسمن اذا كانت له ابل سمان ومعطش اذا كانت ابله عطاشا
ومضعف اذا كانت ابله ضعيفه ومنه قول النبي صلي الله عليه وسلم اللهم
اني اعوذ بك من الخبيث المخبث الشيطان الرجيم المخبث الذي اصيب به جسمه
ويقال فلان مذبي اي هو ذبي نفسه وذبي اصحابه اذا يفعل

الله الذي خلقكم

ابتدا وخبره وهذا الكلام الي الاحتجاج علي المشركين وانه الخالق الرازق المميت
المحيي ثم قال علي جهه الاستفهام هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء

لا يفعل ثم نزه نفسه عن الاندادوا الاضداد والصاحبه والاولاد بقوله سبحانه
سبحانه وتعالي عما يشركون واضاف الشركا اليهم لانهم كانوا يسمونهم بالهه فالشركا
يجعلون لهم من اموالهم فقوله تعالي

ظهر الفساد في البر والبحر

اختلف الناس في معني الفساد والبر والبحر فقال قتاده والسدي الفساد الشرك
وهو اعظم الفساد وقال ابن عباس وعكرمه ومجاهد فساد البر قتل ابن ادم قابيل
اخاه هابيل والفساد في البحر الملك الذي كان ياخذ كل سفينه غصبا وقيل
الفساد القحط وقله النبات وذهاب البركه ونحوه قال ابن عباس هو نقصان
البركه باعمال العباد لكي يتوبوا قال النحاس وهو احسن ما قيل فيه والايه وعنه ايضا
ان الفساد في البر انقطاع صيبه بذنوب بني ادم وقال عطيه اذا قل الغوص
قل الغوص عنده واحتقر الصيادون وعميت دواب البحر فاوقع فيها من السما
قوله لوط وقيل الفساد كساد الاسعار وقله المعاش وقيل الفساد
المعاصي وقطع السبيل والظلم اي صار هنا الفعل ما تعاسر النوع والعمارات
والتجارات والمعني كله متقارب والبر والبر هنا المعروفان المشهوران في الفقه
لا ما قاله بعض العباد ان البر اللسان والبحر القلب لظهور ما علي اللسان وخفا
ما في القلب وقيل البر البقيا في والبحر الغربي قاله عكرمه والعرب تسمي الامصار
البحار قال قتاده البر اهل العمود والبر اهل الغربي والديف وقال ابن
عباس البر ما كان من المدن والقري علي غير نهر والبحر ما كان علي شط نهر وقاله
مجاهد قال اما والله ما هو بحركم هذا ولكن كل قريه علي ماء فهو بحر
وقال معناه النحاس قال في معناه قولان احدهما ظهر الجدب في البر اي
في البوادي وقراها وفي البحر في مدن البحر مثل واسل القريبه اي ظهر قله العيش
وغلا الاسعار بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم عذاب بعض الذي عملوا
ثم حذف والقول الاخر ظهرت المعاصي من قطع السبيل والظلم
فسماه فسادا علي الكفته والاول مختار لانه علي الجواب قال ابن فيلون في

الكلام حذف واختصار دل عليه ما بعده ويكون المعنى لظهرت المعاصي في البر والبحر
بحبس الله عنها الغيث واغلاسهم ليذيقهم عذاب بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون
لعلهم يتوبون وقال بعض الذي عملوا لان معظم الجزاء الاخرة والقراءة بالتاء
بالياء وقرأ ابن عباس بالنون وهي قراءة السلمي وابن محيصن وقنبل ويعقوب
على التعظيم اي عقوبة بعض ما عملوا قوله تعالى قل سيروا في الارض
اي قل لهم يا محمد سيروا في الارض ليعتبروا ابن قبلهم وينظروا كيف كان عاقبة مكذب
الرسل كانت اكثرهم مشركين اي كافرين فاهلكوا قوله تعالى

فاقم وجهك للدين القيم

قال الزجاج اي اقم قصدك واجعل جهتك اتباع الدين القيم يعني الاسلام
وقيل المعنى اي اوضح الحق وبالغ في الانذار واشتغل بما انت فيه ولا تحزن عليهم
من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله عنهم فان الله يرده لم يهيئها لاحد دفعه ويجوز عند
غير سيبويه لا مرد له من الله اي لا يرده الله عنهم وذلك عند سيبويه بعيد الا ان يجوز
في الكلام عطف والمراد بوم القيمة يومئذ يصدعون قال ابن عباس
معناه يتفرقون قال الشاعر

وكأنك ما بي جذيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل ان لن يصدعا

اي لن يتفرقا نظير قوله يومئذ يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير
والاصل يتصدعون يقال تصدع القوم اذا تفرقوا ومنه اشتق الصداع لانه
تتفرق شعبة الراس قوله تعالى من كفر فعليه كفره اي جزاء كفره ومن عمل صالحا
فلانفسهم يمهدون اي يوطئون لانفسهم في الاخرة فراشا وسكنا وقرارا بالعمل
الصالح ومنه مهد الصبي والمهاد الفراش وقد مهدت الفراش تمهيدا فتمهد
ووطانته وتمهيد الامور تسويتها واصلاحها وتمهيد العذر بسطه وقبوله
والتمهيد التمكين وروى ابن ابن نجيح عن مجاهد فلانفسهم يمهدون قال
في القبر قوله تعالى ليجزي الذين امنوا اي يمهدون لانفسهم ليجزيهم الله من

فضله وقيل يصدقون ليجزيهم الله اي ليميز الكافر من المسلم انه لا يحب الكافرين
قوله تعالى ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات اي ومن اعلام كمال قدرته
ارسال الرياح مبشرات اي بالمطر لانها تتقدمه وقد يجيء في الخير بانه وليذيقكم
من رحمته يعني الغيث والخصب ولتجري الفلك في البحر عند هبوبها وانما زاد
بامره لان الريح قد تهب ولا تكون موافقة فلا بد من ارسال السفن والاختيال
بحبسها ورخاء عصفت فاعرفها بامره ولتبتغوا من فضله يعني الرزق بالتجارة
ولعلكم تشكرون هذه النعم بالتوحيد والطاعة وقد مضى هذا كله مبينا قوله تعالى

ولقد ارسلنا من قبلك رسلا

الى قومهم فجاءوهم بالبينات

اي بالمعجزات والحجج البينات فانتقمنا اي فكفروا فانتقمنا منهم وكان حقا
علينا نصر المؤمنين حق جزكان ونصرا اسمها وكان ابو بكر يقف على حقا ثم قال
علينا نصر المؤمنين ابتداء وخبرا اي اخبرنا به ولا يقف في خبرنا وقد روي من حديث
ابي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من مسلم يذب عن عرض
اخيه الا كان حقا على الله تعالى ان يرد عنه نار جهنم يوم القيمة ثم تلى وكان حقا
علينا نصر المؤمنين ذكره الثعلبي والزمخشري وغيرهم قوله تعالى

الله الذي يرسل الرياح

فتثير سحابا ابن كثير وحمزة والكسائي النون بالتوحيد والباقون بالجمع قال ابو عمرو
وكلما كان بمعنى الرحمة فهو جمع وما كان بمعنى العذاب فهو موحد وقد مضى في البقرة
معنى هذه الآية وفي غيرها وكسفا جمع كسفة وهي القطعة وفي قراءة الحسن والاعمش
وعبد الرحمن الاعرج وابن عامر كسفا باسكان السين وهي ايضا جمع كسفة
كما يقال سدرة وسدر وعلى هذه القراءة يكون المضمر الذي بعده عائدا عليه
فترى الودق اي المطر يخرج من خلال الكسف لان كل جمع بينه وبين واحده
الهاء يجوز فيه التذكير والتأنيث فالمضمر عنده عائد على السحاب

العجب الذي لا عجب كقراءة
العامة السيئ الا محمد وابن كثير
اذا هم يقنطون وحمزة والكسائي
وابو بكر عن عاصم وابن عامر
وابو جعفر وشيبة ونافع

وفي قراءه الضحاك وابي العاليه وابن عباس فنريا الودق يخرج من خلاله وتجوز ان
خلل جمع خلال فاذا اصاب به اي بالمطر من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون يفرحون
بنزول المطر عليهم وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين اي يائسين
مكتئبين فتنظم الحزن عليهم وذلك لاحتباس المطر عنهم ومن قبله تكرير عند الاحقش
سمناه التاكيد واكثر النحويين على هذا القول قاله النحاس وقال قطرب
ان قبل الاولى للانزال والثانيه للمطر اي وان كانوا من قبل التنزيل من قبل
المطر وقيل المعنى من قبل تنزيل الغيث عليهم من قبل الزرع ودل على الزرع
المطر اذ بسببه يكون ودل عليه ايضا فراه مصفرا على ما ياتي وقيل المعنى
من قبل السحاب من قبل رويته واختار هذا القول النحاس اي من قبل رويه السحاب
لمبلسين اي ليائسين وقد تقدم ذكر السحاب قوله تعالى

فانظر الى اثر رحمه الله

بعتد
بعني المطر اي انظر وانظر استبصار واستدلال اي استدلوا بذلك على ان من
عليه قادر على احياء الموتى وقرا ابن عامر وحفص وحمزه والكسائي اثار بالجمع
الباقون بالتوحيد لانه مضاف الى مفرد والاثر فاعل يحيى ويجوز ان يكون
الفاعل اسم الله عز وجل ومن قرا اثار بالجمع فلان رحمه الله يجوز ان يراد بها الكثره
كما قال وان تعدوا نعمه الله لا تحصوها وقرا المجهور الحدري وابو حيوه وغيرهما
كيف يحيى الارض بتاء ذهب بالتانيث الى لفظ الرحمه لان اثار الرحمه يقوم مقامها
فكانه هو الرحمه كيف يحيى الرحمه الارض او الاثار فيجيء ايضا على الله عز وجل او المطر او الاثر
فيمن قرا بالياء وكيف يحيى الارض في موضع نصب على الحال على الحمل على المعنى لان اللفظ
الاستفهام ولكن اخبر او التفسير فانظر الى اثر رحمه الله محييه للارض بعد موتها
ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير استدلال باثار هذه العالم على الغائب قوله تعالى

ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا

بعني البرج يجوز تذكيره وقال محمد بن يزيد لا يمتنع تذكير كل مونث غير حقيقي
العجيني الدار وشهد وقيل فراوا السحاب وقال ابن عباس الزرع وهو الاثر
والمعنى فراوا الاثر مصفرا والاصفرار للزرع بعد اخضراره بدل على يبسه وكذا
السحاب بدل على انه لا يمطر والزرع على انه لا ينفع لطلوا من بعده يكفرون اي يطلن
وحسن وقوع الماضي موضع المستقبل لما في الكلام من معنى المجازاه والمجازاه
لا تكون الا في المستقبل قاله الخليل وغيره قوله تعالى فانك لا تسمع الموتى
اي وصحت الحجج بما معهم لكن لا فهم تقليد الاسلاف في الكفر ما تثبت عقولهم وعلمت
اصرارهم فلا تتهيا لك اسماعهم وهدايتهم وهذا رد على القدريه ان تسمع الا من
يومن بايانتا اي لا تسمع سوا عبد الله الا الموفين الذين يصغون الى ادله التوحيد
خلقت لهم الهدايه وقد مضى في النمل ووقع قوله هنا بغير با قوله تعالى

الله الذي خلقكم من ضعف

ذكر استدلالا اخر على قدرته في نفس الانسان لبعتبر وهي من ضعف من نطفه
ضعيفه وقيل من ضعف اي في حال ضعف وهو ما كانوا عليه في الابتدا من
الطفوليه والصغر ثم جعل من بعد قوه صغا بعني المرم وقرا عاصم وحمزه
بفتح الضاد فيهن الباقون بالضم لغتان والضم لغه النبي صلى الله عليه وسلم وقرا
الحدري من ضعف بالفتح فيهما ضعفا بالضم خاصه اراد ان يجمع بين المعنيين
قال الفرا الضم لغه قريش والفتح لغه تميم الجوهري الضعف والضعف خلاف
القوه وقيل الضعف بالفتح في الراي وبالضم في الجسد ومنه الحديث
في الرجل الذي كان يخدع في البيع انه سيتاع وفي عقدته ضعف وشيه مصدر
كالشيب والمصدر يصلح للجمله وكذلك القول في الضعف والقوه يخلق ما يشا
بعني من قوه وضعف وهو العليم بتدبيره القدير على ارادته واجاز
النحويون الكوفيون من ضعف بفتح العين وكذا كما كان فيحرف من
حروف الحلق ثابتا او ثالثا والله الموفق للصواب قوله تعالى

ويوم تقوم الساعه يقسم المجرمون

ان حلف المشركون غير ساعه ليس في هذا رد لعذاب القبر اذ ان قد صح
عن النبي صلي الله عليه وسلم من غير طريق انه تعوذ منه فمن ذلك ما رواه
عبد الله بن مسعود قال سمع النبي صلي الله عليه وسلم ام حبيبه وهي تقول
اللهم امتعني بزوجي رسول الله وبابي ابي سفيان وباخي معاويه فقال
لها النبي صلي الله عليه وسلم لقد سالتي لآجال مضروبه وارزاق مقسومه
ولكن سليه ان يعيذك من عذاب جهنم او من عذاب القبر في احاديث
مشهوره اخرجها البخاري ومسلم وغيرهما وقد ذكرنا منها جمله في كتاب
التذكره وفي معني ما لبثوا غير ساعه قولان احدهما انه لا حد
من حمده فيل يوم القيمه فعلي هذا قالوا ما لبثنا غير ساعه والقول
الاخر انهم يعيشون في الدنيا لزوالها وانقطاعها كما قال كانهم يوم
لم يلبثوا الا عشيه او ضحاها كان لم يلبثوا الا ساعه من نهار وان كانوا
قد اقسموا علي غيب وعلي غير ما يدرون قال الله تعالي لذلك
كانوا يوفكون اي كانوا يكذبون في الدنيا يقال افك الرجل اذا صرف
عن الصدق والخير وارض مأفوكه ممنوعه من المطر وقد زعم جماعه
من اهل النظر ان القيمه لا يجوز ان يكون فيها كذب لما هم فيه والقرآن
يدل علي غير ذلك قال الله عز وجل كذلك كانوا يوفكون اي كما صرفوا عن
الحق في القيمه صرفوا عنه في الدنيا وقال جل وعز يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون
لكم ويحسبون انهم علي شيء الا انهم هم الكاذبون وقال ثم لم تكن فتنتهم
الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا قوله
عز وجل وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الي يوم
البعث اختلف في الذين اوتوا العلم فقيل الملائكه وقيل الانبياء وقيل
علماء الامم وقيل مومنو هذه الامه وقيل جميع المومنين اي يقول
المومنون للكفار ردا عليهم لقد لبثتم يعني في قبوركم الي يوم
القيمه والفاء في قوله فهذا يوم البعث جواب لشرط محذوف دل

عليه الكلام مجازه ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث وحكي
يعقوب عن بعض القراء وهي قراءة الحسن الي يوم البعث بالتخريك وهذا
مما فيه حرف مزحرف وفي الخلق وقيل معني في كتاب الله في حكم الله وقيل في
الكلام تقديم وتاخير اي وقال الذين اوتوا العلم في كتاب الله والايمان
الي يوم البعث قاله مقاتل وقتاده والسدي القشيري وعلي
هذا اوتوا العلم بمعني كتاب الله وقيل الذين حكم لهم في الكتاب
بالعلم فهذا يوم البعث اي اليوم الذي ينكرونه فقوله تعالي

فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم

اي لا ينفعهم العلم بالقيامه ولا الاعتذار يومئذ وقيل لما رد عليهم المومنون
سالوا الرجوع الي الدنيا واعتذروا فلم يعذروا فلا هم يستعتبون اي ولا
حالهم حال من يستعتب ويرجع يقال استعتبته فاعتبني اي استرضيته
فارضاني وذلك وذلك اذا كنت جانيا عليه وحقيقه اعتبته ازلت
عتبته وسياتي في فصلت بيانه وقرا عاصم وحمزه والكسائي فيومئذ لا
ينفع بالياء والباقون بالتاء فقوله تعالي

ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل

اي من كل شبه يدلهم علي ما يحتاجون اليه ويبصرهم علي التوحيد وصدق الرسل
ولين جيئتهم بايه اي معجزه كفلق البحر والعصا وغيرها ليقولن الذين كفروا
ان انتم يا معشر المومنون الا مبطلون اي تتبعون الباطل والسحر كذلك اي كما
طبع الله علي قلوبهم حتى لا يفهموا الايات عن الله فكذلك نطبع علي قلوب الذين
لا يعلمون ادله التوحيد فاصبر ان وعد الله حق اقامر علي اذاهم فان الله
ينصرك ولا يستخفنك اي لا يستفزنك عن دينك الذين لا يومنون
قيل هو النضر بن الحرث والخطاب للنبي صلي الله عليه وسلم والمراد منه يقال
استخف فلان فلانا اي استجهله حتى حمله علي اتباعه في الغي وهو في موضع

جزم بالنهي اكد بالنون الثقيله فبني على الفتح كما بني الشبان اذا ضم
احدهما الى الاخر الذين لا يوقنون في موضع رفع ومن العرب من يقول
الذين في موضع رفع وقد مضى في الفاتحه والحمد لله تمت السوره

تفسير سوره لقمان وهي مكيه

غير ابتين قال قتاده اولها ولوان ما في الارض
من شجره اقلام الى اخر الايتين وقال ابن عباس
ثلاث ايات او هن ولوان ما في الارض وهي اربع
وثلثون ايه بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل

الم تلك ايات الكتاب الحكيم

معنى الكلام في فواتح السور وتلك في موضع رفع على ابدال مبتدا اي هذه
تلك ويقال هي تيك ايات الكتاب الحكيم بدل من تلك والكتاب القرآن
والحكيم المحكم الذي لا خلل فيه ولا تناقض وقيل ذو الحكمه وقيل الحاكم هدى ورحمه
بالنصب على الحال مثل هذه ناقة الله لكم ايه وهذه قراءه المدنيين وابن عامر
وعاصم والكسائي وقراءه هدى ورحمه بالرفع وهو مروي عن احدهما
على اضمار مبتدا لانه اول ايه والاخران يكون خبر تلك والمحسن الذي
يعبد الله كانه يراه فان لم يكن يراه فانه يراه وقيل هم المحسنون في الدين
وهو الاسلام قال الله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله الايه
الذين يقيمون الصلوه في موضع الصفه ويجوز الرفع على القطع لمعنى هم
الذين والنصب باضمار اعني وقد مضى الكلام في هذه الايه والتي بعدها
في البقره وغيرها قوله تعالى

ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم

فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث من في موضع
رفع بالابتدا ولهو الحديث الغنا في قول ابن مسعود وابن عباس وغيرهما ابن عباس
وهو ممنوع بالكتاب والسنه والتقدير من الذي يشتري ذا لهو او ذات لهو
مثل واسل القريه اي اهل القريه لما كان انما اشتراها يشتريها ويبايع
في ثمنها كانها اشتراها للهو قلت هذه احد الايات الثلاث التي
استدل بها العلما على كراهه الغنا والمنع منه والايه الثانيه وانتم سامدون
قال ابن عباس هو الغنا بالحميريه اسمد لنا اي غني لنا والايه الثالثه
قوله تعالى واستفزز من استطعت منهم بصوتك وقال مجاهد الغنى
والمزامير وقد مضى في سبحان الكلام فيه وروى الترمذي عن ابي امامه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن ولا
تعلموهن ولا خير في تجاره فيهن وثمنهن حرام وفي مثل هذا انزلت هذه
الايه ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله الى اخر الايه
قال ابو عيسى هذا حديث غريب انما روي من حديث القاسم عن ابي امامه
والقاسم ثقه وعلي بن يزيد يضعف في الحديث قاله محمد بن اسماعيل
قال ابن مسعود وابن عباس وجابر بن عبد الله ومجاهد وذكره ابو
الفرج الجوزي عن الحسن وسعيد بن جبير وقتاده والنخعي فلت هذا اعلا
ما قيل في هذه الايه وحلف علي ذلك ابن مسعود بالله الذي لا اله الا هو ثلاث
مرات انه الغنا روى سعيد بن جبير عن ابي الصهباء البكري قال
سيل عبد الله بن مسعود عن قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث
فقال الغنى والله الذي لا اله الا هو يرددها ثلاث مرات وعن عبد الله بن عمر
هو الغنا قال عكرمه وميمون بن مهران ومكحول وروى شعبه وسفيان
عن الحكم وحماد عن ابرهيم قال قال عبد الله بن مسعود الغنا ينبت النفاق في
القلب وقاله مجاهد وزاد اذان لهو الحديث المعازف والغنا وقال
القسم بن محمد الغنا باطل وباطل في النار وقال ابن القاسم سالت عنه
مالكا فقال قال الله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال الحق هو وزجر الجانبي

باب كل لهو باطل اذا شغل عن طاعة الله ومن قال لصاحبه تعال اقامرك
وقوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله ويتخذها
هزوا وقوله اذا شغل عن طاعة الله ماخوذ من قوله تعالى ليضل عن سبيل الله
وعن الحسن ايضا هو الكفر والشرك وتاوله قوم على الاحاديث التي يتلهى بها
اهل الباطل واللعب وقيل نزلت في النضر بن الحرث لانه اشترى كتب
الاعاجم رستم واسفنديار وكان يحدث بها قريشا ان محمدا قال لهم
ضحك منه وحدثهم باحاديث ملوك الفرس ويقول لحديثي هذا احسن من
حديث محمد حكاه الفراء الكلبي وغيرهما وقيل كان يشتري المغنيات فلا
يظفر باحد يريد الاسلام الا انطلق به الى قينته فيقول اطعميه واسقيه
وغنيه ويقول هذا خير مما يدعوك محمد اليه من الصلوة والصيام وان يقاتل
بين يديه وهذا القول والاول ظاهر في الشراء وقال طائفة الشراء هنا
في الباطل قال ابن عطية فكان نزل ما يجب فعله وامثال هذه المنكرات
شراء على حد قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى واشتروا الكفر
بالايمان اي استبدلوه به واختاروه عليه وقال مطرف شراء لهو
الحديث استحبابه قتادة ولعله لا يتفق فيه مالا ولكن سماه موشيا وقد
ذكرت القول الاول اولى بما قيل في هذا الباب للحديث المرفوع فيه وفعل
الصحابة والتابعين فيه وقد نادى الثعلبي والواحدي في حديث ابي امامة
وما من رجل يرفع صوته بالغناء الا بعث الله عليه شيطانين احدهما على هذا
المنكب والاخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربان بارجلهما حتى يكون هو الذي
يسكت وروى الترمذي وغيره من حديث انس وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال صوتان فاجران ابغي عندهما صوت مزمار وعند نغمة شيطان عند نغمة ورنة
ورنة عند مصيبة لطم خدود وشق جيوب وروى جعفر بن محمد عن ابيه
عن جده عن علي عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت
بكسر المزامير خرجه ابو طالب الغلابي وخرج ابن بشران عن عكرمة عن ابن عباس

ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بعثت بهدم المزامير والطبل وروى الترمذي
من حديث علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فعلت
امتي خمسة عشر خصلة حل عليها البلاء فذكر منها اذا اتخذت القيان والمعازف
وفي حديث ابي هريرة وطفقت القيان والمعازف وروى ابن المبارك عن مالك
ابن انس عن محمد بن المنكدر عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من جلس الى قينة يسمع منها صب في اذنيه الانك يوم القيمة
وروى اسد بن موسى عن عبد العزيز بن ابي سلمة عن محمد بن المنكدر قال بلغنا
ان الله تعالى يقول يوم القيمة اين عبادي الذين كانوا ينزهون انفسهم واسماعهم
عن اللهو ومزامير الشيطان احلوهم رياض جنتي واخروهم اني فيما حللت
عليهم رضواني وروى ابن وهب عن مالك عن محمد بن المنكدر مثله وزاد
بعد قوله المسك ثم يقول للملائكة اسمعهم حمدي وشكري وثنائي
واخبرهم ان الخوف عليهم ولا هم يحزنون وقد روي هذا المعنى مرفوعا من
حديث ابي موسى الاشعري انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استمع الى
صوت غناء لم يؤذن له ان يسمع الدوحانيين قيل ومن الدوحانيين يا رسول الله
قال قراء اهل الجنة خرجه الترمذي الحكيم ابو عبد الله في نوادر الاصول
وقد ذكرناه في كتاب التذكرة مع نظائره فيمن شرب الخمر في الدنيا
لم يشربها في الاخرة ومن لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الاخرة الى غير ذلك
وكل ذلك صحيح المعنى على ما بيناه مآل ومن رواية مكحول عن عائشة
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات وعنده جارية يغنيه
فلا تصلوا عليه ولهذه الاثار وغيرها قال العلماء يحرم الغناء وهي المسالة
الثانية وهو الغناء المعتاد عند المتهتكين به الذي يحرك النفوس ويبعثها
على الهوى والغزل والمجون الذي يحرك الساكن ويبعث الكامن من هذا النوع
اذا كان في شعر يشبب فيه بذكر النساء ووصف محاسنهن وذكر الخمور والحرمات
لا يختلف في تحريمه لانه اللهو والغناء المذموم باتفاق فاما من سلم
ذلك فمحمود القليل منه في اوقات الفرح والعرس والعيد وعند التنشيط

على الاعمال الشاقه كما في حفر الخندق وحدا بخشه وسلمه بن الاكوع فاما ما
استدعه الصوفيه اليوم من الادمان على سماع المغاني بالالات المطربه
من الشبابات والطار والمعازف فحرام قال ابن العربي فاما الحرب
فلا حرج فيه لانه يقيم النفوس ويرهب العدو وفي البراعه تردد والذف
مباح قال القشيري ضرب به بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم يوم دخل المدينه
فهم ابو بكر رضي الله عنه بالزجر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعهن يا
ابا بكر حتى تعلم اليهود ان ديننا فسيح فكن يضربن ويقلن

نحن بنات النجار حبذا محمد من جار

وقد قيل ان الطبل والنكاح كالدف وكذلك الالات المشهوره للنكاح يجوز استعمالها
فيما يحسن من الكلام ولم يكن فيه رفث قال الشافعي لا اعلم في الغناء
الدواعي سفه ترد به الشهاده فان لم يداوم لم ترد وذكر اسحق بن عيسى
الطباع قال سالت مالكا عن ما رخص فيه اهل المدينه من الغناء فقال انما
يفعله عندنا الفساق وذكر ابو الطيب طاهر بن عبد الله الطبري قال اما ملك
ابن انس فانه نهى عن الغناء وعن استماعه وقال اذا اشتري جاريه ووجدها مغنيه
كان له ردها بالعيب وهو مذهب سائر اهل المدينه الا ابراهيم بن سعد فانه خالف
عنه زكريا الساجي انه كان لا يرى به باسا وقال ابن خواز منداد فاما
مالك فيقال عنه انه كان عالما بالصناعه ومذهبه تحريمها وروي عنه انه قال
تعلمت هذه الصناعه وانا علام شاب فقالت لي امي اي بني ان هذه الصناعه
يصلح لها من كان صحيح الوجه ولست كذلك فاطلب العلوم الدينيه فصحبت ربيعه
فجعل الله في ذلك خيرا قال ابو الطيب الطبري واما مذهبي فاني حنيفه فانه
يكره الغناء مع اجتنبه شرب النبيذ فيجعل الغناء من الذنوب وكذلك مذهب
سائر اهل الكوفه ابراهيم والشعبي وحماد والثوري وغيرهم لا اختلاف
بينهم في ذلك وكذلك لا يعرف بين اهل البصره خلاف في كراهه ذلك والمنع منه
الا ما روي عن عبيد الله بن الحسن العنبري انه كان لا يرى به باسا قال
واما مذهب الامام الشافعي فقال الغناء مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه

فهو سفيه ترد شهادته وذكر ابو الفرج الجوزي عن امامه احمد بن حنبل
ثلاث روايات قال وقد ذكر اصحابنا عن ابي بكر الخلال وصاحبه عبد العزيز باجه
الغناء وانما اشار والى ما كان في زماننا من الغصايد النهديات قال وعلى هذا الحمل
لم يكرهه الامام احمد وسئل عن رجل مات وخلف ولدا وجاريه مغنيه فاحتاج
الصبي الى بيعها فقال تباع على انها ساذجه لا على انها مغنيه فقيل له انها تساوي
ثلثين الفا فاذا بيعت ساذجه تساوي عشرين الفا فقال لا تباع الا على انها ساذجه
قال ابو الفرج وانما قال احمد هذا لان هذه اذا رايته المغنيه لا تغني بقصايد
النهديل بالاشعار المطربه المشيره الى العشق ومن اذا ليل على ان الغناء محظور
اذ لو لم يكن محظورا لما جاز تفويت المال على اليتيم وصار هذا كقوله في طحيه
للنبي صلى الله عليه وسلم عند عمر الايتام فقال اردتها فلو جاز استصلاحها لما امتنع
مال اليتامى قال الطبري فقد اجمع على الاصرار على كراهه الغناء والمنع منه وانما فارق
الجماعه ابو قبيس بن سعد وعبد الله العنبر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليكم بالسواد الاعظم ومن فارق الجماعه مات ميته جاهليه قال ابو الفرج
وقال الفقال من اصحابنا لا تقبل شهادة المغني والرقاص قلت واذا قد
ثبت ان هذا الامر لا يجوز فاخذ الاجره عليه لا يجوز وقد نعى ابو عمر بن عبد البر
الاجماع على تحريم الاجره على ذلك وقد نص الامام عند قوله وعند مفاتيح
الغيب وحسبك الباحه قال القاضي ابو بكر بن العربي واما سماع القينات
فيجوز للرجل ان يسمع غناء جاريته اذ ليس شي منها عليه حرام لا من طاهرها ولا من
باطنها فكيف يمنع من التلذذ بصوتها اما انه لا يجوز انكشافها للرجال
ولا منكر الاستماع ولا سماع الرفث فاذا خرج ذلك الى ما لا يجل ولا يجوز منع من
اوله فاحتث من اصله وقال ابو الطيب الطبري اما سماع الغناء من المراه التي
ليست بمحرم فان اصحاب الشافعي قالوا لا يجوز سواء كانت حره او مملوكه وقال
الشافعي اجمع الناس على ان سماعها سفيه ترد شهادته ثم غلظ القول فيه
فقال وهي دياثه وانما جعل صاحبها سفيها لانه دعا الناس الى الباطل ومن دعا الى
الباطل كان سفيها الخامسه قوله تعالى ليضل عن سبيل الله قراه العامه بضم الياء

اي ليضل غيره عن طريق الهدى واذا اضل غيره فقد ضل وقرا ابن كثير وابن محيصن وحميد
وابو عمرو ورويس وابن ابي اسحاق بفتح الياء على اللام اي ليضل هو نفسه ويتخذها
هزوا قراه المدنيين وابو عمرو وعاصم بالرفع عطفا على من يشتري ويجوز ان يكون
مستانفا وقرا الاعمش وحمزه والكسائي ويتخذ هزا بالنصب عطفا على ليضل ومن
الوجهين جميعا لا يجيز الوقف على قوله بغير علم والوقف على قوله هزوا والهاء في يتخذها
كناية عن الايات ويجوز ان يكون كناية عن السبيل لانها سبيل تذكر وتؤنث وتذكر
اولئك لهم عذاب مهين اي شديد يذلهم قال الشاعر

ولقد جزعت على النصارى بعدما لقي الصليب من العذاب مهينا

قوله تعالى واذا تتلى عليه اياتنا يعني القرآن ولي اي اعرض مستكبرا نصب على
الحال كان لم يسمعها كان في اذنيه وقرا ثقلا وصمما وقد تقدم فبشره بعذاب
اليم تقدم ايضا قوله تعالى

خلق السموات بغير عمد ترونها

يكون ترونها في موضع خفض على النعت لعمد فيمكن ان يكون ثم عمد ولكن لا
ترى ويجوز ان يكون في موضع نصب على الحال اي السموات ولا عمد ثم البتة قال
النحاس وسمعت علي بن سليمان يقول الاولى ان يكون مستانفا ولا عمد ثم قاله
مكي وتكون بغير عمد التمام وقد مضى في الرعد الكلام في هذه الاية والقول في
الارض رواسي جبالا لئوابت ان تميد في موضع نصب اي كراهية ان تميد والكوفيين
يقدرونه بمعنى لئلا تميد وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا
فيها من كل زوج كريم عن ابن عباس من كل لون حسن وقال وله الشجي
على الناس لانهم محلوقون من الارض قال ومن كان منهم يصير الى الجنة فهو
الكريم ومن كان منهم يصير الى النار فهو اللئيم وقيل غير ذلك والنطفة
محلوقة من التراب فظاهر القرآن يدل على هذا قوله تعالى

هذا خلق الله فاروني

سبحانه وتعالى والخلق بمعنى المخلوق اي هذا الذي ذكرته مما لا يكون خلق الله
اي مخلوق الله اي خلقها من غير شريك فاروني معاشر المشركين ماذا خلق
الذين من دونه يعني الاصنام بل الظالمون اي المشركون وضلال مبين اي خسران
ظاهر وما استفهام في موضع رفع بالابتداء وخبره ذا وذا بمعنى الذي وخلق رافع
عليها محذوفة تقديره فاروني اي شيء خلق الذين من دونه والجملة في موضع
نصب باروني وتضمنها معنى خلق تعود على الذي اي فاروني الاشياء التي خلقها
الذين من دونه وعلى هذا القول تقول ما ذا تعلمت استفهام نحو وجواب تكون ما في
موضع نصب باروني وذا زايدة وعلى هذا تقول ما تعلمت شيئا نحو قوله تعالى

ولقد اتينا لقمان الحكمة

معمولان ولم ينصرف لقمان لانه في اخره الف ونون زايدتين وانثه فعلان الذي
اتياه فعل فلم ينصرف في المعرفة لان ذلك فعل ثان وانصرف في النكرة لانا احد
الفعلين فتنادقال النحاس وهو لقمان بن ناعور بن ناخور وهو ازر ابو ابراهيم
كذا نسبه محمد بن اسحق وقيل هو لقمان بن عنقا بن سرون وكان نوبيا من اهل
ايله ذكره السهيلي قال وهب كان ابن اخت ايوب وقال مقاتل ذكر انه ابن
خاله ايوب بن الزعتري هو لقمان بن ناعور ابن اخت ايوب او ابن خالته
وقيل كان مرا ولا دار عاش الف سنة وادرك داود وعليه السلام واخذ عنه
العلم وكان يفتي قبل مبعث داود فلما بعث داود قطع الفتوى فقيل له فقال الا
اكتفى اذ كفيت وقالوا انما فدي كان قاضيا في بني اسرائيل قال سعيد
ابن المسيب كان لقمان اسود من سودان مصر ذو مشافر اعطاه الله الحكمة
ومنعه النبوة وعلى هذا جمهور اهل التاويل انه كان وليا ولم يكن نبيا
وقال ينبوه عكرمة والشعبي وعلى هذا تكون الحكمة النبوة والصواب
انه كان رجلا حكيما تحكمه الله تعالى وهو الصواب في المعتقدات والتفقه
في الدين والعقل قاضيا في بني اسرائيل اسود مشقق الكعبين ذا مشافر
عظيم الشفتين قاله ابن عباس وعكرمة وروي من حديث ابن عمر قال سمعت

النبي صلى الله عليه وسلم يقول لم يكن لقمان نبيا ولكن كان عبدا كثير التفكر
حسن اليقين احب الله فاحبه فمن عليه بالحكمة وخيره بين ان يحمله خليفة يحكم
بالحق وقال يا رب ان خيرتني قبلت العافية وتركت البلاء وان عزمت علي
فسمعا وطاعة فانك ستعصمني ذكره ابن عطية وناداه الثعلبي فقالت له الملائكة
بصوت لا يراهم به يا لقمان قال لهذا الحاكم بالشدائد لما اكدرها يريد الظلم
من كل سلطان ان يعين فاحرى ان يجور وان اخطا اخطا طريق الجنة ومن يكن
في الدنيا ذليلا خير من ان يكون شريفا ومن تخير الدنيا على الآخرة نقصته الدنيا ولا
نصيب له في الآخرة فعجبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فاعطي الحكمة فانتبه
يتكلم بها ثم نودي داود بعده فقتلها يعني اخلافه فلم يشترط ما اشترط لقمان
فنودي يا خطيئة غيرة كل ذلك يعفو الله عنه وكان لقمان يواتره بحكمته فقال
له داود طوبى لك يا لقمان اعطيت الحكمة وصرف عنك البلاء واعطي داود الخلافة
وابتلي بالبلاء والفتنة وقال قتادة خير الله تعالى لقمان بين النبوة
والحكمة فاختار الحكمة على النبوة فانه جبريل عليه السلام وهو نائم
فذر عليه الحكمة فاصبح وهو ينطق بها فقيل له كيف اخترت الحكمة على النبوة وقد
خيرك ربك فقال انه لو ارسل الي بالنبوة عزمة لرجوت فيها العون منه
ولكن خيرني فخفت ان اضعف عن النبوة فكانت الحكمة احب الي واختلفت
في صنعته فقيل كان خياطا قاله سعيد بن المسيب وقال لرجل اسود
لا تحزن من انك اسود فانه كان من خير اماء ثلاثة من السودان بلال
ومهجع مولى عمر ولقمان وقيل كان يحطب لمولاه كل يوم حزمة حطب
وقال لرجل ينظر اليه ان كنت ترى غلظ الشقيقتين فانه يخرج من
بينهما كلام رقيق وان كنت ترى اسود فقلبي ابيض وقيل كان راعيا
فرآه رجل كان يعرفه قبل ذلك فقال السنا عبدك فلان قال بلى قال فما بلغ
بك ما اري قال قدره الله واداء الامانة وصدق الحديث وترك ما لا يعنيني
قال عبد الرحمن بن زيد بن جابر وقال خالد الربعي كان نجارا فقال له سيده

اذبح شاة وائتني باطيبها مضغتين فاتاه باللسان والقلب فقال له ما
كان فيها شيء اطيب من هذين فسكت ثم امره بذبح شاة اخرى ثم قال له الق
احبتها مضغتين فالقى اللسان والقلب فقال له امرتك ان تاتيني باطيب مضغتين
فاتيتني باللسان والقلب وامرتك ان تلقي احبتك مضغتين فالقيت اللسان
والقلب فقال له ليس شيء اطيب منها اذا طابا واحبث منها اذا خبثا قلت
هذا معنى مرفوع وفي بعض حديث من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الا وان في
الجسد بضعة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب
وجاء في اللسان انا تاركيه صحيحة شهيرة منها قوله عليه السلام من وقاه الله
شر اثنين وجبا الجنة ما بين لحييه ورجليه الحديث وحكم لقمان كثيرة ما ذكرناه
هنا منها وقيل له اي الناس اشر قال الذي لا يبالي ان رآه الناس مسيئا قلت
وهذا ايضا مرفوع معناه قال صلى الله عليه وسلم كل امتي معافا الا المجاهرون
وان من المجاهرة ان يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله فيقول يا فلان
عملت البارحة كذا وقد بات يستره ربه ويصبح وقد كشف ستر الله عنه رواه
ابو هريرة وخرجه البخاري وقال وهب بن منبه قرأت من حكمة لقمان
ارجح من عشرة آلاف باب وروي انه دخل على داود عليه السلام وهو يسرد الدرع
وقد الان الله له الحديد كالطين فاراد ان يسأله فاردكته الحكمة فسكت فلما
اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكم وقليل فاعله
فقال له داود ما سميت حكيما الا لسكوتك

ان اشكر لله

فيه تقدير ان احدهما ان يكون ان بمعنى اي بمعنى اي فقلنا له اشكر والقول
الآخر انها في موضع نصب بالفعل داخلة في صلتها كما حكى سيبويه كتبت
اليه ان قم الا ان هذا الوجه عنده بعيد وقال الزجاج المعنى ولقد
اتينا لقمان الحكمة لان يشكر الله تعالى وقيل اي بان اشكر لله فيشكر
فكان حكيما يشكر ربنا والشكر لله طاعته فيما امر به وقد مضى القول في حقيقته

لغه ومعنى في القرءه وغيرهما ومن شكر فانما يشكر لنفسه اي من يطع الله
فانما يعمل لنفسه لان النفع الثواب عايد اليه ومن كفر اي كفر النعم فلم يوحد الله
فان الله غني عن عباده خلقه حميد عن اكلوا بي محمود وقال يحيى بن سلام
غني عن خلقه حميد في فعله قوله تعالى

واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه

قال السهيلي اسم ابيه تاران في قول الطبري والقتبي وقال القتبي
متكلم وقيل انحكاه النقاش وذكر القشيري ان ابنه وامرأته كانا
كافرين فاراد ان يعظهما حتى اسلما قلت ودل على هذا قوله لا تشرك بالله
ان الشرك لظلم عظيم وفي صحيح مسلم وغيره عن عبد الله قال لما نزلت الذين امنوا
ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالوا اينا لا يظلم نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس كما تظنون
انما هو كما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم واحلف في
قوله ان الشرك لظلم عظيم فقيل انه من كلام لقمان وقيل هو جزء من الله تعالى منقطعا
من كلام لقمان متصلا به في تاكيد المعنى ويويد هذا الحديث المانوف
انما انزل الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اشفق اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقالوا اينا لم يظلم فاتى بقول الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم
فكن اشفاقهم وانما يسكن اشفاقهم بان يكون خبرا من الله تعالى
وقد سكن الاشفاق بان يذكر الله ذلك عن عبد قد وصفه بالحكمة والسداد
واذ في موضع نصب بمعنى اذكروا قال الزجاج في كتابه في القرآن ان اذ
في موضع نصب بانها والمعنى ولقد اتينا لقمان الحكمة اذ قال الفراء
غلط لان الحكمة لا تضاف الى الكلام وانما تضاف الى الحكم اذ قال النحاس واحسبه
من فتحها فلخفة الفتحة عنده وقد مضى في يوسف القول في هذا
وقوله يا بني لبيب هو على حقيقة التصغير فان كان على لفظه وانما هو على وجه
الترفيق كما يقال للرجل يا اخي وللصغير هو كويبس قوله تعالى

ووصينا الانسان بوالديه حسنا الى قوله تعملون

فيه ثمان مسايل الاولى قوله تعالى ووصينا الانسان هذه الاية اعتراض
من اثنا وصيه لقمان وقيل ان هذا مما اوصى به لقمان لابنه اخبر الله به عنه اي
قال لقمان لابنه لا تشرك بالله ولا تطع في الشرك والدليل فان الله اوصى بهما في
طاعتهما مما لا يكون شركا ومعصية الله تعالى وقيل اي واذ قال لقمان لابنه
فحذفا للقمان اي فيما ابتناه من الحكمة ووصينا الانسان بوالديه اي
قلنا له اشكر لله وقلنا له ووصينا الانسان وقيل واذ قال لقمان لابنه لا
تشرك وحن وصينا الانسان بوالديه حسنا وامرنا الناس بهذا وامر لقمان به
ابنه ذكره هذه الاقوال القشيري والصحيح ان هذه الاية من قول لقمان في شان سعد
ابن ابي وقاص كما تقدم في العنكبوت وعليه عامة المفسرين وحمله هنا الباب
ان طلبه الابوين لان اعي في ركوب البحر والاعي في ترك فريضة على الاعيان ويلزم
طاعتهما في المباحات ويستحسن ترك الطاعات الندب ومنه ابراهيما د
الكفاية والاجابة باللام في الصلوة مع ان العادة على ان هذا اقوى من الندب
لكن يجلل بخوف هلكه عليها وكره مما يقطع الصلاة فلا يكون اقوى من الندب
لكن يجلل بخوف هلكه عليها وكره مما يقطع الصلاة فلا يكون اقوى من
الندب وخالف اكثر في هذا الفصل فقال ان منعته امه من شهود العشا
شفقة فلا يطيعها الثانية لما خص تعالى الام بدرجة ذكر الحمل وبدرجة
ذكر الرضاع حصل لها بذلك ثلاث مراتب وللاب واحدة واشبه ذلك قوله
صلى الله عليه وسلم حين قال له رجل من ابر قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال امك قال ثم
قال ابوك قال ثم ابوك فجعل له الربع من البر كالابوة وقد مضى هذا
قوله في سبحان الثالثة قوله تعالى وهنا على وهن اي حملته في بطنها وفي
تزاد كل يوم صفحا على صفح وقيل المراد ضعيفة الخلقة ثم يضعفها
الحمل وقرا بيسى الثقفي وهنا على وهن بفتح الهاء بنها وروى بيت عمرو بن
معدي واحد قال

لقنب بن ام صاحب

هل للعواذل من زناه فينزجرها ان العواذل فيها الاين والوهن
قال ومن بهن ووهن يوهن ثم ورم يرم واتعب وهنا على المصدر
ذكره القشيري ٥ النحاس قيل المفضل الشيباني باسقاط حرف الجزا حملته بضعف
على ضعف وقرا الجمهور وفصاله وقرا الحسن ويعقوب وفصله وهما لغتان اي
وفصاله في انقضاء عامين والمقصود من انفصال الفطام فعبر بغايته وبغايته
ويقال انفصل عن كذا اي تميز وبه سمي الفصل الرابع الناس محمولون على عامين
في مدة الرضاع وباب الاحكام والنفقات واما في تحريم اللبن فقدرت فرقة
بالعام لزيادة ولا نقص وقالت فرقة الاعوام وما اتصل بها من الشهر
ونحوه اذا كان منفصل الرضاع وقالت فرقة يقطع الصبي قبل العامين وتترك
اللبن فانما شرب بعد ذلك في الحولين لا يحرم وقد مضى هذا في البقرة مستوفى
الخامسة قوله تعالى ان اشكر لي ان في موضع نصب في قول الزجاج وان
المعنى ووصينا الانسان بوالديه ان اشكر لي الخامسة اجمعت منه ان تكون ان
مفسرة والمعنى قلنا له ان اشكر لي ولوالديك قيل الشكر على نعمة الايمان وللوالدين
على نعمة التربية وقال سفيان بن عيينة من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله تعالى
ومن دعا لوالديه في دبر الصلوات فقد شكرهما السادسة قوله تعالى
وان جاهداك لاية فديبنا ان هذه الاية والتي قبلها نزلتا في سعد بن ابي وقاص
لما اسلم وان امه وهي حمنة بنت ابي سفيان بن امية حلفت ان لا تاكل كما تقدم
في الاية قبلها السابعة قوله تعالى تصاحبهما في الدنيا معروفا نعت لمصدر
محذوف اي مصاحبا معروفا يقال صاحبته مصاحبه ومصاحبا وصحبته
اي ما حسن الاية دليل على صلة الابوين الكافرين بما امكن من المال ان
كانا مشركين والاية القول والدعا للاسلام بدفن وقد قالت اسما ابنة ابي بكر
للنبي صلى الله عليه وسلم وقد قدمت عليها خالتها او امها من الرضاعة
وقالت يا رسول الله ان امي قدمت علي وهي مشركة افاصلها قال نعم وواصله
قيل معناه عن الاسلام قال ابن عطية والظاهر عندي انها دعيه
في الصلة وما كانت تقدم على اسما لولا حاجتها والله اسماعي قبله بنت
العزى بن عبد اسعد وام عائشة وعبد الرحمن ام رومان قديمة الاسلام

الثامنة قوله تعالى واتبع سبيل من اناب الي وصيه جميع العالم كان المامور
الانسان واناب معنى ما ورجع الي الثنى وهذه سبيل الانبيا والصالحين
وحكي النقاش ان المامور سعد الذي ناب ابو بكر ويقال انا بكر لما اسلم
اتاه سعد وعبد الرحمن عوف وعثمان وطلحة وسعيد والزبير وقالوا امنت
فاربح فنزلت فيه امن موقانت انا الليل فمعنا الله اسوا فنزلت الله
فيهم والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها الى قوله اولئك الذين هداهم الله
وقيل الذي اناب النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس لما اسلم سعد
اسلم معه اخواه عامر وعويمر فلم يؤمنهم مشرك الا فنبه تو عدهن وجل
يبعث من في القبور والرجوع اليه للجزا وبالتوفيق على صغير الاعمال وكبيرها
قوله تعالى

يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل الاية

المعنى وقال لقمان لابنه يا بني بهذا القول من لقمان انما قصد به اعلام ابنه
بقدرة الله تعالى وهذه الغايات امكنة ان يبنه لان الخردل يقال
ان اصغر ما يدرك لما ثقلا اذ لا توصف ميزانا اي لو كان للانسان لذقا من مثقال
حبة من خردل في هذه المواضع حاجز بوقفا الى من وزنه اي لا تهتم
بالرزق حتى تشتغل به عزا الذي بين وعزا بتاع سيل من اناب فلت
ومن هذا المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن مسعود لا تكدمك
تقدير ما يكون وما رزق ياتيك وقد نطقت هذه الاية ان الله تعالى قد احاط
بكل شي علما واحصى كل شي عددا سبحانه لا شريك له وروي ان ابن لقمان
سالا باه عن اكحة تقع في سفل البحر يعلمها الله فراجعه لقمان بهذه الاية
وقيل المراد انه اراد اعمال المعاصي والطاعات اي ان تكن كحسنة او
الخطية مثقال حبة بات بها الله لا يفوت الانسان المقدور فوقعها منه
وبهذا المعنى تجمل في الموعظة ترجيه وتخويف ضاف الي بتيين قدرة الله
تعالى وفي القول الاول ليس فيه ترجيه ولا تخويف قوله تعالى مثقال

يا بني اقم الصلوة وامر بالمعروف

وانه عن المنكر الايه

فيه ثلاث مسايل الاولى قوله واقم الصلوة وصي ابنه بعظم الطاعات وهي الصلاه والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا ما يريد به بعد ان يمتثل ذلك هو من نفسه ويزدجر عن المنكر وسنا في الطاعات والفضايل اجمع ولهذا حسن من قال

وابدا بنفسك فانهها عن غيها فاذا انتهت عنه فانت حكيم

في ابيات تقدم في البقرة ذكرها الثانيه قوله تعالى فاصبر عليها امر بالصبر يؤدي بمقتضى حضا على تغيير المنكر وان نال ضررا وهو اشعار بان المعبر يؤذى احيانا وهذا الفعل على جهة الندب والفقه في ظاهره الله واما على الدوام فانه وقد بقي الكلام في هذا مستوفى في المايده وقيل امره بالصبر على الشدايد في الدنيا كالامراض وغيرها وان لا يخرج من الجزع الى معصيه لسخط ربه وهذا قول حسن لانه يعم الثالثه قوله تعالى إن ذلك لمن عزم الامور قال ابن عباس حقيقه الايمان الصبر على المكاره وقيل اي اقامه الصلوة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر من عزم الامور اي مما عزمه الله وامر به قاله ابن جريج ويحتمل ان يريد به ان ذلك من مكارم الاخلاق وعزايم اهل الحزم السالكين طريق النجاه وقول ابن جريج اصوب قوله تعالى

ولا تصاعر خدك للناس الايه

فيه ثلاث مسايل قوله تعالى ولا تصاعر خدك قرا نافع وابو عمرو وحمزه والكسايي وابن محيصن تصاعر بالف بعد الصاد وقرا ابن كثير وعاصم وابن عامر والحسن ومجاهد تصعر وقرا الجحدري تصعر بسكون الصاد والمعنى متقارب والصعر الميل ومنه قول الاعرابي

وقد اقام الدهر صعري بعد ان اقنت صعره

ومنه قول عمرو بن جني التغلبي

وكنا اذا الجبار صعر خده اقمنا له من ميله فتقوما

وانشده الطبري فتقوما قال ابن عطية وهو خطا لان قافيه الصعر محفوضه

وفي بيت اخر اقمنا له من خده المتصعر قال المروي لا تصاعر

اي لا تعرض عنهم تكبرا عليهم يقال اصاب البعير صعر وصيد اذا اصابه داء يلوي

منه عنقه ثم يقال للمتكبر فيه صعر وصيد فهي لا تصعر اي لا تلتزم حذر الصعر

وفي الحديث يأتي على الناس زمان ليس فيهم الا اصعر او ابتر والاصعر المعرض بوجهه

كبرا واراد به ذاله الناس الذين لا دين لهم وفي الحديث كل صعار ملعون اي

كل ذي الهه وكبر الشاب معين الهيه ولا تمل حذرك للناس كبرا عليهم واعجابا

واختقارا لهم وهذا تاويل ابن عباس وجماعه وقيل معناه تلوي شدقك

اذا ذكر الرجل عندك كما تحتقره فالمعنى اقبل عليهم بتواضع ونشاط

واذا حدثك اصغر هم فاصغ اليه حتى يكمل حديثه وكذلك كان النبي صلى الله

وسلم يفعل قلت ومن هذا الباب ما رواه مالك عن ابن شهاب عن

انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تباغضوا ولا تحاسدوا

ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا ولا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلث فالتدابر

الاعراض وترك الكلام والسلام وهجره وانما قيل للاعراض تدابر لان من ابغضته

اعرضت عنه وولبته دبرك وكذلك بغض صوتك ومن احببته اقبلت عليه بوجهك

ليبره ويبرك فمعنى التدابر موجود فيمن صعر خده وبه فسر مجاهد الاية وقال

ابن جبير رمشاد قوله ولا تصاعر خدك للناس كانه نهى ان يذل الانسان

من عنده حاجه ونحو ذلك روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس للانسان ان

يذل نفسه الثالثه قوله تعالى ولا تمش في الارض مرحا اي متجبرا متبذخا

في موضع الحال وقد مضى في سبحان وهو النشاط والمشي فرحا في غير شغل

وفي غير حاجه واهل هذا الزمان ملازمو التجبر والخيلا فالمرح مختال في مشيه

وروى يحيى بن جابر الطائي عن ابي عبد الرحمن الذكي عن عصيف بن الحرث قال

اتيت بيت المقدس انا وعبد الله بن عبيد بن عمير قال فجلست الى عبد الله

ابن عمرو بن العاص فسمعته يقول ان القيامة يكلم الكلم اذا وضع فيه فينزل يا ابن

ادم ما عزك بي الم تعلم اني بيت الوحده الم تعلم اني بيت الظلمه الم تعلم اني بيت

الحق يا ابن ادم ما عزك بي لقد كنت تمشي حولي قداما قال ابن عبيد فلقيت لعصيف

ما العباد يا اباسماعه قال لبعض سبيل يا ابن اخي احيانا وقال ابو عبيده

والعين ذاما كالبيد وذاحيلا وقال صلى الله عليه وسلم من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله

اليه يوم القيمه والفخر هو الذي يعدد ما اعطي ولا يشكر الله تعالى

قال مجاهد وفي اللفظه الفخر بالنسب وغير ذلك قوله تعالى

واقصد في مشيك واغضض من صوتك

فيه ست مسايل الاولى قوله واقصد في مشيك الايه لما نهاه عن الخلق

الذميم رسم له الخلق الكريم الذي ينبغي ان يستعمله فقال واقصد في مشيك اي

توسط فيه والقصد ما بين الاسراع والبطا اي لا تذب ذيب المتماوتين ولا

تثب وثب الشطار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سرعه المشي تذهب بها

المومن ○ واما ما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه كان اذا مشى اسرع وقول

عايشه وعمر رضي الله عنه كان اذا مشى اسرع واما ان اراد ان اسرعه المرتفعه

عن ذيب المتماوت والله اعلم وقد مدح الله تعالى بمذه صفته حسب ما

تقدم بيانه في الفرقان الثانيه قوله تعالى واغضض من صوتك

اي اخفض منه اي لا تتكلف رفع الصوت وحد ما تحتاج اليه فان الجهر اكثر

احاجه تكلف سوء ي والمراد بذلك كله التواضع وقد قال عمر لمؤذن

تكلف رفع الاذان اكثر من طاقته لقد خشيت ان تتنشق مربطا وكل والمؤذن

هو ابو محذوره سمره بن محمد والمربط وان ما بين السرع الى العانه الثالثه

قوله تعالى ان انكر الاصوات لصوت الحمير اي اقبحها واوحشها ومنه انا نا

بوجه منكر واكمار مثل في الدم البليغ والشتيم وكذلك نقائه ومن استجاز سهم

لذكره مجردا انهم يكنون عنه ويعبرون عن الشيخ بقولون الطويل الاذنين

كما يكنى عن الاشياء المستقذره وفي عد من مساوي الاداب ان يحرز ذكر الحمار في مجلس قوم
من اولي المروه ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافا وان بلغت به الرحله وكان عليه
الصلوه والسلام يركبه تواضعا وتذللا لله عز وجل الا نجبه في الابه دليل
على تعريف فتح الصوت في المخاطبه والملاحاه بقبح اصوات الحمير فانا عاليه وفي
الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من
الشيطان الرجيم فانها رات شيطانا وقد روي ما صاح حمار ولا نبح كلب الا ان
يرى شيطانا وقال سفيان الثوري صياح كل شئ تسبيح الا نهيق الحمار
وقال عطا نهيق الحمير دعا على الظلمه الحاسه وفي هذه الايه ادب
من الله تعالى بتزيل الصياح في وجوه الناس تنابيها واثقل الصياح حمله وكانت
العرب تتفاخر بكراهه الصوت الجهير وغير ذلك فمن كان منهم اشد صوتا كان اعز
ومن كان اخفض كان اذل حتى قال شاعرهم

جهير الكلام جهير النعاس جهير الرواء جهير النعم

وبعد وعلى الاين عند الظليم ويعلو الرجال كخلق عمم

فنفى الله سبحانه عز هذه الخلق الجاهليه بقوله ان انكر الاصوات لصوت الحمير
اي لو ان شيئا يهاب صوته لكان الحمار فجعلهم في المثل سوا السادسه
قوله تعالى لصوت الحمير اللام للتاكيد ووحد الصوت وان كان مضافا الى الجماعه
لانه مصدر والمصدر يدل على الكثره وهو مصدر صات يصوت صوتا فهو
صائت ويقال صوت تصويتا فهو مصوت ورجل صات اي شديد الصوت
بعين صائت كقولهم رجل مال ذو مال اي كثير المال والمال قوله تعالى

الم تر ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض

ذكر نعمه على بني ادم وانه سخر لهم ملك السموات من شمس وقمر ونجوم وملايكه تحوطهم وتجري
اليهم منافعهم وما في الارض عامه من الاشجار والثمار والجبال وما لا يحصى
واسبغ عليكم نعمه اي اكملها واتمها وقرا ابن عباس وابن كثير نعمه واصله
بدلها من السين حروف الاستعلاء تجتذب السين من سفله الى علوها فردها

صادا والنعم جمع نعمه كسدره وسدر بفتح الدال وهي فراه نافع وابي عمرو وحفص ايضا نعمه
نعمه على الافراد والافراد تدل على الكثره كقوله وان تعدوا نعمه الله لا تحصوها وهي فراه
ابن عباس من وجه صحيح وقيل ان معناها الاسلام قال النبي صلى الله عليه وسلم لابن
عباس وقد سأله عن هذه الايه الظاهره الاسلام وما حسن من خلقك والباطن
ما ستر عليك من سيي عملك ذ ابن عباس وشرح هذا ان سعيد بن جبير قال في قوله
عز وجل ولكن يريد ليطهركم ويتم نعمته عليكم قال يدخلكم الجنه وقال نعمه الله عز وجل
ان يدخله الجنه فكذا ما كان الاسلام يوليه الى الجنه سمي نعمه وقيل الظاهره
الصحه وكمال الخلق والباطنه المعرفه والعقل وقال المحاسبي الظاهره نعم الدين
والباطنه نعم العقبى وقيل الظاهره ما يرى بالابصار من المال والجمال في الناس
وتوفيق الطاعات والباطنه ما حجبه الرب في نفسه من العلم بالله وحسن اليقين
وما يدفع الله عز العبد من الافات وقد سرد الماوردي في هذا اقوالا تسعه
كلها ترجع الى هذا ق ل

ومن الناس من يجادل في الله بغير علم

تقدم في الحج وفي غيرها ونزلت في يهود يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا محمد اخبرني عن ربك من اي شئ هو فجاءه صاعقه فاحرقته قال مجاهد وقد
مضى هذا في الرعد وقيل انها نزلت في النضر بن الحرث كان يقول ان
الملايكه بنات الله قاله ابن عباس يجادل بها قوما بغير علم اي بغير حجه ولا هدى
ولا كتاب منير اي الا بشئ بين الشياطين فيما يلقي اليهم وان الشياطين
ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم واما تقليد الاسلاف كما الايه بعد ولو كان
الشياطين يدعوهم الى عذاب السعير اي ولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب
السعير يتبعونه فقوله تعالى

ومن يسلم وجهه الى الله

اي يخلص عبادته وقصده الى الله وهو محسن لان العباده من غير احسان

ولا معرفة القلب لا ينفع نظره ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف بخسا ولا رهقا
قال الجبائي عز الاحسان قال ان تعبد الله كانك تراه قان لم تكن تراه فانه يراك
فقد استمسك بالعروة الوثقى قال ابن عباس لا اله الا الله وقد مضى في البقرة
وقرأ علي بن ابي طالب والسلمي وعبيد الله بن مسلم بن يسار ومن يسلم قال النحاس
وسلم في هذا عرفا قال عز وجل فقل اسلمت وجهي لله ومعنى اسلمت وجهي لله قصدت
بعبادتي الله عز وجل ويكون يسلم على التكثير الا ان المستعمل في سلمت انه يعني دفعت
يقال سلمت في اكله ويقال اسلمت الزمخشري قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه
ومن يسلم بالتشديد فيقال اسلم امرك والم امرك الي الله فان قلت ما له
عدي الي وقد عدي باللام في قوله بلى من اسلم وجهه لله قلت معناه مع اللام
انه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالما لله اي خالصا له ومعناه من الي راجع
الي انه سلم اليه نفسه كما يسلم المتاع الي الرجل اذا دفع اليه والمراد التوكل
عليه والتفويض اليه والي الله عاقبة الامور اي مصيرها فقوله تعالى

ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم

فننبئهم بما عملوا اي نجازيهم انه عليم بذات الصدور
نمتعهم قليلا اي سقيتهم في الدنيا مدة قليلة يتمتعون بها ثم نضطرهم اي
نلجئهم ونسوقهم الى عذاب غليظ وهو عذاب جهنم ولفظ من يصلح للواحد
والجمع فلهذا قال كفره ثم قال الي مرجعهم وما بعده بين المعنى فقوله تعالى ولئن
سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله اي هم يعترفون ان الله خالقهن فلم
يعبدون غيره قل الحمد لله اي على ما هدانا له من دينه وليس الحمد لغيره ولكن
اكثرهم لا يعلمون اي لا يتفكرون ولا يتدبرون لله ما في السموات والارض
اي ملكا وخلقا ان الله هو الغني عن خلقه وعن عبادتهم فانما امرهم
لينفعهم الحمد اي المحمود على صنعه قوله تعالى

ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام

الهية لما احتج على المشركين بما احتج بين ان معاني كلامه سبحانه لا تنفد وانها لا
نهاية لها وقال القفال لما ذكر انه سخر لهم ما في السموات وما في الارض وانه
استوفى النوع فيه علم ان الاشجار لو كانت اقلاما والبحار مدادا فكتبت بها عجائب صنع الله
الباهر علي قدرته ووحدانيته لم تنفد تلك العجائب قال الفقيري ذهب
الكلابية الى المعدومات وحمل الآية على الكلام القديم دون المخلوق لا بد له من
نهاية واذا ثبتنا انها بعد معدومات انه لا بد وان تنفى انها بعد عما يقدر المستقبل على
ايجاده فاما ما حضره الوجود وعده فلا بد من تناهيه والقديم لا نهاية له على
التحقيق وقد مضى الكلام في كلمات الله في اخر الكهف وقال ابو علي المراد بالكلمات
والله اعلم ما في المقدور دون ما خرج منه الى الوجود وهذا نحو ما قاله
القفال واما الغرض الاعلام بكثرة معاني كلمات الله ذهني في نفسها غير متناهية
واما قريب الافهام البشر بما يتناهى لانه غاية ما يعده البشر من الكثرة
لانها تنفد باكثر من هذه الاقلام والبحور ومعنى نزول الآية بيان على ان المراد
بالكلمات الكلام القديم قال ابن عباس ان سبب هذه الآية ان اليهود قالوا يا محمد
كيف عنينا بهذا القول وما اوتيتم من العلم الا قليلا ونحن قد اوتينا التوراة
فيها كلام الله واحكامه وعندكم انها تبيان كل شيء فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
التوراة قليل من كثير ومن لم تسعه هذه الآية وهي معه وقال ابو جعفر النحاس وقد بين
ان الكلام تنهى بارادة العلم وخفايا الاشياء لانه عز وجل علم قبل ان يخلق الخلق
ما هو خالق في السموات والارض من شيء وعلم ما فيه من مثاقيل الذر وعلم الاجناس
كلها وما فيها من شجره وعضو وما في الشجرة من ورقه وما فيها من مرض وما يخلق
وما تتصرف فيه من صروف الطعم واللون فلو سمي كل دابة بوحدها وسمي اجزاءها
على ما يعلم من قليلها وكثيرها وما تحولت عليه من الاحوال وما زادت فيها من ذلك في كل
زمان ثم كنت البيان على كل واحد منها ما احاط الله جل وعز به منها ثم كان البحر
مدادا لذلك البيان الذي بين الله عز وجل عن تلك الاشياء بعده من بعده سبعة
ابحر لكان البيان عن تلك الاشياء اكثر فلم تنفد هذا معنى قول القفال وهو
حسن ان شاء الله وقال قوم ان قريشا قالت سيتم هذا الكلام لمحمد ويجتمع

فنزلت وقال السدي قالت قريش ما اكثر كلام محمد فنزلت قوله تعالى
والجر بيه قرا الجمهور بالرفع على الابتداء وجزم الكلمة التي بعدها والخبر
كانه والجر هذه حاله كذا قدره سيبويه وقال بعض النحويين هو عطف على ان
لكنه في موضع رفع بالابتداء وقرا ابو عمرو وابن ابي اسحاق والجر بالنصف على
العطف على ما وبيني اسم ان وقيل اي ولوان الجر بيه اي يزيدفيه وقرا
ابن هرمز والحسن بيه سرامد وقالت فرقة سدا الشيء بعضه بعضا كما تقول مد النيل في
خليج كذا اي زاد فيه وامد الشيء ما ليس منه وقد مضى هذا في البقرة وال عمران وقرا جعفر
ابن محمد والجر مداده ما نفذت كلمات الله تقدم ان الله عزيز حكيم تقدم ايضا وقال
ابو عبيد البر ههنا الآلة العذب الذي سبيله الاقلام واما الماء الملح فلا يبيت
الا قلام والله الموفق للصواب قوله تعالى

ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة

قال الضحاك المعنى ما ابتدا خلقكم جميعا الا كخلق نفس واحدة وما بعثكم يوم
القيمة الا كبعث نفس واحدة قال النحاس هكذا قدره النحويون لمعنى الا كخلق
نفس مثل واسل القريه وقال مجاهد لانه يقول للقليل والكثير كن فيكون ونزلت
الاية في ابي بن خلف واتي الاسدي ومنبه ونبيه ابني الحجاج قالوا للنبي صلى الله عليه
وسلم ان الله خلقنا اطوارا نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم تقول انا
نبعث خلقا جديدا جميعا في ساعة واحدة فانزل الله عز وجل ما خلقكم ولا
بعثكم الا كنفس واحدة لان الله تعالى لا يصعب عليه ما يصعب على العباد وخلقه
للعالم كخلقه لنفس واحدة ان الله سميع لما يقولون بصير بما يعملون

الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل

تقدم في الحج وفي لقمان وسخر الشمس والقمر اي ذللهما بالطلوع والافول تقديرا
للاجال وانما ما للمنافع كل يجري الى اجل مسمى قال الحسن الى يوم القيمة
وقال قتادة الى وقت في طلوعه وافوله لا يجدوه ولا يقصر عنه

وان الله بما تعملون خبير اي من قدر على هذه الاشياء فلا بد ان يكون عالما بها والعالم
بها عالم باعمالكم وقرا تعملون بالتاء خطابا وقرا السلمي ونصر بن عاصم والدوري
عن ابي عمرو بالياء على الخبر ذلك اي فعل الله ذلك ليعلموا ويتيقنوا ان الله هو الحق
وان ما يدعون من دونه الباطل اي الشيطان قاله مجاهد وقيل ما اشركوا به الله
تعالى من الاصنام والاوثان وان الله هو العلي الكبير العلي مكانه والكبير في
سلطانه قوله تعالى الم تر ان الفلك اي السفن تجري في موضع الخبر في البحر
بنعمة الله اي بلطفه بكم ورحمته لكم في خلاصكم منه وقرا ابن هرمز من نعمات الله جمع
نعمه وهو جمع السلامة وكان الاصل تجري العين فاسكنت لياء بكم من اياته من
للتبعيض اي بعض حربكم السفن قاله يحيى بن سلام وقال ابن شجره من اياته ما
تشاهدون من قدرته الله تعالى منه ليريكم النقائض ما يردكم الله منه وقال
الحسن مفتاح البحار السفن ومفتاح الارض الطريق ومفتاح السماء الدعاء
ان في ذلك لايات لكل صبار شكور اي صبار لفضائه شكور لنعمائه
وقال اهل المعاني اراد لكل مومن بهذه الصفة لان الصبر والشكر
افضل خصال الايمان والايه للعلامه والعلامه لاثنتين في صدر كل مومن
اما لاثنتين لم صبر على البلاء وشكر على الرخاء قال الشعبي الصبر نصف الايمان
والشكر نصف الايمان واليقين الايمان كله الم تر الى قوله تعالى ان في ذلك
لايات لكل صبار شكور قوله ان في ذلك لايات للموقنين وقال عليه السلام
الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر قوله تعالى

واذا غشيهم موج كالظلل

قال مقاتل كالجبال وقال الكلبي كالسحاب وقال قتاده جمع ظله شبه
الموج بها لكبرها وارتفاعها قال النابغه في وصف بحر

وغامسهن اخضر ذو ظلال على حافاته فلق الديان

وانما شبه الموج وهو واحد بالظلل وهو جمع لان الموج ياتي شيئا بعد شيء
ويركب بعضه بعضا كالظلل وقيل هو لمعنى الجمع وانما لم يجمع لانه مصدر

واصله من الحركه والاز دحام وسمه ماج البحر والناس يموجون قال كعب

فجيئنا الى موج من البحر وسطه احابيش منهم حاشر ومقنع

وقد اتهمهم الحقيقه موج كاللال جمع ظلل دعوا الله مخلصين له الدين

موحدين له لا يدعون نجاتهم سواه فلما نجاهم يعني من البحر الى البر

فمنهم مقتصد قال ابن عباس موف بما عاهد عليه الله في البحر وقال الحسن

مقتصد مومن متمسك بالتوحيد والطاعه وقال مجاهد مقتصد في القول

مضمر للكفر وقيل في الكلام حذف والمعنى فمنهم مقتصد ومنهم كافر ودل

على المحذوف قوله تعالى

وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور

الختار الغدار والختر اسوأ الغدر قال عمرو بن معدي كرب

فانك لو رايت ابا عمير ملات يديك من غدر وختر

وقال الاعشى بابلي الزد من تيما منزله حصن حصين وجار غير ختار

قال المحوهري الختر الغدر يقال ختره يختره خترا ن الماوردي وهو قول

الجمهور وقال ابن عطيه الجاحد بقال ختر يختر بالضم والكسر خترا ذكره

القتيبي وجحد الايات انكار دلايلها قوله تعالى

يا ايها الناس اتقوا ربكم

يعني الكافر والمومن اي خافوه ووحدوه واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده

ولا مولود هو جاز عن والده شيا تقدم معنى يجزي في البقره وغيرها فان قيل

فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من مات له ثلثه ولد لم يبلغوا الحنث لم تمسه

النار الا تحله القسم وقال من اثكل بشي من هذه الثلث كن له حجابا من النار

فكيف لا معنى لهذه الايه اجيب بان لا يحمل والد ذنب ولده ولا مولود ذنب والده ولا

يجوز احد هما عن الاخر والمعنى بالاجزاء ان ثواب الصبر على الموت والاحسان

الى البنات يحجب العبد عن النار ويكون الولد سببا لقاله الى الجنه ان الله حق

اي بالغيث فلا تغرنكم اي تخدعنكم الحياه الدنيا بزينتها وما تتعاطونه فتتكلوا

عليها وتتركوا السعي للاخره كما يغرنكم بالله الغرور وقراءة العامه لها هنا

وفي سوره لقمان بفتح الغين وهو الشيطان في قول المجاهد وغيره وهو

الذي يغر الخلق ويمنيهم الدنيا اي لا تغتروا الا نه مصدر غر يغر غرورا قال

سعيد بن جبير هو ان يعمل بالمعصيه ويتمنى المغفره قوله تعالى

ان الله عنده علم الساعه الايه

زعم القراء ان هذا معنى الشي ايها بعلمه الا الله عز وجل قال ابو جعفر النحاس

وانما صار فيه معنى النفي والاثبات بتوقيف الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك

لانه صلى الله عليه وسلم قال في قوله عز وجل وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو انها

هذه قلت فذكرنا في سوره الانعام حديث ابن عمر وهذا لفظ البخاري

وفي حديث جبريل قال اخبرني عن الساعه قال ما المسؤل عنها باعلم من السائل

هن خمس لا يعلمهن الا الله ان الله عنده علم الساعه وينزل الغيث الايه فقال

ارجل صدقت لفظ ابي داود الطيالسي وقال عبد الله بن مسعود كل شي اوتي

نبيكم صلى الله عليه وسلم غير خمس ان الله عنده علم الساعه الايه وقال ابن عباس

هذه الخمسه لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل فمن ادعى انه يعلم شيا من هذه

فقد كفر بالقرآن لانه خالفه ثم ان الانبيا يعلمون كثيرا من الغيب بتعريف الله

اياهم والمراد ابطال قول الكهنه والمنجمين ومن يستقي بالانواء وقد يعرف بطول

التجارب اشيا من ذكوره الحمل وانوثته حسب ما ذكرنا في سوره الانعام وقد

تخلف التجربه وتنكسر العاده ويبقى العلم لله وحده ○ وروي ان يهوديا كان

يجيب حساب النجوم فقال لابن عباس ان شئت اخبرتك بيوم ابيك وانه يموت

بعد عشرين يوما وانت لا تموت حتى تتم وانا لا نحول على الحول حتى موت قال

فاين موتك يا يهودي قال لا ادري فقال ابن عباس صدق الله وما تدري

نفس باي ارض تموت ثم رجع ابن عباس فوجد ابنه محمدا ومات بعد عشره

ايام ومات اليهودي قبل الحول ومات ابن عباس اعمى قال علي بن حسين

راوي هذا الحديث هذا اعجب الاحاديث ○ قال مقاتل هذه الايه

نزلت في رجل من اهل البادية اسمه الوارث بن عمرو بن حارثة اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ان امراتي حبلى فاخبرني ما تلد وبلادنا جدبة فاخبرني متى ينزل الغيث وقد
علمت متى ولدت فاخبرني متى اموت وقد علمت ما عملت اليوم فاخبرني ماذا اعمل غدا
واخبرني متى تقوم الساعة فانزل الله هذه الاية ذكره الثعلبي بغير اسناد والماوردي
وروى ابو الصلح عن ابي حمزة الهذلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد
الله تعالى قبض روح عبد بارض جعل له اليها حاجة فلم ينته حتى يقدمها ثم قرا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عنده علم الساعة الى قوله باي ارض تموت
ذكره الماوردي وخرجه ابن ماجه من حديث ابن مسعود بمعناه وقد ذكرناه في كتاب
التذكرة مستوفى وقراه العامة وبتر كل مشددا وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزه
والكسائي مخففا وقرا ابي بن كعب بايه ارض الباقون باي ارض قال
الفراء كنى بتانيث الارض من تانيث اي وقيل اراد بها الارض الكاذبة فذكر فقال
فلا مزنة ودقت ودقها ولا ارض ابقل ابقالها
وقال الاخفش يجوز مررت بجارية وابه جاريه وشبه سيبويه تانيث
اي بتانيث كل في قولهم كلهن ان الله عليم خبير بغت لعليم او خبير
بغت لعليم او خبر بعد خبر تمت السوره والحمد لله

سوره السجده وهي مكيه

غير ثلاث ايات نزلت بالمدينه وهي قوله افمن كان
مومنا كمن كان فاسقا الى تمام ثلاث ايات قاله الكلبي
مقاتل وقال غيرهما الا من ايات من قوله تعالى تتجافى
جنوبهم عن المضاجع الى قوله الذي كنتم به تكذبون وهي
ثلاثون ايه وقيل تسع وعشرون ايه وفي الصحيح عن ابن
عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرا في صلوه الفجر
يوم الجمعه الم تنزيل السجده وهل اتى على الانسان حين
من الدهر الحديث وخرج الدرمي ابو محمد في مسنده

مرجا بن عبد الله قال كان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرا الم تنزيل السجده وتبارك
الذي بيده الملك قال الدارمي واخبرنا ابو المغيره قال حدثنا عبد الرحمن بن خالد بن مهدان
قال اقرؤا المنجيه وهي الم تنزيل فانه بلغني ان رجلا كان يقراوها ما يقرا شيا غيرها
وكان كثير الخطايا فتنشرت جناحها عليه وقالت رب اعفر له فانه كان يكثر
قراءتي فشفعها الرب فيه وقال اكتبوا له بكل خطيه حسنه وارفعوا له درجه

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى

الم تنزيل الكتاب

الاجماع على رفع تنزيل الكتاب ولو كان منصوبا على المصدر لجاز كما قرا الكوفيون
انكلم الرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم و تنزيل رفع بالابتدا والخبر
لا ريب فيه او خبر على اضمار مبتدا اي هذا تنزيل او المتلو تنزيل او هذه الحروف
تنزيل ودلت الم على ذكر الحروف ويجوز ان يكون لا ريب فيه في موضع الحال من
الكتاب ومن رب العالمين الخبر قال علي وهو احسنها ومعنى لا ريب فيه من رب
العالمين لا شك فيه انه من عند الله وليس بسحر ولا كهانه ولا اساطير الاولين قوله تعالى
ام يقولون افتراه هذا امر منقطع الى الف الاستفهام اي بل
يقولون وهي تدل على خروج من حديث الى حديث فانه عز وجل اثبت انه تنزيل
رب العالمين وان ذلك مما لا ريب فيه ثم اضرب عن ذلك الى قولهم يقولون افتراه اي
افتعله واختلقه بل هو الحق من ربك وكذبهم في دعواهم الافتراء لتنذر قوما قال
قتاده يعني قريشا كانوا امه اميه لم ياتهم نذير قبل محمد صلى الله عليه وسلم ولتنذر
متعلق بما قبلها فلا يوقف على من ربك ويجوز ان يتعلق بمحذوف التقدير
انزله لتنذر قوما فيجوز الوقوف على من ربك ومعنى قوله ما اتاهم
نفي من تذير رسله ونذير في محال الرفع وهو المعلم المخوف وقيل المراد
بالقوم اهل الفتره بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم قاله ابن عباس
وقاتل وقيل كانت ثابته لله عز وجل عليهم بانذار من كان قبلهم من الرسل

وان لم يرد ارسول وقد تقدم هذا المعنى قوله تعالى

الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام

عرفتم كما قد تقدم ليستدلوا القرآن ديتا ملونه ومعنى خلق ابدع واوجد بعد العدم
وبعد ان لم يكن شيئا في ستة ايام من يوم الاحد الى آخر يوم الجمعة قال الحسن من ايام الدنيا
وقال ابن عباس ان اليوم من الايام الستة التي خلق الله فيها السموات
والارض مقداره الف سنة من سني الدنيا وقال الضحاك في ستة الاف سنة اي في
مدة ستة ايام من ايام الآخرة ثم استوى على العرش تقدم في الاعراف والبقرة وغيرها
وذكرنا ما للعلماء في ذلك مستوفى في الكتاب الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى ولبسيط هناك
للترتيب والمراد هو المعنى الواو وما لكم من دونه من ولي ولا شفيع اي ما للكافرين
من جول لمنع من عذابهم ولا شفيع ويجوز الرفع على الموضع افلا يتذكرون في قدرته
ومخلوقاته

يدبر الامر من السماء الى الارض

قال ابن عباس ينزل القضاء والقدر وقيل ينزل الوحي مع جبرئيل وروي عمرو بن ميمون
عن عبد الله بن سابط قال يدبر امر الدنيا اربعة جبرئيل وميكائيل وملك الموت
واسرافيل صلوات الله عليهم اجمعين فاما جبرئيل فموكل بالرياح والجنود واما
ميكائيل فموكل بالقطر والماء واما ملك الموت فموكل بقبض الارواح واما اسرافيل
فهو ينزل بالامر عليهم وقد قيل ان العرش موضع التدبير كما ان ما دون العرش
موضع التفضيل قال الله تعالى ثم استوى على العرش يدبر الامر
يفصل الايات يفصل الايات وما دون السموات موضع التصريف
قال الله تعالى لنصرفها بينهم ليذكروا

ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره

قال يحيى بن سلام هو جبرئيل يصعد الى السماء بعد نزوله للوحي الى النبيين

هو الملك الذي يدبر الامر من السماء الى الارض وقيل انها اخبار اهل الارض
تصعد اليه مع جملتها مع الملائكة قال ابن شجرة في يوم كان مقداره الف سنة
مما تعدون وقيل يعرج اليه اي يرجع ذلك الامر والتدبير اليه بعد انقضاء
الدنيا في يوم كان مقداره الف سنة وهو يوم القيمة وعلى الاقوال المتقدمة
في الكناية في يعرج عن الملائكة ولم يجز له ذكر لانه مفهوم من المعنى وقد
جاء نحاني سال سايل فقوله تعرج الملائكة والروح اليه والضمير في اليه
يعود على السماء على لغة من يذكرها او على مكان الملك الذي يرجع اليه او على الله
تعالى والمراد الى الموضع الذي اقراه هيئة واذا رجعت الى الله فقد رجعت
الى السماء الى سدرة المنتهى فانه اليها ينتهي ما يصعد به من الارض ومنها ينزل
ما يهبط به اليها ثبت في صحيح مسلم والهاء في مقداره راجعة الى التدبير
والمعنى كان مقداره راجعة الى التدبير والمعنى كان مقداره ذلك التدبير
الف سنة من سني الدنيا اي بقضي امر كل شيء لالف سنة في يوم واحد ثم يليه
الى الملائكة فاذا مضت قضى لالف سنة اخرى ثم كذلك ابدا قاله مجاهد وقيل
الها العروج وقيل المعنى انه يدبر امر الدنيا الى ان تقوم الساعة ثم يعرج
اليه ذلك الامر يحكم فيه في يوم كان مقداره الف سنة وقيل المعنى يدبر
امر الشمس في طلوعها وغروبها ورجوعها الى موضعها من الطلوع في يوم مقداره
في المسافة الف سنة قال ابن عباس المعنى كان مقداره لو ساره غير
الملك الف سنة لان النزول لحمل مايه والصعود بحمل مايه وروي ذلك عن جماعة
من المفسرين وهو اختيار الطبري وذكره المهدوي وهو معنى القول الاول
اي ان جبريل لو قطع مسيره يقطع مسيره الف سنة من ايامكم ذكره الزمخشري
وذكر الماوردي عن ابن عباس والضحاك ان الملك يصعد في يوم مسيره
الف سنة وعن قتادة ان الملك ينزل ويصعد في يوم مسيرته الف سنة
فيكون مقدار نزوله خمس مايه سنة ومقدار صعوده خمس مايه سنة على قول
قتادة والسدي وعلى قول ابن عباس والضحاك النزول الف سنة
والصعود كالف سنة مما تعدون اي مما تحسبون من ايام الدنيا وهذا

اليوم هباره عن زمان مقدر بالف سنه من سني الخلق وليس يوم مذهب
حسابي من الليل والنهار وان ذلك ليس عندنا به والعرب قد تعبر عن هذه العصر
باليوم كما قال الشاعر

يومان يوم مقامات واندية ويوم سير الى الاعداء تاويب

وليس يريد يومين مخصوصين وانما اراد ان زمانهم ينقسم شطرين بعضه
عمر كل واحد من الشطرين يوم وقرا ابن ابي عبله يعرض علي ابنا للمفعول وقرا
يعدون بالياء فاما قوله تعالى في يوم كان مقداره خمسين الف سنه فقد
مر هذه الايه وقد سال عبد الله بن فيروز الديلمي عبد الله بن عباس عن
هذه الايه وعن قوله في يوم كان مقداره خمسين الف سنه فقال ايام سماها
الله سبحانه وما ادري ما هي واكره ان اقول فيما ما لا اعلم فقال
سعيد بن المسيب وقد سالته فقال لا ادري فاخبرته بقول ابن عباس فقال
ابن المسيب السائل هذا ابن عباس اتاني ان يقول فيها وهو اعلم مني ثم تكلم العلما
في ذلك فقيل انه اشاره الى يوم القيمه كطول هذه الايه والمعنى ان الله تعالى
جعله في صعوبته على الكفار كخمسين الف سنه قاله ابن عباس والعرب تصف ايام
المكروه بالطول وايام السرور بالقصر قال

ويوم كطول الدهر قصرطوله دم الزق عنا واصطفاق المزاهر

وقيل ان يوم القيمه فيه ايام قدر ما مقداره الف سنه ومنه ما مقداره خمسون
الف سنه وقيل اوقات مختلفه فيعذب الكافر بخمسين من العذاب الف سنه
ثم ينقل الى حبس اخر مدته خمسون الف سنه وقيل تواقف القيمه خمسون موقفا
كل موقف الف سنه فمعنى يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنه اي
وقتا او موقف من يوم القيامه وقال الخاسر اليوم في اللغه بمعنى
الوقت فالمعنى تعرج الملائكه والروح اليه في وقت كان مقداره الف سنه
اي مقدار وقت او موقف وقت او موقف يوم القيمه وقال الخاسر اليوم
واللغه بمعنى الوقت فالمعنى تعرج الملائكه والروح اليه في وقت كان مقداره
الف سنه وفيه وقت اخر كان مقداره خمسين الف سنه وعن وهب بن منبه

في يوم كان مقداره خمسين الف سنه قال ما بين اسفل الارض الى العرش وقال
الثعلبي عن مجاهد وقتاده والضحاك في قوله تعالى تعرج الملائكه والروح اليه
في يوم كان مقداره خمسين الف سنه اراد من الارض الى سدره المنتهى التي فيها
جبريل بقوله تعالى سير جبريل والملائكه الذين معه مسيرة هذا مقامه مسيره خمسين
الف سنه في يوم واحد من ايام الدنيا وقوله اليه يعني الى المكان الذي امرهم الله
تعالى ان يعرجوا اليه وهذا كقول ابرهيم اني ذاهب الى ربي سيهدين اي ذاهب
الشام وقال ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله الى المدينه وقال ابو
هريره قال النبي صلى الله عليه وسلم انا في ملك من ربي تعالى برساله ثم رفع
رجله فوضعها فوق السما والاخرى على الارض لم يرفعها بعض فوق

ذلك عالم الغيب والشهاده

اي علم ما غاب عن الخلق وما حضرهم وذلك معين انها حسما تقدم بيانه في سوره
البقره وفي الكلام معنى التهديد والوعيد اخلصوا افعالكم واقوالكم فاني لجازي عليها

الذي احسن كل شيء خلقه

قرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر خلقه باسكان اللام وفتح الباقون واختاره ابو عبيد وابو
حاتم طلبا لسهولتها وهو فعل ماض في موضع خفض دفعت لبني والمعنى على ما روي عن ابن عباس
احكم كل شيء خلقه اي جاء به على ما اراد لم يتعذر عن ارادته وقول اخران كل شيء حسن لا ند له
يقدر احد ان ياتي بمثله وهو كذلك على خالقه وقرا باسكان اللام فهو مصدر عند
سيبويه لان قوله احسن كل شيء يدل على خلق كل شيء خالق فهو مثل صنع الله وكتاب الله
عليكم وعند غيره منصوب على البدل من كل اي الذي احسن خلق كل شيء وهو
مفعول ثان عند بعض النحويين على ان يكون معنى احسن افهم فيتعدى
الى مفعولين اي افهم كل شيء خلقه وقيل هو منصوب على التفسير والمعنى
احسن كل شيء خلقه وقيل هو منصوب باسقاط حرف الجر والمعنى
احسن كل شيء خلقه وروي معناه عن ابن عباس واحسن اي اتقن
واحكم وهو احسن من وجهين ما هو لمقاصده التي اريدلها ومن هذا المعنى

قال ابن عباس وعكرمة ليست است القرد بحسنة ولكنها متقنة محكمة وهو مثل قوله تعالى اعطى كل شيء خلقه اي لم يخلق الانسان على خلق البهيمة وكون خلقه بالرفع على تقدير ذلك خلقه وقيل هو عموم في اللفظ خصوص في المعنى والمعنى حسن خلق كل شيء حسن وقيل هو عموم في اللفظ والمعنى اي جعل كل شيء خلقه حسنا حتى جعل الكلب في خلقه حسنا قاله ابن عباس وقال قتادة في است القرد حسنه قوله تعالى

وبدأ خلق الانسان من طين

يعني ادم ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين تقدم في المومنين وغيرها وقال الزجاج من ماء مهين ضعيف وقال غيره مهين لا خطر له عند الناس ثم سواه رجع الى ادم اي سوى خلقه ونفخ فيه من روحه ثم رجع الى ذريته فقال وجعل لكم السمع والابصار وقيل ثم جعل ذلك النسل المهين خلقا معتدلا وركب فيه الروح واضافه الى نفسه تشريفا وايضا فانه من فعله وخلقه كما اضاف العبد اليه بقوله عبدي وعبر عنه بالنفخ لان الروح من جنس الريح وقد مضى هذا مبينا في النساء وغيرها قليلا ما تشكرون اي انتم لا تشكرون بل تكفرون

وقالوا ائذا ضللنا في الارض ائنا لفي خلق جديد

هذا قول منكري البعث اي اذا هلكنا وبطلنا وصرنا ترابا واصله من قول العرب ضل الماء في اللبن اذا ذهب والعرب تقول للشيء اذا غلب عليه غيره حتى خفي فيه اثره قد ضل قال الاخطل

كنت القذى في موج اكدر مزبد قذف الاتي به فضل ضلالا

وقال قطرب معنى ضللنا غبنا في الارض وانشد قول النابغة الذبياني

فآب مضلوه بعين جلية وغودر بالجولان حزم ونائل

وقرأ ابن محيصن ويحيى بن يعمر ضللنا بكسر اللام وهي لغة قال الجوهري وقد ضللت اضل قال الله تعالى قل ان ضللت فانما اضل على نفسي فهذه لغة نجد وهي الفصيحة واهل العالية يقولون ضللت بالكسر اضل فهو ضال والضلالة والضلاله واضله اي اضاعه واهلكه يقال اضل الميت اذا دفن قال الشاعر

فآب مضلوه البيت ابن السكيت اضللت بعيري اذا ذهب منك واضللت المسجد والدار اذا لم تعرف موضعهما وكذلك كل شيء مقيم لا يهتدى له وفي الحديث لعلي اضل الله يريد اضل عنه اي خفي عليه من قوله تعالى ائذا ضللنا في الارض اي خفينا واضله الله فضل تقول انك تهدي الضال ولا تهدي المتضال وقرأ الاعمش والحسن صللنا بالصاد وهي قراءة علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال النحاس ولا يعرف في اللغة صللنا ولكن يقال صل اللحم واصل وخم واخم اذا انتن قال الجوهري صل اللحم بالكسر صلولا اي انتن مطبوخا كان او نيا قال الحطيئة

ذاك فتى يبذل ذا قدره لا يفسد اللحم لديه الصلول

واضل سبيله ان انا لفي خلق جديد اي نخلق بعد ذلك خلقا جديدا ويقرأ آئنا النحاس وفي هذا سوال صعب من العربية يقال ما العامل في اذا وان لا يعمل ما بعدها فيما قبلها والسوال في الاستفهام اشد لان ما بعد الاستفهام اجدر ان لا يعمل فيما قبله من ان كيف وقد اجتمعا والجواب على قراءة من قرأ ائنا ان العامل ضللنا وعلى قراءة من قرأ انا ان العامل مضمر والتقدير انبعث اذا متنا وفيه ايضا سوال اخر يقال ايهما اجود اذا على القراءة الاولى لان فيها معنى الشرط فالقول في ذلك ان بعدها فعلا ماضيا فلذلك جاز هذا بل هم بلقاء ربهم كافرون اي ليس لهم جحود قدرة الله تعالى على الاعادة لانهم يعترفون بقدرته ولكنهم اعتقدوا ان لا حساب عليهم وانهم لا يلقون الله عز وجل قوله تعالى

قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم

فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت لما ذكر استبعادهم للبعث ذكر توفيهم وانه يعيدهم بعد فاكم من توفى العدد والشيء اذا توفاه وقبضه جميعا يقال توفاه الله اي استوفى روحه وتوفيت مالي من فلان اي استوفيته ملك الموت واسمه عزرائيل ومعناه عبد الله

كما تقدم في البقرة وتصرفه كله بامر الله عز وجل وتخلفه واخرج عن روي في
الحديث ان البهايم كلها يتوفى الله ارواحها دون ملك الموت كانه يعدم حياتها ذكره
ابن عطيه قلت وقد روي خلافه وان ملك الموت يتوفى جميع ارواح
الخلق حتى الرعوث والبعوضه روي جعفر بن محمد عن ابيه قال نظر رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى ملك الموت عند راس جابر الانصاري فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ارفق بصاحبي فانه مومن فقال ملك الموت عليه السلام
يا محمد طب نفسا وقر عينا فاني بكل مومن رفيق اعلم ان ما من اهل بيت ولا
مدر ولا شعر في بر ولا بحر الا وانا اتصفحهم في كل يوم خمس مرات حتى لانا
اعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بانفسهم والله يا محمد لو اني اردت ان اقبض روح
بعوضه ما قدرت على ذلك حتى يكون الله عز وجل هو الامر بقبضها قال جعفر
ابن محمد بلغنا انه يتصفحهم عند مواقيت الصلوات ذكره الماوردي وذكر
الخطيب ابو بكر احمد بن علي بن ثابت البغدادي قال حدثني ابو محمد
الحسن بن محمد الخلال قال ثنا ابو محمد عبد الله بن عثمان الصفار قال ثنا ابو بكر
حامد المصري قال ثنا يحيى بن ابو بوب العلاف قال ثنا سليمان بن مهران الكلابي
قال حضرت ملك بن انس فاتاه رجل فقال له يا عبد الله اخبرني اعلم ملك الموت يقبض
ارواحها الله يتوفى الانفس حين موتها قال ابن عطيه بعد ذكره الحديث وذلك
الامر في بني ادم الا انه نوع شرف تشرف ملك وملائكته معه في قبض ارواحهم
فخلق الله ملك الموت وخلق على يديه قبض ارواحهم وانشا لها من الاجسام
واخراجها منه وخلق جندا يكونون معه يعينون عمله بامره فقال تعالى
ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة وقال توفته رسلنا وتقبض هذا المعنى
في الانعام والباري خالق الكل والفاعل حقيقة الكل قال الله تعالى الله يتوفى
الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها الذي خلق الموت والحياة يحيي
ويميت فملك الموت يقبض والاعوان يعالجون والله يزهق الروح وهذا
هو الجمع بين الاي والاحاديث لكنه لما كان ملك الموت يتولى ذلك بالوساطه

والمباشره اضيف التوفي اليه كما اضيف الخلق للملك كما تقدم في الحج وروي عن
مجاهد ان الدنيا بين يدي ملك الموت كالطشت بين يدي الانسان ياخذ من
حيث شاء وقد روي عبا بالغين مرفوعا وقد ذكرناه في التذكره وروي ان ملك الموت
لما وكله الله بقبض الارواح قال رب اجعلني اذكر بسوء ونسمي بسوء ادم قال الله تعالى
اني اجعل لهم اسبابا من الامراض والاسقام يبتون الموت امامها فلا يذكرك
احد الا بخير وقد ذكرنا في التذكره سوى وقد ذكرنا انه يدعو الارواح فتجيبه
فيقبضها ثم يسلمها الى ملائكة الرحمة او العذاب بما فيها شفا لمن اراد الوقوف على ذلك
الشاني استدل بعض العلماء بهذه الاية على جواز الوكالة من قوله وكل بكم
اي يقبض الارواح قال ابن العربي وهذا ما خوذ من لفظه لا من معناه ولو اطرد
ذلك لقلنا في قوله تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا انها بيانه عن الله
تعالى في تبليغ رسالته ولقلنا ايضا في قوله عز وجل وانتوا الزكاه انه وكاله فان الله
ضمن الرزق لكل دابه وخص الاغنيا بالاعذيه واوعد البهم بان رزق الفقرا
عندهم وامر بتبليغه اليهم مقدرا معلوما في وقت معلوم دره بعلمه وانفذه
في حكمه وقدره بحكمته والاحكام لا تتعلق بالالفاظ الا ان نزد على
موضوعاتها الاصليه في مقاصدها المطلوبه فانظر في غير مقصدها
لم يتعلق عليك الا تري ان البيع والشري معلوم باللفظ والمعنى وقد قال الله
تعالى ان الله اشتري من المومنين انفسهم واموالهم ان لهم الجنه ولا يقال هذه
الايه دليل على جواز مبايعه السيد لعبده لان المقصد ان يختلفان اما انه
اذا لم يكن بد من المعاني فيقال ان هذه الايه دليل على ان للقابض ان يتبين
من ايجابه ما حق ممن هو عليه فيزاد ون ان يكون له ولك فعل او مرتبط به رضى
اذا وجد ذلك

ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم الاية

ابتدا وخبر قال الزجاج المخاطبه للنبي صلى الله عليه وسلم مخاطبه لامته

والعين ولو نري يا محمد منكري البعث يوم القيمه لرايت العجب ومنه ايي العباس عنه
هذا وان يكون للعين يا محمد قال للمجرم ولو نري اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم
ندمة علي ما كان منهم ناكسوا رؤسهم اي من الندم والحزي والحزن والذل والغم
عندهم وحزا عمالهم ربنا اي يقولون ربنا ابصرنا بنا فاكذب وسمعنا ما كنا
ننكر وقيل ابصرنا صدق وعدك وسمعنا تصديق رسلك ابصروا حين
لا ينفعهم البصر وارجعنا اي الي الدنيا نعمل صالحا انا موقنون اي مصدقون بالبعث
قاله القتاش وقيل مصدقون بالذي جاء به محمد صلي الله عليه وسلم انه حق
قال يحيي بن سلام قال سفين الثوري فاكذبهم الله تعالي ولو ردوا لعادوا لما
هوا عنه وانهم لكاذبون وقيل معني انا موقنون اي فنمنا عنا الشرك
الذي كنا نبصرون ويسمعون في الدنيا ولكن لم يلبثوا يتبصرون فكانوا كمن
لا يبصر ولا يسمع فلما سمعوا في الاخره صاروا حينيذ كانهم سمعوا وابصروا وقيل
ربنا اي لك الحجه فقد ابصرنا رسلك وعجايب خلقك في الدنيا وسمعنا كلامهم
فلا حجه لنا فهنا اعتراف منهم ثم طلبوا ان يردوا الي الدنيا فوسوا

ولو شينا لاتينا كل نفس هداها

قال محمد بن كعب القرظي لما قالوا ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون
رد عليهم بقوله ولو شينا لاتينا كل نفس هداها يقول لو شيت هديت
الناس جميعا فلم يختلف منهم احد ولكن حق القول مني لاملان
ذكره ابن المبارك في رقايقه في حديث فيه طول وقد ذكرناه في التذكره
قال النحاس ولو شينا لاتينا كل نفس هداها في معناه قولان
احدهما انه في الدنيا والاخران سياق الكلام يدل علي انه في الاخره
اي لو شينا لرددنا هم الي المحنه والدنيا كما سالوا ولكن حق القول مني لاملان
جهنم من الجنه والناس اجمعين اي حق القول مني لاعذبن من عصاني بان
جهنم واعلم الله جل وعز انه لو ردهم لعادوا كما قال جل وعز ولو ردوا لعادوا

لما هوا عنه وهذه الهدايه معناها خلق المعرفه في القلب وتاويل المعتزله
ولو شينا لاكرهناهم علي الهدايه باظهار الايات الهايله لكن لا يجوز منه فعله لانه
ينقض الغرض المجري بالتكليف اليه وهو الثواب الذي لا يستحق الا بما يفعله
المكلف باختياره وقالت الاماميه في تاويلها انه يجوز ان يريد هداها
الطريق الجنه في الاخره ولم يعاقب احد لكن حق القول منه انه يدخل جهنم فلا يجب
علي الله عندهم هدايه الكل اليها قالوا بل الواجب هدايه المعصومين فاما من
ذنب فجايز هدايته الي النار جزا علي فعاله وفي جزا ذلك منع لقطعهم علي
المراد هداها الي الايمان وقد تكلم العلما عليهم في هذين انا ويلين بما
فيه في اصول الدين واقرب ما لهم في الجواب ان يقال فقد بطل عندنا
وعندكم ان يهديهم سبحانه علي طريق الالجا والاجبار والاكراه فصار يودي ذلك
الي مذهب الجبريه وهو مذهب رذل عندنا وعندكم لم يبق الا ان المهتدين
من المومنين انما هداهم الله الي الايمان والطاعه علي طريق الاختيار حتي يصح
التكليف فمن شا امن واطاع اختيارا لا احرافا قال الله تعالي لمن شا منكم ان يستقيم
وقال فمن شا اتخذ الي ربه سبيلا ثم عقبها بين الا يتبين بقوله وما تشاون الا
ان يشا الله وفرطنا القدريه لما راوا ان هدايتهم الي الايمان معدوق بمشيه العباد
قالوا الخلق خالقون لافعالهم النفاتا الي قوله تعالي لمن شا منكم ان يستقيم
ومذهبنا هو الاقتصاد في الاعتقاد وهو مذهب بين مذهبي الجبريه
والقدريه وخير الامور اوساطها وذلك انا ملي الحق قالوا نحن نفرق بين
ما اضطررنا اليه وبين ما اختزناه وهوانا ندرك تفرقه بين حركه
الارتعاش الواقعه في يد الانسان بغير محاولته واراداته ولا مقدوره
بقدرته وبين حركه الاختيار اذا حرك يده حركه مماثله الارتعاش ومن لا يعرف
بين الحركتين حركه الارتعاش وحركه الاختيار وهما موجودتان في ذاته
ومحسوستان في يده بمشاهدته وادراك حاسته فمن معتوه في عقله

ومختل في حسه وخارج من حزب العقلا وهذا موحق اليقين وهو طريق
بين طريقي الافراط والتفريط وكلا طرفي قصد الامور ذميم وهذا الاعتبار
اختيار راجل النظر من العلما ان سمو اهذه المنزلة بين المنزلتين كما واخذوا
هذه التسمية من كتاب الله عز وجل وهو قوله سبحانه لها ما كسبت وعليها
ما اكتسبت

فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا

فيه قولان احدهما انه من النسيان الذي لا ذكر معه اي فلم تعملوا لهذا اليوم
فكانوا بمنزلة الناسين والاخر ان نسيتم ما تركتم وكذا انا نساكم واصح من هذين
بقوله جل وعز ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي قال والدليل على انه بمعنى ان الله جل وعز
اخبر عن ابليس انه قال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين
فلو كان ادم ناسيا لكان قد ذكره وانتفى
كانه خارجا من جنب صخنته سفود شرب نسوه عند مقتاد
اي تركوه ولو كان من النسيان لكان قد عملوا به مرة قال الضحاك نسيتم
اي تركتم امري ○ يحيى بن سلام اي تركتم الايمان بالبعث في هذا اليوم
نساكم اي تركناكم من الخير قاله السدي ○ مجاهد تركناكم في العذاب
وفي استيناف قوله انا نساكم وبنا الفعل على ان واسمها تشديد في الانتقام
منهم والمعنى فذوقوا هذا اي ما انتم فيه من نكس الرؤس والخزي والغم
بسبب نسيان الله اوذوقوا العذاب المخلد وهو الدائم الذي لا انقطاع له في
جهنم بما كنتم تعملون بعيني في الدنيا من المعاصي وقد عبر بالذوق عما يطرأ
على النفس وان لم يكن مطعوما لاحساسها به كاحساسها بالذوق في المطعم
قال ابن ابي ربيعه

فذوقي مجرها ان كنت تزعم انها فتاة الايار بالكذب الذعم

الجوهري وذقت ما عند فلان اي جربته وذقت الصوف اي احذبت وترها
لتنظر ما شدتها واذاقه الله وبال امره قال طفيل

فذوقوا اذاقنا غداة محجر من العيط في اكنادنا والحنوب

وتذوقته اي ذقته شيئا بعد شيء وامر مستذاق اي مجرب معلوم قال الشاعر

وعهد العامريان كهد مني وبئس عز الحجايل مستذاق

والذوق الملول

انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا

نسليه للنبي صلى الله عليه وسلم اي انهم لا يعلم الكفر بالله يوصفون كما انا يؤمن بالقرآن
المتدبرون له المغبطون به وهم الذين اذا قرئ عليهم القرآن خروا سجدا قال
ابن عباس كذا قال المهدوي وهذا على مذهب من يرى الركوع عند قراءة السجدة
واستدل بقوله عز وجل خروا ركعا واناب وقيل للراد السجود وعليه اكثر العلما
اي خروا سجدا لله عليه جوههم تعظيما لآياته وخوفا من سطوته وعذابه وسجدا
بحمد ربهم اي خلطوا التسبيح بالحمد اي نزهوه وحمدوه فقالوا في سجودهم سبحان الله
وبحمده سبحان ربي الاعلى اي تنزيها لله عز وقول للمشركين وقال سفيان وسجدا
بحمد ربهم اي صلوا احمدا لنعمهم وهم لا يستكبرون كما استكبر اهل مكة عن السجود

تتجافى جنوبهم عن المضاجع

اي ترتفع وتنبو عن مواضع الاضطجاع وهو في موضع نصب على الحال اي متجافيا فيه
جنوبهم والمضاجع جمع مضجع وهو مواضع النوم وتحتمل عن وقت الاضطجاع
ولكنه مجاز والحقيقة اول منه وقد قال عبد الله بن رواحه

وفينا رسول الله يتلو كتابه اذا انشق معروف من الصبح ساطع
ابيت بجافي جنبه عن فراشه اذا استثقلت بالمشركين المضاجع

قال الزجاج والرماني المجافي هو المجفي الجنب فوق وكذلك هو في الصفة
عن المخطئ في سب ونحوه والجنوب جمع جنب وقيل تتجافى جنوبهم عن المضاجع

لاحله فقد ثبت احدهما لذكر الله تعالى في صلاته واما في غير صلاته فقال ابن عباس والضحاك
الثابت في الصلاة وفي الصلاة التي تتجافى جنوبهم لاجلها اربعة اربعة افضل احدها التنفل
بالليل قاله الجمهور من المفسرين وعليه اكثر الناس وهو الذي به المدح وهو قول مجاهد
والشعبي وملك بن انس والحسن بن ابي الحسن وابي العالية وغيرهم ويدل عليه قوله تعالى
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين لانهم جوزوا ما الخير عاجل والله اعلم وسيأتي بيانه
وفي قيام الليل احاديث كثيرة منها حديث معاذ بن جبل وان النبي صلى الله عليه وسلم
قال الا ادلك على ابواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وصلوة
الرجل من جوف الليل ثم تلى تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ يعملون اخرجه
ابو داود الطيالسي في مسنده والفاريابي اسماعيل بن اسحق وابو عيسى الترمذي
وقال فيه حديث صحيح الثاني صلاة العشاء التي يقال لها العتمة قال الحسن وعطا
وفي الترمذي عن انس بن مالك في هذه الآية تتجافى جنوبهم عن المضاجع نزلت في
انتظار الصلوة التي تدعى العتمة قال هذا حديث غريب الثالث التنفل ما بين المغرب
والعشا قاله قتادة وعكرمة وروى ابو داود عن انس بن مالك في هذه الآية
تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون قال كانوا
يتنفلون ما بين المغرب والعشا الرابع قال الضحاك تجافى الجنب هو ان يصلي الرجل العتمى
والصبح في جماعة وقاله ابو الدرداء وعباده قلت وهذا قول حسن وهو جمع الاقوال
بالمعنى وذلك ان مستظر العشا الى ان يصليها في جماعة وذكر الله عز وجل وعن كما قال النبي
صلى الله عليه وسلم لا يزال الرجل في صلاة ما انتظر الصلاة وقال ابن المراد بالليه انتظار
صلاة العشا الاخرة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤخرها الى ثلث الليل
قال ابن عطية وكانت العرب تسمي ما بين المغرب ومزاول وقت نشا
الاوابين فجاء انتظار وقت العشا غريبا شاقا وصلي الصبح في جماعة لا سيما
في اول الوقت كما كان عليه السلام يصليها والعادة ان من حافظ على هذه
الصلاة في اول الوقت يقوم سحرا يقضيها ويصلي ويذكر الله عز وجل الى ان يصلي
الفجر فقد حصل التجافي في اول الليل واخره ولفظ الترمذي وابي داود في هذا الحديث

من شهد العشا في جماعة كان له قيام نصف ليلة ومن صلى العشا والفجر في جماعة كان
كقيام ليله وقد ميز في سورة النور عن كعب بن مرة صلى بعد العشا الاخرة اربع ركعات
كن له كمثل ليلة القدر وجاء آثار حسان في فضل الصلاة بين المغرب والعشا
وقيام الليل ذكر ابن المبارك قال اخبرنا يحيى بن ايوب قال حدثني محمد بن الحجاج او ابن
ابي الحجاج انه سمع عبد الكريم يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ركع عشر
ركعات بنى الله له قصرا في الجنة فقال عمر بن الخطاب اذا نكثر قصورنا ويوشك يا
رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكثر واطيب وعن عبد الله
ابن عمرو بن العاص قال صلاة الاوابين الخمسة ما بين المغرب والعشا حين يثوب
الناس الى الصلاة وكان عبد الله بن مسعود يصلي في تلك الساعة ويقول ساعة
الغفلة بين المغرب والعشا ذكره ابن المبارك ورواه الثعلبي مرفوعا عن ابن عمر قال قال
النبي صلى الله عليه وسلم من جنة حيناه الضاجع ما بين المغرب والعشا بين الله له
قصرا في الجنة مسيرة عام وفيها من النجم ما لو نزلها اهل المشرق والمغرب لوسعهم
فاكهة وهي صلاة الاوابين وغفلة العافلين وان من الدعا المستجاب الذي
لا يرد الدعا بين المغرب والعشا

فصل في فضل التجافي

ذكر ابن المبارك عن ابن عباس قال اذا كان يوم القيمة نادي مناد ستعلمون اليوم من
اصحاب الكرم ليقم الحامدون الله على كل حال فيقومون وهم يسيرون الى الجنة ثم يعود
يا دنيا بنيه ستعلمون اليوم من اصحاب الكرم ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم
المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون قال فيقومون
فيدخلون الجنة قال ثم يا دنيا بنيه ستعلمون اليوم من اصحاب الكرم
ليقم الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة يخافون
يوما تتقلب فيه القلوب والابصار فيقومون فيدخلون الجنة ذكره الثعلبي مرفوعا
عن اسماء بنت يزيد قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والاخرين يوم

يوم القيمة حامدا وفيما ذكر يصوت تسمعه الخلايق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم
ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع وهم يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون
من اولى بالكرم ليقم الحامدون الله على كل حال في السراء والضراء يقومون وهم
قليل من الليل ما يهجعون ثم يحاسب سائر الناس وذكر ابن المبارك قال اخبرنا محمد
عن رجل عن ابي العلاء بن الشخير عن ابي ذر قال بلغني انه يصعد الى الله اليهم ويستبشر الله بهم
رجل قام من الليل ونزل فراشه ودفئه ثم توضأ فاحسن الوضوء ثم قام الى الصلوة
فيقول الله للملائكته ما حمل عبدي على ما صنع فيقولون ربنا انت اعلم به منا فيقول
انا اعلم به ولكن اخبروني فيقولون رحمته شبابه فرجاه وخوفه شيبه فيقول
ويقولون اشهدكم اني قد غفرت له ما رجاه واوجبت له ما رجاه قال ورجل كان في سرية
فلقي العدو فانهزم اصحابه وثبت هو حتى يقتل ويفتح الله عليهم فيقول الله للملائكته
مثل هذا فعله ورجل سرى ليله حتى اذا كان في اخر الليل نزل هو واصحابه وقام
هويصلي فيقول الله للملائكته فذكر الفضه قوله تعالى يدعون ربهم في موضع
نصب على الحال اي داعين ويحتمل ان يكون صفة مستانفة اي تتجافى جنوبهم
وهم ايضا في كل حال يدعون ليلهم ونهارهم خوفا مفعول من اجله ويجوز ان
يكون مصدرا وطمعا مثله اي خوفا من العذاب وطمعا في الثواب ومما رزقناهم
ينفقون ويكون ما بمعنى الذي ويكون مصدرا وفي كلا الوجهين يجب ان يكون منفصله
من من وينفقون قيل معناه الزكاة المفروضة وقيل النوافل وهذا القول اليق

فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قره اعين

فراحة ما اخفي لهم باسكان الياء وفتحها الباقون ○ وفي قراءة عبد الله ما تخفي بالتاء
محذوفة وروي الفضل عن عاصم ما تخفي لهم بالتاء المضمومة وفتح الفاء وفتا
ابن مسعود وابو هريرة من قره اعين فمن اسكنه الياء من قوله ما اخفي لانه مستقبل
والفه الف المتكلم وما في موضع نصب باخفي وهي استفهام والجملة في موضع نصب
لوقوعها موقع المفعولين والضمير العايد عليها محذوف ومن فتح الياء فعل ما لم

مبني للمفعول وما في موضع رفع بالابتدا والجار الخفي وما بعده والضمير عايد على ما قال
الزجاج ويقرئ ما اخفي لهم بمعنى ما اخفى الله لهم وفي قراءة محمد بن كعب ما في موضع نصب
المهدوي ومن قرا قرات اعين جمع قرة وحسن ان يجمع بنه لاضافته الى جمع
والافراد لانه مصدر وهو امر للجنس وقال ابو بكر الانباري وهذا غير مخالف
للمصحف لان ما قرء تكتب تا على لغة من يجري الوصل على الوقف كما كتبوا رحمة الله
بالتا ولا يستنكر سقوط الالف من قرات في الخط وهو موجود في اللفظ كما لم يستنكر
سقوط الالف من السموات فهي كاينة في اللسان والنطق والمعنى المراد انه اخبر
تعالى بما لهم من النعيم الذي لم تعلمه نفس ولا بشر ولا ملك وفي معنى هذه الاية قال النبي
صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قرا هذه الاية تتجافى جنوبهم عن المضاجع الى قوله
جزاء كانوا يعملون اخرجه الصحيح من حديث سهل بن سعد الساعدي وقال ابن
مسعود في التوراة مكتوب على الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لا عين رات ولا
اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال ابن عباس لا مرية في هذا الخبر واعظم من ان يعرف
تفسيره قلت وهذه الكرامة انما هي لاعلى اهل الجنة منزله كما جاء مبينا في صحيح
مسلم عن المغيرة بن شعبة رفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال موسى عليه
السلام ربه فقال يا رب ما ادنى اهل الجنة منزله قال هو رجل اتى بعد ما يدخل اهل الجنة
الجنة فيقال له ادخل الجنة فيقول ايه رب كيف وقد نزل الناس منازلهم واخذوا
اخذاتهم فقال له اترضى ان يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا فيقول رضيت يا رب
فيقول لك ذلك ومثله معه ومثله ومثله ومثله فيقول في الخامسة رضيت
ربي فيقول لك ذلك وعشرة امثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذه عينك فيقول
رضيت ربي قال رب فاعلاهم منزله قال اولئك الذين اردت كرامتهم غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها
فلم تر عين ولم تسمع اذن ولم تخطر على قلب بشر قال وتصداقه قوله تعالى في كتابه
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قره اعين الاية وقد روي عن المغيرة موقوفا قوله وخرج مسلم
ايضا عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل اعددت لعبادي
الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخرا له ما اطلعكم عليه

ثم قرا فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقال ابن سيرين المراد به النظر الى الله تعالى
وقال الحسن اخفى القوم اعمالهم فاخفى الله لهم ما لا عين رات ولا اذن سمعت قوله تعالى

افمن كان مومنا كمن كان فاسقا لا يستوون

فيه ثلاث مسايل الاولى افمن كان مومنا كمن كان فاسقا لا يستوون اي ليس المومن
كالفاسق فهذا ايتا هولاء الموصين الثواب العظيم قال ابن عباس وعطا بن يسار
نزلت الاية في علي بن ابي طالب والوليد بن عقبه بن ابي معيط وذلك انهما تلاحيا فقال
له الوليد انا ادرب منك لسانا واحد سنانا واردا للكتيبه ورويا واملا للكتيبه
جسدا فقال له علي اسكت فانك فاسق فنزلت الاية وذكر النحاس والماوردي
نزلت في علي وعقبه بن ابي معيط قال ابن عطيه وعلى هذا ينبغي ان يكون
الاية مكيه لان عقبه لم يكن بالمدينه وانما قتل في طريق مكه منصرف رسول الله صلى الله
عليه وسلم من بدر ويعترض القول الاخر باسم الفسق على الوليد وذلك يحتمل
ان يكون قد صدر اسلام الوليد لتي كان في نفسه او لما روي عن نفله عن
جاهليته المطلق ما لم يكن حتى نزلت فيه ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا على ما
ياتي في الحجرات بيانه ان شاء الله تعالى ويحتمل ان تطلق الترجمه ذلك عليه
لانه كان على طرف مما سبق وهو الذي شرب الخمر في زمان عثمان وصلى الصبح
بالناس ثم التفت وقال ما تزيدون ان اذيدكم ونحو هذا مما يطول ذكره
الثانيه لما قسم الله تعالى المومنين والفاسقين الذين قسمهم بالكفر
لان التكذيب في اخر الاية يقتضي ذلك اقتضى ذلك نفي المساواه والكافر
ولهذا منع القصاص بينهما اذ من شرط وجوب القصاص المساواه بين القاتل
والمقتول ولهذا احتج علما وتا على ابي حنيفه في قتله المسلم بالذمي وقال
انا دفع المساواه ههنا في الاخره في الثواب وفي الدنيا بالعصمه وخرجه ماه على عمومه
وهو اصح اذ لا دليل يخصه قاله ابن العربي الثالثه قوله تعالى لا يستوون فلهذا
قال الزجاج وغيره من نصلح للواحد والجمع التي بمعنى لفظ من يودى عن الجماعه
فقال لا يستوون هذا قول كثير من النحويين وقال بعضهم لا يستوون للاثنين

لان الاثنين جمع لانه واحد جمع مع اخر وقاله الزجاج ايضا والحديث يدل على هذا
القول لانه عن ابن عباس وغيره وقال نزلت افمن كان مومنا في علي بن ابي طالب
رضي الله عنه كمن كان فاسقا في الوليد بن عقبه بن ابي معيط وقال الشاعر

البين الموت بيننا سوا اذا ما نفوا وصاروا في القبور

قوله تعالى

اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات الماوى

اخبر عز وجل ان الفريقين عند الله المومنين جنات الماوى اي يا وون اليها فاضاف
الجنات الى الماوى لان ذلك الموضع يتضمن جنات نزلا اي ضيافه والنزل ما
يتهيا للنازل والضيف وقد مضى في اخر العمران وهو نصب على الحال من الجنات
اي لهم الجنات معده ويجوز ان يكون مفعولا له واما الذين فسقوا اخرجوا
عن الايمان الى الكفر فاولهم النار اي مقامهم فيها كما اراد ان يخرجوا منها اعيدوا
فيها اي اذا دفعهم لهب النار الى اعلاها رد وا الى موضعهم فيها لانهم يطمعون في
الخروج منها وقد مضى هذا في الحج وقيل لهم اي يقال لهم خزنة جهنم او يقول لهم ذوقوا عذاب
النار الذي كنتم به تكذبون والذوق يستعمل محسوسا ومعنى وقد مضى في البقره
بيانه قوله تعالى

ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر

قال الحسن وابو العاليه والضحاك وابي بن كعب واكثر اهل التفسير العذاب الادنى مصاب
الدنيا واسقامها مما يبتلى به العباد حتى يتوبوا وقاله ابن عباس وعنه ايضا انه الحدود
وقال ابن مسعود والحسن بن علي وعبد الله بن الحرث هو القتل بالسيف يوم بدر
وقال مقاتل الجوع سبع سنين بمكه حتى اكلوا الجيف قاله مجاهد وعنه ايضا العذاب
الادنى عذاب القبر وقاله البراء بن عازب قالوا والاكبر عذاب يوم القيمه قاله القرظي
وقيل عذاب القبر وفيه نظر لقوله لعلهم يرجعون اي يرجع من بقي منهم والاخلاف
ان العذاب الاكبر عذاب جهنم للاما روي عن جعفر بن محمد انه خروج المهدي
بالسيف والاول اغلا السمع وقد قيل ان معنى قوله لعلهم يرجعون هلي قول مجاهد
والبراء اي لعلهم يريدون الرجوع يطلبونه لقوله فارجعنا نعمل صالحا وسميت اراده

الرجوع رجوعا كما سمعت اراده القيام قياما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة ويدل عليه
قراءة من قرأ يرجعون على البناء للمفعول ذكره الزمخشري قوله تعالى ومن اظلم اي لا احد اظلم
لنفسه ممن ذكر بايات ربه اي يحجه وعلاماته ثم اعرض عنها بترك القبول انا من المجرمين
منتقمون لتكذيبهم واعراضهم قوله تعالى

ولقد اتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه

اي فلا تكن يا محمد في مرية من لقائه اي فلا تكن في شك من لقاء موسى قاله ابن
عباس ولقد لقيته ليلة الاسراء وقال قتادة المعنى فلا تكن في شك من انك لقيته ليلة
الاسراء والمعنى واحد وقيل فلا تكن في شك من لقاء موسى في القيامة وستلقاه فيها
وقيل فلا تكن في شك من لقاء موسى اياك بالقبول قاله مجاهد والزجاج وعزا احسن
انه قال في معناه ولهذا اتينا موسى الكتاب فاوذي وكذب فلا تكن في شك من اياه سيلقال
ما لقيه من التكذيب والاذى قالها هارون على محذوف والمعنى من لقائنا ما لاقى النحاس
وهذا قول غريب الا انه من رواية عمرو بن عبيد وقيل في الكلام تقديم وتاخير
والمعنى قال ينو فاكم ملك الموت الذي وكل بكم فلا تكن في مرية من لقائه فجاء معترضا
بين ولقد اتينا موسى الكتاب وبين وجعلناه هدى لبني اسرائيل والضمير في جعلناه
منه وجهان احدهما جعلنا موسى قاله قتاده الثاني جعلنا الكتاب قاله الحسن
وجعلنا منهم ائمة اي قاده وقدوة يقتدي في دينهم والكوفيون يقرؤون ائمة على الجمع
وهو لحن عند جميع النحويين لانه جمع بين همزتين وهو كلمة واحدة وهو من دقيق اللحن
وشرحه ان الاصل ائممة فنقلت حركة الميم على الهمزة وادغمت الميم فصفت الممدة
الثانية ليلا يجتمع همزتان والجمع بين همزتين في حرفين بعيد فاما في حرف واحد فلا يجوز
الا تخفيف الثانية نحو قولك لادم واحزون ويقال لهذا او من هذا وانم الواو واليا
وقد حصن في براءة يهدون بامرنا اي يدعون الخلق الى طاعتنا بامرنا اي امرنا اياهم بذلك
وقيل بامرنا اي لامرنا يهدون الناس لدينا ثم قيل اراد الانبياء قاله قتاده
وقيل الفقهاء والعلماء الصبروا فراه العامة لما بفتح اللام وشد الميم وفتحها اي
حين صبروا وفراحمزه والكسائي وخلف وروبس عن يعقوب لما صبروا بالباء قيل يقفى
لصبرهم جعلناهم ائمة واختاره ابو عبيد اعتبارا بقراءة ابن مسعود بما صبروا بالباء قيل يقفى

يز الانبياء ويزفومهم حكاه الفراء قوله تعالى اولم يهد لهم وقرا ابو عبيد الرحمن
السلمي وقتاده وابو زيد عن يعقوب يهدلهم بالنون وهذه قراءة ميمون الخباز وبالكاف فيها
اشكال لانه يقال الفعل لا يجلو من فاعل واين الفاعل ليهد فتكلم النحويون في هذا فقال الفراء
كم في موضع رفع بيهد وهذا نقض لاصول النحويين في هذا في قولهم ان الاستفهام
لا يعمل فيه ما قبله ولا في كم بوجه اعني ما قبلها ومنهم ابن العباس ان يهد يدل
على الهدى والمعنى اولم يهد لهم الهدى وقيل المعنى اولم يهد الله فيكون معنى لها
والنون واحدا اي اولم يبين لهم اهلاكنا القرون الكافرة من قبلهم وقال
الزجاج كم في موضع نصب اهلكنا يمشون في مساكنهم يحتمل الصبر في عشرين ان يعود
على الماشين في مساكن المهلكين اي وهم لا يمشون ولا يعتبرون ويحتمل ان يعود
على المهلكين فيكون حالا والمعنى اهلكناهم ماشين في مساكنهم ان في ذلك
لايات افلا يسمعون ايات الله وعظاته فيتعظون قوله تعالى

اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز

اي اولم يعلموا كال قد رتنا وسوقنا الماء الى الارض اي بسبب النبات فيها لبهيمها
٥ الزمخشري الجرز الارض التي جرز نباتها اي قطع اما لعدم الماء واما لانه رعي
قال ابن عباس في ارض باليمن وقال مجاهد اس وقال عكرمة هي الارض
الارض الصعيد وقال الضحاك هي الارض المجدبة العطشا وقال الفراء هي الارض
التي لا نبات فيها وقال الاصمعي هي الارض التي لا تنبت شيئا قال محمد بن يزيد
يبعد ان يكون الارض بعينها بدخول الالف واللام الا انه لا يجوز على قول من
قال ابن عباس والضحاك والاسناد عن ابن عباس صحيح لا مطعن فيه
وهذا انما وقعت اللغة للمعرفة يكون بالالف واللام وهو مشتق من
قولهم رجل جروز اذا كان لا يبقي شيا الا اكله قال الراجز

خبيت جروز واذا جاع بكى ويأكل التمر ولا يلقى النوى

وكذلك قد جرز اذا كانت تاكل كل شيء وسيف جراز اي قاطع ماض

وحرزت الحراد الزرع اذا استاصلته بالاكل وحبلى الفراء وغيره يقال ارض حرز
وحرز وحرز وكذلك نحل ونهب ورغب في الاربع اربع كفات وقد ورد ان هذه
الارض لا تنبت زرعها ومن بعيده من البحر واما ياتيها في كل عام واما ياتيها في كل
عام واديان فيزرعون ثلاث مرات في كل عام عن مجاهد ايضا انها ارض النيل
تخرج به اي بالماء زرعا تاكل به انعامهم من الكلا والحشيش وانفسهم من الحب والخضر
والفواكه افلا يبصرون هذا بجلوت انا نفذ على اعدائنم فحرج نحوز معطوفا
على يسوقا ومنقطعا مما قبله تاكل منه انعامهم في موضع نصب على النعت

قوله تعالى

ويقولون متى هذا الفتح

متى في موضع رفع ويجوز ان يكون في موضع نصب على الظرف قال قتاده بالفتح القضاء
وقال الفراء الفتيبي يعني فتح مكة واولى من هذا ما قاله مجاهد قال يعني يوم
القيمة وبروى ان المومنين قالوا يجمع الله عز وجل بيننا يوم القيمة فيفتح بيننا
وبين اعدائنا فقال النبي فقال الكفار على التهزي متى يوم الفتح اي هذا الحكم ويقال
للحاكم فاتح وفتاح لان الانبياء تفتح على يديه وتفصل وفي القرآن ربنا افتح
بيننا وبين قومنا بالحق وقد مضى هذا في البقرة وغيرها قل يوم الفتح على الظرف ولجاز
الفراء الرفع لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون اي يوخرون التوبة ان كان
يوم الفتح يوم بدر او فتح مكة ففي بدر قتلوا ويوم الفتح هربوا فلحقتم
خالد بن الوليد فقتلهم قوله تعالى

فاعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون

قيل معناه اعرض عن سفههم لا حكمهم الآن امرت به وانتظر انهم منتظرون
اي انتظر يوم الفتح يوم يحكم الله لك عليهم ابن عباس فاعرض عنهم اي عن مشركي
قريش بمكة وان هذا منسوخ بالسيف في براءة في قوله تعالى فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم وانتظر اي موعدي لك قيل يعني يوم بدر انهم منتظرون

اي ينتظرون بكم حوادث الزمان وقيل الاية غير منسوخة اذ قد يقع الاعراض
مع الامر بالقتال كالهدنة وغيرها وقيل اعرض عنهم بعد ما بلغتهم الحجة وانتظر
انهم منتظرون ان قيل كيف ينتظرون اليقين وهم لا يوقنون فيقال هذا جوابان
احدهما ان يكون المعنى انهم منتظرون الموت وهو مرتاب باليقين فيكون هذا
مجازا والاخوان فيهم من يشك ومنهم من يوقن باليقين فيكون هذا جوابا لهذين الصنفين
والله اعلم وقرا ابن السميفع انهم منتظرون بفتح الظاء وروى عن مجاهد وابن محيصن
فتح الفراء لا يصح هذا الا ما رجاناه انهم منتظرون ثم قال ابو حاتم الصحيح
بالكسر اي انتظر عذابهم انهم منتظرون هلاكك وقد قيل ان قراءة ابن السميفع
بفتح الظاء معناها انتظر هلاكهم فانهم لحقا بان ينتظر هلاكهم يعني انهما لموت
لا محالة وانتظار ذلك ان الملائكة والسماء ينتظرونه ذكره الزمخشري وهو معنى قول الفراء تم السورة

سورة الاحزاب مدنية

في قول جميعهم غير قتادة والمنافقين وابنائهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعنهم فيه
وفي ناكحته وغيرها وفي ثلاث وسبعون اية وكانت هذه السورة
تعدل سورة البقرة وكانت فيها اية الرجم الشيخ والشيخة
اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم ذكره ابو بكر
الانباري عن ابي بن كعب وهذا يحمله اهل العلم على ان الله تعالى
رفع من الاحزاب اليه ما يريد على ما في ايدينا وان اية الرجم رفع لفظها
وقد حدثنا احمد بن الهيثم بن خالد قال حدثنا ابو عبيد القاسم بن سلام
قال ثنا ابن ابي مريم عن ابن ابي لهيعة عن ابي الاسود عن عروة عن عايشة
كانت سورة الاحزاب تقرا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
مايتي اية فلما كتبنا المصحف لم نقدر منها الا على ما هو الان قال
ابو بكر فبين هذا من قول ام المومنين عايشة ان الله تعالى رفع اليه
من سورة الاحزاب ما يزيد على ما عندنا قلت

هذا وجه من وجوه النسخ وقد تقدم في البقرة القول فيه مستوفى وروي عن ابي
ابن كعب انه قال لم تعدون سورة الاحزاب قلت ثلاثا وسبعين اية قال والذي
يحلف به ابي بن كعب ان كانت لتعدل سورة البقرة او اطول ولقد قرانا منها اية
الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم اراد
ان ذلك من جملة ما نسخ من القرآن واما ما يحكى ان تلك الزيادة كانت في صحيفة
تحت عائشة فاكلتها الداجن فمن تالبف الملحدة والروافض
قوله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اتق الله

ضمنت اي لانه نداء مفرد والسبب لازم لها والنبي نعت لاي عند النحويين
الا الاخفش فانه يقول انه صلة لاي ○ مكي ولا يعرف في كلام العرب اسم مفرد صلة
لي ○ النحاس وهو خطأ عند اكثر النحويين لان الصلة لا تكون الا جملة والاجتمال
له فيما قال انه لما كان نعتا لازما سمي صلة فهذا الكوفيون يسمون نعت النكرة
صلة لها ولا يجوز نصبه على الموضع عند اكثر النحويين واجازه المازني حمله لقوله
يا زيد الظريف بنصب الظريف على موضع زيد ○ مكي وهذا نعت يستغنى عنه
ونعت اي لا يستغنى عنه فلا يحسن نصبه على الموضع وايضا فان نعت اي صالح لمادي
في المعنى فلا يحسن نصبه وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة
وكان يحب اسلام اليهود فرئيسه والنضير وبني قينقاع وقد تابعه ناس منهم قبل
النفاق فكان يلين لهم جانبه ويكرم صغيرهم وكبيرهم واذا اتى منهم قبيح تجاوز
عنه وكان يسمع منه فنزلت وقيل انها نزلت فيما ذكر الواحدي والثعلبي
والثعلبي والماوردي وغيرهم في سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابي الاعور
عمرو بن سفيان نزلوا المدينة على عبد الله بن ابي بن سلول رئيس المنافقين بعد احد
وقد اعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم على ان يكفوه فقام معهم عبد الله بن سعد
ابن ابي سرح وطعمة بن ابيرق فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وعنده عمر بن الخطاب
ارفض ذكر الهتنا اللات والعزى ومناة وقل انها شفاعة ومنعة لمن عبدها

وتدعك وربك فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمر يا رسول الله اذن لنا في
قتلهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني قد اعطيتهم الامان فقال عمر اخرجوا
لعنه الله وغضبه فامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يخرجوا من المدينة فنزلت الاية يا ايها
النبي اتق الله اي خف الله ولا تطع الكافرين من اهل مكة يعني ابا سفيان وابا الاعور
وعكرمة والمنافقين من اهل المدينة يعني عبد الله بن ابي وعبد الله بن ابي سرح
فيما هممت عنه ولا تعمل البتة ان الله كان عالما بكرهم حكيما بما يفعل بهم ○ الزمخشري
روي ان ابا سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور قدموا على النبي صلى الله عليه
وسلم في الموادعة التي كانت بينهم وبينه وقام معهم عبد الله بن ابي ومعتب بن قشير
وابن بن قيس فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارفض ذكر الهتنا وقل عنها
ما تقدم وان لا يه نزلت في نقض العهد والمواعدة ولا تطع الكافرين من
اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة فيما طلبوا اليك وروي ان اهل مكة
دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان يرجع عن دينه ويعطيه شطر اموالهم وبنو وجه
شيبة بن ربيعة بذلك وخوفه منافقو المدينة انهم يقتلونه ان لم يرجع فنزلت
○ النحاس ودل بقوله ان الله كان عليما على انه كان يميل اليهم استدعاء لهم الى الاسلام
اي لو علم الله عز وجل ان يميلك اليهم فيه منفعة لما فعل عنهم لانه حكيم ثم قيل
الخطاب له ولامته

واتبع ما يوحى اليك من ربك

وهو القرآن وفيه زجر عن اتباع مراسم الجاهلية وامر بهدمها ومنابذتهم
وفيه دليل على ان ترك اتباع الآباء مع وجود النص والخطاب له ولامته ان الله كان بما
تعملون خبيرا قراءة العامة بتاء على الخطاب وهو اختيار ابي عبيدة وابي حاتم
وقرأ السلمي وابو عمرو وابن ابي اسحق يعملون بالياء على الخبر وكذلك قوله بما
يعملون بصيرا وتوكل على الله اي اعتمد عليه في كل احوالك وهو الذي يكفيك
ولا يضرك من خذلك وكفى بالله وكيلا حافظا وقال بعض من اهل الشام قدم

على البر صلى الله عليه وسلم وفد بني ثقيف فطلبوا منه ان يمتعهم باللات سنة وهي الطاغية
التي كانت بثقيف تعبدها وقالوا التعلم قريش منزلتنا عندك فلم النبي صلى الله عليه
وسلم بذلك فنزلت وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا اي حافظا كافيا ما تخافه منهم وبالله
في موضع رفع لانه الفاعل ووكيلا نصب على البيان او الحال

ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه

فيه خمس مسائل الاولى قال مجاهد نزلت في رجل من قريش كان يدعى ذا القلبين
من دهايه وكان يقول ان لي في جوفي قلبين اعقل بكل واحد منهما افضل من عقل محمد قال
وكان من بني فهر ان الواحدي والثعلبي وغيرهما زلت في جميل بن معمر العدري وكان
رجلا حافظا لما سمع فقالت قريش ما حفظ هذه الاشياء الا وله قلبان عقل بهما افضل
من عقل محمد فلما هزم المشركون يوم بدر ومعهم جميل بن معمر راه ابو سفيان في العير وهو
معلق احد نعليه بيده والاخرى في رجله فقال ابو سفيان ما حال الناس قال
انهزموا قال فما بال احد نعليك في يدك والاخرى في رجلك قال ما شعرت الا انهما في
رجلي فعرفوا يومئذ انه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده وقال السهيلي
كان جميل بن معمر الجمحي وهو معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح واسمه جمح بن تيم
وكان يدعى ذا القلبين فنزلت فيه الاية وفيه يقول الشاعر

وكيف تواديني بالمدينة بعدما ... قضيت وطرا منك يا جميل بن معمر

قلت كذا قال لجميل بن معمر وقال الزمخشري لجميل بن اسد الفهري
وقال ابن عباس سببها ان بعض المنافقين قال ان محمدا له قلبان لانه
ربما كان في شيء فنزع في غيره نزعه ثم عاد الى شانه الاول فقالوا فلانة فيه
فاكذبهم الله عز وجل وقيل نزلت في عبد الله بن خطل وقال الزمخشري
وابن حبان نزل ذلك تمثيلا في زيد بن حارثة لما تبناه النبي صلى الله عليه وسلم
فالمعنى كما لا يكون لرجل قلبان فكذلك لا يكون ولد واحد لرجلين قال النحاس
وهذا قول ضعيف لا يصح في اللغة وهو من سقطات الزمخشري رواه معمر عنه

وقيل هو مثل ضرب لمظاهر اي كما لا يكون لرجل قلبان كذلك لا يكون امرأة
المظاهر امه حتى يكون له امان وقيل كان الواحد من المنافقين يقول ان لي قلب
يامرني بكذا وقلب يامرني بكذا فالمنافق ذو قلبين فالمقصود به النفاق
وقيل لا يجمع الكفر والايمان بالله في قلب كما لا يجتمع قلبان في جوف فالمعنى
انه لا يجتمع اعتقادان متغايران في قلب ونظير هذا الابية بجملتها نفي اشياء
كانت العرب تفعلها في ذلك الوقت واعلام بحقيقة الامر والله اعلم الثانية
القلب بضعة صغيرة على هيئة الصنوبرة خلقها الله تعالى في الادمي وجعلها محلا للعلم
فيحصي به العبد من العلوم ما لا يبلغ في اضعاف كيفيته الله بالخط الالهي ويحفظه
فيه بالحفظ الرباني حتى يحجبه ولا ينسى منه شيئا وهو بين لمتين له من الملك وله من
الشيطان كما قال عليه السلام فرجه الزمردي وقد مضى في البقرة وهو محل الخطرات والوساوس
ومكان الكفر والايمان وموضع الاصرار والانابة ومجرى الانزعاج والطمانينة
والمعنى في الاية انه لا يجتمع الكفر والايمان والهدى والضلال والانابة والاصرار
وهذا فيه بقي لكل ما توهمه احد في ذلك من حقيقة او مجاز والله اعلم الثالثة
اعلم الله عز وجل في هذه الاية انه لا احد بقلبين ويكون في هذا الحرف رد على الفرق
الذين تقدم ذكرهم اي انما هو قلب واحد فما فيه ايمان فما فيه كفر لان درجة
النفاق كما بها متوسطة فنفاها الله وبين انه قلب واحد وعلى هذا النحو
يستشهد الانسان بهذه الاية حين اذا بنى شيئا او وهم يقول على جهة الاعتذار
ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه الرابعة قوله تعالى وما جعل
ازواجكم اللائي تظهرون منهن امهاتكم يعني قول الرجل لامرأته انت علي كظهر
امي وذلك مذكور في سورة المجادلة على ما يأتي ان شاء الله تعالى
الخامسة قوله تعالى وما جعل ادعياءكم ابناءكم اجمع اهل التفسير على ان
هذا النزل في زيد بن حارثة وروى الائمة عن ابن عمر قال ما كنا ندعو
زيد بن حارثة الا زيد بن محمد حتى نزلت ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله
وكان زيد يدعى زيد بن محمد سبي في الجاهلية سبته خيل من
بني القين فباعوه بسوق عكاظ فاشتراه حكيم بن حزام ابن خويلد فوهبه لعمته خديجة بنت خويلد

فزعمته خديجة للنبي صلى الله عليه وسلم فاعتقه وتبناه فاقام عنده حتى جاءه
وابوه يعاتبه فقالها النبي صلى الله عليه وسلم وذلك قبل البعثة فاجابه فان
اختار كان هو كاحد دون فداء فاختاره فاتى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حرمته وقومه
فقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك يا معشر قريش اشهدوا انه ابني يرثني وارثه
وكان يطوف على حلق قريش يشهدهم على ذلك فرضي عمه وانصرفا وكانا به
مأسورين يدور على هبل الشام ويقول

لبيك على زيد ولم ادر ما فعل احي فيرجى ام اتى دونه اجل
فوالله لا ادري وان بال اغالك بسهل ام اغالك الجبل
فيا ليت شعري هل لك الدهر اوبة فحسبي من الدنيا رجوعك لي بجل
تذكرنيه الشمس عند طلوعها ويعرض ذكراه اذا غربت قفل
وان هبت الارياح هيجن ذكره فيا طول ما حزني عليه وما وجل
ساعمل نص العيس في الارض جاهدا ولا اسام التطواف اوتسام الابل
حياتي او تاتي علي منيتي فكل امرء فان وان غره الامل

فاخبرانه بمكة فجاء اليه فهلك عنده وروي انه جاء اليه فخيره النبي صلى الله
عليه وسلم كما ذكرنا فانصرف وسيأتي من ذكره وشرفه وفضله شفاعة عند قوله
فلما قضى زيد منها وطرا ان شاء الله تعالى وقيل زيد توته من ارض الشام
سنة ثمان من الهجرة وكان النبي صلى الله عليه وسلم امره في تلك الغزاة
وقال ان قتل زيد فجعفر فعبد الله بن رواحة فقتل الثلاثة في تلك الغزاة
رضوان الله عليهم ولما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى زيد وجعفر بكى وقال
اخواي وموئساي ومحدثاي

ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله

الى قوله رحيما

فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى ادعوهم لابائهم نزلت في زيد بن حارثة على ما
تقدم بيانه وفي قول ابن عمر ما كنا ندعو زيد بن حارثة الا زيد بن محمد دليله

على النبي كان معمولا به في الجاهلية والاسلام يتوارث به وبتناصر الى ان نسخ الله ذلك
بقوله ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله ابر اعدل فرفع الله حكم التبني ومنع من الحاق
لفظه وارشد بقوله الى ان الاولى والاعدل بنسب الرجل الى ابيه نسبا فيقال
كان الرجل في الجاهلية اذا اعجبه جلد وظرف ضمه الى نفسه وجعل له نصيب
الذكر من اولاده من ميراثه وكان ينسب اليه فيقال فلان بن فلان وقال الخاسي منه
الايه ناسخة لما كانوا عليه من التبني وهو من نسخ السنة بالقرآن فان ادعي مدع وهو
الى ابيه المعروف فان لم يكن له اب معروف ينسب الى ولايه فان لم يكن له ولا معروف
قال يا اخي يعني في الدين قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة الثانية لو
نسبه انسان الى ابيه من التبني فان كان على جهة الخطأ وهو ان ينسبه الى ابيه
ذلك من غير قصد فلا اثم ولا مؤاخذة لقوله تعالى ولا جناح عليكم فيما اخطأتم به
ولكن لكن لو دعوت رجلا لغير ابيه وانت تريد انه ابوه ليس عليك باس قاله قتاده
ولا يجري هذا الجري ما غلب عليه اسم التبني كالحال في المقداد بن عمير فانه
كان قد غلب عليه اسم التبني فلا يكاد يعرف الا بالمقداد بن الاسود فان الاسود
ابن عبد يغوث كان قد تبناه في الجاهلية وعرف به فلما نزلت الاية قال المقداد
انا انا ابن عمرو ومع ذلك فبقي الاطلاق عليه ولم يسمع قبل مبني من عصبي مطلق ذلك
كله وان كان مفقودا فكذلك سالم مولى ابي حذيفة وكان يدعى لابي حذيفة وغيره هؤلاء
ممن تبنى وانتسب لغير ابيه وشتهر بذلك وغلب عليه وذلك بخلاف الحال في زيد
ابن حارثة فانه لا يجوز ان يقال زيد بن محمد فان قاله احد متعمدا عصى لقوله تعالى
ما تعمدت قلوبكم ابي فعليكم الجناح والله اعلم ولذلك قال بعده وكان الله غفورا
رحيما اي غفورا للعمد ورحيما برفع اثم الخطأ الثالثة فقد قيل ان قول
الله تعالى ولا جناح عليكم فيما اخطأتم به محمل اي وليس عليكم جناح في شئ
اخطأتم وكانت فتيا عطا فاخذ منه ما يريه انه جيد مرضيا يزفوجدها
رجاجا انه لا شئ عليه وكذلك عنده اذا حلف ان لا يسلم على فلان فسلم عليه
وهو لا يعرفه انه لم يحنث بذلك وما في موضع خفض رد على ما الثاني مع اخطأتم
ويجوز ان يكون في موضع رفع على اضمار مبتدا والتقدير ولكن الذي يؤاخذكم به

ما تعدون فلوكم قال قتاده وغيره من نسب رجلا الى غير ابيه وهو يريد انه ابوه خطا
فذلك الذي يرفع الله فيه الجناح وقيل هو ان يقول له في المخاطبه يابني على
غير بني الرابعه قوله تعالى ذلكم قولكم بافواهكم تأكيد لتحذير ان القول الذي
انه قول لا حقيقه له في الوجود وانما هو قول لساني فقط وهذا كما تقول انا ابني
اليك على قدم فانا يريد بذلك المبره وهذا كثير وقد تقدم في هذا المعنى في
غير موضع والله يقول الحق الحق نصب لمصدر محذوف اي يقول القول الحق وهديه
معناه بين فهو يتعدى بغير حرف جر الخامسه الادعياء جمع الدعي وهو الذي
يدعى بانا لغير ابيه او يدعي غير ابنه والمصدر الدعوه بالكسر فامر الله تعالى بدعا
الادعيا الى ابائهم للصلب فمن جهل ذلك ولم يعرف انا بهم كان مولى واخا في الدين
وذكر الطبري ان ابا بكره زاهده الايه وقال انا ممن لا يعرف ابوه فانا اخوكم
في الدين ومولاكم قال الراوي عنه ولو علم والله ان اباه حمار لانتمى اليه وفي رجال
الحديث يقولون في ابي بكره نفيع بن الحرث السادسه روي الصحيح عن سعد بن
ابي وقاص وابي بكره كلاهما قال سمعت اذناي ووعاه قلبي محمدا صلى الله عليه وسلم
يقول من ادعى الى غير ابيه وهو يعلم انه غير ابيه فالجنه عليه حرام وفي حديث
ابي ذر انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ليس من رجل ادعى لغير ابيه وهو
يعلمه الا كفر

النبي اولى بالمومنين من انفسهم

الى قوله مسطورا الايه

فيه سبع مسايل الاولى قوله تعالى النبي اولى بالمومنين من انفسهم هذه الايه
ازال الله بها احكاما كانت في صدر الاسلام منها انه عليه السلام كان لا يصلي
على ميت عليه دين فلما فتح الله عليه الفتوح قال انا اولى بالمومنين من انفسهم
فمن توفي وعليه دين فعلي قضاوه ومن ترك مالا فلورثته اخرجه الصحيحان
وفيها ايضا فايكم ترك دينا او ضياعا فانا مولاه قال ابن العربي فانقلبت
الان الكافل بالذنوب فان تركوا مالا صوبوا العصبه فيه وان تركوا ضياعا اسلموا

اليه هذا تفسير الولايه المذكوره تفسير النبي صلى الله عليه وسلم وتبيينه والاعتماد
بعد عروس قال ابن عطيه وقال بعض العلماء العارفين هو اولى بهم من انفسهم
لان بنفسهم تدعوهم الى الهلاك وموبد عوهم الى النجاه قال ابن عطيه ويويد
هذا قوله عليه السلام انا الحذ بحجركم عن النار وانتم تقتحمون فيها تقحم الفراش قلت
هذا قول حسن في هذه الايه وتفسيرها والحديث الذي ذكر اخرجه مسلم في
صحيحه عن ابي هريره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما مثلي ومثل امتي
كمثل رجل استوقد نارا فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه فانا احذ
بحجركم وانتم تقتحمون فيه وعن جابر مثله وقال وانتم تفلتون من يدي
قال العلماء الحجره للسراويل والمعقل للازار فاذا اراد الرجل امساك من يخاف
سقوطه اخذ بذلك الموضع منه وهذا مثل لاجتهاد نبينا صلى الله عليه وسلم على
بقائنا وحرصه على تخلصنا من المهلكات التي تريد بنا وهو اولى بنا من انفسنا
وجهلنا يقتضي ذلك وعلى هذا فقوله وظفر بعد وظفر اللعين بنا صرنا احقد
من الفراش واولى من الفراش ولا حول ولا قوه الا بالله العلي العظيم وقيل اولى بهم
اي انه اذا امر بشي ودعا لنفس الى غيره كان امره صلى الله عليه وسلم اولى وقيل
اولى بهم اي هو اولى ان يحكم على المومنين فينفذ حكمه على انفسهم اي بما يجلون به
على انفسهم بما يخالف حكمه الثانيه قال بعض اهل العلم يحبى بها مال من لا وارث له
بيت المال دين الغرماء اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم فانه قد صرح بوجوب ذلك عليه
حيث قال فعلي قضاوه والضياع بفتح الضاد مصدر ضاع ثم جعل اسما لكل ما
يضيع من عيال وبنين ونحوهم والمال لا قال المهلب ومال لا فيتم له وسميت الارض ضيعه
لانها موضعه للضياع وتجمع ضياعا بكسر الضاد الثالثه قوله تعالى وازواجه
امهاتهم شرف الله تعالى ازواج نبيه عليه السلام بان جعلهن امهات المومنين
اي في وجوب التعظيم والمبره والاجلال وحرمة النكاح على الرجال وحجبن رضي الله عنهن
بخلاف الامهات وقيل لما كانت شفقتهن عليهن كشفقة الامهات
انزلن منزله الامهات ثم هذه الامومه لا توجب ميراثا كامومه النسبي

وكذلك سائر نسائهن لا يجعلن احقات للناس وسبب تعدد ازواج النبي صلى الله عليه
وسلم في ايه التخيير ان شاء الله تعالى واختلف الناس هل امهات الرجال والنساء
ام امهات الرجال خاصة على قولين فروى الشعبي عن مسروق عن عايشة رضي الله عنها
ان امرأة قالت لها يا امه فقالت لها لست لك بام انما انا ام رجالكم قال ابن العربي
وهو الصحيح قلت لا فايدة لاختصاص الحرمة بالرجال دون النساء والذي يظهر لي
ان امهات الرجال والنساء تعظيما لحقهن على الرجال والنساء جميعا ويدل على ذلك حديث
ابن مريم وجابر فيكون قوله وازواجه امهاتهم عايدا على الجميع شمد ان في مصحف ابي
ابن كعب وازواجه امهاتهم وهو اب لهم وقرا ابن عباس من انفسهم وهو اب لهم
وازواجه وهذا كله يومئ ما رواه مسروق ان صح من وجهه الترجيح وان لم
يصح سقط الاستدلال به في التخصيص وبقينا على الاصل الذي هو العموم الذي سبق
الى المفهوم والله اعلم الرابعة قوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض
في كتاب الله من المومنين والمهاجرين قيل انه اراد بالمومنين الانصار وبالمهاجرين
قريشا وفيه قولان احدهما انه ناسخ للتوارث بالهجرة حكي سعيد عن قتادة
قال كان نزل في سورة الانفال والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم
من شيء حتى تهاجروا فتوارث المسلمون بالهجرة وكان لا يرث الاعرابي المسلم
من قريبه المهاجر شيا حتى نسخ ذلك في هذه السورة بقوله واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض في كتاب الله الثاني ان ذلك ناسخ للتوارث بالحلف والاخاء
الذي روى هشام بن عروة عن ابيه عن الزبير واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في
كتاب الله وذلك انا معشر قريش لما قدمنا المدينة فقدنا ولا اموال لنا فوجدنا
الانصار نعم الاخوان فاخيناهم فاورثونا واورثناهم فاخى ابو بكر خارجة بن زيد
واخيت انا كعب بن مالك فجيت فوجدت السلاح قد انقله فقاسمه فقدمات
عن الدنيا ما ورثه غير ابي جعل الله هذه الايه فرجعنا الى موارثنا وثبت
عن عروة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخى بين الزبير وبين كعب بن مالك فارث
كعب يوم احد فجا الزبير بفوادة راحلته فلومات يومئذ كعب عن الصح والريح
لورثه الزبير فانزل الله عز وجل واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب

فبين الله ان القرابة اولى من الحلف فتركت الورثة بالحلف وورثوا بالقرابة وتدبين
في الانفال الكلام في توريث ذوي الارحام وقوله في كتاب الله يحتمل ان يريد به
القرآن ويحتمل ان يريد اللوح المحفوظ الذي فيه ما احوال خلقه ومن المومنين
متعلق باولى لا بقوله واولوا الارحام بالاجماع لان ذلك كان يوجب تعصيبا بعض
المومنين والاخلاف في عمومها وهذا حل اشكالها قال ابن العربي وقال
النحاس واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المومنين والمهاجرين
يحوزان يفعل من المومنين باولوا فيكون التقدير واولوا الارحام من المومنين
والمهاجرين ويحوزان يكون المعنى اولى من المومنين وقال المهدوي قيل
ان معناه واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله الا ما يجوز لازواج النبي
صلى الله عليه وسلم اي يد عين امهات المومنين الخامسة واختلف في
معنى كونهن كالامهات في المحرم وباحة النظر على وجهين احدهما من محرم
لا يجوز النظر اليهن الثاني ان النظر اليهن محرم لان تحريم نكاحهن انما كان حفظا
لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهن اذ كان من حفظ حفه تحريم النظر اليهن
لان عايشة رضي الله عنها كانت اذا ارادت دخول رجل عليها من اخواتها اسماء ان
ترضعه ليصير ابنا لاختها من الرضاعة فيصير محرما بتسبيح النظر واما اللاتي
طلقهن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته فقد اختلف في ثبوت هذه الحرمة
لهن على ثلاثة اوجه احدها تثبت لهن هذه الحرمة تغليبا لحرمة رسول الله
صلى الله عليه وسلم الثاني لا يثبت ذلك لهن بل هن كسايرالنساء لان النبي صلى الله
عليه وسلم قد اثبت عصمتهن وقال ازواجه في الدنيا والاخرة الثالث من دخل
بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن تثبت حرمتها وحرم نكاحها وان طلقها حفظا
لحرمته وحراسة لخلوته ومن لم يدخل بها لم تثبت لها هذه الحرمة وقد هم عمر بن الخطاب
رضي الله عنه برجم امراة فاردفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لم هذا وما ضرب
على رسول الله صلى الله عليه وسلم حجابا ولا سمى بنام المومنين فلكف عنها السادسة
وقال قوم لا يجوز ان تسمي النبي صلى الله عليه وسلم ابا لقوله تعالى ما كان محمد ابا احد

مزحاكم ولكن يقال مثل الاب للمومنين كما قال انما انا لكم بمنزله الوالد اعلمكم الحديث
خرجه ابو داود والصحيح انه يحتمل ان يقال انها بالمومنين اي في اكرامه وقوله
ما كان محمد ابا احد من رجالكم في النسب وسيأتي وقيل ابن عباس من انفسهم وهو
ابلغ واوجه وسمع عمر هذه القراءة فانكرها وقال احكها يا غلام فقال له انها في
مصحف ابي فذهب اليه فسأله فقال له ابي انه كان يلهيني بنايي انا اراد
الموسات ايشد وهو من وقد تقدم السابعة قال قوم لا يقال لسائه اخوات
المومنين ولا لاخوة اخوال المومنين وخالاتهم قال الشافعي تزوج الزبير
اسما بنت ابي بكر وهي اخت عايشة ولم يسم خاله المومنين واطلق قوم هذا
وقالوا لمعويه خال المومنين في اكرامه لا في النسب الثامنة قوله تعالى
الا ان يفعلوا الى اوليائكم معروفا يريد به الاحسان في الحيوة والوصية عند
الموت ايجاز ذلك جايز قاله قتاده والحسن وعطا وابن حنيفة قال محمد بن
الحنفية نزلت في اجازه الوصية لليهودي والنصراني يفعل مناع الولي ومع
القريب ولو كان كافرا والمنزل ولي في النسب لا في الدين يوصي له بوصيه واختلف
العلما هل يجعل الكافر وصيا لمجوز بعض ومنع بعض ورد النظر الى السلطان
في ذلك بعض منهم ملك رحمه الله وذهب مجاهد وابن زيد والزهري الى ان
المعنى الا اوليائكم من المومنين ولفظ الاية يعضد هذا المذهب وتعميم
الولي ايضا جنس وولايه النسب لا تدفع الكافر وانما تدفع ان يلقى اليه بالعهد
كولي الاسلام ان سعد قوله تعالى كان ذلك في الكتاب مسطورا
الكتاب يحتمل الوجهين المذكورين المتقدمين في كتاب الله ومسطورين
فوك سطرنا الكتاب اذا اثبته اسطارا وقال قتاده اي مكتوب
عند الله جل وعز ان لا يرث كافر مسلما قاله قتاده وفي بعض القرآت كان
ذلك عند الله مكتوبا وقال الفراء كان ذلك في التوراه

واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح

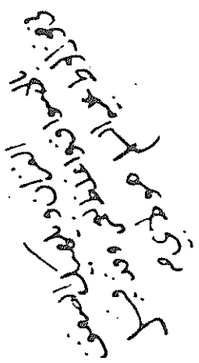

اي عهدهم على الوفا بما حملوا وان يبشر بعضهم ببعض ويصدق بعضهم بعضا اي
كان مسطورا حين كتب الله ما هو كاين وجبر اخذ الله المواثيق من الانبيا ومنك
يا محمد ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى بن مريم وانما خص هولا الخمسه لانهم اصحاب
الشرايع والكتب واولي العزم من الرسل وابيه الامم ويحتمل ان يكون هذا تعظيما
لشان قطع الولايه بين المسلمين والكافرين اي هذا مما لا يختلف فيه في شرايع الانبيا
اي كان في ابتدا الاسلام توارث بالهجره والهجره سبب يتوكد في الديانه ثم توارثوا
بالنزابه مع الايمان وهو سبب وكيد فاما التوارث بين مومن وكافر
فلم يكن في دين احد من الانبيا الذين اخذ عليهم المواثيق فلا يدا هنا في
الدين ولا يرثه الكفار وقيل اي النبي اولي بالمومنين من انفسهم كان ذلك
في الكتاب مسطورا وما خوذا به المواثيق من الانبيا واخذنا منهم ميثاقا
غليظا عهدا وثيقا عظيما على الوفا بما التزموا من تبليغ الرساله وان يصدق
بعضهم بعضا والميثاق هو اليمين بالله تعالى فالميثاق الثاني تاكيد للميثاق
الاول باليمين وقيل الاقرار بالله تعالى والثاني هو اليمين بالله تعالى
في امر النبوه ونظير هذا قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم
من كتاب وحكمه ثم جاكم مصدق لما معكم لتومنن به ولتنصرنه الاية اي
اخذ عليهم ان يجيبوا ان محمدا رسول الله ويعلن محمدا ان لا نبي بعده وقيل
محمدا في الذكر لما روي قتاده عن الحسن عن ابي هريره ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم سئل عن قوله عز وجل واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح
قال كنت اولهم في الخلق واخرهم في البعث وقال مجاهد هذا في
ظهر ادم عليه السلام قوله تعالى

ليسال الصادقين عن صدقهم

فيه اربعه اوجه احدها ليسال الانبيا عن تبليغهم الرساله الى قومهم
حكاه التقاش وفي هذا تنبيه اي اذا كان الانبيا يسالون فكيف من سواهم

الثاني لسبل الانبياء عز ما اجابهم فوفهم حكاه علي بن عيسى الثالث لسبل الانبيا
عز الوفا بالميثاق الذي اخذ عليهم حكاه ابن بحره الرابع لسبل الاغواء الصادفه
عز القلوب المخلصه وفي التنزيل فليسئلن الذين ارسل اليهم وليسئلن المرسلين
وفي تقدم وقيل فايه سوالهم توبيخ الكفار كما قال انت قلت للناس واعتدنا
للكافرين عذابا اليما وهو عذاب جهنم قوله تعالى

يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمه الله عليكم اذ جائتكم جنود الايه

يعني يوم الاحزاب غزوه الخندق والاحزاب بني قريظه وكانت احالا شديده
معقبه بغمه ورخا وغطه وتضمنت احكاما كثيره وايات باهرات غريبه وتخر
تذكر من ذلك يعون الله ما بقي في عشره مسايل الاولى اختلف فيما ايسنه
كانت فقال ابن اسحق كانت في شوال من السنه الخامسه وقال ابن وهب وابن القسم
عن مالك كانت وقعه الخندق سنه اربع وهي وبني قريظه في يوم واحد وبين
بني قريظه والنضير اربع سنين قال ابن وهب سمعت مالكا يقول ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالقتال في الله بينه وذلك قوله تعالى اذ جاوكم من فوقكم ومن
اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر قال ذلك يوم الخندق
جاءت قريش من ههنا واليهود من ههنا والجديه من ههنا يريد مالكا ان الذين
جاوا من فوقهم بنو قريظه ومن اسفل منهم قريش وغطفان وسببها ان نفرا
من اليهود منهم من كنانه بن الربيع بن ابي الحقيق وسلام بن مشكم بن ابي الحقيق
وحيي بن اخطب النضريون وهوده بن قيس وابو عمار من بني وايل وكلهم يهود
وهم الذين حزبوا الاحزاب والبوا وجمعوا حرجوا في نفر من بني النضير ونفر
من وايل فناشدوه فدعوا الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ووا عدوهم
من انفسهم بعوت من تندب الى ذلك فاجابهم اهل مكه الى هناك خرج
اليهود المذكورون الى غطفان فدعوهم الى مثل ذلك فاجابوهم فخرجت قريش
يقودهم ابو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقايدهم عيينه بن حصن بن بدر
الفزاري على فزاره والحرث بن عوف المري على بني مره ومسعود بن رخيله على
اشجع فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتماعهم وخروجهم شاور اصحابه
فاشار عليه سلمان بحفر الخندق ورضي رايه وقال المهاجرون يومئذ سلمان منا
وقال الانصار سلمان منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمان منا اهل البيت
وكان الخندق اول مشهد شهده سلمان مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ
حر فقال يا رسول الله انا كنا بفارس اذا حوصرنا خندقنا فعمل المسلمون في
الخندق مجتهدين ونكص المنافقون وجعلوا يتسللون لواذا فزلت فيهم
ايات من القرآن ذكرها ابن اسحق وغيره وكان من فرغ من المسلمين من حصته عاد
الى غيره حتى كمل الخندق وكانت فيه ايات بينات وعلامات للنبوه تعلم
فيما هذا الذي ذكرناه من هذا الخبر من الفقه وفي الثالثه مسايل شاوره
السلطان اصحابه وخاصته في امر القتال وقد مضى ذلك في آل عمران والنحل وفيه
التخصن من العدو بما امكن من الاسباب واستعمالها وقد مضى ذلك في غير موضع
وفيه ان حفر الخندق يكون معونا على الناس فمن فرغ منهم عاون من لم يفرغ
فالمسلمون يد على من سواهم وفي البخاري ومسلم عن البراء بن عازب قال لما كان يوم
الاحزاب وخندق رسول الله صلى الله عليه وسلم رايته ينقل من تراب الخندق
حتى وارى التراب عني جلدة بطنه وكان كثير الشعر فسمعته يرتجز بكلمات ابن واحه
ويقول اللهم لولا انت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فانزلن سكينه علينا وثبت الاقدام ان لاقينا وان ما كان
فيه من الايات وفي الثالثه فرق النسائي عن ابي سكينه رجل من
المحررين عن رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق عرضت لهم صخره حالت بينهم وبين الحفر
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذ المعول ووضع رداءه ناحيه الخندق
وقال وتمت كلمات ربك لا به فصدقا وعدلا الحجر وسلمان الفارسي قريب
ينظر فبرق مع ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم برقه ثم ضرب الثانيه وقال
وتمت كلمات ربك الهديه فصدقا وعدلا الثلث الاخر وبرق برقه ثم ضرب الثالثه

وقال لمت الابه فدر الثلث الباقي وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ رداه
وحبس فقال سلمان يا رسول الله رايتك حين ضربت ما تضرب ضربه الا كانت معها
برقه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت ذلك يا سلمان فقال اي والذي بعثك
بالحق نبيا يا رسول الله قال فاني حيث ضربت الضربه الاولى رفعت لي مدائن كسرى
وما حولها ومدائن كثيره حتى رايتها بعيني فقال له من حضره من اصحابه يا رسول الله
ادع الله ان يفتحها علينا ويغنمنا ويا بهم ويخرب بايدينا بلادهم فدعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم ضربت الضربه الثانيه فرفعت لي مدائن قيصر وما حولها
من القرى حتى رايتها بعيني فقالوا يا رسول الله ادع الله ان يفتحها علينا ويغنمنا
ذيا بهم ويخرب بايدينا بلادهم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضربت الثالثه
فرفعت لي مدائن الحبشه وما حولها من القرى حتى رايتها بعيني فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم دعوا الحبشه ما ودعوكم واتركوا الترك ما تركوكم وخرجه ايضا عن السدا
قال لما امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نحفر الخندق عرضت لنا صخره
لا تاخذ فيها المعاول فاشتكينا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى التوبه واخذ المعول وقال بسم الله
فضرب ضربه فكسر ثلث الصخره ثم قال الله اكبر اعطيت مفاتيح الشام والله اني
لابصر الى قصورها الحمر الان من مكاني هذا قال ثم ضرب اخرى وقال بسم الله
فكسر ثلثا اخر ثم قال الله اكبر اعطيت مفاتيح فارس والله اني لابصر قصر المدائن
الابيض ثم ضرب الثالثه وقال بسم الله فقطع الحجر وقال الله اكبر اعطيت
مفاتيح اليمن والله اني لابصر باب صنعا صححه ابو محمد عبد الحق الرابعه
فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق اقبلت قريش في نحو عشره
الاف ممن معهم من كنانه واهل تهامه واقبلت غطفان ومن معها من اهل نجد
حتى نزلوا الى جانب احد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى
نزلوا ظهرهم سلع في ثلثه الاف وضربوا عسكرهم والخندق بينهم وبين المشركين
واستعمل على المدينه ابن ام مكتوم في قول ابن شهاب وخرج عدو الله حيي بن اخطب
النضري حتى اتى كعب بن اسد القرظي وكان صاحب عقد بني قريظه ورئيسهم وكان

وقد ادع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاقده فلما سمع كعب بن اسد بحيي
ابن اخطب اغلق دونه بابا بحصنه وابا ان يفتح له فقال له افتح لي يا اخي فقال له
افتح لك فانك رجل نشوم تدعوني الى خلاف محمد وانا قد عاقدته وعاهدته ولم ار منه
الا وفاء وصدقا فلست بناقض ما بيني وبينه قال افتح لي حتى اكلمك وانصرف
عنك قال لا افعل قال انا نخاف ان اكلت معك حيث تشتك فغضب كعب وفتح وقال
له يا كعب اني قد جئتك ببعز الدهر جئتك بقريش وسادتها وغطفان وقادتها وقد
نزلوا قناة على ان يستاصلوا محمدا ومن معه فقال له كعب جئتني والله بذل الدهر
ويحك لا عيشة بيه ويحك يا حيي دعني فلست فاعل ما تدعوني اليه فلم يزل حيي بكعب
يعيده ويبرم حتى رجع اليه وعاقده على ذلك لان بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وان
يصيبوهم وقال له حيي بن اخطب ان انصرفت قريش وغطفان ولم تصب محمدا ومن
معه من يهود فلك اعنتي جزء كعب وجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغتة معها عبد الله بن
عباده وهو سيد الخزرج وسعد بن معاذ وبعث معها عبد الله بن
رواحه وخوات بن جبير وقال لهم انطلقوا الى بني قريظه فان كان ما بلغنا حقا فالحنوا
لنا لحنا ولا تفتوا في اعضاد الناس وان كان كذبا فالحنوا لي لحنا اعرفه وايه للناس فانطلقوا
حتى اتوهم فوجدوهم على اخبث ما بلغهم عنهم ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا
لا عهد له عندنا ولا عقد فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتمهم وكانت فيه حده فقال له سعد بن
عباده دع عنك مشاتمتهم فالذي بيننا وبينهم اكثر من ذلك ثم اقبل سعد وسعد حتى
اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم في جماعة من المسلمين فقالا فضل والفاره بعرضان بغدر
فضل والفاره باصحاب الجيش حيث واصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابشروا يا معشر المسلمين وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف واتى المسلمين عدوهم من فوقهم
بعين من فوق الوادي من قبل المشرق ومن اسفل منهم من بطن الوادي من قبل المغرب
حتى ظنوا بالله الظنونا وقال المنافقون كثيرا مما كانوا يسرون فمنهم من قال ان
بيوتنا عوره فلنخرج اليها فانا نخاف عليها ومن قال ذلك اوس بن قيظي ومنهم من
قال يعدنا محمد ان نفتح كنوز كسرى وقيصر واحدنا اليوم لا يامن على نفسه يذهب
الى الغائط ومن قال ذلك معتب بن قشير احد بني عمرو بن عوف فقام رسول الله صلى الله عليه

واقام المشركون بضعا وعشرين ليلة فزعموا من شهر لم يكن بينهم حرب الا الرمي بالنبل والحصا
فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اشتد على المسلمين البلاء بعث الى عيينة بن حصن
الفزاري والى الحرث بن عوف المري وهما قائدا غطفان فاعطاهما ثلث ثمار المدينة
ليصرفا بمن معهما من غطفان ويخذلا قريشا ويرجعا بمن معهما عنهم وكانت هذه المقالة
مراودته فلم يكن عقدا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم انهما قد اناما ورضيا اتى
سعد بن معاذ وسعد بن عباده فذكر ذلك لهما واستشارهما فقالا يا رسول الله
هذا امر تحبه فنصنعه او شيء امرك الله به فنسمع له ونطيع او امر تصنعه لنا
قال بل امر اصنعه لكم والله ما اصنعه الا اني رايت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة
فقال له سعد بن معاذ يا رسول الله لقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك
بالله وعباده الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وما طمعوا ان ياكلوا منها تمرة
الا شراء او قرى فحين اكرمنا الله بالاسلام وهدانا له واعزنا بك نعطيهم
اموالنا والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فسر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بذلك وقال انتم وذاك وقال لعيينة والحرث انصرفا
فليس لكما عندنا الا السيف وتناول سعد الصحيفة وليس فيها شيء ومحاها
الخ ... فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون والمشركون محاصروهم
ولا قتال بينهم الا ان فوارس من قريش منهم عمرو بن ود العامري من بني عامر بن لؤي وعكرمة
ابن ابي جهل وهبيرة بن ابي وهب وضرار بن الخطاب الفهريون وكانوا فرسان قريش
وشجعانهم اقبلوا حتى وقفوا على الخندق فلما رأوه قالوا ان هذه لمكيدة ما
كانت العرب تكيدها ثم تيمموا مكانا ضيقا من الخندق وضربوا خيلهم فاقتحمت بهم
وجاوزوا الخندق وصاروا بين الخندق وبين سلع وخرج علي بن ابي طالب في
نفر من المسلمين حتى احدقوا عليهم الشرة الى اقتحموا فيها وانفلتت الدواب نحو
وكان عمرو بن ود قد ثبتت الجراح يوم بدر فلم يشهد احدا واراد يوم الخندق
ان يرى مكانه فلما وقف هو وخيله نادى من بارز فبرز له علي بن ابي طالب
وقال له يا عمرو انك عاهدت الله فيما بلغنا انك لا تدعى الى احدى خلتين الا اخذت
احداهما قال نعم قال فاني ادعوك الى الله والاسلام قال لا حاجة لي بذلك قال فاني ادعوك

الى البراز فقال له يا ابن اخي والله ما احب ان اقتلك لما كان بيني وبين ابيك فقال له علي
لكني والله احب ان اقتلك فحمي عمرو بن عبد ود عند ذلك فرسه فعقره وصار نحو
علي فنازله وتجاولا وثار النقع بينهما حتى حال دونهما فما انجلى النقع حتى علا علي صدر عمرو
فقطع راسه فلما رأى اصحابه انه قد قتله انهزموا فاقتحموا في الخيل والنقع هاربين
وفال علي رضي الله عنه في ذلك

نصر الحجارة من سفاهة رايه ونصرت دين محمد بضراب
نازلته فنزكته مجدلا كالجذع بين دكادك وروابي
وعففت عن اثوابه ولو اني كنت المقطر بزني اثوابي
لا تحسبن الله خاذل دينه ونبيه يا معشر الاحزاب

قال ابن هشام واكثر اهل العلم بالشعر يشك فيها لعلي قال ابن
هشام واليقي عكرمة بن ابي جهل رمحه يومئذ وهو منهزم فقال حسان بن ثابت
في ذلك

فر والقى لنا رمحه لعلك عكرم لم تفعل
وولیت تعدو كعدو الظليم ما ان يجور عن المعدل
ولم يلق ظهرك مسلمنا كان فقال فعار فعل

قال ابن هشام الفرع صغير الصياح وكانت عائشة رضي الله عنها فيما حدثه
وام سعد بن معاذ معها وعلى سعد درع مقلصة قد خرجت منها ذراعه وكفه وهي يده
حربه وهو يقول ... ليت قليلا يلحق الهيجا جمل لا بأس بالموت اذا كان الاجل
ورمي سعد بن معاذ يومئذ بسهم فقطع منه الاكحل واختلفت فيمن رماه فقيل رماه حبان بن
قيس بن العرقة احد بني عامر بن لؤي فلما اصابه قال له خذها وانا ابن العرقة
فقال له سعد رضي الله عنه اعرق الله وجهك في النار وقيل ان الذي رماه خفاجه
ابن عاصم من حماره وقيل بل الذي رماه ابو اسامه الجشمي حليف بني مخزوم
وكان سعد مع صفية بنت عبد المطلب في اطم حسان بن ثابت يومئذ ذكره ابن اسحاق قالت
صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها كنا يوم الاحزاب في اطم حسان بن ثابت و
معنا في النساء والصبيان والنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه في نحر العدو لا يستطيعون
الانصراف الينا فاذا يهودي يدور فقلت لحسان انزل اليه فاقتله فقال ما انا

صاحب هذا يا ابن عبد المطلب فاخذت عمودا ونزلت من الحصن فقتلته وقالت
حسان انزل فاسلبه فلم يمنعني من سلبه الا انه رجل فقال يا بني سلبه حاجه
يا ابنه عبد المطلب قالت فنزلت فسلبته قال وعمر بن عبد الله وفداء هذا حسان
جماعه من اهل السير وقالوا وكان في حسان من الجبن ما وصفهم لها به ذلك الذي
هاجبهم به اخاهليه والاسلام ولهي بذلك ابنه عبد الرحمن فانه كان يهجو اسا
حاجيا من شعراء العرب مثل النجاشي وغيره السادسه وابي رسول
الله صلى الله عليه وسلم نعيم بن مسعود بن عامر الاشجعي فقال يا رسول الله اني قد اسلمت
ولم يعلم قومي باسلامي فمرني بما شئت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انت فينا
واحد من غطفان فلو خرجت فخذلت عنا ان استطعت كان احب الينا من بقائك
معنا فخرج فاتى بني قريظه وكان نداما
لهم في الجاهليه فقال يا بني قريظه قد عرفتم ودي اياكم وخاصه ما بيني وبينكم
فقالوا قد علمت عندنا لمنتم فقال لهم ان قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد
واصحابه وقد ظاهرتموهم عليه فان رايتموها اصابوها وان كان غير ذلك لحقوا
ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ولا طاقه لكم به فلا تقاتلوا معهم حتى تاخذوا
منهم رهنا ثم خرج حتى اتى قريشا فقال لهم قد عرفتم ودي لكم يا معشر قريش وفراقي محمدا
وقد بلغني امر قد رايت علي من الحق ان ابلغكموه نصحا لكم فاكتموا علي قالوا نفعل فقال تعلمون
ان يهود قد ندموا على ما كان من خذلانهم محمدا وقد ارسلوا اليه انا قد نبينا على
ما فعلنا فهل يرضيك ان ناخذ من قريش وغطفان رجالا ونسلمهم اليك فتضرب
اعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستاصلهم ثم اتى غطفان فقال مثل ذلك
فلما كان ليله السبت وكان ذلك مما نضح الله لرسوله صلى الله عليه وسلم والمومنين ارسل ابو
سفيان الى بني قريظه عكرمه بن ابي جهل في نفر من قريش وغطفان يقولهم انا لا نجد
مقاما قد هلك الخف والحافر فاغدوا فلنقاتل محمدا حتى نناجزه فارسلوا اليهم ان اليوم يوم السبت
وقد علمتم ما نال من تعدى منا في السبت ومع ذلك فلا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا
فلما رجع الرسول بذلك قالوا والله صدقنا نعيم بن مسعود فردوا اليهم ارسلي
وقالوا والله لا نعطيكم رهنا ابدا فاخرجوا معنا ان شئتم والا فلا عهد بيننا

وبينكم فقال بنو قريظه صدق والله نعيم بن مسعود وخذل الله بينهم واختلفت
كلمتهم وبعث الله عليهم ريحا عاصفا في ليال شديده البرد فجعلت الريح تقلب
اثافيهم وتكفا قدورهم السابعه فلما انصل رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخلافا مرهم بعث حذيفه بن اليمان لياتيه بخبرهم فاتاهم واستدفى غمارهم وسمع
ابا سفيان يقول يا معشر قريش لينظر كل امرء جليسه قال حذيفه فاخذت بيد جليسي
وقلت من انت فقال انا فلان ثم قال ابو سفيان ويلكم يا معشر قريش انكم والله لستم
بدار مقام ولقد هلك الكراع والخف واخلفتنا بنو قريظه ولقينا من هذه الريح
ما ترون ما يستمسك لنا بناء ولا تثبت لنا قدر ولا يقوم لنا نار فارتحلوا فاني
مرتحل ووثب علي جمل فاحل عقال يده الا موقما فقال حذيفه ولو لا عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم لي اذ يعتني وقال لي لا تحدث شيئا حتى تاتيني لقتلته
بسهم ثم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عند رحله فوجدته قائما يصلي في مرط
لبعض نسائه مرحل فلما رانا ادخل الرجل ضرب من وشي اليمن فاجرته فحمد الله
قلت وخرج حذيفه هذا مذكور في صحيح مسلم وفيه انه غطيه رواه جرير عن
الاعمش عن ابراهيم التيمي عن ابيه قال كنا عند حذيفه فقال رجل لو ادركت رسول الله صلى الله
عليه وسلم قاتلت معه وابليت فقال حذيفه ان كنت تقول هذا لقد رايتنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليله الاحزاب واخذتنا ريح شديده وقر فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا رجل ياتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامه
فسكتنا فلم يجبه منا احد ثم قال الا رجل ياتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامه
فسكتنا فلم يجبه احد ثم قال الا رجل ياتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامه
فسكتنا فلم يجبه منا احد فقال قم يا حذيفه فاتنا بخبر القوم فلم احد بدا
اذ دعاني باسمي ان اقوم قال اذهب فاتني بخبر القوم فلم احد بدا اذ دعاني
باسمي ان اقوم قال اذهب فاتني بخبر القوم ولا تذعرهم علي فلما وليت
من عنده جعلت كانما امشي في حمام حتى اتيتهم فرايت ابا سفيان يصلي ظهره
بالنار فوضعت سهما في كبد القوس واردت ان ارميه فذكرت
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تذعرهم علي ولو رميته لاصبته فرجعت

وانا امشي في مثل الحمام فما اتيته واجزته بحر القوم وفزعت فرزت فاتيني رسول الله
صلى الله عليه وسلم من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها فلم ازل انا ياجني اصبحت فقال
لي يا بن سان فلما اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذهب الاحزاب رجع الى المدينه
ووضع المسلمون سلاحهم فاتاه جبريل عليه السلام في صوره دحيه بن خليفه الكلبي
على بغله عليها قطيفه ديباج فقال يا محمد ان كنتم قد وضعتم سلاحكم فما وضعت
الملائكه سلاحها ان الله يامرك ان تخرج الى بني قريظه واني متقدم اليهم لازلزل حصونهم
فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي اثنا عشر فامر رسول الله صلى الله عليه
وسلم مناديا ينادي لا يصلين احد العصر الا في بني قريظه فتخوف ناس فوت الوقت
فصلوا دون بني قريظه وقال اخرون لا نصلي الا حيث امرنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وان فاتنا الوقت قال فما عنف واحدا من الفريقين وفي هذا من
الفقه تصويب المجتهدين وقد مضى بيانه في الانبياء وكان سعد بن معاذ اذا اصابه
السهم دعا ربه فقال اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش فابقني لها فانه لا قوم
احب الي ان اجاهدهم من قوم كذبوا رسولك واخرجوه اللهم وان كنت وضعت
الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهاده ولا تمتني حتى تقر عيني في بني قريظه وروي
ابن وهب عن مالك قال بلغني ان سعد بن معاذ مر بعايشه رضي الله عنها وناسا معها
في الاطم الذي فارع وعليه درع مقلصه مشمر الكمين وبه اثر صفره وهو يرتجز

لبث قليلا يدرك الهيجا جمل لا بأس بالموت اذا حان الاجل

فقالت عايشه رضي الله عنها لست اخاف ان يصاب سعد اليوم الا من اطرافه فاصيب في اكحله وروي ابن وهب وابن القاسم عن مالك قالت عايشه
ما رايت رجلا اجمل من سعد بن معاذ حاشى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصيب
اكحله ثم قال اللهم ان كان حرب قريظه لم يبق منه بقي فافضني اليوم وان كان
قد بقي منه بقيه فاخرني حتى اجاهد مع رسولك اعداه فلما حكم في بني قريظه
توفي ففرح الناس وقالوا رجوا ان يكون قد استجيبت دعوته الناسعه
ولما خرج المسلمون الى قريظه اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم الرايه علي بن ابي طالب
رضي الله عنه واستخلف على المدينه ابن ام مكتوم وبعض علي وطايفه معه حتى

انوا بني قريظه ونازلوهم فسمعوا سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف الى ابي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لا تبلغ اليهم وعرض له فقال له اظنك سمعت
منهم شيئا لو رادين لكفوا عن ذلك وهضر اليهم فلما راوه اسكتوا فقال لهم نقضتم العهد يا اخوه
القرده خزاكم الله وانزل بكم نقمته فقالوا ما كنت جاهلا يا محمد فلا تجهل علينا ونزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصرهم بضعا وعشرين ليله وعرض على سبيهم ثلاث
خصال ليختاروا ايها شاءوا اما ان يسلموا ويتبعوا محمدا على ما جاء به فيسلموا واما
ان يقتلوا ابناءهم ونساءهم ثم يستقدمون فيقاتلون حتى يموتوا عن اخرهم واما ان
يبيتهم المسلمون ليله السبت في حين طمانينتهم فيقتلونهم قتلا فقالوا اما الاسلام
فلا نسلم ولا نخالف حكمكم التوراه واما قتل ابنايا ونسايا فما خزاوهم السابري
ان نقتلهم ونحن لا نعتدي في السبت ثم بعثوا الى ابي لبابه وكان بنو قريظه حلفاء بني عمرو
ابن عوف وسايد الاوس فاتاهم فاجتمعوا اليه اباهم ورجالهم ونساهم وقالوا يا ابا لبابه
اترى ان ننزل على حكم محمد فقال نعم وانار بيده الى حلقه انه الذبح ان فعلتم ثم ندم
ابو لبابه وخان الله ورسوله وانه امر لا ينبغي ان يكون لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فانطلق الى المدينه ولم يرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فربط نفسه في سارية
واقسم لا يبرح مكانه حتى يتوب الله عليه وكانت امراته تحله لوقت الصلوه وقال
ابن عيينه وغيره فيه نزلت يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله ورسوله وتخونوا
اماناتكم الايه واقسم انه لا يطا ارض بني قريظه ابدا سكان اصيب فيه الذنب فلما
بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من فعل ابي لبابه فقال اما انه لو اتانا لاستغفرت
له واما اذ فعل فلست اطلقه حتى يطلقه الله عز وجل فانزل الله تعالى في امر ابي لبابه
واخرون اعترفوا بذنوبهم الايه فلما نزل فيه القران امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
باطلاقه فلما اصبح سوا قريظه نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواثبت الاوس
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله قد علمت انهم حلفاونا وقد شفعت عبد الله
ابناي سلول في بني النضير حلفا بني الخزرج فلم يكن حظنا اوكس وانفض عندك
من حظ غيرنا فهم موالينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الاوس الا ترضون
ان يحكم فيهم رجل منكم قالوا بلى قال فذلك الى سعد بن معاذ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

فتضرب له فيه في المسجد ليعود من ذهب في مرضه من جرحه الذي اصابه في الخندق
فحكم فيهم بان يقتل المقاتله وتسبى الذريه والنساء وتقسم اموالهم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله تعالى من فوق سبعه ارقعه وامر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاخرجوا الى موضع بسوق المدينه اليوم زنقر بنار عوف فخندق فيهم خنادق
ثم امر عليه السلام بضرب اعناقهم في تلك الخنادق وقتل يومئذ حيي بن اخطب وكعب بن
الاشرف وكانا راس القوم وكانوا مائتين او الى السبع مائه وكان علي حيي حله فقاحيه
قد شققها عليه من كل ناحيه كوضع الانمله لئلا يسلبها مجموعه فلما نظر الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اتي به ويداه الى عنقه بحبل قال اما والله ما لمت نفسي
في عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل ثم قال ايها الناس انه لا بأس بامر الله
وقدره وملحمه كتبت على بني اسرائيل ثم جلس فضربت عنقه وقتل من رجالهم امرأه
وهي بنانه امرأه الحكم القرظي التي طرحت الرحا على خلاد بن سويد فقتلته وامر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل كل من انبت منهم وترك من لم ينبت وكان عطيه القرظي
ممن لم ينبت فاستبقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مذكور في الصحابه ووهب
رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس ولد الزبير بن باطا فاستبقاهم
منهم عبد الرحمن بن الزبير اسلم ايضا وله صحبه ووهب ايضا عليه السلام رفاعه بن
سموال القرظي لام المنذر سلمى بنت قيس بن سليط بن قيس من النجار وكانت قد
صلت القبلتين فاسلم رفاعه وله صحبه ورواية وروى ابن وهب وابن القاسم
عن مالك قال ان ثابت بن قيس بن شماس انا ان باطا وكانت له عنده يد وقال
فنا ستوهبتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليمنك الذي لك عندي ثم قال ذلك فعل
الكريم بالكريم ثم قال وكيف بعيش رجل لا ولد له ولا اهل قال فاني ثابت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فاعطاه اهله وولده فاتى فاعلمه فقال كيف
بعيش رجل لا مال له فاتى ثابت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاعطاه ماله فرجع
اليه فاخبره فقال ما فعل ابن ابي الحقيق الذي كان وجهه مراه صبيحه قال قتل

قال فما فعل المجلسان يعني ابن كعب بن قريظه وبني عمرو بن قريظه قال قتلوا قال
فما فعلت الفتيان قال قتلتا قال ربيت ذمتك ولن اصب فيها دلوا ابدا يعني
النخل فاحقن لهم فابى ان يقتله فقتله غيره واليد الذي كانت لثابت بن باطا عندنا ثابت
انه اسره يوم بعاث فجز ناصيته واطلقه العاشره وفهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم اموال بني قريظه فاسهم للفارس ثلثه اسهم وللراجل سهما وقد قيل للفارس
سهمان وللراجل سهم وكانت الخيل المسلمين يومئذ ستة وثلثين فرسا ووقع للنبي صلى الله عليه
وسلم من سبيهم ريحانه بنت عمرو بن خناقه احدى بني عمرو بن قريظه فلم تزل عنده الى
ان مات صلى الله عليه وسلم وقيل ان عينه قريظه هي اول عينه قسمت للفارس
وللراجل واول عينه جعل فيها الخمس وقد تقدم ان اول ذلك كان في بعث عبد الله بن جحش
والله اعلم قال ابو عمرو وتهذيب ذلك ان تكون عينه قريظه اول عينه جرى فيها
الخمس بعد نزول قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول الآيه
وكان عبد الله بن جحش قد خمس قبل ذلك في بعثته ثم نزل القرآن بمثل ما فعله وكان
من اصابه رضي الله عنه وكان فتح قريظه في اخر ذي القعده واول ذي الحجه من السنه
الخامسه من الهجره فلما امر بني قريظه احيت دعوة الرجل الصالح الفاضل سعد بن معاذ
فانفجر جرحه وانفتح عرقه فجرى دمه ومات رضي الله عنه وهو الذي جاء في الحديث
فيه اهتز لموته عرش الرحمن يعني سكان العرش من الملائكه فرحوا بقدوم روحه
واهتزوا له وقال ابن القاسم عن مالك حدثني يحيى بن سعيد قال لقد نزل لموت سعد
ابن معاذ سبعون الف ملك ما نزلوا الى الارض قبلها قال مالك ولم يستشهد
يوم الخندق احد من المسلمين الا سته او سبعه وقد استشهد الذي استشهد
يوم الخندق من المسلمين ستة نفر فيما ذكر اهل العلم بالسير سعد بن معاذ وابو عمرو
من بني عبد الاشهل وانس بن اوس بن عتيك وعبد الله بن سهل وكلاهما ايضا من بني
عبد الاشهل والطفيل بن النعمان وثعلبه بن عمه وكلاهما من بني سلمه وكعب بن زيد
من بني دينار من النجار اصابه سهم غرب فقتله رضي الله عنهم اجمعين وقتل
من الكفار ثلثه منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار اصابه سهم فقتله
منبه بكه وقد قيل انما هو عثمان بن ابيه بن منبه بن عبيد بن السباق وقتل عبد الله

اذ جاءوكم من فوقكم

اذ في موضع نصب بمعنى واذكر كنا وانقالت طايفه منهم من فوقهم يعني من فوق الوادي وهو اعلاه من قبل المشرق جاءته عوف بن مالك في بني نصر وعيينه بن حصن في اهل نجد وطليحه بن خويلد الاسدي في بني اسد ومن اسفل منكم يعني من بطن الوادي من قبل المغرب جاءته ابو سفين بن حرب في اهل مكه وزيد بن حارثه في بني سليم وجا ابو الاعور السلمي ومعه حيي بن اخطب اليهودي في يهود بني قريظه مع عامر بن الطفيل من وجه الخندق واذ زاغت الابصار اي شخصت وقيل مالت فلم تلتفت الا الى عدوها دهشا من فرط الهول وبلغت القلوب الحناجر اي زالت عن اماكنها يعني القلوب حتى بلغت الحناجر وهي الغلاصم واحدها حنجره فلو لا ان الخوف حاقت عليها لخرجت قال قتاده وقيل هذا هو على معنى المبالغه على مذهب العرب على اضمار كان قال

انا ما عصينا غصبه مضريه ... هتكنا حجاب الشمس او قطرت دما

اي كادت تقطر وقيل ان الريه تنتفخ عند الخوف فيرتفع القلب حتى يكاد يبلغ الحنجره مثلا لهذا يقال للجبان انتفخ سحره وقيل اذ مثل مضروب في شده الخوف يبلغ القلوب الحناجر وان لم تزل عن اماكنها مع بقا الحياه قال معناه عكرمه وحماد بن زيد عن ايوب عن عكرمه بلغ فزعها والاظهر

سها لم يكن بينهم وبينها الا عرض الخندق وكانوا في عافيه منها ولا جزع عندهم منها وجنودا لم يروها وفي بالبا اي لم يروها المشركون قال المفسرون بعث الله عليهم الملايكه فقلعت الاوتاد وقطعت الطناب بالسماطيط والحبال بالبيران واكفات القدور وحالت الخيل بعضها في بعض وارسل الله عليهم الرعب وكثر تكبير الملايكه في جوانب العسكر حتى كان سيد كل حي يقول يا بني فلان هلم الي فاذا اجتمعوا قال لهم النجاه النجا لما بعث الله عليهم من الرعب وكان الله بما يعملون بصيرا على الخبر وقرا ابو عمرو والباقون بالتا يعني من حفر الخندق والخندق من العدو قوله تعالى

اذ جاءتكم جنود

يعني الاحزاب فارسلنا عليهم ريحا قال مجاهد هي الصبا ارسلت على الاحزاب يوم الخندق حتى اقلعت قدورهم ونزعت فساطيطهم قال ... وبجنود الملايكه ولم نقاتلهم بعد وقال عكرمه قالت الجنوب للشمال سيروا الى الاحزاب فانطلقي انتم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال ان نحوه لا يسري بليل فكانت الريح التي ارسلت عليهم الصبا وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وكانت هذه الريح معجزه النبي صلى الله عليه وسلم لان النبي عليه السلام والسلين كانوا قريبا

اذا اراد اضطرابا القلب وضربانه اي كاد لشدة اضطرابه يبلغ الحنجرة فالحنجرة
والحنجور زيادة الون حرف الحلق ويطنون بالله الظنونا قال الكسر ظن المنافقون
ان المسلمين يستاصلون وظن المومنون انهم ينصرون وقيل هو خطاب للمنافقين
اي قلتم هلك محمد واصحابه واختلف القراء في قوله تعالى الظنونا والسبيلا
والرسولا اخر السوره فاثبت الفا فيها في الوصل والوقف نافع وابن عامر
وروي عن ابي عمرو والكسائي بغير الف فيهما في الوصل والوقف ابن كثير
وحمزة في جميع البلدان واختاره ابو عبيد الا انه قال لا ينبغي للقارئ ان يدرج القراءة
بعدهن لكن يقف عليهن قالوا ولاد العرب تفعل ذلك في قوافي اشعارهم
ومصاريعها قال

فحز حلنا الفرح الحوافلا تستنفر الاواخر الاوابلا

وقصر ابو عمرو والحدري ويعقوب وحمزه بحذفها في الوقف والوصل
كذلك وغيرهما واما الشعر فوضع ضروره بخلاف القرآن فانه افصح اللغات
ولا ضروره فيه قال ابن الانباري ولم يخالف المصحف من قرا الظنون
والسبيل والرسول بغير الف في الحروف الثلاثه وخطهن في المصحف من غير الف
الظنون بالف لان الالف التي في اطعنا او الداخله في اول الرسول والظنون
والسبيل كغيرها من الالف المنظرفه المتاخره كما ثبت الف انا وجاد من الف هوان
وفيه حجه اخرى ان للالف اذا تطرفت منزله الفتحه وما يلحق دعامه للحركه التي
تشق والتي قبله السقوط فلما عمل هذا كانت الالف مع الفتحه كالشي الواحد
يوجب الوقف سقوطها ويحمل على ضروره الالف في الخط لا يوجب وضعا
في اللفظ وهو مسقط من الخط وفيه حجه ثالثه هي ان كتبت على لغه من
يقول لقيت الرجلا وفي على لغه من يقول لقيت الرجل بغير الف حسنا
احسن يجي عن جماعه من اهل اللغه انهم رووا عن العرب قام الرجلو بالواو
ومررت بالرجلي بالياء في الوصل والوقف ولقيت الرجلا بالف في الحالتين
كلتيهما قال الشاعر

اسايله عميره عن ابيها خلال الجيش يعترف الركابا

فاثبت الالف في الركاب بناء على هذه اللغه وقال الاخر

اذا الجوزا اردفت الثريا ظننت بال فاطمه الظنونا

وعلى هذه اللغه بني نافع وغيره وقد ابن كثير وابن محيصن والكسائي
بايثباتها في الوقف وحذفها في الوصل قال ابن الانباري ومن وصل بغير
الف ووقف بالف فجايز بان يحتج بان الالف احتاج اليها عند السكوت
حرصا على بقا الفتحه وان الالف تذهبها وتقوبها قوله تعالى

هنالك ابتلي المومنون

هنا للقريب من المكان وهنالك للبعيد وهنالك للمتوسط وبينا ربه
الى الوقت اي عند ذلك اختبر المومنون ليتبين المومن من المنافق وكان
هذا الابتلا بالخوف والقتال والجوع والحصر والسنال وزلزلوا زلزالا
شديدا اي حركوا تحريكا قال الزجاج كل مصدر من المضاعف على فعلال
يجوز فيه الكسر والفتح نحو قلقلته قلقالا وقلقا وزلزلوا زلزالا شديدا
وزلزالا لا الكسر يعود لان غير المضاعف على الكسر نحو دحرجته دحراجا وقراه
العامه بكسر الزاي وقراءاصم والحدري بفتحها قال ابن سلام
اي حركوا بالخوف تحريكا شديدا وقال الضحاك هوان اختبهم
عزاما كنهم حتى لم يكن لهم الا موضع الخندق وقيل انه اضطرابهم مما كانوا
عليه فمنهم من اضطرب في نفسه ومنهم من اضطرب في دينه وهنالك
يجوز ان يكون العامل فيه ابتلي فلا يوقف على هنالك ويجوز ان يكون
ويظنون بالله الظنونا فيوقف على هنالك قوله تعالى

واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض

اي شك ونفاق ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا
اي باطلا من القول وذلك ان طعمه بن ابرق ومعتب بن قشير وجماعه نحو

سبعين رجلا قالوا يوم احد فكيف نعد انحن لسنا يوم بدر فلم يستطع
احد منا ان يتمنعا فاذاك لما قيض في اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من قوله
عند ضرب الضوء على ما تقدم في حديث المنافقين نزل الله هذه الاية قوله تعالى

واذ قالت طائفة منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا

الطايفة تقع للواحد فما فوقه وعنابه من اوس بن قيظي والد عرابه بن اوس
الذي يقول فيه الشماخ

اذا ما رايه رفعت لمجد ... تلقاها عرابه باليمين

ويثرب هي المدينه وسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبه وطابه وقال
ابو عبيده يثرب اسم الارض والمدينه ناحيه منها قال السهيلي ويمكن
يثرب لان الذي كان نزلها من العمالق اسمه يثرب بن عميل بن مهلايل
ابن عوص بن عملاق بن لاوذ بن ارم وفي بعض هذه الاسماء اختلاف وبنو
عميل هم الذين سكنوا الجحفه فاجحفت بهم السيول فيها وبها سميت الجحفه
لمقام لكم بفتح الميم قراه العامه وقرا حفص والسلمي والحدري واجيبوه
بضم الميم يكون مصدرا من اقام يقيم اي لا اقامه اي موضعا يبيتون فيه
ومن فتح فهو اسم مكان اي لا موضع لكم تقيمون فيه فارجعوا اي الى منازلكم
امروهم بالهرب من عسكر النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس قالت
اليهود لعبد الله بن ابي بن سلول واصحابه من المنافقين ما الذي يحملكم على قتل
انفسكم سيلقانا ابو سفيان واصحابه فارجعوا الى المدينه فانا معكم فلا نقتل
فانتم امنون فقوله تعالى

وليستاذن فريق منهم النبي

في الرجوع الى منازلهم وهم بنو حارثه بن الحرث في قول ابن عباس
وقال ابن زيد بن رومان قال ذلك اوس بن قيظي عن ملا من قومه

يقولون ان بيوتنا عوره اي ساييه ضايعه ليست بحصينه وهي من العدو
وقيل ممكنه للسراق يحملوها من الرجال يقال دار معوره وذات عوره اذا
كان يسهل دخولها يقال عور المكان عورا فهو عور وبيوت عوره واعور
فهو معور وقيل عوره ذات عوره وكل مكان ليس بممنوع وامنوه فهو
عوره قاله المبرد وقال ابن عباس وعكرمه ومجاهد وابو رجا العطاردي
بكسر الواو وعوره بمعنى قصيره الجدران فيها خلل يقول العرب دار فلان
عوره اذا لم تكن حصينه وفتا عور الفارس اذا بدى فيه خلل للطعن والضرب
قال الشاعر

متى يلقهم لم تلق في البيت معورا ... ولا السيف مخبوءا ولا الجار مرملا

قال الجوهري والعوره كل حال يخاف منه في نفس او حرب قال
النحاس يقال اعور المكان اذا بانت فيه عوره واعور الفارس اذا بان
فيه موضع الخلل قال المهدوي ومن كسر الواو في عوره فهو شاذ
ومنه قولهم رجل عور لورايه لا شيء له وكانا في ليله سلد يقل فيها عاره
كثيرا ماء ورجلها لا صلها روح وهيل ثم قال تقالي وما هي بعوره
تكذيبا لهم ورجاء عليهم فيما ذكروه ان يريدون الا فرارا اي ما يريدون الا الهرب
قيل من القتل وقيل من الدين وحكى الثعالبي ان هذه الاية نزلت في قبيلتين
من الانصار بني حارثه وبني سلمه وهموا ان ينكصوا فثبتهم الله بهم اختلف
وفيهم انزل الله تعالى اذ همت طايفتان منكم ان تفشلا الاية فلما نزلت هذه
الاية قالوا والله ما سرنا ما كنا هممنا به اذ الله ولينا وقال
السدي الذي استاذنه منهم رجلان من الانصار من بني حارثه احدهما ابو
عرابه بن اوس والاخر اوس بن قيظي قال الضحاك ورجع ثمانون
رجلا بغير اذنه وقوله تعالى

ولو دخلت عليهم من اقطارها

وهي البيوت او المدينه او من نواحيها وجوابها الواحد فطر وهو الجانب

والناجيه وكذلك الغيابه في القطر ثم سيلوا الفتنه لاتوها ايجابوها على قراءه
نافع وابن كثير بالقصر وفتح الباقون بالمد اي لاعطوها من انفسهم وهو اختيار
ابي عبيد وابي حاتم وفتح في الحديث ان البر صلى الله عليه وسلم قال كانوا بعدون
عواالله ويسالون الشرك فكل ما اعطي منها سالوه الا ان الدليل على قراءه المد من
الاعطاء ويدل على قراءه القصر قوله ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون
الادبار هذا يدل على انهم اعطوها مقصورا وفي الفتنه هنا وهنا ناحيتان سيلوا
القتال في العصبيه لاسرعوا اليه قاله الضحاك الشابي ثم سيلوا الشرك
لاجابوا اليه مسرعين قاله الحسن وما تلبثوا بها اي بالمدينه بعد اعطاء الكفر
الا قليلا حتى يهلكوا قاله السدي والقتبي والحسن والفراء وقال اكثر
المفسرين وما احتبسوا عن فتنه الشرك الا قليلا ولاجابوا بالشرك مسرعين
وذلك لضعفهم بانفسهم ولفرط نفاقهم فلو اختلطت بهم الاحزاب لاظهروا
الكفر قوله تعالى

ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل

اي من قبل غزوه الخندق وبعد بدر قال قتاده وذلك انهم غابوا
عن بدر ولم يروا ما اعطى الله اهل بدر من الكرامه فلما انصرفوا قالوا لئن
اشهدنا الله قتالا لنقاتلن وقال زيد بن رومان هم سواحارثه
هموا يوم احد ان يفشلوا مع بني سلمه فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله ان
لا يعودوا لمثلها فذكرهم الله الذي اعطوه من انفسهم وكان عهد الله مسؤلا عنه
قال يقاتلهم سعود رجلا بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم ليله العقبه
وقالوا اشترط لنفسك ولربك ما شئت فقال اشترط لربي ان تعبدوه ولا
تشركوا به شيا واشترط لنفسي ان تمنعوني بما تمنعون منه نساكم واموالكم
واولادكم قالوا فما لنا اذا فعلنا ذلك يا نبي الله قال لكم الجنه قالوا
فذلك لك قوله وكان عهد الله مسؤلا اي ان الله لا بد سائلهم عنه يوم القيمه
قوله عز وجل

قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل الايه

اي من حضر اجله مات او قتل ولا ينفعه الفرار واذا لا تمتعون الا قليلا
اي في الدنيا بعد الفرار الى ان تنقضي اجالكم فكل ما هو آت قريب ودوبي
الساجي عن يعقوب الحضرمي واذا لا تمتعون بياء في بعض الروايات
واذا لا تمتعوا نصب باذن لانها للرفع بمعنى لا تمتعون واذا ملغاه فيجوز
اعمالها فتنصبها واهمالها اذا كان قبلها الواو والفا فاذا كانت مبتدا
نصبت بها فقلت اذا اكرمك فقوله تعالى

قل من ذا الذي يعصمكم من الله

اي يمنعكم منه ان اراد بكم سوا وملكا او اراد بكم رحمه اي خيرا ونصرا وعافيه
ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا اي لا قريبا ينفعهم ولا ناصرا ينصرهم
قوله تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا اي
المثبطين منكم الذين صدوا الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو معنى قول
عاقتني عنكم اي صرفني عنه وعوق علي والتكثير والقائلين لاخوانهم هلم
الينا على لغه اهل الحجاز وغيرهم يقولون هلموا للجماعه وهلمي للمراه لان الاصل
هلم الينا للشيء ضمت اليها لم ثم حذفت الالف استخفافا وبنيت على
الفتح ولم يجز فيها الكسر ولا الضم لانها لا تتصرف ومعنى هلم اقبل وهو اما بفتيان
اي منكم من شيط وبعوق والعوق المنع والصرف يقال عاقه يعوقه عوقا وعوقه
واعاقه بمعنى واحد قال ابن عباس نزلت في عبد الله بن ابي واصحابه المنافقون والقائلون
لاخوانهم هلم فينا ثلاثه احوال احدها انهم المنافقون قالوا للمسلمين يا محمد
واصحابه اكلة رأس وهو هالك ومن معه فهلم الينا الثاني انهم اليهود
من بني قريظه قالوا لاخوانهم هلم الينا اي تعالوا الينا وفارقوا محمدا فانه
هالك وان ابا سفيان ان ظفر لم يبق منكم احدا الثالث ما حكاه ابن زيد

ان رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كان بين الرماح والسيوف فقال لاخوه
وكان مزابيه وامهلم اني قد تبع بك وبصاحبك فقال له كذبت والله
لاخبرنه بامرك وذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره فوجده قد نزل عليه
جبريل عليه السلام باخبره وبقوله تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين
لاخوانهم ذكره الماوردي والثعلبي ايضا فلفظه قال ان زيد هنا يوم الاحزاب
اذ طلق رجل من عندنا النبي صلى الله عليه وسلم فوجد خاه بين يديه رعيف وشوا
وبنيذ فقال انت في هنا وخن بين الرماح والسيوف فقال الى هنا
فقد بيع لكذا لا صحابك والذي يحلف به لا يبتقل بها محمدا ابدا فقال كذبت
وذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم ليخبره فوجد قد نزل عليه جبريل بهذه الاية
ولا ياتون الباس الا قليلا خوف من الموت وقيل لا يحضرون القتال الا رياء
وسمعه قوله تعالى

اشحة عليكم

اي بخلا عليكم بالحرب والخندق والنفقة في سبيل الله قال مجاهد
وقتادة وقيل بالقتال معكم وقيل بالنفقة علي فقرايكم ومساكينكم وقيل
اشحة عليكم بالغنايم اذا اصابوها قاله السدي واشحة جمع شحيح قال
الزجاج ونصبه عند الفراء من اربع جهات احدها ان يكون على الذم ويجوز
ان يكون عنده نصبا بمعني يقولون اشحة ويجوز ان يكون التقدير والقائلين
اشحة ويجوز عنده ولا ياتون الباس الا قليلا يا نعته اشحة اي اشحة
علي الفرا بالعنيمة حينا الباس ولا يجوز ان يكون العامل فيه المعوقين
ولا القائلين ليلا تفرق بين الصلة والوصول وقال ابن الانباري الا قليلا
غيرنام ولا ان اشحة متعلق بالاول هو بمنتصب من اربعة اوجه احدها
ان نصبه على القطع من المعوقين كانه قال قد يعلم الله الذين يعوقون عند
القتال ويخوت بالاخلاف علي فقرا المسلمين ويجوز ان يكون منصوبا على القطع
من القائلين لهم اشحة ويجوز ان نصبه على القطع مما في ياتون كانه قال الا

يا تون الباس الا جبنا خلا ويجوز ان تنتصب اشحة على الذم فمن هذا الوجه
الرابع يجيز ان يقف علي قوله الا قليلا اشحة عليكم وقف حسن ومثله اشحة علي
اخير حال من المضمر في سلعوكم وهو العامل فيه فاذا جا الخوف راينهم ينظرون
اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت حصنهم باخبر وكنا اذا سيل الجبان
ينظر يمينا وشمالا محمدا بصره ودريا غشي عليه وفي خوف وجهان احدهما
قتال العدو اذا اقبل قاله السدي الثاني الخوف من النبي صلى الله عليه وسلم
اذا غلب قاله ابن بحر راينهم ينظرون اليك خوفا من القتال على المعقل الاول ومن
النبي صلى الله عليه وسلم علي الثاني تدور اعينهم لنهاب عقولهم حتى لا يعلم منهم النظر الى
جهة وقيل لشدة تحوفهم حذرا ان يابتهم القتل من كل جهة فاذا ذهب الخوف
سلعوكم بالسنة حداد وحكي الزجاج سلقوكم بالصاد وخطيب سلاق
وحلاق اذا كان بليغا واصل السلق الصوت ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
لعن الله الصالقة والحالقة والشاقة قال الاعشى

فيهم المجد والسماحة والجود فيهم واخاطب السلاق

قال قتادة المعنى بسطوا السنتهم فيكم عند قسمة الغنيمة يقولون
اعطنا فانا قد شهدنا معكم فقد العينة الشح اشح قوم واسطهم لسانا وقت
الباس اجبن قوم واخوفهم قال الخاسر وهذا قول حسن لان بعده
اشحة عليكم وقيل المعنى بالعوائق في محاصمتكم والاحتجاج عليكم وقال
العتبي المعنى اذ وكم بالكلام الشديد والسلق الاذى ومنه قول الشاعر

ولقد سلقن هوازنا بنواهل حتى اخنيتا

اشحة على اجزاي علي العينة قاله عكرمة بن سلام وقيل على المال ان ينفقوه في
سبيل الله قاله السدي اولئك لم يومنوا بقلوبهم وان كانت ظاهرهم الايمان
والنافق كافر على الحقيقة اذ وصفهم جل وعز بالكفر باحباط اعمالهم اي لم
يثبهم اذ لم يقصدوا وجه الله تعالى بها وكان ذلك على الله يسيرا يحتمل وجهين

احدهما وكان نفاقهم على اسهبنا قوله تعالى

يحسبون الاحزاب لم يذهبوا

اي يحسبهم يظنون ان الاحزاب لم ينصرفوا وكانوا قد انصرفوا ولكنهم لم يبتاعدوا
في السير وان يأت الاحزاب اي وان ترجع الاحزاب اليهم للقتال يودوا انهم بادون
في الاعراب تمنوا ان يكونوا مع الاعراب بحذر من القتل وتربصا للدوائر وقرأ
طلحة بن مصرف بواديهم بدا في الاعراب يقال بادو يبدي مثل عاد يعزي ويعيد
مثل صايم وصوام بدا فلان يبدو اي خرج من البادية وهي البداوة والبداية
بالكسر والفتح واصل الكلمة من البدو وهو الظهور يسكون وقرأ يعقوب
في رواية روبس يتسألون عن انبائكم اي عن اخبارنا النبي صلى الله عليه وسلم
يحدثون اما هلك محمد واصحابه اما غلبا بوسفيان واحزابه اي ودوا لو
انهم بادون اي سابلون عن اخباركم من غير مشاهدة القتال لفرط جبنهم
وقيل هم ابدا يحبون ان يسألوا عن اخبار المؤمنين وهل اصيبوا وقيل
كان منهم في اطراف المدينة من لم يحضر الخندق حملوا ما يسألون عن اخباركم وتتمنون
هزيمة المسلمين ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا اي رياء بالنبل
والحجارة على طريق الرياء والسمعة ولو كانوا فيكم ما قاتلوا ولو ان ذلك
لكان قليلا كثيرا قوله تعالى

لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة

فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة
هذا عتاب للمتخلفين عن القتال اي كان لكم قدوة في النبي صلى الله عليه وسلم
حيث بذل نفسه لنصرة دين الله وخروجه الى الخندق والاسوة القدوة
وقرأ عاصم اسوة بضم الهمزة الباقون بالكسر وهما لغتان واجمع فيهما
واحد عند الفراء والعلة عنده في الضم على لغة من كسره في الواحدة الفرق بين
ذوات الواو وذوات الياء فيقولون كسوة وكسى وحلية وحلى الجوهري

والاسوة بالضم والكسر لغتان والجمع اسي واسي وروى عقبة بن حسان
الهجري عن مالك بن انس عن نافع عن ابن عمر لقد كان لكم في رسول الله اسوة
حسنة قال في جوع النبي صلى الله عليه وسلم ذكره الخطيب ابو بكر احمد وقال
تفرد به عقبة بن حسان ولم اكتبه الا بهذا الاسناد الثانية قوله
تعالى اسوة الاسوة القدوة والاسوة ما يتاسى به اي يتعزى به فيقتدى
به في جميع افعاله وسعدي به في جميع احواله فلقد شج وجهه وكسرت
رباعيته وقتل عمه حمزة وجاع بطنه ولم يلق الاصابر احتسابا وشاكرا
راضيا وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم الجوع ورفعنا عن حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حجر حجر
ابو عيسى الترمذي وقال فيه حديث غريب وقال صلى الله عليه وسلم
لما شج اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وقد تقدم لمن كان يرجو الله واليوم الآخر
قال سعيد بن جبير المعنى لمن كان يرجو لقاء الله بايمانه وتصديق
بالبعث الذي فيه جزاء الافعال وقيل ان لمن كان يرجو ثواب الله في اليوم
الآخر ولا يجوز عند الخليل من النحويين ان يكون يرجو الا بعد الف اذا كان
لواحد لان العلة التي في الجمع وذكر الله كثيرا خوفا من عقابه ورجاء ثوابه
وقيل ان لمن بدل من قوله لكم ولا يجيزون البصريون لان الغائب لا يبدل
من المخاطب وانما اللام من لمن متعلقة بحسنة واسوة اسم كان ولكم
الخبر واختلف فيمن اريد بهذا الخطاب على قولين احدهما المنافقون
عطفا على ما تقدم من خطابهم الثاني المؤمنون لقوله لمن كان يرجو
لقاء الله واليوم الآخر واختلف في هذه الاسوة بالنبي صلى الله عليه
وسلم هل هي على الايجاب او على الاستحباب على قولين احدهما على الايجاب حتى يقوم
دليل على الاستحباب والثاني على الاستحباب حتى يقوم دليل على الايجاب
ويحتمل ان تحمل الايجاب في احد الدين وعلى الاستحباب في امور الدين

قوله عز وجل

ولما راى المومنون الاحزاب

قال ابن العربي من يقول راي عيني القلب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله يريد قوله في سوره البقره ام حسبتم ان تدخلوا الجنه ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الايه فلما راوا الاحزاب يوم الخندق قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله قاله قتاده وقول ثان رواه كثير بن عبد الله بن عمرو المزني عزا به عن ابيه قال لما خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم عام ذكرت الاحزاب فقال الخبر جبريل عليه السلام ان امتي ظاهره عليها يعني علي قصور الحيره ومدائن كسري فابشروا بالنصر فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعد صادق اذ وعدنا بالنصر بعد الحصر فطلعت الاحزاب فقال المومنون هذا ما وعدنا الله ورسوله ذكره الماوردي وما وعدنا ان جعلنا بمعنى الذي قالها محذوفه وان جعلتها مصدريه لم نحتج الى عايد وما زادهم الا ايمانا وتسليما قال الفراء وما زادهم نظرهم الى الاحزاب وقال علي بن سليمان راي بيد علي الدويه وتاويله حقيقي والمعنى ما زادهم الدويه الا ايمانا بالرب وتسليما للقضا قاله الحسن ولو قال ما زادهم بجاز ولما اشتد الامر على المسلمين وطال المقام في الخندق قام عليه السلام على التل الذي عليه مسجد الفتح في بعض الليالي ونوفغ ما وعده الله من النصر وقال من يذهب لنا بنا نحرسهم وله الجنه فلم يجبه احد وقال ثانيا وثالثا فلم يجبه احد فنظر الى جانبه وقال لرهط من اصحابه حذيفه فقال الم تسمع كلامي منذ الليله فقلت يا رسول الله سمعتك ان اجيب الله والفرفقال انطلق حتى تدخل في القوم فتسمع كلامهم وتاتيني بخبرهم اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وشماله حتى يرد الي انطلق ولا تحدث شيا حتى تاتيني فانطلق حذيفه بسلاحه ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه يقول يا صريخ المكروبين ويا مجيب المضطرين اكشف همي وغمي وكربي فقد نزا حالي وحال اصحابي فنزل جبريل

فقال ان الله سمع دعوتك وقال هول عدوك فخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم علي ركبتيه وبسط يديه وارخى عينيه وهو يقول شكرا شكرا كما رحمتني ورحمت اصحابي واخبره جبريل ان الله مرسل عليهم ريحا صرصرا فسر اصحابه بذلك فاخبر حذيفه فاشتد البرد فاذا ابرهم تتقد فقلت ريح شديده فيها حصا فانزكت لهم نارهم حتى اطفاتها ولا بنا لا طرحته وجعلوا يتربصون من الحصبا وقام ابن سفين الى راحلته وصاح في قريش النجا النجا وفعل ذلك عيينه بن حصن والحرث ابن عوف والاقرع بن حابس وتفرقت الاحزاب واصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاد الى المدينه وبه من الشعث ما شاء الله فجاءته فاطمه بغسول فكانت تغسل راسه فاتاه جبريل فقال وضعتنا السلاح ولم تضعه اهل السما وما زلت اتبعهم حتى جاوزت بهم الروحاء قال الفضل الى بني قريظه قال ابو سفين وما زلنا نسمع قعقعه السلاح حتى جاوزت الروحا فقوله تعالى

من المومنين رجال صدقوا

رفع الابتدا وصلح الابتدا بالنكره لان صدقوا في موضع النعت فتم من فضل نخبه من في موضع رفع بالابتدا وكذا ومنهم من ينتظر والخبر في المجرور قبله النذر والعهد يقولون منه نحبه احب بالضم قال الشاعر

وذكرت كل بني الناس انهم احق صاح الملحد المتذمم

وقال احر وذكرت المجد علينا حبا وقال احب فيقضي ام ضلال و باطل

وروى البخاري ومسلم والترمذي عن انس قال قال عمي انس بن النضر سميته به ولم يشهد بدرا مع النبي صلى الله عليه وسلم فكبر عليه فقال اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه اما والله لان اراني الله مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بعد ليرين الله ما اصنع فلقيها يوم احد منهزما فقال يا سعد بن معاذ اين فشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم احد من العام القابل فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا ابا عمرو اين قال واها لريح الجنه اجدها دون احد فقاتل حتى قتل فوجد في جسده بضعا

وما بدلوا تبديلا لفظ الترمذي وقال هذا حديث
صحيح وقالت عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى من المؤمنين رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه منهم طلحة بن عبيد الله شتت مع النبي صلى الله عليه وسلم
حتى اصيبت يده فقال النبي صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة الجنة وفي الترمذي
عنه ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا لاعرابي جاء يسأله عمن قضى نحبه من
هو وكانوا لا يجترؤن على مسألته فوثب اليه ومضى فسأله فلم يرد عليه
ثم سأله فلم يرد عليه ثم اني طلعت من باب المسجد وعلي ثياب
خضر فلما رآني النبي صلى الله عليه وسلم قال اين السائل عمن قضى نحبه قال الاعرابي
انا يا رسول الله قال هذا ممن قضى نحبه حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث
يونس بن بكير وقيل النحب الموت اي مات على ما عاهد عليه عن ابن عباس
والنحب ايضا الوقت والمدة يقال قضى فلان نحبه اذا مات فقال قارمه
عشية قرن الكاربيتون بعدما قضى نحبه في ملتقى الجبل هو بر
والنحب ايضا الحاجة والهمة يقول فالهم مالي عندهم نحب وليس المراد بالآية
والمعنى هنا الوضع بالنحب التذير لما نذروا اولا اي منهم من بذل جهده على
الوفاء بعهده حتى قتل مثل حمزة وسعد بن معاذ فانس بن النضر وغيرهم
ومنهم من ينتظر الشهادة وما بدلوا عهدهم ونذرهم وروى البيهقي عن ابي
هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على مصعب بن عمير وهو على طريقة فوقف
عليه ثم قرأ هذه الآية من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم
من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ثم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اشهد ان هؤلاء شهداء عند الله يوم القيمة فاتوهم وزوروهم والذي
نفسي بيده لا يسلم عليهم احد الى يوم القيمة الا ردوا عليه وروى عن ابن عباس
انه قال فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومنهم من بدل تبديلا قال
ابو بكر الانباري وهذا الحديث مردود بخلاف الاجماع ولان فيه طعنا على المؤمنين
والرجال الذين صدقهم الله وشرفهم بالصدق والوفاء فيما يعرف فيهم تغيرا وما وجد من
جماعتهم تبديل رضي الله عنهم ليجزي الله الصادقين بصدقهم ان امرأة بايجاد ليجزي
الصادقين والآخرة بصدقهم ويعذب المنافقين والآخرة ان شاء ان
يعذبهم لم يوفقهم التوبة وان لم يشأ ان يعذبهم تاب عليهم قبل الموت ان الله كان
غفورا رحيما قوله تعالى

ورد الله الذين كفروا بغيظهم

لم ينالوا خيرا الآية

قال محمد بن عمر ورفعه الى عائشة قالت الذين كفروا هنا ابو سفيان وعيينة
ابن بدر رجع ابو سفيان الى تهامة ورجع عيينة الى نجد وكفى الله المؤمنين القتال
يا نار سلط عليهم جنودا ريحا حتى رجعوا ورجعت بنو قريظة الى صياصيهم فكفى
امر قريظة بالرعب وكان الله قويا عزيزا اي امره عزيز لا يغلب فقوله تعالى

وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم

يعني الذين عاونوا الاحزاب قريشا وغطفان وهم بنو قريظة وقد مضى خبرهم
من صياصيهم اي حصونهم واحدها صيصة قال الشاعر

فاصبحنا لدى ان صرعي واصبح نساؤنم ينندبن الصياصيا

ومنه قيل لشوكة الحائك التي بها يسوي السداة واللحمة صيصية قال
دريد بن الصمة الجشمي

فجئت اليه والرماح تنوشه كوقع الصياصي في النسيج المدد

ومنه صيصية الديك التي في رجله وصياصي البقر قرونها لانها تمنع بها
وربما كانت تركب في الرماح مكان الاسنة ويقال اخذ الله صيصيته اي
اصله وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وهم الرجال وتأسرون فريقا

وهم النساء والذرية على ما تقدم واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطوها
قال قتيبة بن رومان وابن زيد ومقاتل يعني خيبر ولم يكونوا نالوها فوعدهم
الله اياها وقال قتادة وكنا نحدث انها مكة وقال الحسن هي فارس والروم وقال
عكرمة ارض تفتح الى يوم القيمة وكان الله على كل شئ قديرا فيه وجهان احدهما
اراد بجماده من نفقه او عفو فقدير قاله محمد بن اسحق الثاني بمعنى ما اراد ان يفتحه
من الحصون والقرى قال الفراء قاله القتبي والثالث وقبل وكان الله على كل شئ مما وعدكم
قديرا لا تزد قدرته ولا يجوز عليه العجز تعالى وتقال يا سرون وتاسرون كثيرة في
وضمها حكاه الفراء قوله تعالى

يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن

نزد ن الحبوه الدنيا وزينتها الى قوله عظيما

فيه ثمان مسايل الاولى قوله تعالى يا ايها النبي قل لازواجك قال علماؤنا
هذه الاية منفصلة بمعنى ما تقدم من الخبر عن نبينا النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد
تاذى ببعض الزوجات قيل بسالته شيئا من عرض الدنيا وقيل زيادة في النفقة وقيل
اذيته بغيرة بعضهن على بعض وقيل امر صلى الله عليه وسلم بتلاوة هذه عليهن وتخييرهن
بين الدنيا والاخرة وقال الشافعي ان من ملك زوجته فليس عليه تخييرها
وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخيرنساه فاختارته وجعله ذلك ان الله سبحانه
خير النبي صلى الله عليه وسلم بين ان يكون نبيا وملكا وعرض عليه مفاتيح خزائن
الدنيا وبين ان يكون نبيا مسكينا فشاور جبريل فاشار عليه المسكنة
فاختارها فلما اختارها وهي على المنزلة التي امره الله جل وعز ان يخير زوجاته
فربما كان فيهن من المسكنة فاختارها وهي اعلا المنزلتين امره الله جل
وعز ان يخير زوجاته فربما كان فيهن من يريده القيام معه على الشدة تتوبها
له وقيل ان السبب الذي اوجب التخيير لاجله ان امراة من زوجاته
سالته ان يصوغ لها حلقة من ذهب فصاغ لها حلقة من فضة وطلاها بالذهب
وقيل بالزعفران فابت الا ان يكون من ذهب فنزلت اية التخيير فقيل احزن الله ورسوله

وقيل ان واحدة منهن اختارت الفراق والله اعلم روى البخاري ومسلم واللفظ لمسلم
عن جابر بن عبد الله قال دخل ابو بكر يستاذن على النبي صلى الله عليه وسلم فوجد
الناس جلوسا ببابه لم يوذن لاحد منهم قال فاذن لابي بكر فدخل ثم جاء عمر فاستاذن
فاذن له فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالسا حوله نساه واجما ساكتا قال فقال
والله لاقولن شيا اضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لو رايت بنت
خارجة سالتني النفقة فقمت عنقها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وقال هن
حولي كما ترى يسالنني النفقة فقام ابو بكر الى عايشة تجاعنقها وقام عمر الى
حفصة تجاعنقها كلاهما يقول تسالن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا ليس عنده
فقلن والله لا نسال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابدا شيا ليس عنده ثم اعتزلهن
شهرا او تسعا وعشرين ثم نزلت هذه الاية يا ايها النبي قل لازواجك حتى بلغ للمحسنات
منكن اجرا عظيما قال فبدا بعايشة وقال يا عايشة اني اريد ان اعرض عليك امرا احب ان
لا تعجلي فيه حتى تستشيري ابويك قالت وما هو يا رسول الله فتلى عليها الاية
قالت افيك يا رسول الله استشير ابوي اختار الله ورسوله والدار الاخرة واسالك
ان لا تخبر امراة من نسايك بالذي قلت قال لا تسالني امراة منهن الا اخبرتها ان الله لم
يبعثني معنتا ولا متعنتا ولكن بعثني معلما ميسرا وروى الترمذي عن
عايشة قالت لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخيير ازواجه بدا بي فقال يا
عايشة اني ذاكر لك امرا فلا عليك ان لا تستعجلي حتى تستامري ابويك قالت وقد علم
ان ابواي لم يكونا امراني بفراقه وقالت ثم قال ان الله تعالى يقول يا ايها النبي قل
لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن
سراحا جميلا حتى بلغ للمحسنات منكن اجرا عظيما فقلت في هذا استامر ابويّ
فاني اريد الله ورسوله والدار الاخرة وفعل ازواج النبي صلى الله عليه وسلم مثل ما
فعلت قال هذا حديث حسن صحيح قال العلماء اما امر النبي صلى الله عليه
وسلم عايشة ان تستامر ابويها لانه كان يعلم ان نجابتها وكمال عقلها فرط
الشباب على ان تختار فراقه ويعلم من ابويها انهما لا يشيران عليها بفراقه
قوله تعالى قل لازواجك كان للنبي صلى الله عليه وسلم ازواج منهن من

[illegible] ... حمزة فاولدت
[illegible] ... بلد بن اسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر فولدت له عند ابي
[illegible] ... سلمة واسمه عبد الله بن عبد الاسد وكان اسلم عتيق بن عايذ وولدت منه
[illegible] ... سلمة وعمر ودرة وزينب وامامة بنو عبد الله وعاش في زمانا الطاعون
[illegible] ... فان فيه قيل ان الذي عاش بها الخوف فمات وسمعت امامة تقول
[illegible] ... حين ماتت وقد بقيت وحدها ما رأيت امرأة اشد وجعا من ام سلمة
[illegible] ... على جنازة حتى ماتت وكانت اول ظعينة من قريش تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم
[illegible] ... سنة وقيل بعد ذلك بسنة من الهجرة وكانت صلى الله عليه وسلم بنى بها اربعين
[illegible] ... توفيت سنة خمس وستين في خلافة معاوية وهي ابنة ثلاث وثمانين سنة
[illegible] ... حبيبة واسمها رملة بنت ابي سفيان بن حرب بن امية بن عبد شمس تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم
[illegible] ... بعد رجوع من الحبشة سنة سبع وكان تزوجها بنجاشي ملك الحبشة صلى الله عليه وسلم بنتا اربعين
[illegible] ... سنة وقيل بعد ذلك بسنتين وقيل ثلاث سنين توفيت سنة خمس وستين سنة وهي ابنة ثلاث وستين وقيل اكثر من ذلك
[illegible] ... حبيبة واسمها هند بنت ابي امية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وامها عاتكة بنت عبد المطلب
[illegible] ... عمة النبي صلى الله عليه وسلم وكان اسمها برة فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب
[illegible] ... كراهية ان يقال خرج من عند برة وكانت تحت زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
[illegible] ... فطلقها فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بامر الله تعالى على ما ذكر في القرآن
[illegible] ... فانزل الله تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها فلما طلقها زيد وانقضت عدتها
[illegible] ... قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله امرني ان اتزوجك فقالت لا اعلم احدا
[illegible] ... اشد حبا لله ولرسوله منك فاخبرت بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعجبه ذلك
[illegible] ... توفيت سنة عشرين وهي ابنة ثلاث وخمسين وقيل ابنة خمس وخمسين وقيل ابنة ست وخمسين
[illegible] ... ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهزم بن رويبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة
[illegible] ... الهلالية وكانت تحت مسعود بن عمرو الثقفي فطلقها فتزوجها ابو رهم بن عبد العزى العامري
[illegible] ... فمات عنها فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسرف على رأس اربعة وعشرين ميلا من مكة
[illegible] ... وبنى بها بسرف في طريقه حين رجع من مكة سنة سبع وتوفيت بسرف سنة احدى وستين
[illegible] ... وهي ابنة ست وستين سنة وصلى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنت بسرف في القبة التي
[illegible] ... فيها وهي آخر من مات من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم موتا

ومن نساء قريش رملة بنت ابي سفيان بن حرب بن امية بن عبد شمس تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليال
بقين من شوال سنة اربع وجهازه ابنها سلمة على الصحيح وكان عمر ابنها صغيرا
وتوفيت في سنة تسع وخمسين وقيل سنة ثنتين وستين والاول اصح وقد قيل فيها
سهيلة بن زيد وقيل ابن بديه ودفنت بالبقيع وهي ابنة اربع وثمانين سنة ومنهن
ام حبيبة واسمها رملة بنت ابي سفيان بن حرب بن امية بن عبد شمس تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن
امية الضمري الى النجاشي ليخطب عليه ام حبيبة فزوجه اياها وذلك سنة سبع
من الهجرة واصدقها النجاشي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع مائة دينار وبعث
بها مع شرحبيل بن حسنة وتوفيت سنة اربع واربعين وقال الدارقطني كانت ام
حبيبة تحت عبد الله بن جحش فمات بارض الحبشة على النصرانية فزوجها النجاشي للنبي
صلى الله عليه وسلم واصدقها عنه اربعة آلاف وبعث بها اليه مع شرحبيل بن حسنة
ومنهن زينب بنت جحش بن رياب الاسدية وكان اسمها برة فسماها رسول الله صلى الله
عليه وسلم زينب فقالت يا رسول الله بدل اسم ابي فانا لبرة حقيرة فقال لها النبي
صلى الله عليه وسلم كان ابوك ومنا سميناه باسم رجل منا اهل البيت ولكني
سميته جحشا والجحش الكبير من البر ذكر هذا الحديث الدارقطني تزوجها رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالمدينة سنة خمس من الهجرة وتوفيت سنة عشرين وهي بنت ثلاث
وخمسين ومنهن زينب جرمة بنت الحارث بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن
عامر بن صعصعة الهلالية وكانت تسمى في الجاهلية ام المساكين لاطعامها ايام
تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان على راس احد وثلاثين شهرا
من الهجرة فمكثت عنده ثمانية اشهر وتوفيت في راس احد وثلاثين في اخر ربيع
الاول ودفنت بالبقيع ومنهن جويرية بنت الحارث بن ابي ضرار الخزاعية
المصطلقية فوقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس فكاتبها فقضى رسول الله
صلى الله عليه وسلم كتابتها وتزوجها وذلك في شعبان سنة ست وكان اسمها برة
فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم جويرية وتوفيت في ربيع الاول سنة ست وخمسين

ومن صفية بنت حيي بن اخطب عاد دحيه سباها
النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر واصطفاها لنفسه واسلمت فاعتقها وجعل
عتقها صداقها وقيل بل اعتقها وتزوجها بسهم وجها لكلبي فاشترا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بسبعة ارؤس وماتت سنة خمسين وقيل سنة اثنتين
وخمسين ودفنت بالبقيع ومنهن ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خناقة بن بني النضير
سباها رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتقها وتزوجها في سنة ست عشرة وقيل قبلها
عمر قال ابو الفرج الجوزي وقد سمعنا من يقول انها كانت مما ملكت اليمين
ثم اعتقها قلت وهذا والله اعلم لم يثبت عند من يعتمد حديثه
هما اللتان وهبتا انفسهما للنبي صلى الله عليه وسلم ومنهن ميمونة بنت الحرث الهلالية تزوجها
رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال سنة سبع في عمرة القضية
وهي اخر امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اراد الله تعالى
انها ماتت في المكان الذي بنى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ودفنت هنالك
وذلك في سنة احدى وستين وقيل ثلاث وستين وقيل ثمان وثلاثين فهؤلاء
المشهورات من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ومن اللاتي دخل بهن رضي الله عنهن
واما من تزوج بها ولم يدخل بها فمنهن الكلابية اختلفوا في اسمها فقيل
فاطمة وقيل عمرة وقيل العالية قال الزهري تزوج فاطمة بنت الضحاك الكلابية
فاستعاذت منه فطلقها وكانت تقول انا الشقية تزوجها في ذي القعدة
سنة ثمان من الهجرة وتوفيت سنة ستين ومنهن اسماء بنت النعمان بن شراحيل
ابن الحرث الكندية وهي الجونية قال قتادة لما دخل عليها دعاها فقالت
تعالي انت فطلقها وقال غيره هي التي استعاذت منه وفي البخاري قال
تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم امية بنت شراحيل فلما دخلت عليه بسط
يده اليها فكأنها كرهت ذلك فامرا اسيد ان يجهزها ويكسوها ثوبين وفي
لفظ اخر قال ابو اسيد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجونية فلما دخل
عليها قال هبي لي نفسك قالت وهل تهب الملكة نفسها لسوقة فاهوى بيده
ليضعها عليها لتسكن فقالت اعوذ بالله منك قال قد عذت معاذا ثم خرج

علينا فقال يا ابا اسيد اكسها رازقين واكسها اهلها ومنهن قتيلة بنت قيس
اخت الاشعث بن قيس تزوجها اياه الاشعث ثم انصرف الى حضرموت فحملها اليه
فبلغه وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فردها الى بلاده وارتد وارتدت معه ثم تزوجها
عكرمة بن ابي جهل فوجد من ذلك ابو بكر رضي الله عنه وجد شديدا فقال له
عمر انها والله ما هي من ازواجه ما اجرها ولا حجبها ولقد برأه الله منها بالارتداد
وكان عروة ينكر ان يكون تزوجها ومنهن ام شريك الازدية واسمها غزية
بنت جابر بن حكيم وكانت قبله عند ابي بكر بن ابي سلمى فطلقها النبي صلى الله عليه وسلم
ولم يدخل بها وهي التي وهبت نفسها وقيل ان التي وهبت نفسها للنبي صلى الله
عليه وسلم خولة بنت حكيم ومنهن ليلى بنت الخطيم اخت قيس تزوجها وكانت
عيورا فاستقالته فاقالها ومنهن عمرة بنت معاوية العذرية تزوجها
النبي صلى الله عليه وسلم فقالت اعوذ بالله منك فقال لقد عذت معاذا
ومنهن ابنة جندب بن ضمرة الجندعية قال بعضهم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانكر بعضهم وجود ذلك ومنهن العقارية قال بعضهم تزوج امرأة من عقار
فامرها فنزعت ثيابها فرأى بها بياضا فقال الحقي باهلك ويقال انما رأى
البياض بالكلابية فهؤلاء اللاتي عقد عليهن ولم يدخل بهن صلى الله عليه وسلم فاما
من خطبهن فلم يتم نكاحهن بموت ومن وهبت له نفسها فمنهن ام هانئ بنت ابي
طالب واسمها فاختة خطبها النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ابن امرأة مصبية
واعتذرت اليه فعذرها ومنهن ضباعة بنت عامر ومنهن صفية بنت
ابن نضلة خطبها النبي صلى الله عليه وسلم وكان اصابها شيء فقالت ان شئت انا
وان شئت رجل فقالت زوجها فارسلها فلحقها بثوبيتم قاله ابن عباس
ومنهن ام شريك وقد تقدم ذكرها ومنهن ليلى بنت الخطيم وقد تقدم
ذكرها ومنهن خولة بنت حكيم بن امية وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم
فاوجاها فتزوجها عثمان بن مظعون ومنهن حمنة بنت الحرث بن عوف المري
خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابوها ان بها سوءا ولم يكن بها فرجع بها
ابوها وقد برصت وهي ام حبيب بن ازهر الشاعر ومنهن

سوده الفرشيه خطبها النبي صلى الله عليه وسلم وكانت مصبيه فقالت اخاف
ان تصفو صبيتي عند راسك فحدها ودعا لها ومسهن امرآه لم يذكر اسمها قال
مجاهد خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم امرآه فقالت استامرابي فلقيت ابا ها
فاذن لها فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد تحققت لكما فاغتر ك
هو كجميع ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وكان له من السراري سريتان ماريه
القبطيه ودجانه في قول قتاده وقال غيره كان له اربع ماريه ودجانه
واخري جميله اصابها في السبي وجاريه وهبتها له زينب بنت جحش ان تسه
قوله تعالى ان كنتن تردن الحياه الدنيا وزينتها ان شرط وجوابه فتعالين
فعلق التمتيع علي شرط وهذا يدل علي ان التخيير والطلاق المعلقين علي شرط صحيحان
فيقعان وبهذا خلافا لمن ابي المنذر عه الذين يزعمون ان الرجل اذا قال
لزوجته انت طالق ان دخلت الدار انه لا يقع طلاق ان دخلت الدار لان الطلاق
الشرعي هو المنجز في الحال لا غير انتهى قوله تعالى فتعالين جواب
الشرط وهو فعل جامد التسا من فوقك تقال وهو دعا ء للاقبال الي الاقبال
يعني اقبل وضع كمرله حلاله ورفقه ثم صار في الاستعمال لكل داع الي الاقبال
واما في هذا الموضع فهو علي اصله فان الداعي هو رسول الله صلى الله عليه
وسلم امكن فقد تقدم الكلام في المتعه في البقره وقرئ امتكن
بضم الفين وكنا واسرحكن بضم الحا علي الاستيناف والسراح الجميل
هو ان يكون طلاقا لسنه من غير ضرار ولا منع واجب لها الرابعه
اختلفت العلما في كيفيه التخيير من النبي صلى الله عليه وسلم ارفاجه علي قولين
الاول انه جزم باذن الله تعالى في البقا علي الزوجيه والطلاق فاختر البقا
قاله عايشه ومجاهد وعكرمه والشعبي وابن سيرين وربيعه وسهم من قال
انما خيرهن بين الدنيا فيقا رقهن او بين الاخره فيبقيهن لتكون لهن
المنزله العليا كما كانت لزوجهن ولم يخيرهن في الطلاق ذكره الحسن
وقتاده ومن الصحابه علي فيما رواه عبد احمد بن حنبل انه قال لما خير رسول الله
صلى الله عليه وسلم نساه الاخترن الدنيا والاخره فلم يعد القول

الاول اصح لقول عايشه رضي الله عنها لما سيلت عن الرجل يخير امرانه فقالت
فتجزا رسول الله صلى الله عليه وسلم افكان طلاقا وفي روايه فاخترناه فلم يعد
طلاقا ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا التخيير المامور بن القا والطلاق
ولذلك قال يا عايشه اني ذاكر لك امرا فلا عليك ان تعجلي فيه حتي تستامري ابويك
الحديث ومعلوم انه لم يرد الاستيمار في اختيا رالدنيا وزينتها علي الاخره فثبت
ان الاستيمار انما وقع في الفرقه او النكاح والله اعلم اذا خيره اختلف
العلما في الخيره اذا اختارت زوجها فقال جمهور العلما من السلف وغيرهم
وايه الفتوي انه لا يلزمه طلاق لا واحده ولا اكثر هذا قول عمر بن الخطاب وعلي
وابن مسعود وزيد بن ثابت وعايشه ومزان بعين عطا ومسروق
وسليمان بن يسار وربيعه وابن شهاب وروي عن علي وابن زيد ايضا ان
اختارت زوجها فواحده بائنه وهو قول الحسن والليث وحكاه الخطابي
والنقاش عن مالك وتعلقوا بان قوله اختاري كنايه عن ايقاع الطلاق
فاذا اضافه اليها ونعت طلقه كقوله انت باين والصحيح الاول لقول
عايشه خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترنا فلم يعده علينا طلاقا
اخرجه الصحيحان قال ابن المنذر وحديث عايشه يدل علي ان
المخيره اذا اختارت زوجها لم يكن ذلك طلاقا ويدل علي ان اختيارها نفسها
توجب الطلاق ويدل علي معني ثالث وهو ان المخيره اذا اختارت نفسها انها
تطليقه ملكت زوجها رجعتها اذ غير جايز ان يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
خلاف ما امره الله روي هذا عن عمر وابن مسعود وابن عباس وبه قال ابن ابي
ليلي والثوري والشافعي وروي عن علي انها اذا اختارت نفسها انها واحده بائنه
وهو قول ابي حنيفه واصحابه وبه قال ابن خوازمنداد عن مالك وروي عن
زيد بن ثابت انها اذا اختارت نفسها انها ثلاث وهو قول الحسن البصري وبه قال
مالك والليث لان الملك لا يكون بذلك وروي عن علي رضي الله عنه انها اذا اختارت
زوجها فواحده رجعيه السادسه ذهبت جماعه من المفسرين

المدينة وعزم على ان التمليك والتخيير سواء والقضاء ما قضيتن فيهما جميعا وهو
قول عمر بن عبد العزيز بن ابي سلمة قال ابن شعبان وقد اختاره ليث من اصحابنا وهو
قول جماعة من اهل المدينة قال ابو عمر وعلى هذا القول اكثر الفقهاء والمشهور من مذهب
مالك الفرق بينهما وذلك ان التمليك عند مالك هو قول الرجل لامرأته قد
ملكتك ايقاع ملكتك ما جعل الله لي من الطلاق واحدة او ثنتين او ثلثا
فلها ان تملك بعض ذلك دون بعض وادعاء ذلك كان القول قوله مع يمينه
اذا انكرها وقالت طائفة من اهل المدينة الناكرة في التمليك وفي التخيير سواء في الدخول
بها والاول قول مالك في المشهور وروي بن حمد مسندا عن ملك ان للزوج ان ينكر
المخيرة في الثلاث وتكون تطليقة بائنة كما قال ابو حنيفة وقال ابن الجهم
قال سحنون وعليه اكثر اصحابنا وتحصيل مذهب مالك ان المخيرة اذا اقرت
بنفسها وفي مدخول بها وهو الطلاق كله وان انكر فوجها فلا يمين له وان
اختارت واحدة قبل بتي وانما اخيرها بالبتات اما اخذته او تركته لان معنى
التخيير التسريح قال الله تعالى في ايه التخيير فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا
جميلا فمعنى التسريح البتات قال الله تعالى الطلاق مرتان فامساك بمعروف
او تسريح باحسان والتسريح بالاحسان هي الطلقة الثالثة روي ذلك عن النبي
صلى الله عليه وسلم كما تقدم ومرجعه المعنى ان قوله اختاري واختاري يقتضي
بمقتضى ان لا يكون له عليها سبيل اذا اختارت نفسها ولا يملك منها شيئا اذ قد
جعل اليها ان يخرج ما يملكه منها او يقيم معه اذا اختارته فاذا قالت اخترت
البعض من الطلاق لم يعمل بمقتضى اللفظ وكانت عبزله لو خير بين شيئين فاختار
غيرهما واما التي لم يدخل بها فله مساكنتها في التخيير والتمليك اذا زادت على
واحدة لانها بتبتة في احد الساعة اختلفت الرواية عن مالك متى يكون
لها الخيار فقال مره لها الخيار ما كانت في المجلس قبل القيام او الاشتغال
بما يدل على الاعراض فان لم تجب ولم يقض شيء حتى افترقا من مجلسهما بطل
ما كان من ذلك اليها وعلى هذا اكثر الفقهاء وقال

مره لها الخيار ابدا ما لم تقم او تتكلم او تأخذ في عمل يعلم بان تمكينه من نفسها
بوطء او مباشرة فعلى هذا ان منعت نفسها ولم تختر شيئا كان له رفعها الى الحاكم
ليوقع او تسقط فان ابت اسقط الحاكم عليها وعلى القول الاول اذا اخذت
في غير ذلك من حديث او عمل او مشي او ما اشبه من التخيير بقي كما ذكرنا سقط تخييرها
واحتج بعض اصحابنا لهذا القول بقوله تعالى فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في
حديث غيره وايضا فان الزوج اطلق لها القول المعروف الخيار منها فصار كالعقد
بينهما فان قبلته والا سقط كالذي يقول قد وهبت لك او بعتك فان قبل والا
كان الملك باقيا بحاله هذا قول الكوفيين والاوزاعي والليث والشافعي وابو ثور
وهو اختيار ابن القاسم وهو وجه الرواية الثابتة ان ذلك قد صار في يدها
وملكته على زوجها بتمليكه اياها فلما ملكت ذلك وجب ان يبقى في يدها كما هي في
يد زوجها قلت هذا هو الصحيح لقوله عليه السلام لعائشة اني ذاكر
لك امرا فلا عليك ان لا تستعجلي حتى تستأمري ابويك واما الصحيح وجه
الخيار وصحته الترمذي وقد تقدم في اول الباب وهو حجة لمن قال انه اذا خير
الرجل امرأته وملكها ان لها ان تقضي في ذلك ولو افترقا من مجلسها وردي
هذا عن الحسن والزهري الثالثة وقال مالك في احدى روايتيه قال
ابو عبيد والذي عندنا في هذا الباب اتباع السنة في عائشة وفي هذا الحديث
حيث جعل لها التخيير ان تستأمر ابويها ولم يجعل قيامها من مجلسها مزوجا لها
الامر قال المروزي وهذا اصح الاقاويل عندي وقاله ابن المنذر والطحاوي
والله الموفق للصواب قوله تعالى

يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة

مبينة يضاعف لها العذاب

فيه ثلاث مسائل الاولى قال العلماء لما اختارت رسول الله صلى الله عليه وسلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم شكر الله على ذلك فقال تكرمة لمن

لاجل لكلمتين مزيد ولان ابتدل لهن مزارواج الايه ٥ ثم ين عكمهن عزغيرهن فقال
وما كان لكم ان توذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولان تنكحوا ازواجه مزبعده وجعل
ثواب طاعتهن وعقاب معصيتهن اكثر مما يغيرهن فقال يا نسا النبي مزيات منكن
بفاحشه مبينه يضاعف لها العذاب ضعفين لشرف منزلتهن وفضل درجتهن
وتقدمتهن على سايرالنسا اجمع وكذلك ثبت الشريعه فى غيرما موضع حسب ماتقدم
بيانه غيره انه كلما تضاعفت الحرمات تهتكت تضاعفت العقوبات ولذلك
ضوعف حداى على العبد والثيب على البكر وقيل لما كان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
فى مسقط الوحي الوحي فى منزل اوامر الله ونواميه فتوكى الامر عليهن ولزمهن
بسبب ذلك اكثر مما يلزم غيرهن فضوعف لهن الاجر والعذاب وقيل انما ذلك
لعظيم الضرر فى جرايمهن بايذا النبي صلى الله عليه وسلم فكانت العقوبه على قدر عظيم
الجريمه فى ايذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى ان الذين يؤذون يؤذون
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدنيا والاخره واختار هذا القول الكيا الطبري
قال فلزم لوقذف الزنا من واحده منهن وقتا عانهن الله من ذلك فكانت تحد حدين
لعظيم قدرها كما نزاد اخره على الاثنه والعذاب المعنى الحد قال الله تعالى وليشهد عذابهما
طايفه من المومنين وعلى هذا فمعنى الضعفين معنى المثلين اد المرتهن وقال ابو
عبيده ضعف الشي مثلين حتى يكون ثلاثه وقاله ابو عمرو فيما حكى الطبري عنه
فيضاف اليه عذابان مثله فتكون ثلاثه اعذبه وصعفه الطبري وكذلك هو عند غيره صحيح
وان كان له باللفظ تعلق لاحتمال وكون الاجر مرتين مما يفيد هذا القول لان
العذاب فى الفاحشه باز الاجر فى الطاعه قاله ابن عطيه وقال النحاس قرا ابو
عمرو يضاعف وضعف مرتين وقرا يضعف لهذا وقال ابو عبيده يضاعف
لها العذاب فجعل ثلاثه اعذبه قال النحاس القريق الذي جا به ابو عمرو ابو عبيده
لا يعرفه احد من اهل اللغه علمته والمعين فى نضعف ونضاعف واحد اي فجعل
ضعفين كما تقول ان دفعت الي درهما وفقت اليك ضعفيه اي مثليه يعني
درهمين ويدل على هذا قوله اجرها مرتين ولا يكون العذاب اكثر من الاجر

وقال فى موضع اخر انهن ضعفين من العذاب اي مثلين وروى سلم عن
قتاده يضاعف لها العذاب ضعفين قال عذاب الدنيا وعذاب الاخره قال القشيري ابو
نصر الظاهر انه اراد بالضعفين المثلين لانه قال يؤتها اجرها مرتين ولا يكون العذاب
اكثر من الاجر وقال فى موضع اخر انهن ضعفين من العذاب اي مثلين
وروى بعمر عن قتاده يضاعف لها العذاب ضعفين قال عذاب الدنيا وعذاب
الاخره قال القشيري ابو نصر الظاهر انه اراد بالضعفين المثلين لانه قال يؤتها
اجرها مرتين فاما فى الوصايا بالاولاد فلان بضعف نصيب ولده ليوصيه
بان يعطي مثل نصيب ابنه ثلاث مرات فان الوصايا تجري على العرف فيما بين
الناس وكلام الله يرد تفسيره الى كلام العرب والضعف فى كلام العرب المثل اي ما
زاد وليس بمقصور على مثلين يقال هذا ضعف هذا اي مثله وهذا اضعفاه اي
مثلاه فالضعف فى الاصل زياده غير محصوره قال الله تعالى فاولئك لهم جزا الضعف
ولم يرد مثل ولا مثلين كل هذا قول الازهري وتقدم فى السور الاختلاف فى حد
من قذف واحده منهن والحمد لله الذي لا شريك له قال ابو رافع كان عمر رضي الله عنه
يقرا سوره يوسف وسوره الاحزاب فى الصبح وكانا اذا بلغ يا نسا النبي رفع بها
صوته فقيل له فى ذلك فقال اذكرهن العهد ٥ قرا الجمهور مزيات بالتا وكذلك من
يقنت حملا على لفظ من والقنوت الطاعه وقد تقدم. وقرا يعقوب مزيات ومن
تقنت بالتا مرفوق حملا على معنى وقال قوم الفاحشه اذا وردت معرفه فهي
الزنا واللواط واذا وردت منكره فهي سايرالمعاصي واذا وردت مسنونه فهي
عموم قال الذبح وفا دعيتنه وقال فرقه بل قوله فاحشه تعم جميع المعاصي
وكذلك الفاحشه كيف وردت وقرا ابن ابزي مبينه بفتح الياء وقرا ابو عمرو
فى اخاريه خارجه نضاعف بالنون المضمومه ونصب العذاب ومده قرا ابن
محيصن ومده مفاعله من واحد كطارقت النعل وعافيت اللص وقرا
نافع وحمزه والكسائي يضاعف بالياء وفتح العين العذاب رفعا وهي قراه
الحسن وابن كثير وعيسى وقرا ابن كثير وابن عامر نضاعف بالنون وكسر العين
المشدده والعذاب نصبا قال مقاتل هذا التضعيف فى العذاب لا هو فى

في الاخره لان ابتدا الاجر مرتين ايضا في الاخره وهذا حسن لان نساء النبي صلى الله عليه وسلم
لا ياتين بفاحشه حدا وقيل قال ابن عباس وما بغت امراه نبي قط والخائنات في
الايمان والطاعه وقال بعض المفسرين العذاب الذي توعده ضعفين هو عذاب
الدنيا وعذاب الاخره وكذلك الاجر قال ابن عطيه وهذا ضعيف اللهم الا ان يكون
ازواج النبي صلى الله عليه وسلم لا يرفع عنهن حدود الدنيا عذاب الاخره على ما هي حال الناس
عليه بحكم حديث عباده بن الصامت وهذا امر لم يرو في ازواج النبي صلى الله عليه
وسلم ولا حفظ يقرره واهل التفسير على ان الرزق الكريم الجنه ذكره النحاس قوله تعالى

يا نساء النبي لستن كاحد

مز النساء ان اتقيتن

يعني في الفضل والشرف وقال كاحد ولم يقل كواحده لان احدا يبنى مز المذكر
والمونث والواحده والجماعه وقيل قال على ما لبس بادمي يقال ليس فيها احد
لا شاه ولا بعير وانما خصص النساء بالذكر لان فيمن تقدم اسيه ومزيم وقيل انما قال
هذا قتاده وقد تقدم في ال عمران الاختلاف في التفضيل بينهن فتامله مالك
ثم قال ان اتقيتن اي خفتن الله فبين ان الفضيله انما تم لمن يشرط التقوى لما
سخطن الله زوجه الرسول وعظم المحل منه ونزول القرآن في حفصه قوله
تعالى فلا تخضعن بالقول في موضع جزم بالنهي لانه سبق كما بني لما جاء وهذا
مذهب سيبويه اي لا تلن القول امر من الله ان يكون قولهن جزلا وكلامهن
فصلا ولا يكون على وجه يظهر في القلب علاقه بما يظهر عليه من اللين كما كانت
الحال عليه في نساء الرجل من مكالمه الرجال برخيم الصوت وليينه مثل كلام المريبات
والموتبات فنهاهن عز مثل هذا قوله تعالى فيطمع بالنصب على جواب النهي
الذي في قلبه مرض اي شك ونفاق عن قتاده والسدي وقيل
تشوف للجور وهو الفسق فالمرض قاله عكرمه وهذا الصوب وليس للنفاق مدخل
في هذه الايه وحكى ابو حاتم ان الاعرج قرا فتطمع بفتح الباء وكسر الميم
قال النحاس احسب هذا غلطا وان يكون قرا فتطمع بفتح الباء وكسر العين

على تخضعن فهذا وجه جيد حسن ويجوز فيطمع بجزم العين فيطمع الخضوع او القول
قوله تعالى وقلن قولا معروفا قال ابن عباس امرهن بالامر بالمعروف
والنهي عز المنكر والمراه مندوبه اذا خاطبت الاجانب الى الغلظه في القول من غير
رفع الصوت فان المراه مامور بخفض الكلام وعلى الجمله فالقول المعروف هو
الصواب الذي لا تنكره الشريعه ولا النفوس قوله تعالى

وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج

الجاهليه الاولى

فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى وقرن قرا الجمهور وقرن بكسر القاف
وفر اعاصم ونافع بفتحها فاما القراه الاولى فيحتمل وجهين احدهما ان يكون من الوقار
يقول وقرن تقرن وقار اي سكن وللامر فرو للمؤنث فرن مثل عدن ورن الوجه
الثاني وهو قول المبرد ان يكون من القرار تقول قررت بالمكان بفتح القاف وقررت
والاصل اقررن بكسر الراء حذفت الراء الاولى تخفيفا كما قالوا في ظللت ظلت وحست
حست وتقل حركتها الى القاف واستغني عز الف الوصل لتحرك القاف وقال ابو علي بل
على ان نقلت الراء كراهه التضعيف كما قيل في قيراط وديناز وتصير الساكن
الحرف المبدل منه فالتقدير اقرب ثم تلقى حركه الراء على القاف كراهه تحرك الياء
بالكسر فتسقط الياء لاجتماع الساكنين وتسقط همزة الوصل لتحرك ما بعدها فيصير
قرن واما قراه اهل المدينه وعاصم فعلى لغه العرب قررت في المكان اقر
فيه بكسر الراء اقر بفتح القاف من باب حمد يحمد وهي لغه اهل الحجاز ذكرها ابو
عبيد في الغريب المصنف عز الكسائي وهو مز اجل مشايخه وذكرها الزجاج
وغيره والاصل اقررن حذفت الراء الاولى لثقل التضعيف والقيت حركتها
على القاف فتقول وقرن قال الفراء هو كما تقول حسست صاحبك اي هل
احسست وقال ابو عثمان المازني قررت به عينا بالكسر لا غير من قره
العين ولا يجوز قررته في المكان بالكسر وانما هو قررت بفتح الراء ومما

انكر من هذا لا يقدح في القراءة اذا ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فيستدل بما ثبت
عنه من القراءة على صحة اللغة ورعم ابو حاتم ايضا ان قرنا لا تهمز فلهذا خولف فيه
وفيه مذهبان احدهما ما حكاه الكسائي والاحمر ما سمعت علي بن سليمان يقول
قال وهو قرنت به عينا اقر والمعنى وافرن به عينا في بيوتكن وهو وجه
حسن لان الحديث يدل على انه من الاول كما روي ان عمارا قال لعايشة رضي الله عنها
ان الله قد امركما ان تقري في منزلك فقالت يا ابا اليقضان ما زلت قوالا بالحق
فقال الحمد لله الذي جعلني كذلك علي لسانك وقرا ابن ابي عبله وافرن بالف
وصل ورايت الاول مكسوره الثانية معينين هذا لانه الامر بلزوم البيت
وان كان الخطاب لنساء النبي صلى الله عليه وسلم فقد دخل فيه غيرهن بالمعنى هذا
لو لم يرد دليلا يخص جمع النساء كيف والتربعة طافحة بلزوم النساء بيوتهن والكف
عن الخروج منها الا لضرورة على ما تقدم في غير موضع فامر الله تعالى نساء النبي
بملازمة بيوتهن وخاطبهن بذلك تشريفا لهن ونهاهن عن التبرج واعلم
انه فعل الجاهلية الاولى فقال ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وقد تقدم
معنى التبرج في النور وحقيقته اظهار ما ستره احسن ومما خوذ من السعة
يقال ثوب برج اذا كان متفرقه المرد واختلف الناس في الجاهلية
الاولى فقيل في الزمن الذي ولد فيه ابرهيم عليه السلام كانت المراة تلبس الدرع من اللولو
فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وقال الحكم بن عيينه ما بين
ادم ونوح وهي ثمان مايه سنه وحكينهم سيرد بيمه وقال ابن عباس ما بين
نوح وادريس الكلبي ما بين نوح وابرهيم قيل ان المراة كانت تلبس الدرع من اللولو
غير مخيط الجانبين وتلبس الثياب الرقاق ولا توابي بدنها وقال
قتاده ما بين موسي وعيسى الثعلبي ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ابو
عبيده هي زمان داود وسليمان وكان فيه المراة تمشي من لولو غير مخيط الجانبين
وقال ابو العباس المبرد والجاهلية الاولى كما تقول الجاهلية
الجهلاء قال وكان النساء في الجاهلية الجهلاء تظهر من محاسنها ما يقبح اظهاره
حتى كانت المراة تجلس مع زوجها وخلها فيتفرد خلها بما فوق الازار الاعلا
ويتفرد زوجها بما دون الازار الاسفل وربما سال احدهما صاحبه البدل
وقال مجاهد كان النساء تمشين بين الرجال فذلك التبرج قال ابن عطيه
والذي نظهر عندي بانه اشار الى الجاهليه التي تخفتها فامرن بالتقله عز سبر من
فيها وهي ما كان قبل الشرع من سيرة الكفرة لانهم كانوا لا غيرة عندهم فكانت
النساء دون حجبه وجعلها اول بالشبه الماكر عليه وليس المعنى ان ثم جاهليه
اخري وقد اوقع اسم الجاهليه على تلك المده التي قبل الاسلام فقالوا جاهل
في الشعر وقال ابن عباس في البخاري في الجاهليه يقول الي عهد هذا قلت
وهذا قول حسن ويعترض بان العرب كانت اهل قشف وضنك في العالم وان
النعم والزينه انما جرت في الازمان السابقه وهي المراد بالجاهليه الاولى وان المقصود
من الايه مخالفه ما قبلهن من التشبه على بقبح وتكبير ولفظها والمحاسن للرجا
الى غير ذلك مما لا يجوز شرعا وذلك يشمل الافعال كلها ويعمها فيلزم التبوث
فان منعت الحاجه الى الخروج فليكون على تبذل وتسترتام وبالله التوفيق ان
ذكره الثعلبي وغيره ان عايشه رضي الله عنها كانت اذا قرات هذه الايه تبكي
حتى تبل خمارها وذكر ان سوده قيل لها لم لا تخمرين كما يفعل
اخواتك فتقول قد حججت واعتمرت وامرني الله ان اقر في بيتي قال الراوي فوالله
ما خرجت من بيتها او من باب حجرتها حتى اخرجت جنازتها رضوان الله عليها
قال ابن العربي لقد دخلت بيتا على الف قريه فما رايت اصون عيالا ولا اعف
نساء من نساء بلبس التي ربي بها الخليل عليه السلام بالنار فما فتنت بها
فما رايت امراه في طريق نهارا الا يوم الجمعه فانهن يخرجن اليها حتى تمتلي المسجد
منهن فاذا قضيت الصلوه وانقلبن الي بيوتهن لم تقع عين على واحده منهن
الى الجمعه الاخري وقد رايت بالمسجد الاقصى عجائب ما خرجن من معتكفهن
حين استشهدت فيه الرابعه قال ابن عطيه بكاء عايشه رضي الله عنها انما
كان لسبب سفرها ايام الجمل وحينئذ قال لها عمار ان الله قد امرك ان تقري في
بيتك قال ابن العربي تعلق الرافضه لعنهم الله بهذه الايه على ام المومنين عايشه

رضي الله عنها اذ قالوا انها خلفت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجت
تقود الجيش وتامر الحروب وتفتح ما رق الطعن والضرب فيما لا تفرض عليها
ولكونها قالوا وفجعة عثمان فلما رات ذلك امرت برواحلها فقربت تخرج الى
مكة فقالت لها مروان افيني منا ايها المومنين وردي هذا الرعاع فان الاصلاح
بين الناس خير من حجك فقال ابن العزيز قال علي وناحمه الله عليهم ان عايشه
رضي الله عنها نذرت الحج قبل الفتنه فلم ترا التخلف عن نذرها ولو خرجت في تلك
الشايعه كان صوابا لها ه واما خروجها الى البصره الجمل فما خرجت لحرب ولكن
لظنها ان ربعا وشكوا اليها ما صاروا اليه من عظم الفتنه وتفارح الناس
ورحوا تركتها وطمعوا في الاستيجاء منها اذا وقفت الى الخلق وظنت هي ذلك
مقتدية بالله في قوله لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقه او معروف او اصلاح
بين الناس وبقوله وان طايفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما والامر
بالاصلاح يخاطب به جميع الناس من ذكر وانثى حر وعبد فلم يرد الله سابق قضايه
وناف حكمه ان يقع اصلاح ولكن جرت مطاعنات وجراحات حتى كاد بعضي
الفريقان فلم يرد الله سابق قضايه وناف حكمه وقعد بعضهم الى الجمل فعرقبه
فلما سقط الجمل لجنبه ادرك محمد ابن ابي بكر عايشه رضي الله عنها فاحتملها الى البصره
وخرجت في ثلاثين امراه فرقفن علي بها حيثما وصلوها الى المدينه برة تقيه محببه
مصيبه فيما تناولت ملحوره فيما فعلت اذ كل مجتهد في الاحكام
وقد تقدم في النحل اسم هذا الرجل وبه يعرف ذلك اليوم قوله تعالى

واقمن الصلوه واتين الزكوه

واطعن الله ورسوله الايه

اي فيما امرتهن به انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت قال
الزجاج قيل يراد به نساء النبي صلى الله عليه وسلم وقيل يراد به نساؤه
واهله الذين هم اهل بيته على ما ياتي بيانه بعد واهل البيت نصب على المدح
قال وان شيت على المدح قال ويجوز الرفع والخفض قال النحاس ان

انخفض على انه بدل من الكاف والميم لم يجز عند ابي العباس محمد بن يزيد قال
لا يبدل من المخاطبه ولا من المخاطب لانها لا يحتاجان الى بيان وبطهركم تطهيرا
فيه معنى التوكيد

واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمه

فيه ثلاث مسايل الاول قوله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله
فالحكمه هذه الالفاظ على ان اهل البيت نساؤه وقد اختلفت اهل العلم في
اهل البيت من هم فقال عطا وعكرمه وابن عباس هم زوجاته خاصه
لان الرجل معهن وذهبوا الى ان اهل البيت اريد به مساكن النبي صلى الله عليه
وسلم لقوله واذكرن ما يتلى في بيوتكن وقالت فرقه منهم الكلبي هم علي
وفاطمه والحسن والحسين خاصه وفي هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم
واحتجوا بقوله تعالى ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا ولو كان
للنساء خاصه لقال عنكن ويطهركن الا انه يحتمل ان يكون خرج على
لفظ الاهل كما يقول الرجل لصاحبه كيف اهلك اي كيف امراتك
ويسال فيقول هم بخير قال الله تعالى التحيه من اهل بيت رحمه الله وبركاته
عليكم اهل البيت والذي يظهر من هذه الايه انها عامه في جميع اهل
البيت من الازواج وغيرهم وانما قال ويطهركم لان رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعليا وحسنا وحسينا كانوا فيهم وانما اجتمع المذكر والمونث غلب
المذكر فاقتضت الايات ان الزوجات من اهل البيت لان الايه فيهن والخاصه
لهن يدل عليه سياق الكلام اما ان ام سلمه قالت نزلت هذه الايه في بيتي
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمه وحسنا وحسينا فدخل معهم
تحت كساء خيبري وقال هولاء اهل بيتي وفي الايه وقال اللهم
اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت ام سلمه وانا معهم يا نبي الله قال
انت على مكانك وانك على خير اخرجه الترمذي وغيره وقال هذا حديث
حسن غريب وقال القتيبي وقالت ام سلمه ادخلت راسي الكسا

وقلت انا منهم قال نعم وقال الكلبي هم بنو هاشم فهذا علي ابن البيت
بادره بيت النسب فيلون العباس وعمامه وبنوا عمامه منهم وروي نحوه
عن زيد بن ارقم رضي الله عنه وعلي فعند الكلبي يكون قوله واذكرن ابتداء مخاطبه
امر الله عز وجل ازواج النبي صلى الله عليه وسلم على جهة الموعظه وتقديم
النعمه بدلا مما يتلى في بيوتهن من ايات الله والحكمه وقال اهل العلم بالتاويل
ايات الله القرآن والحكمه السنه والصحيح ان قوله واذكرن معطوف
على ما قبله وقال عكرمه لقوله اهل فاهل مدر فيهن وان كن اناث
باسم التذكير فلتذكر صار عنكم ولا اعتبار بقول الكلبي واشباهه فانه
يوجب له اشياء في هذا التفسير ما لو كان في زمان السلف الصالح لمنعوه من
ذلك وحجروا عليه فالايات كلها مرفوعه بانها النبي قال لا فراحها الي قوله
ان الله كان لطيفا خبيرا منسوق بعضها على بعض فليفصل في الوسط
كلاما مفصلا كغيرهن وانما هذا بيتي حوي في الاخبار ان النبي صلى الله عليه
وسلم لما نزلت هذه الايه دعا عليا وفاطمه والحسن والحسين فقال النبي صلى الله عليه
وسلم الي كساء فلفها عليهم ثم القوي يده الي السما وقال اللهم هولاء اهلي
اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فهذه دعوه من النبي صلى الله عليه وسلم لهم
بعد نزول الايه احبان يدخلهم في الايه التي خوطب بها فذهب الكلبي
ومن وافقه فصيرها لهم خاصه وهي دعوه لهم خارجه من التاويل الثاني
لفظ التذكير محتمل لامرين احدهما اذكرن موضع النعمه اذ صير كن الله في
بيوت يتلى فيها ايات الله والحكمه الثاني اذكرن ايات الله واقدرن قدرها
وفكرن فيها حين يكونون منكن على بال لتتعظن بواعظ الله ومن كان هذا
حاله ينبغي ان يحسن افعاله والثالث اذكرن بمعنى احفظن
واقرن والرمته الاولى فكانه يقول واحفظن اوامر الله ونواهيه وذلك
الذي يتلى في بيوتهن من ايات الله فان سبحانه ان يجزن بما تتلى من القران
في بيوتهن وما يرين من افعال النبي صلى الله عليه وسلم ويسمعن من اقواله
حتى يبلغن ذلك الي الناس فيعملون به ويقتدون وهنا يدل على

جواز قبول الواحد من الرجال والنساء في الدين الثالثة قال ابن العربي
في هذه الايه مساله بديعه وهي ان الله امر نبيه صلى الله عليه وسلم
بتبليغ ما نزل عليه من القرآن وتعليم ما علمه من الدين فكان اذا قدر
على واحد او ما اتفق حفظ عنه الفرض وكان على من سمعه ان يبلغه الي
غيره ولا يلزمه ان يذكره بجميع الصحابه ولا كان عليه اذا علم ذلك ان واحد
ان يخرج الي الناس فيقول لهم كذا وكذا وهذا قلنا نحن العمل بخبر البسر في
ايجاب الوضوء من لحم الذكر لانها رواية ما سمعت وبلغت ولا يلزم ان يبلغ
ذلك الي الرجال كما قال ابو حنيفه على انه نقل عن سعد ابي وقاص وابن عمر رضي الله
عنهم قوله تعالى

ان المسلمين والمسلمات

الايه فيه مسلمان الاولى روي الترمذي عن ام عماره الانصاريه انها
اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ما ارى كل شيء الا للرجال ولا ارى النساء
يذكرن بشيء فنزلت هذه الايه هذا حديث غريب فالمسلمين اسم ان والمسلمات
عطف عليه ويجوز فتح عند البصريين فاما القراء فلا يجوز عنده الا بيا
لا يتبين فيه الاعراب الثانيه قوله تعالى في هذه الايه يذكر الاسلام
الذي يجمع الايمان وعمل الجوارح ذا الايمان تخصيصا له وتنبيها له على انه
معظم الاسلام ودعامته والقانتات العبد المطيع والصادق معناه
فيما عوهد عليه ان يفي به والصابر عن الشهوات وعلى الطاعات
في المكاره والمنتظر والخاشع الخائف لله والمتصدق بالفرض والنفل
وقيل بالفرض خاصه والاول امدح والصايم كذلك والحافظين فروجهم
والحافظات اي عما لا يحل من الزنا وغيره وفي قوله والحافظات تحذف
يدل عليه المتقدم تقديره والحافظاتها فاكتفى بما تقدم وفي الذاكرات
ايضا مثله ونظيره قول الشاعر

وكنا قد منناه كان متونها جرى فوقها واستشعرت لون مذهب

وروي سيبويه لون مذهب بالنصب والباقون بالرفع على الحذف كانه قال واستقرته فيمن رفع لونا والذاكر قيل في ادبار الصلوات وعدوا وعشيا وفي المضاجع وعند الانتباه من النوم وقد تقدم هذا كله مفصلا في مواضعه وما يترتب عليه من الفوائد والاحكام فاغنى عن الاعادة والحمد لله

قال مجاهد لا يكون ذاكر الله عز وجل كثيرا حتى يذكره قائما وجالسا ومضطجعا وقال ابو سعيد الخدري من لفظ اهله بالليل وصلى اربع ركعات كتب من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات انتهى

وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم الآية

فيه اربع مسايل الاولى روي قتادة وابن عباس ومجاهد في سبب نزول هذه الآية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب زينب بنت جحش وكانت بنت عمه فظنت ان الخطبة لنفسه فلما تبين انه يريدها لزيد كرهت وابت وامتنعت فنزلت هذه الآية فاذعنت زينب لحبيبه وتزوجته وفي رواية فامتنعت وامتنع اخوها عبد الله لنسبها من قريش وان زيدا كان بالامس عبدا الى ان نزلت هذه الآية فقال له اخوها ما رضيت بما شئت فزوجها من زيد وقيل انها نزلت في ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وكانت ممن وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فزوجها من زيد بن حارثة فكرهت ذلك هي واخوها وقالوا انما اردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجنا عبده فنزلت الآية بسبب ذلك فاجابا الى تزويج زيد فقالا قد رضينا يا رسول الله فزوجها من زيد وقال الحسن ليس لمؤمن ولا مؤمنة اذا امر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم بامر ان يعصياه

الثانية لفظ ما كان وما ينبغي حتما الحظر والمنع فجيء لفظه لحظر الشيء والحكم بانه لا يكون كما في هذه الآية وربما كان امتناعه ذلك الشيء عقلا كقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها وربما كان العلم بامتناعه شرعا كقوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا وربما كان العلم بامتناعه شرعا في المندوبات كما تقول ما كان لك يا فلان ان تترك النوافل ونحو هذا الثالثة في هذه الآية دليل على نصر ان الكفاءة لا تعتبر بالاحساب وانما تعتبر في الاديان خلافا لمالك والشافعي والمغيرة وسحنون وذلك ان الواهبة زوجت في قريش تزوج زيد بن زينب بنت جحش وتزوج المقداد بن الاسود ضباعة بنت الزبير وزوج ابو حذيفة سالما بنت هند من الوليد بن عتبة وتزوج بلال اخت عبد الرحمن بن عوف وقد تقدم هذا المعنى وغيره موضع الرابعة قوله تعالى ان تكون لهم الخيرة من امرهم قرأ الكوفيون ان يكون لهم بالياء وهو حسن لانه قد فرق بينهما بالمفعول وفعله بالتاء لان اللفظ مؤنث فهو حسن والتذكير على ان الخيرة بمعنى التخير فالخيرة مصدر بمعنى الاختيار وقرأ الخيرة بالسكان الياء وهذه الآية نزلت في زينب كما تقدم

قوله تعالى النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم ثم توعد تعالى واخبر ان من يعص الله ورسوله فقد ضل وهذا دليل على ما ذهب اليه الجمهور من فقهاء بنا وفقهاء اصحاب الامام الشافعي وبعض الاصوليين من ان صيغة افعل للوجوب واصل وضعها ان الله تبارك وتعالى لما خيره المكلف عند سماع امره وامر رسوله ثم اطلق على ما بقيت له خيرة عند صدور الامر اسم المعصية ثم علق على المعصية بذلك الضلال فلزم حمل الامر على الوجوب والله اعلم انتهى

ولا تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه الى قوله وكان امر الله مفعولا

فيه تسع مسايل الاولى روي الترمذي قال علي بن حجر قال داود ابن الزبرقان عن داود بن ابي هند عن الشعبي عن عايشة قالت لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتما شيئا من الوحي لكتم هذه الآية وان تقول للذي انعم الله عليه بعتقه اسلم وانعمت عليه بالعتق فاعتقته امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وكان امر الله مفعولا وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوجها قالوا تزوج حليلة ابنه فانزل الله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم

ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم تبناه وهو صغير
قلت حتى صار رجلا يقال له زيد بن محمد فانزل الله تعالى ادعوهم لابائهم هو اقسط
عند الله فان لم يعلموا اباهم فاخوانكم في الدين ومواليكم فلان مولى فلان
وفلان اخو فلان هو اقسط عند الله قال ابو عيسى هذا حديث غريب وروى
عن داود بن ابي هند عن الشعبي عن مسروق عن عايشة قالت لو كان النبي صلى الله
عليه وسلم كاتما شيا من الوحي لكتم هذه الاية واذ تقول للذي انعم الله عليه
وانعمت عليه هذا الحرف لم يرو بقوله فلت هذا القدر هو الذي اخرجه
مسلم في صحيحه وهو الذي صححه الترمذي في جامعه وفي البخاري عن انس نحو
ان هذه الاية نزلت في شان زينب بنت جحش وزيد بن حارثة وقال عمر
وابن مسعود وعايشة لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتما شيا
من الوحي لكتم هذه الاية لشدتها عليه وروي في اخبار زينب ان امي زيدا وادي
الي نبي الله فاتت زينب ولم يستطعني زيد وما امتنع منه عزما منه الله
من فلا يقدر علي هذه رواية ابي عصمة نوح بن ابي مريم رفع الحديث الي زينب
انها قالت ذلك وفي بعض الروايات ان زيدا لو رم ذلك منها حين اراد ان
يفارقها فنزيه من ذلك وجاز بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ان زينب تؤذيني بلسانها وتفعل وتفعل واني اريد ان اطلقها فقال له
امسك عليك زوجك واتق الله الاية فطلقها زيد فنزلت واذ تقول للذي
انعمت عليه وانعم الله عليه الاية واختلف الناس في تاويل هذه الاية
فذهب قتادة وابن زيد وجماعة من المفسرين منهم الطبري وغيره الي ان النبي
صلى الله عليه وسلم وقع منه استحسان لزينب بنت جحش وهي في عصمة زيد
وكان حريصا علي ان يطلقها زيد فيتزوجها هو ثم ان زيدا لما اخبره بانه
يريد فراقها وشكا منها غلظ قول وعصيان امر وادي باللسان وتعظما
بالشرف قال له اتق الله اي فيما تقول عنها امسك عليك زوجك وهو يخفي
الحرص علي طلاق زيد اياها وهذا الذي كان يخفي في نفسه ولكنه لزم ما
يجب من الامر بالمعروف وقال مقاتل زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم

زينب بنت جحش من زيد فمكثت عنده حينا ثم ان عليه السلام اتى زيدا يوما
من الايام فابصر زينب قائمة وكانت بيضاء جميلة جسيمة من اتم نساء قريش
فهويها وقال سبحان الله مقلب القلوب فشغفت زينب بالتسبيحة فذكرها لزيد
ففطن زيد فقال يا رسول الله ايذن لي في طلاقها فان فيها كبرا تعظم علي وتؤذيني
بلسانها فقال عليه السلام امسك عليك زوجك واتق الله وقيل ان الله بعث
ملكا فرفع السرير وزينب منفصلة في منزلها فراي زينب فوقعت في نفسه
ووقع في نفس زينب انها وقعت في نفس النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لما آجر يطلب
زيدا فجاء زيد فاخبرته بذلك فوقع في نفس زيد ان يطلقها وقال ابن عباس
وتخفي في نفسك الحبها ○ وتخشى الناس والله احق ان تخشاه اي تستحيهم
وقيل تخاف ومكروه لايه المسلمين لو قلت طلقها ويقولون امر رجلا طلاق امراته
ثم تكحها حين طلقها والله احق ان تخشاه في كل حال وقيل والله احق ان يستحي
ولا تامر زيدا بامساكه زوجه بعد ان اعلمك الله انها ستكون زوجتك فعاتبه الله تعالى
علي جميع هذا وروي علي بن الحسين ان النبي صلى الله عليه وسلم كان قد اوحي
اليه ان زيدا يطلق زينب وانه يتزوجها فلما شكي زيد
الي النبي صلى الله عليه وسلم خلق زينب وانها لا تطيعه واعلمه بانه يريد طلاقها
قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم علي جهة الادب والوصية اتق الله في قولك
وامسك عليك زوجك وهو يعلم انه يفارقها وهذا هو الذي اخفى في نفسه
ولم يبد انه امره بالطلاق لما علم انه سيتزوجها وخشي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يلحقه قول من الناس في ان يتزوج زينب بعد زيد وهو مولاه وقد امره
بطلاقها فعاتبه الله علي هذا القدر من ان خشي الناس في شيء وقد اباحه الله
له بان قال امسك مع علمه انه يطلق واعلمه ان الله احق بالخشية في كل حال
قال علماؤنا وهذا القول احسن ما قيل في تاويل هذه الاية وهو الذي عليه اهل
التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين والزهري والقاضي بكر بن العلا
القشيري والقاضي ابو بكر بن العربي وغيره والمراد بقوله وتخشى الناس انما هو
ارجاف المنافقين انه نهي عن تزوج حلائل الابناء وتزوج زوجة ابنه

فاما ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم هوى زينب وربما الفوا لفظ
الجان لفظ لفظ فسق فهذا لا يصح بعد ان جاء بعصمه رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن مثل هذا او ستخف كرمته صلى الله عليه وسلم قال الترمذي
الحكيم في نوادر الاصول واسنادي علي بن الحسين فقوله فعلي بن الحسين
جاهل من خزانة العلم جوهل من الجواهر وديباس الدرر انه اذا علت الله عليه
في انه فتا علمه انه ستكون هذه من ازواجك فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها
ان تخشاه وقال الحاسن قال بعض العلماء ليس هذا من النبي صلى الله عليه
وسلم خطيه الا نبي انه لم يجبر بالتوبة ولا بالاستغفار منه وقد يكون النبي
ليس بخطيه الا ان غيره احسن منه واجفى ذلك في نفسه خشيه ان يفتتن الناس
وقد اخبره الله انها زوجته قلنا اذا دان تختبر ما لم يعلمه الله من رغبته
فيها او رغبته عنها فابدى له زيد من الكراهه عنها والكراهه فيها ما لم يكن علمه
منه في امرها فان قيل كيف يامره بالتمسك بها وقد علم ان الفراق لابد منه
وهذا ناقض قلنا ليس موجبا من المقاصد الصحيحه كاقامه الحجه ومعرفه
العاقبه الا نري ان الله تعالى يامر العبد بالايمان وقد علم انه لا يؤمن فليس في مخالفته
مطلق الامر تعلق الامر بها علما وحكما وهذا من يفتنى فتلقوه وتقتلوه
وقوله فاتق الله اي في طلاقها فلا تطلقها واما دهني تتزيه لانه تحزم لان
الاولي ان لا يطلق وقيل اتق الله فلا تتنها بالسنه اي الكبر واذي الزوج
وتخفي نفسك قبل تعلق قلبه وقبل مفارقه زيد اياها وقبل علمه بان زيدا
سيطلقها كل ان الله قد اعلمه بذلك الثالثه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لزيد ما لحدث بينك اوثق منك فاخطب زينب علي قال فذهبت
وليتها ظهري فوقر النبي صلى الله عليه وسلم وخطبتها ففرحت وقالت
ما انا بصانعه شيا حتى واامر ربي فقام مصلاها فنزل القران فشرد حتى
النبي صلى الله عليه وسلم ودخل بها فلما معنى هذا الحديث ثابت في الصحيح

وقد ترجم له المناصلاه المراه اذا خطبت واستخارتها وروي الا به واللفظ لمسلم
عن انس قال لما انقضت عده زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد فاذكرها
علي قال فانطلق حتى اتاها وهي تخمر عجينها قال فلما رايتها عظمت في صدري
حتى ما استطيع ان انظر اليها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري
ونكصت على عقبي فقلت يا زينب ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك قالت
ما انا بصانعه شيا حتى واامر ربي فقامت الي مسجدها ونزل القران وجاء رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى دخل عليها بغير اذن قال ولقد رايتنا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اطعمنا الخبز واللحم حين امتد النهار الحديث وفي رواية حتى
تركوه وفي روايه عن انس ايضا قال لما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم اولم علي
امراه ما اولم علي زينب فانه ذبح شاه قال علما وناقوله عليه السلم لزيد فاذكرها
علي اي اخطبها كما بينه الحديث الاول وهذا امتحان لزيد واختبار له حتى يظهر
صبره وانقياده وطوعه فلت وقد يستنبط من هذا ان يقول الانسان
لصاحبه اخطب علي فلانه لزوجه المطلقه منه فلا حرج في ذلك والله اعلم الرابعه
لما وكلت امرها الي الله تعالى ومحض تفويضها اليه تولي الله نكاحها ولذلك قال فلما
قضى زيد منها وطرا زوجناكها ولما اعلمه الله بذلك دخل عليها بغير اذن كالجديد
عقد ولا تقرير صداق ولا شئ مما يكون شرطا في صحة النكاح ومشروعا لنا وهذا
من خصوصياته صلى الله عليه وسلم التي لا يشاركه فيها احد باجماع من المسلمين
ولهذا كانت زينب تفاخر نساء النبي صلى الله عليه وسلم وتقول زوجكن اهاليكن وزوجني
الله تعالى اخرجه النسائي عن انس بن مالك قال كانت زينب تفخر على نساء
النبي صلى الله عليه وسلم وتقول ان الله عز وجل انكحني من السماء وفيها نزلت اية الحجاب
وساباتي الكلام على المنعم عليه في هذه الاية هو زيد بن حارثه كما بيناه وقد
تقدم خبره في اول السوره وروي ان عمه لقيه يوما وكان ورد مكة في شغله
فقال له ما اسمك يا غلام فقال زيد قال ابن من قال ابن حارثه قال ابن من قال ابن رجل
الكلبي قال فما اسم مكة قال سعدي وكنت في احيائي طي فضمه الصدره
وارسل الي عمته وقومه فحضروا واراد وا منه ان يقيم معهم فقالوا لو المزلت
قال لمحمد بن عبد الله فانه فقالوا هذا ابننا فرده علينا فقال اعرض عليه

فان اختار رد تخذيبه فعلت ذلك وفارقها وقد عرفت هذا في هذا
عمي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ايصلحك ذلك قال نعم قال فالحق
قال الخير فان احببتان تلحق بهم فالحق وان كرهت ان تقيم فانا من قد عرفت
فقال ما اختار عليك احدا فاخذ به عمه وقال يا زيد اختر العبودية علي ابيك
قال اي والله العبودية عندي احب الي من ان اكون عندكم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اشهدوا اني وارث وموروث فلم يزل يقال زيد بن محمد حتى نزل
قوله ادعوهم لابائهم ونزل ما كان محمد ابا احد من رجالكم الاية قال
الامام ابو القاسم عبد الرحمن السهيلي رضي الله عنه كان يقال زيد بن محمد حتى نزل
ادعوهم لابائهم فقال انا زيد بن حارثة وحرم عليه ان يتعلق انا زيد بن محمد فلما
نزع عنه هذا الشرف وهذا الفخر وعلم الله توحشه من ذلك شرفه بخصيصه
لم يكن يخص بها احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهي انه سماه في القرآن فقال
تعالى فلما قضى زيد منها وطرا يعني من زينب وبين ذكره الله تعالى باسمه في الذكر
الحكيم حتى صار اسمه قرانا يتلى في المحاريب وتوه به غاية التنويه فكان في هذا ما يبين
له وعوضا من الفخر بابوة محمد صلى الله عليه وسلم له الا ترى الى قول ابي بن كعب
حين قال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد امرني ان اقرأ عليك سورة كذا
وكذا قال له وقد ذكرت هناك وكان بكاء ومن الفرح حينما جرى الله تعالى ذكره
في ملأ من صار اسمه قرانا يتلى مخلدا لا يبلى تتلوه اهل الدنيا اذا قرأوا القرآن
واهل الجنة كذلك ابدا على السنة المؤمنين كما لم يكن مذكورا على الخصوص عند رب
العالمين والقرآن كلام الله القديم وهو باق لا يبيد فاسم زيد في الصحف
المذكرة المرفوعة المطهرة يذكره في تلاوته السفرة الكرام البررة وليس
ذلك لاسم من اسماء المؤمنين الا لنبي من الانبياء او لزيد بن حارثة تفويضا من الله
تعالى له بما نزع عنه ونافاه الابوة ان قال واذ يقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه
اي بالايمان يدل على انه من اهل الجنة علم ذلك قبل ان تموت وهذه فضيلة اخرى
رضي الله عنها بها السابعة قوله تعالى وطر الوطر كل حاجة للمرء فيها
همة والجمع الاوطار قال ابن عباس اي بلغ ما اراد من حاجته

يعني الجماع وفيه اضمار اي لما قضى وطره منها طلقها زوجناكها وفراه اهل البيت
زوجنكها وقيل الوطر عبارة عن الطلاق قاله قتادة الثامنة ذهب بعض
الناس من هذه الاية ومن قول شعيب اني اريد ان انكحك ابنتي هذه الى ان تزيب هذا
المعنى في المهور ينبغي ان يكون انكحه اياها فقدم ضمير الزوج كما في الايتين
وكذلك قوله عليه السلام لصاحب الرداء اقعب فقد انكحتكها يا معشر القراء
قال ابن عطية وهذا غير لازم لان الزوج في الاية مخاطب بحسن تقديمه
وفي المهور الزوجان فقدم من شيئين ولم يبق ترجيح الا بدرجة الرجال والنكاح
التاسعة قوله تعالى زوجناكها فيه دليل على ثبوت الولي في النكاح
وقد تقدم الخلاف في ذلك وروي ان عايشة وزينب تفاخرتا فقالت عايشة
انا التي جاء بي الملك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خرقة من حرير فيقول هذه امرأتك
اخرجه الصحيح وقالت زينب انا التي زوجني الله من فوق سبع سموات وقال
الشعبي كانت زينب تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا انا دل عليك بثلاث
ما من نسائك امرأة تدلني الحبي وحبك واحد وان الله انكحكها اي من
السماء وان السفير في ذلك جبريل وروي عن زينب انها قالت لما وقعت في قلب
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستطعني زيد وما امتنع منه غيرما منعه الله تعالى
مني فلا يقدر علي

سنة الله في الذين خلوا من قبل

هذه ترجمة من الله تعالى لجميع الامة اعلمهم ان هذا ونحوه هو السنن الاقدم في
الانبياء ان يباح لهم ما احله لهم اي سن لمحمد صلى الله عليه وسلم في التوسعة عليه في
النكاح سنة الانبياء الماضية لداود وسليمان فكان لداود مايه امرأة وثلثمايه
سرية ولسليمان ثلثمايه امرأة وسبع مايه سرية وذكر الثعلبي عن مقاتل وابن الكلبي
ان الاشارة الى داود عليه السلام حيث جمع الله بينه وبين من فتن بها وبسنه
نصب على المصدر اي سن الله له سنة واسعة والذين خلوا هم الانبياء بدليل وصفهم
بعد بقوله الذين يبلغون رسالات الله

ما كان محمد ابا احد من رجالكم

ولكن رسول الله الى قوله عليما

فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم
قال الناس تزوج امراه ابنه فنزلت الآيه اي ليس هو ابنه حتى تحرم عليه
ولكنه ابو امته في التجيل والتعظيم وان سماه عليه السلام فاذهب الله هذه
الآيه ما وقع في نفوس المنافقين وغيرهم واعلم ان محمد لم يكن با احد من
الرجال المعاصرين في الحقيقه ولم يكن بقصد هذه الآيه ان النبي صلى الله عليه
وسلم لم يكن له ولد فقد ولد له ذكور ابراهيم والقاسم والطيب والمطهر ولكن
لم يعش له ابن حتى يصير رجلا واما الحسن والحسين فكانا طفلين ولم يكونا
رجلين معاصرين الثانيه قوله تعالى ولكن رسول الله قال
الاخفش والفراء اي ولكن كان رسول الله واجاز ولكن رسول الله قال
بالرفع ولذلك قرا ابن ابي عبله وبعض الناس ولكن رسول الله بالرفع على معنى
هو رسول الله وخاتم النبيين وقرات فرقه ولكن بتشديد النون ونصب
رسول الله صلى الله عليه وسلم على انه اسم كان والخبر محذوف وخاتم قرا عاصم
وحده بفتح التا بمعنى انهم به ختموا النبوه كما كان والطابع لهم وقرا الجمهور بكسر
التا بمعنى انه ختمهم اي جاء اخرهم وقيل الخاتم والخاتم لغتان مثل طابع وطابع
ودانق ودانق وطابق من اللحم وطابق الثالثه قال ابن عطيه هذه
الالفاظ عند جماعه علما الا يمه خلفا وسلفا متلقاه على العموم التام مقتضيه نصا
انه لا نبي بعده صلى الله عليه وسلم وما ذكره القاضي بن الطيب في كتابه المسمى
بالهدايه من تجويز الاحتمال في الفاظ هذه الآيه ضعيف وما ذكره الغزالي في هذه
الآيه وفي هذا المعنى في كتابه الذي سماه بالاقتصاد اكاد عندي ونظر
حيث الى تشويش عقيده المسلمين في ختم محمد صلى الله عليه وسلم النبوه فاحذر
احذر والله الهادي برحمته قلت وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال لا نبوه بعدي الا ما شاء الله قال ابو عمر ويعني الرويا والله اعلم التي هي كجزء
منها كما قال عليه السلام لم يبق بعدي من النبوه الا الرويا الصالحه وقد

ابن مسعود من رجالكم ولكن نبيا ختم به النبيين قال الرماني ختم به عليه السلم
للاستصلاح فمن لم يستصلح به فبيؤس من صلاحه قلت ومن هذا المعنى قوله
عليه السلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وفي صحيح مسلم عن جابر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل الانبيا كمثل رجل بنى دارا فاتمها واكملها الا موضع لبنه
فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون لولا موضع اللبنه وحيث فجعت
الانبيا وختم بي مربيه عز اسمه قال فانا اللبنه وانا خاتم النبيين فقوله

يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا الآيه

امر تعالى عباده ان يشكروه ويذكروه ويكثروا من ذلك على ما انعم به عليهم وجعل تعالى
ذلك دون حد لسهولته على العبد وعظم الاجر فيه قال ابن عباس لم يعذر احد
في ذكر الله الا من غلب على عقله وروى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم
اكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون وقيل الذكر الكثير ما جرى على الاخلاص من القلب
والقليل ما يقع على حكم النفاق كالذكر باللسان قوله تعالى وسبحوه بكره
واصيلا اي اشغلوا السنتكم في معظم احوالكم بالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير
قال مجاهد وهذه كلمات يقولهن الطاهر والمحدث والجنب وقيل ادعوه قال جرير

فلا تنسى تسبيح الضحى ان يوسفا دعا ربه فاختاره حين سبحا

وقيل المراد صلوا لله بكره واصيلا والصلاه تسمى تسبيحا وخص البكر والمغرب
بالذكر لانها احق بالتخريض عليها لانصالها باطراف الليل وقال قتاده
والطبري الاشاره الى صلاه الغداه وصلاه العصر والاصيل العشي وجمعه اصايل
والاصل معين الاصيل وجمعه اصال قاله المبرد وقال غيره اصل جمع اصيل
كرغيف ورغف وقتقدم معنى هذه الآيه بسببه فلا تعلق بها لمن زعم
ان الصلاه انما فرضت اولا صلاتين في طرفي النهار والعشا بذلك صفيقه فلا
التفات عليها ولا معول عليها وقد مضى الكلام في كيفيه فرض الصلاه وما للعلما
في قول سبحان الله والحمد لله

هو الذي يصلي عليكم وملايكته الآيه

قال ابن عباس لما نزل ان الله وملائكته يصلون على النبي قال المهاجرون والانصار
هنالك يا رسول الله خاصة وليس لنا فيه شيء فانزل الله فيه هذه الآية فلما
وهذه نعمة من الله تعالى على هذه الامة من اكبر النعم ودليل على فضلها على سائر
الامم وقد قال كنتم خير امة اخرجت للناس والصلاة من الله على العبد
هي رحمته له وبركته وصلاة الملائكة دعاؤهم للمؤمنين واستغفارهم لهم
كما قال ويستغفرون للذين امنوا وسبأي وفي الحديث ان بني اسرائيل
سألوا موسى عليه السلام ايصلي ربك عز وجل فاعظم ذلك فاوحى الله عز وجل اليه
ان صلاتي ان رحمتي سبقت غضبي ذكره النحاس وقال ابن عطية وروت
فرقة ان النبي صلى الله عليه وسلم قيل له يا رسول الله كيف صلاة الله على عباده قال
سبوح قدوس رحمتي سبقت غضبي واختلف في تأويل هذا القول فقيل
انه من كلام الله وهي صلاته على عباده وقيل سبوح قدوس من كلام محمد صلى الله عليه
وسلم وقدمه بين يدي نطقه باللفظ الذي هو صلاة الله وهو رحمتي سبقت
غضبي من حيث فهم من السائل انه توهم في صلاة الله على عباده وجهاً لا يليق
بالله عز وجل فقدم التنزيه والتعظيم بين يدي اخباره قوله تعالى ليخرجكم
من الظلمات الى النور اي من اضلاله الى الهدى ومعنى هذا التشبيه على
الهداية ثم اخبر تعالى برحمته للمؤمنين تأنيساً لهم فقال وكان بالمؤمنين رحيماً
قوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام ● اختلف في الضمير الذي في يلقونه
على من يعود فقيل على الله تعالى اي كان بالمؤمنين رحيماً فهو يؤمنهم من عذاب الله
يوم القيمة وفي ذلك اليوم يلقونه وتحيتهم اي تحيه بعضهم لبعض سلام اي
سلامة لنا وكل من عذاب الله وقيل هذه التحية من الله تعالى والمعنى فيسلمهم من
الآفات او يبشرهم بالامن من المخافات يوم يلقونه اي يوم القيمة بعد
دخول الجنة قال معناه الزجاج واستشهد بقوله عز وجل تحيتهم فيها سلام
وقيل يوم يلقونه اي يوم يلقون ملك الموت وقد ورد انه لا يقبض روح
مؤمن الا سلم عليه وروي عن البراء بن عازب تحيتهم يوم يلقونه سلام فيسلم
ملك الموت على المؤمن عند قبض روحه لا يقبض روحه حتى يسلم عليه ثم قال

يا ايها النبي انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً الآية

هذه الآية تضمنت من اسمائه صلى الله عليه وسلم سبعة اسماء ولنبينا صلى الله عليه وسلم اسماء كثيرة وسمات جليلة وقد ذكرها في الكتاب والسنة والكتب المتقدمة وقد سماه الله في كتابه محمداً واحمد وقال صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه انا في خمسة اسماء انا محمد واحمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب وفي صحيح مسلم من حديث جبير بن مطعم وقد سماه الله رؤوفاً رحيماً وفيه ايضاً عن ابي موسى الاشعري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه اسماء فقال انا محمد واحمد والمقفى والحاشر ونبي التوبة ونبي الرحمة وقد تتبع ابو الفضل عياض في كتابه المسمى بالشفا ما جاء في كتاب الله وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفيما نقل في الكتب القديمة والطلاق الامة اسماءه كثيرة وصفاته عديدة صدقت عليه صلى الله عليه وسلم مسمياتها ووجدت فيه معانيها وقد ذكر القاضي ابو بكر بن العربي في احكامه في هذه الآية من اسماء النبي صلى الله عليه وسلم سبعة وسيأتي اسماء وذكر صاحبه وسيلة المتعبدين الى متابعته سيد المرسلين عن ابن عباس ان محمداً صلى الله عليه وسلم ما بينه وبين اسمائها من اسمائها وجدها هناك وقال ابن عباس لما تلا ت هذه الآية دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ومعاذا فبعثهما الى اليمن وقال اذهبا فبشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا فانه قد انزل علي وقرأ هذه الآية قوله تعالى شاهداً قال سعيد عن قتادة شاهداً على امته بالتبليغ اليهم وعلى سائر الامم بتبليغ انبيائهم ونحو ذلك ومبشراً معناه للمؤمنين برحمة الله وبالجنة ونذيراً معناه للعصاة والمكذبين من الناس وعذاب الخلد وداعياً الى الله الدعاء الى الله هو تبليغ التوحيد والاخذ به وسراجاً منيراً استعاره للنور الذي يختص شرعه وقيل سراجاً وانه سراج يهتدى به كما يهتدى بالسراج المنير في الظلمة اي هادياً من ظلم الضلالة وانت كالمصباح المضيء ووصفه بالاناره لان من السراج ما لا يضيء اذا قل سليطه ورقت فتيلته ومن كلام بعضهم

لائه تظني رسول بطي وسراج لابضي وما بيه بينظرها مرتحي سبيل
بعضهم عن الوحشي فقال لظلام سائر وسراج فاتر واسند البخاري
قال حدثنا محمد بن ابرهيم الدارني قال ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن شيبان
النحوي قال حدثنا قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت يا ايها النبي
انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا دعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه فقال انطلقا فبشرا ولا تنفرا فانه قد
نزل علي الليلة انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا من النار وداعيا الى الله
قال ثنا ابو كريب قال ثنا آدم قال ثنا ابو جعفر الرازي عن الربيع عن انس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا من النار وداعيا الى الله
باذنه بامره وسراجا منيرا قال بالقرآن وقال
الزجاج وسراجا اي ذا سراج منيرا اي كتاب نير واحسن ما يبين ان يكون
معنى تاليا كتاب الله قوله تعالى وبشر المومنين الواو عاطفة حمله
على جملة والمعنى منقطع من الذي قبله امره تعالى ان يبشر المومنين بالفضل
الكبير من الله عز وجل وعلى قول الزجاج ذا سراج منيرا وتاليا
سراجا منيرا يكون معطوفا على الكاف في ارسلناك قال ابن قتيبة قال لنا
ابي رضي الله عنه هذه ارجا ايه هندي في كتاب الله لان الله تعالى قدم بين يديه
ان يبشر المومنين بان لهم عنده فضلا كبيرا وقد بين الله تعالى الفضل الكبير
قوله تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما
يشاءون هو عند ربهم وذلك هو الفضل الكبير فالاية التي في هذه السورة
خبر والتي في حم عسق تفسيرها ولا تطع الكافرين والمنافقين اي لا
تطعهم فيما يبتزون عليك من المداهنة في الدين ولا تبالهم اذا ابوا ان
وعكرمة وابو الاعور السلمي فقالوا يا محمد لا نكذبك لنسابوك تبعك والمنافقين
عبد الله بن ابي وعبد الله بن سعد وطعمة بن ابيرق حيث ابى النبي صلى الله عليه وسلم
هل لجا بنهم بعلة الصحة ودع اذاهم اي ودع ان يوذيهم مجازاة على اذاك
اياهم فامره بتارك ونقال بترك معاقبتهم والصفح عن زللهم فالمصدر على
هذا مضاف الى المفعول وسخ منسوخ بالاية على هذا ما خص الكافرين وانسخه
ايه السيف وفيه معنى ان اي اعرض عن اقوالهم وما يوذونك فلا تشغله

فالمصدر على هذا التاويل مضاف الى الفاعل وهذا تاويل مجاهد والاول
منسوخ بايه السيف وتوكل على الله امره بالتوكل عليه وانه يقوله
وكفى بالله وكيلا وفي قوله الكلام وعد بنصره والوكيل الحافظ القائم على الامر قوله

يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن

فيه سبع مسايل الاولى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات
لما جرت قصة زيد وتطليقه زينب وكانت مدخولا بها وخطبها النبي صلى الله
عليه وسلم بعد انقضاء عدتها كما يبنا خاطب الله المومنين بحكم الزوجة تطلق
قبل البناء وبين ذلك الحكم للامة فالمطلقة اذا لم تكن ممسوسة لا عدة عليها
بنص الكتاب واجماع الامة على ذلك فان دخل بها فعليها العدة اجماعا
الثانية النكاح في الوطء وتسميه العقد نكاحا لملابسته له من حيث انه طريق
اليه وتنبيه تسميتهم الخمر اثما لانه سبب لاقتراف الاثم ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله
الا في معنى العقد لانه في معنى الوطء وهو من آداب القرآن الكناية عنه بلفظ
الملامسة والمباشرة والقربان والتغشي والاتيان الثالثة
بعض العلماء بقوله تعالى فان طلقتموهن ولم يفصله ثم علي ان الطلاق لا يكون الا
بعد نكاح وان من طلق امراة قبل نكاحها وان عينها فان ذلك لا يلزمه
وقال هذا سيف على ثلاثين من صحابي وتابع وامام سمى البخاري منهم اثنين
وعشرين وفد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم لا طلاق قبل نكاح ومعناه
ان الطلاق لا يحصل بقع حتى يحصل النكاح فاجيب بان ثابت سئل علي بن الحسين
رضي الله عنهما عن رجل قال لامراة ان تزوجتك فانت طالق فقال ليس بشي
ذكر الله النكاح قبل الطلاق وقالت طايفة من اهل العلم ان طلاق
المعينة الشخص او القبيل او البلد لازم قال النكاح منهم مالك وجميع اصحابه
وجمع عظيم من علماء الامة وقد مضى في بداية الكلام فيها ودليل الفريقين
والخمسة فاذا قال لكل امراة ان تزوجها وكل عبد اشتريته حر لم يلزمه شي

لان ق لكل امرأة انزوجها الى عشرين سنة او ان تزوجت من بلد فلان او
من بني فلان فهي طالق لزمه الطلاق ما لم يخف العنت على نفسه في طول
السنين او يكون عجزه في الحال لا يبلغ ذلك فله ان يتزوج والا لم تلزمه
الطلاق اذ العجز لانه حين على نفسه المأثم فلو منعناه ان لا يتزوج لحرج
وحيف عليه العنت وقد قال بعض اصحابنا انه اذا حدث ما يتيسر به
لم يحل وليس بشيء وذلك لان الضرورات والاعذار تبيح المحظورات فيصير هذا من
حيث الضرورة كمن لم يحلف قاله ابن خواز منداد الثالثة استدل داود
ومن قال بقوله ان المطلقة الرجعية اذا راجعها زوجها قبل الدخول بها وقال
عطاء بن رباح وفرقة تمضي في عدتها من طلاقها الاول وهو احد قولي الشافعي
لان طلاقه لها اذا لم يمسها في حكم من طلقها في عدتها قبل ان يراجعها ومن طلق امرأته
في كل طهر مرة ثبت ولم تستأنف وقال مالك اذا فارقها قبل ان يمسها انها
لا تبنى على ما مضى من عدتها وانها تبني من يوم طلقها عدة مستقبلة وقد ظلم
زوجها نفسه وحظا ان كان اراد رجعتها ولا حاجة له بها وعلى هذا اكثر اهل العلم
لانها في حكم الزوجات المدخول بهن في النفقة والسكنى وغير ذلك ولذلك يتأنف
العدة من يوم طلقت وهو قول جمهور فقهاء البصرة والكوفة ومكة والمدينة
والشام فقال الثوري اجمع الفقهاء عندنا على ذلك الرابعة فلو كانت بائنة
غير مبتوتة فتزوجها في العدة ثم طلقها قبل الدخول فقد اختلفوا في ذلك
ايضا فقالت طائفة تبني وهو مالك وزفر وعثمان البتي لها نصف الصداق وتتم بقيه
العدة الاولى وهو قول الحسن وعطاء وعكرمة وابن شهاب وقال ابو حنيفة
وابو يوسف والثوري والاوزاعي لها مهر كامل للنكاح الثاني وعدة مستقبلة
حللوها وحكم المدخول بها لاعتدادها منها بها وقال داود لها نصف الصداق
وليس عليها بقية العدة الاولى ولا عدة مستقبلة والاولى ما قاله مالك
والشافعي والله اعلم الخامسة هذه الاية مخصصة لقوله تعالى والمطلقات
يتربصن بانفسهن ثلثة قروء ولقوله واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان

ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر وقد مضى في البقرة ومضى فيها الكلام في المتعة
فاغنى عن الاعادة هنا وسرحوهن سراحا جميلا فيه وجهان احدهما انه
دفع المتعة بحسب الميسرة والعسرة قاله ابن عباس الثاني انه طلقها
ظاهرا من غير جماع قاله قتادة وقيل سرحوهن بعد الطلاق الى اهلهن
فلا يجتمع الرجل والمطلقة في موضع واحد السادسة قوله تعالى فمتعوهن
قال سعيد هي المنسوخة بالاية التي في البقرة وهي قوله وان طلقتموهن من قبل
ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة اي فلم يذكر المتعة وقد مضى هنا في البقرة
مستوفى وقوله سرحوهن طلقوهن قال النحاس كنايته عن الطلاق حسنة
الى حقيقة لانه يستعمل في غيره فيحتاج الى البيان وهنا ليس بغيره ضريح وقد
مضى في البقرة القول فيه فلا معنى للاعادة حملا لابنه من غير بدعة قوله تعالى

يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك الاية قوله رحيما

فيه سبع عشرة مسألة الاولى روى السدي عن ابي صالح عن ام هانئ بنت ابي طالب
قالت خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله
انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك
وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك
قالت فلم اكن احل له لاني لم اهاجر كنت من الطلقاء خرجه ابو عيسى وقال
هذا حديث حسن لا نعرفه الا من هذا الوجه قال ابن العربي وهذا ضعيف
جدا ولم يات هذا الحديث من طريق صحيح يحتج به الثاني لما حرم
رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فاختزنه حرم عليه التزوج بغيرهن
والاستدلال بهن مكافاة لهن على فعله والدليل على ذلك قوله تعالى لا تحل
لك النساء من بعد هن الاية وهل كان يحل له ان يطلق واحدة منهن بعد
ذلك فقيل لا يحل له جزاء لهن على اختيارهن له وقيل كان يحل له ذلك لغيره
من الناس ولكن لا يتزوج بها ثم نسخ هذا التحريم واباح له ان يتزوج
بمن شاء عليهن من النساء والدليل عليه قوله تعالى انا احللنا لك ازواجك

والاحلال يقتضي تقدم خطبة وزواجه اللاتي في حبالته لم يكن محرما عليه
وانما كان حرم عليه التزوج بالاجنبيات فانصرف الاحلال اليهن ولانه
قال في سياق الاية وبنات عمك الاية ومعلوم انه لم يكن تحته احد من بنات
عمه ولا من بنات عماته ولا من بنات خاله ولا من بنات خالاته فثبت
انه احل له التزوج بهذا الصنف وهذه الاية وان كانت متقدمة في التلاوة
فهي متاخرة النزول على الاية المنسوخة بها كما يأتي الوفاء في البقرة وقد
اختلف الناس في تاويل قوله تعالى احللنا لك ازواجك فقيل المراد
بها ان الله تعالى احل له ان يتزوج كل امرأة يؤتيها مهرها قاله ابن زيد
والضحاك فعلى هذا تكون الاية مسوقة مساق جمع النساء حاشى ذوات المحارم وقيل
المراد احللنا لك ازواجك اي اللاتي آتيت عندك لا هن قد اخترناك على
الدنيا والاخرة قاله الجمهور من العلماء وهو الظاهر لان قوله اتيت ماض ولا يكون
الفعل الماضي بمعنى الاستقبال الا بشروط ذكرت في الاصول على هذا التاويل صفيا
علي النبي صلى الله عليه وسلم ويؤيد هذا التاويل ما قاله ابن عباس كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يتزوج في اي الناس شاء وكان ذلك يشق على نسائه
فلما نزلت هذه الاية وحرم عليه بها الناس الا من سمى سرنساءه بذلك
قلت والقول الاول اصح لما ذكرناه ويدل ايضا على صحته ما اخرجه
الترمذي عن عطاء قال قالت عائشة ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
احل الله له النساء قال هذا حديث حسن صحيح الثالثة قوله تعالى وما
ملكت يمينك احل الله السراري لنبيه صلى الله عليه وسلم وامته مطلقا
واحل لازواج لنبيه مطلقا واحله للخلق بعد وفوله مما افاء الله عليك من النساء
اي رده عليك من الكفار والغنيمة قد سبيتي فيما اي مما افاء الله عليك من النساء
المحوذ على وجه القهر والغلبة الرابعة قوله تعالى وبنات عمك الاية
عماتك اي احللنا لك ذلك نائبا من الازواج اللاتي اتيت اجورهن
على قول الجمهور لانه لو انا احللنا لك كل امرأة تزوجت واتيتها اجرها
بعد ذلك وبنات عمك وبنات عماتك لان ذلك داخل فيما تقدم قلت
وهذا لا يلزم وانما خص هؤلاء بالذكر تشريفا لهن كما قال فيها فاكها

ونخل ورمان والله اعلم الخامسة قوله تعالى اللاتي هاجرن معك فيه اقوال
الاول لا يحل لك من قرابتك ذلك بنات عمك العباس وغيره من اولاد عبد المطلب
وبنات اولاد بنات عبد المطلب وبنات اخوال من ولد بنات عبد مناف بن
زهرة لان اسلم لقوله صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده
والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه الثاني لا يحل لك من هن الا من هاجر الى المدينة
لقوله تعالى والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا ومن
لم يهاجر لم يحل ومن لم يحل لم يصلح للنبي صلى الله عليه وسلم الذي كمل وشرف وعظم
صلى الله عليه وسلم السادسة قوله تعالى معك لمعنيه هنا الاشتراك
في الهجرة لا في الصحبة فيها فان من هاجر حل له كان في صحبته اذ هاجر او لم يكن
بل ادخل فلان معي وخرج معي اي كان عمله كعملي وان لم يكن فيه عملكما ولو قلت
خرجنا معا اقتضى ذلك المعيتين جميعا الاشتراك في الفعل والاقتران
السابقة ذكر الله عز وجل العم فردا والعمات جميعا ولذلك قال خالك ولم يقل
والحكمة في ذلك ان العم والخال في الاطلاق اسم جنس كالشاعر والباحز وليس
كذلك العمة والخالة وهذا عرف لغوي فجاء الكلام عليه بغاية البيان لرفع
الاشكال وهذا دقيق فتامله قاله ابن العربي الثامنة قوله تعالى
وامرأة مؤمنة عطف على واحللنا المعين واحللنا لكم امرأة تهب نفسها من غير
صداق وقد اختلف في هذا المعين فروي عن ابن عباس انه قال لم يكن
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امراة الا بعقد نكاح او ملك يمين فاما الهبة
فلم يكن عنده منهن احد وقال قوم بل كانت عنده موهوبة قلت
والذي في الصحيحين يقوي هذا القول وبعضده ما روى مسلم عن عائشة انها
قالت كنت اغار على اللاتي وهبن انفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم
واقول ما تستحي امرأة تهب نفسها لرجل حتى انزل الله ترجي من تشاء منهن
وتؤوي اليك من تشاء فقلت والله ما اري ربك الا يسارع في هواك وروى
البخاري عن عائشة انها قالت كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن انفسهن
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدل هذا على انها من غير واحدة والله اعلم

الزمخشري قيل الموهوبات اربع ميمونه بنت الحرث وزينب بنت خزيمه
ام المساكين الانصاريه وام شريك بنت جابر وخوله بنت حكيم قلت
وفي بعض هذا اختلاف قال فقد دهي ميمونه بنت الحرث وقال النووي هي
زينب بنت خزيمه ام المساكين امرأه من الانصار وقال علي بن الحسين
الهلالي وقيل هي ام شريك بنت جابر الانصاريه وقال عروه بن الزبير
ام حكيم بنت الاوقص السلميه انتهى وقد اختلف في اسم واهبه
نفسها فقيل هي ام شريك الانصاريه اسمها غزيه وقيل غزيله وقيل ليلى
بنت حليم وقيل هي ميمونه بنت الحرث حين خطبها النبي صلى الله عليه وسلم
فجاءها الخاطب وهي على بعيرها فقالت البعير وما عليه لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وقيل هي ام شريك العامريه وكانت عند ابي العكر الازدي وقيل
عند الطفيل بن الحرث فولدت له شريكا وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
تزوجها ولم يثبت ذلك والله اعلم العاشره قرأ جمهور الناس ان وهبت
بكسر الف وهذا يقتضي استيناف الامر اي ان دفع مهرها وروي عن ابن
عباس ومجاهد انها ان لا لم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم امرأه موهوبه
وقد دل على خلافه وروي الاية مرتبين سهل وغيره وفي الصحاح ان امرأه
قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جئتك اهب لك نفسي فنظر اليها
فقلب رأيه فيها ان لم يكن لك بها حاجه فلو كانت هذه الهبه غير جايزه لما سكت
رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لا يقر على الباطل اذ سمعه غير انه يحتمل ان يكون
سكوته منتظرا بيانا فنزلت الاية بالتحليل والتخيير فاختار تركها وردها
من غير ان يحتمل ان يكون سكت ناظرا في ذلك حتى قام الرجل لها مطالبا وقرأ
الحسن البصري وابي بن كعب والشعبي ان وهبت بفتح الالف وقرأ الاعمش واهبه
نفسه وهبت قال النحاس وكسر انا جمع للمعاني لانه قبل انثى ساوانا
فتح كان المعنى على واحده بعينها لان الفتح على البدل من امرأه او لمعنى لان
الكاديه عشره قوله تعالى نفسه بدل على ان الكافره لا تحل له قال

امام الحرمين وقد اختلف في تحريم الكافره عليه قال ابن العربي والصحيح
عندي تحريمها عليه وهذا يتميز عليها فانه من كان من جانب الفضايل والكرامه
تحظه فيه اكثر وما كان من جانب النقايص فحسبه عنها الطهر فحرمن النكاح
الكتابيات وفضر صلى الله عليه وسلم بجلالته على المومنات واذا
كان لا يحل له مسلمه تهاجر لنقصان فضل الهجره فاحري ان لا تحل له الكافره
لنقصان الكفر الثانيه عشره قوله تعالى ان وهبت نفسها دليل
على ان النكاح عقد معاوضه على صفات مخصوصه قد تقدمت في النسا
وغيرها قال الزجاج معنى ان وهبت نفسها للنبي اي ان وهبت نفسها للنبي
حلت وقرأ الحسن ان وهبت بفتح الهمزه وان في موضع نصب قال الزجاج
اي لان وقال غيره ان وهبت بدل الاشتمال من امرأه الثالثه عشره قوله تعالى
ان اراد النبي ان يستنكحها اي اذا وهبت المرأه نفسها وقبلها النبي صلى الله عليه وسلم
حلت له وان لم يقبلها لم يلزم ذلك كما اذا وهبت لرجل شيا فلا يجب عليه القبول
ويدان مكارم الاخلاق تقتضي ان يقبل من العامي هبته ويركي الكرام ان يردها
هجنه في العاده ووصمه على العاقب واذا به لقلبه فبين الله ذلك في حق
رسوله وحمله فرانا بتلي ليرفع عنه الحرج ويبطل بطل الناس في عاداتهم وقولهم
الرابعه عشره قوله تعالى خالصه لك من دون المومنين اي هبة النساء
انفسهن خالصه ومزيه فلا يجوز ان تهب المرأه نفسها لرجل ووجه الخاصيه
انها لو طلبت فرض المهر قبل الدخول لم يكن لها ذلك فاما نبينا فلو وهبته طلب
المهر قبل الدخول ومهر المثل بعد الدخول الخامسه عشره
اجمع العلماء على ان هبه المرأه نفسها غير جايز وان هذا اللفظ من الهبه لا ينعقد عليه نكاح
الا ما روي عن ابي حنيفه وصاحبيه فانهم قالوا اذا وهبت فاشهد هو على نفسه
نكحتها فذلك جايز قال ابن عطيه قيد في قولهم لا يجوز العباره ولفظ الهبه
والا فلا فقال الذين شرطوها هي انعقال النكاح بعينه وقد تقدمت هذه
المساله مستوفاه في القصص والحمد لله السادسه عشر خص الله تعال

رسوله صلى الله عليه وسلم في احكام الشريعه بعجز لم يشاركه فيها احد في باب
الفرض والتحريم والتحليل مزيه على لامه وهبت له ومزيه خص بها تفرض
عليه اشياء مما فرضت على غيره وحرمت عليه افعال مما لم تحرم عليهم وحللت
له اشياء لم تحل لهم فمنها متفق عليه ومختلف فيه فاما ما فرض عليه فستة
الاول التهجد بالليل الثاني الضحى الثالث الاضحى الرابع الوتر
وهو داخل في قسم التهجد الخامس السواك السادس فعتي دين من مات معسرا
السابع مشاوره ذوي الاحلام في غير الشرائع الثامن تخيير النساء التاسع
اذا عمل عملا اثبته ○ واما ما حرم عليه فجملته عشره الاول تحريم
الزكاه عليه وعلى اله الثاني تصدقه التطوع عليه وفي ذلك تفصيل باختلاف
الثالث خائنه الاعين وهو ان يظهر خلاف ما يضمر او يخدع عما يحب وقد
ذم بعض الكفار عند اذته ثم الان له القول عند دخوله الرابع حرم عليه
اذا لابس لامته ان يخلعها منه او يحكم الله بينه وبين محاربيه الخامس
الاكل متكيا السادس الاطعمه الكريهه الرائحه السابع التبدل بازواجه
وسيأتي الثامن نكاح امراه ذكره صحبته التاسع نكاح الحربيه الكتابيه
العاشر نكاح الامه وحرم الله عليه اشياء لم يحرمها على غيره تشريفا له وتظهيرا
لخوم عليه الكتابه وقول الشعر وتعليمه تأكيدا لمحنته وسيأتي لمعجزته قال الله تعالى
وما كنت تتلوا قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك وذكر النقاش ان النبي صلى الله عليه
وسلم ما مات حتى كتب والاول هو المشهور وحرم عليه ان يبدل عينا بأخرى ما متع
به الناس قال الله تعالى ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن
منهم الا ما ملكت يمينك واما ما حل له صلى الله عليه وسلم فجملته ستة عشر الاول صفي المغنم
الثاني الاستبداد بخمس الخمس او الخمس الثالث الوصال الرابع الزياده على
اربع نسوه الخامس النكاح بلفظ الهبه السادس النكاح بغير ولي السابع النكاح
بغير صداق الثامن نكاحه في حاله الاحرام التاسع سقوط القسم
من الازواج عنه وسيأتي العاشر اذا وقع بصره على امراه وجعل زوجها
طلاقها وحل له نكاحها قال ابن العربي هكذا قال الامام الحرمين

وقد مضى لها العلماء في قصه زيد من هذا المعين الحادي عشره انه اعتق
صفيه وجعل عتقها صداقها الثاني عشر دخول مكه بغير احرام وفي حقنا فيه
اختلاف الثالث عشر القتال له الرابع عشر انه لا يورث وانما
ذكر هذا في قسم التحليل لان الرجل اذا قارب الموت بالمرض زال عنه اكثر ملكه
ولم يبق له الا الثلث خالصا وبقي ملك رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما تقدم
بيانه في ايه المواريث في سوره مريم بيانه ايضا الخامس عشر تحريم ازواجه
بعد الموت السادس عشر اذا طلق امراه بقي حرمته عليها فلا تنكح
وهذه الاقسام الثلاثه تقدم معظمها مفصلا في مواضعها وبيانها ان شاء الله تعالى
السابع عشره قوله تعالى ان يستنكحها اي يتخذها بقال نكح واستنكح مثل عجب
واستعجب وعجل واستعجل ويكونان بمعنى الاستنكاح بمعنى طلب النكاح او طلب
الرضى وخاصه نصب على الحال قاله النحاس وقيل حال من ضمير متصل بفعل
مضمر دل عليه المضمر تقديره احللنا لك امراه مؤمنه احللناها
خالصه بلفظ الهبه ويعضد ان الثامنه عشره قوله تعالى من دون المؤمنين
فايده ان الكفار وان كانوا مخاطبين بفروع الشريعه عندنا فليس لهم في ذلك
دخول لان تعريف الاحكام انما يكون فيهم على قدر الاسلام وقوله تعالى
قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم اي ما اوجبنا على المؤمنين وهو ان يتزوجوا
الاربع نسوه بمهر وبينه وولي قال معناه ابن عباس رضي الله عنه وغيره
التاسعه عشر قوله تعالى لكيلا يكون عليك حرج اي ضيق في امراته فيه محتاج
الى السعه اي بينا هذا البيان وشرحنا هذا الشرح لكي لا يكون عليك حرج
اي ضيق في امراته فيه محتاج الى السعه اي سيا هذا البيان وشرحنا هذا
الشرح لكي لا يكون عليك حرج ولكيلا متعلقه بقوله انا احللنا لك ازواجك
اي فلا ضيق عليك حتى نظهر شكك انك قد امنت عندنا بك في شيء ثم انس تركك
وتقبل جميع المؤمنين بغفرانه ورحمته تعالى وكان الله غفورا رحيما

ترجي من تشا منهن وتؤي اليك من تشا الايه

فيه احد عشر مساله الاولى قوله تعالى ترجي من تشاء منهن وتؤي اليك من تشاء وابتغيت ممن عزلت فلا جناح
يقال ارجيت الامر وارجاته اذا اخرته وتؤي يضم يقال اويت اليه بمدود والف
ضم واوي مقصوره الالف انضم اليه الثيب ولختلف العلماء في تاويل
هذه الاية واصح ما قيل بها التوسعة على النبي صلى الله عليه وسلم في ترك القسم فكان
لا يجب عليه القسم بين ازواجه وهذا القول هو الذي ياتي على ما سياتي بيانه ومن
ثبت معنا في الصحيح عن عايشه رضي الله عنها قالت كنت اغار على الذين وهبن
انفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم واقول تهب المراه نفسها للرجل فلما انزل الله
عز وجل ترجي من تشاء منهن وتؤي اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت قالت
قلت والله ما ارى ربك الا يسارع في هواك قلت ابن المعنى هذا الذي تثبت لي
الصحيح هو الذي ينبغي ان يعول عليه والمعنى المراد هو ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان مخيرا في ازواجه ان شاء ان يقسم قسم وان شاء ان يترك القسم ترك فخص
من ذلك عليه وسلم بان جعل الامر اليه فيه لكنه كان يقسم ترفيها لنفسه دون
فرض ذلك عليه تطييبا لنفوسهن وحنوا لهن عن اقوال العزه التي تزري
الى ما لا ينبغي وقيل كان القسم واجبا على النبي صلى الله عليه وسلم ثم نسخ الوجوب
عنه فيه لما به قال ابو رزين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد هم
بطلاق بعض نسايه فقلن له اقسم لنا ما شيت فكان ممن ارجى عايشه
وحفصه وام سلمه وزينب فكانت قسمتهن من نفسه وماله سوا بينهن
وكان ممن ارجى سوده وجويريه وام حبيبه وميمونه وصفيه فكان
يقسم لهن ما شا وقال ابن عباس وغيره المعنى في طلاق من شا ممن حصل
في عصمته وامساك من شا وقيل غير هذا وعلى كل معنى فلا يخفى معناها والتوسعه
على رسول الله صلى الله عليه وسلم والاباحه وما اخترناه اصح والله اعلم الرابعه
ذهب الله في الناسخ والمنسوخ الى ان قوله ترجي من تشاء منهن الاية ناسخ
لقوله لا يحل لك النسا من بعد الاية وقال ابن ابي في كتاب الله ناسخ
يقدم المنسوخ سوى هذا وكلامه بضعف من وجهات وفي البزه عنه القول
عنها اربعه اشهر وعشر وهذا ناسخ للحول وقد تقدم عليه احكامه

قوله تعالى ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك الابتغا الطلب والعزل
الذل والعزل الازاله اي ان اردت ان تؤي اليك امراه ممن عزلتهن من نفسك
وتضمها اليك فلا باس عليك في ذلك وكذلك حكم الارجا فذا احد الطرفين على الثاني
السادسه قوله تعالى فلا جناح عليك اي لا ميل بقال جنحت السفينه اي
مالت الى الارض اي لا ميل عليك يا محمد بالوم والتقبيح السابعه قوله تعالى
ذلك ادنى ان تقر اعينهن قال قتاده اي ذلك التخيير الذي جزاك في صحبتهن
ادنى الى رضا من اذا كان من عندنا لانهن اذا علمن ان العدل من الله قرت اعينهن
بذلك ورضين لان المراد اذا علم انه لا حق له في شي كان راضيا به اوفى منه وان علم
ان له حقا لم ينتفعه ما يوفى منه واشتدت عزته عليه وعظم حرصه فيه
فكان ما فصل الله لرسوله من تفويضا لامر اليه في حال ازواجه واقرب الى
رضا من معه والى استقرار اعينهن بما سمح به لهن دون ان تتعلق قلوبهن
باكثر منه وقرا تقر اعينهن بضم التا ونصب الاعين وتقر اعينهن على
البنا للمفعول وكان عليه السلام مع هذا يشد دعلى نفسه في دعايه التسويه
بينهن تطييبا لنفوسهن ويقول اللهم هذه قسمتي فيما املك فلا تلمني فيما
تملك ولا املك ان يعني قلبه لايثاره عايشه دون ان يكون بظهر ذلك في
شي من فعله فكان في مرضه الذي توفي فيه يطاف به محمولا على بيوت
ازواجه الى ان استحلهن ان يقيم في بيت عايشه قالت عايشه اول ما اشتكى
رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت ميمونه فاستاذن ازواجه ان يمرض في بيتها
يعني عايشه فاذن له الحديث خرجه الصحيح وفي الصحيح ايضا عن عايشه
قالت ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتفقد يقول اين انا اليوم اين انا
هذا استبطا ليوم عايشه قالت فلما كان يومي قبضه الله بين سحري ونحري
صلى الله عليه وسلم الثامنه على الرجل ان يعدل بين نسايه لكل واحده
منهن يوما وليله هذا قول عامه العلما وذهب بعضهم الى وجوب ذلك في
الليل دون النهار ولا يسقط حق الزوجه لمرضها ولا حيضها وليلزمه
المقام عندها في يومها وليلتها وعليه ان يعدل بينهن في مرضه كما يفعل

في صحته الا ان يعجز عن الحركه فيقيم حيث يغلب عليه الرض فاذا صح استانف القسم
والاسا والحرايز والكاسيات والسلمات في ذلك سوا قال عبد الملك للحره ليلتان
وللامه ليله واما السرايز فلا قسم بينهن وبين الحرايز ولا حظ لهن فيه الثامنه
ولا يجمع بينهن في منزل واحد الا برضاهن ولا يدخل الى احديهن في يوم الاخري وليلتها
لغير حاجه واختلف في دخوله لحاجه وضروره فالاكثرون على جوازه مالك وغيره
وفي كتاب ابن حبيب منعه ودوي ابن بكر عن مالك عن يحيى بن سعيد ان معاذ
ابن جبل كانت له امراتان فاذا كان يوم هذه لم يبت عند الاخري الما قال
ابن بكر وحدثنا مالك عن يحيى بن سعيد ان معاذ بن جبل كانت له امراتان
ماتتا في الطاعون فاسهم بينهما ايهما يدلي اول العاشره قال مالك يعدل
بينهن في النفقه والكسوه اذا كن معتدلات الحال ولا يلزم ذلك في المختلفات الناصب
واختار ملك ان يفضل احديهن في الكسوه على غيرها جه الميل فاما الحب والبغض فخارجان
عن الكسب فلا يامر في العدل فيهما وهو المعني بقوله عليه السلام في قسمة اللهم
هذا فعلي فيما املك فلا تلمني فيما تملك ولا املك اخرجه النسائي وابو داود عن عايشه
رضي الله عنها في كتاب باب دارد يعني القلب واليه الاشاره بقوله تعالى ولن
تستطيعوا ان تعدلوا بين النسا ولو حرصتم وقوله والله يعلم ما في قلوبكم وهذا هو
وجه تخصيصه بالذكر هنا تنبيها منه لنا على انه يعلم ما في قلوبنا من ميل بعضنا الى
بعض من غير ان نعلم نحن ذلك من انفسنا دون بعض وهو العالم بكل شي لا يخفى عليه شي في
الارض ولا في السما يعلم السر واخفى سمح لي ذلك اذ لا يتطلع العبد ان يصرف قلبه
عن ذلك بالكليه بالميل والى ذلك يعود قوله وكان الله غفورا رحيما وقد قيل في قوله تعالى
ذلك ادنى ان يقررن اعينهن الحاديه عشره اي ذلك اقرب ان لا تحزن اذا لم تجتمع
احداهن مع الاخري وتعاين الاثره والميل وروي ابو داود عن ابي هريره
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كانت له امراتان فمال الى احديهما جاء يوم
القيمه وشقه مايل ه ويرضين بما اتيتهن كلهن توكيد للضمير الذي في يرضين
كلهن واجاز ابو حاتم والزجاج ويرضين بما اتيتهن كلهن على التوكيد للضمير
الذي في اسمهن والفرا لا يجيزه لان المعنى ليس عليه اذ كان المعنى ويرضى

كل واحده منهن وليس المعنى بما اعطيتهن كلهن قال النحاس والذي قاله احسن الثامنه
عشر قوله تعالى والله يعلم ما في قلوبكم خبر عام والاشاره الى ما قلب
رسول الله صلى الله عليه وسلم من محبه بعضهن دون بعض ولذلك يدخل في المعنى ايضا الميول
وفي البخاري عن عمرو بن العاصي ان النبي صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل
فاتيته فقلت اي الناس احب اليك قال عايشه فقلت من الرجال فقال ابوها قلت
ثم من قال عمر فعد رجالا و قد تقدم القول في القلب بما فيه في البقره
وفي اول هذه السوره يدل ان لفظ الكلم كان عبدا فقال له سيده اذبح شاه وابتني
باطيبها بضعتين فاتاه بالقلب واللسان ثم بدح شاه اخري وقال له القها بضعتين
فالقى اللسان والقلب فقال امرتك ان تاتيني باطيبها بضعتين فاتيتني
بالقلب واللسان وامرتك ان تلقي اخبثها بضعتين فالقيت اللسان والقلب فقال
ليس شي اطيب منها اذا طابا ولا اخبث منها اذا خبثا فوله تعالى

لا يحل لك النسا من بعد ولا ان تبدل بهن
من ازواج الايه

فيه سبع مسايل الاولى اختلف العلما في تاويل قوله لا يحل لك النسا من بعد على
اقوال سبعه الاول انها منسوخه بالسنه قال الشيخ لها حديث عايشه قالت ما مات
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل له النسا وقد تقدم الثاني انها منسوخه
بايه اخري روي الطحاوي عن عزام سلمه قال لما بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى احل له ان يتزوج من النسا ما شا الا ذات محرم وذلك قول الله عز وجل ترجي من
تشا منهن وتوي اليك من تشا قال النحاس وهذا والله اعلم اولى ما قيل
في هذه الايه وهو قول عايشه واحد في السنخ وقد يجوز ان يكون عايشه
اراد ان احل له ذلك بالقرآن وموضع هذا قول علي بن ابي طالب وابن عباس
وعلي بن الحسين والضحاك وقد قال بعض فقها الكوفيين فقال محال ان
تنسخ هذه الايه يعني ترجي من تشا منهن لا يحل لك النسا من بعد وهي مثبتها في المصحف

الذي اجمع عليه المسلمون ورجح قول من قال نسخت بالسنة قال النحاس وهذه
المعارضة لا تلزم وقائلها غالط لان القرآن لم نزله سورة واحدة كما صح عن ابن عباس
انزل الله القرآن جملة واحدة الى سما الدنيا في شهر رمضان وبين الكلامين اعتراض
هذا لا يلزم قوله عز وجل والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية
لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج منسوخة على قول اهل التاويل
لا بعلم بينهم خلافا بالاية التي قبلها والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا
يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا الثالث انه صلى الله عليه وسلم
خطر عليه ان يتزوج على نسائه لان الله اختارهن له ورسوله والدار الاخرة وهذا
قول الحسن وابن سيرين وابي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام قال
النحاس وهذا القول يجوز ان يكون هذا ثم نسخ الرابع انه لما حرم
عليهن ان يتزوجن بعده حرم عليه ان يتزوج غيرهن قالوا لقوله تعالى
ابن سهل بن حنيف الخامس لا يحل لك النساء من بعد اي من بعد الاصناف
التي سميت له قاله ابي بن كعب وعكرمة وابو رزين وهو اختيار محمد
ابن جرير ومن قال بان الاباحة كانت له مطلقة قالوا لا تحل لك النساء معناه
لا تحل لك اليهوديات ولا النصرانيات وهذا ذليل بين بعيد وروي عن مجاهد
وسعيد بن جبير وعكرمة ايضا وهو القول السادس قال مجاهد لئلا
تكون كافرة امات للمؤمنين وهذا القول بعيد لانه يقدره من بعد المسلمات
ولم تجز المسلمات ذكر وكذلك قدروا ولا ان يبدل بهن اي وان تطلق سلمة
لتستبدل بها كتابية السابع ان النبي صلى الله عليه وسلم كان له خلال
ان يتزوج من شاء ثم نسخ ذلك قال وكذلك كانت الانبياء قبله صلى الله عليه وسلم
قاله محمد بن كعب القرظي الثامنة قوله تعالى وان تبدل بهن من ازواج
قال ابن زيد منا بنى كانت العرب تفعله يقول احدهم خذ زوجتي واعطني
زوجتك ردي الدار فطلق عزا بي هريرة قال كان البدل في الجاهلية ان يقول
الرجل للرجل تزل لي عن امراتك وانزل لك عن امراتي وارتبك فانزل الله تعالى
ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن قال فدخل عيينة بن حصن

الفزاري على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عايشة فدخل بغير اذن فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عيينة فاين الاستيذان فقال يا رسول الله ما
استاذنت على رجل من مضر منذ ادركت ثم قال من هذه الحميراء الى جنبك فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه عايشة ام المومنين فقال انلك عن احسن الخلق
فقال يا عيينة ان الله قد حرم ذلك قال فلما خرج قالت عايشة يا رسول الله من
هذا قال احمق مطاع وانه على ما ترين لسيد قومه وقد انكر الطبري والنحاس
وغيرهما ما حكاه ابن زيد عن العرب من انها كانت تبادل بازواجها قال الطبري
وما فعلت العرب قط هذا وما روي من حديث عيينة بن حصن من انه دخل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عايشة الحديث فليس بتبديل ولا اراد
ذلك ولما تحقر عايشة لانها كانت صبية فقال هذا القول قلت
وما انكره من حديث يزيد بن سلم عن خطاب بن بشار عن ابي هريرة من ان البدل كان
في الجاهلية بيدي على خلاف ما انكر من ذلك والله اعلم قال المبرد وقرئ ولا بجل
بالياء والتاء فمن قرا بالتاء فعلى معنى جماعة النساء وبالياء من تحت على معنى النساء
وزعم الفراء قال اجتمعت على القراءة بالياء وهذا غلط وكيف يقال اجتمعت
القراء وقد قال ابو عمرو بالتاء بلا اختلاف عنه التاسعة قوله تعالى ولو اعجبك
حسنهن قال ابن عباس نزل ذلك بسبب اسماء بنت عميس اعجب رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين ماتت عنها جعفر بن ابي طالب حسنها فاراد ان يتزوجها
فنزلت الاية وهذا حديث ضعيف قاله ابن العربي الرابعة في هذه الاية
دليل على جواز ان ينظر الرجل الى من يريد زواجها وقال عليه السلام انظر اليها
فانه احرى ان يودم بينكما شيئا اخرجه الصحيح قال الحميدي يعني صغرا او رد قا
وقيل رضا الخامسة الامر بالنظر الى المخطوبة انما هو على جهة
الارشاد الى المصلحة فانه اذا نظر اليها فانه ربما يرى منها ما يرغبه فيتكحها
ومما يدل على ان الامر على جهة الارشاد ما ذكره ابو داود من حديث جابر عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال اذا خطب احدكم المراة فان استطاع ان ينظر
منها الى ما يدعوه الى نكاحها فليفعل فقوله ان استطاع فليفعل

لايفيد لمثله ان الواجب وهذا قال جمهور الفقهاء الثلاثة مالك والكوفيون
وغيرهم واهل الظاهر وذكره ذلك قوم لما لاه بقولهم للاحاديث
الصحيحه وقوله تعالى ولو اعجبك حسنهن وقال سهل بن ابي حثمه رايت
محمد بن مسلمه يجاور بنيته بنت الضحاك على اجار من اجار بالمدينه فقلت لها تفعل
هذا قالت نعم قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا القى الله في قلب احدكم خطبه امراه
فلا باس ان ينظر اليها الساد سه اختلفوا فيما يجوز ان ينظر منها فقال
مالك ينظر الى وجهها وكفيها ولا ينظر الا باذنها وقال الثوري في وجهها باذنها
وبغير اذنها اذا كانت مستتره وقال الاوزاعي ينظر اليها ويخبئها وينظر مواضع اللحم
منها قال داود ينظر الى سايد جسدها لما تكا بظاهر اللفظ واصول الشريعه شاهد
عليه في تحريم الاطلاع على العوره واسلعلم السابعه قوله تعالى الا ما
ملكت يمينك اختلف العلماء في احلال الاما كان لهن النبي صلى الله عليه وسلم
على قولين يحل لعموم قوله تعالى الا ما ملكت يمينك قاله سعيد بن جبير وعامه
وعطا والحكم قالوا قوله تعالى لا يحل لك النسا من بعد اي يحل لك النسا من غير
المسلمات فاما اليهوديات والنصرانيات والمشركات فحرام عليك اي لا يحل
لك ان تتزوج كافره فتكون اما للمومنين ولو اعجبك حسنها الا ما ملكت يمينك
فان لك ان تتسريها الثاني تزيها لقدره عن مباشره الكافره وقال قال
لا تمسكوا بعصم الكوافر فكيف بالله عليه وسلم وباقي قوله الا ما ملكت يمينك
في موضع نصب على الاستثنا من النسا ويجوز ان يكون في موضع نصب على استثنا
وفيه ضعف ويجوز ان يكون الصد به والتقدير الا ما ملكت يمينك وملك
يمينك مملوك وهو في موضع نصب لانه استثنا من غير الجنس الاول قوله تعالى

يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي
الا ان يوذن لكم الى قوله غير ناظرين اناه

فيه ست عشره مسله الاولى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا
ان يوذن لكم الطعام غير ناظرين اناه نصب على الحال اي لا تدخلوا في هذه الحال

ولا يجوز في غير الخفض على النعت للطعام لانه لو كان نعتا لم يتبين من اطها ر العايب
وكان يقول غير ناظرين اياه انتم ونظير هذا من النحو هذا رجل معه رجا يلازم له هو وان
في موضع نصب على معنى الا ان يوذن لكم او يكون الاستثنا ليس من الاول وهذه الايه
تضمنت فصلين احدهما الادب في امر الطعام والجلوس والثاني في امر الحجاب
وقال حماد بن زيد هذه الايه نزلت في الثقلا فاما الفصله الاولى فالجمهور
من المفسرين على ان سببها ان النبي صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب بنت جحش
امراه زيد اولم عليها فدعي الناس فلما طعموا جلسوا طوايف منهم يتحدثون
في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجته مولية ظهرها الى الحايط فثقلوا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا اسنى لها ادري انا اخبرت النبي صلى الله عليه وسلم
ان القوم قد خرجوا او اخبري قال فانطلق حتى دخل البيت فذهبت ادخل معه
فالقى الستر بيني وبينه ونزل الحجاب قال وعظ القوم بما وعظوا به ذكر الله
عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الى قوله ان ذلكم كان عند الله
عظيما اخرجه الصحيح وقال قتاده ومقاتل في كتاب الثعلبي لهذا
السبب جري في بنام سلمه والاول الصحيح كما رواه الصحيح وقال ابن
عباس نزلت في ناس من المومنين كانوا يتحسون طعام النبي صلى الله عليه وسلم
فيدخلون قبل ان يدرك الطعام فيقعدون الى ان يدرك ثم ياكلون ولا يخرجون
وقال اسما عيل بن حكيم هذا ادب ادب الله به الثقلا وقال ابن زيد
في كتاب الثعلبي حسبنا من الثقلا ان الشرع لم يخلهم واما فصله الحجاب
فقال انس بن مالك وجماعه سببها امر القعود في بيت زينب الفصله المذكورة انفا
وقال عايشه وجماعه سببها ان عمر قال يا رسول الله ان نساك يدخل عليهن
البر والفاجر فلو امرتهن ان يحتجبن فنزلت هذه الايه ورويي الصحيح
عن ابن عمر قال قال عمر وافقت ربي في ثلاث في مقام ابرهيم وفي اسارى
بدر وفي الحجاب هذا اصح ما قيل في الحجاب وما عداها هذين القولين من
الاقوال والروايات فواهيه لا يقوم شيء منها على ساق واضعفها

كما روي عن ابن مسعود وابن عمر امر نساء النبي صلى الله عليه وسلم بالحجاب فقالت
زينب بنت جحش يا ابن الخطاب انك تغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا فانزل الله
تعالى واذا سالتموهن متاعا فسلوهن من وراء حجاب وهذا باطل لان الحجاب
نزل يوم البناء بزينب كما بيناه اخرجه البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم
وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصاب يد
رجل منهم يد عائشة فكره النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت اية الحجاب قال
ابن عطيه وكانت سيرة القوم اذا كانوا لم طعام وليمة او نحوه ان يبكروا مع النبي
منهم الى الدعوة ينتظرون طبخ الطعام ونضجه وكذلك اذا فرغوا منه جلسوا
كذلك فنبي الله المومنين عن امثال ذلك في بيت النبي صلى الله عليه وسلم ودخل
في نهيه سايرالمومنين والتزم الناس ادب الله تعالى لهم في ذلك فنعلم من الدخول
الا باذنه عند الاكل لانتظار نضج الطعام الثانية في قوله
تعالى بيوت النبي دليل على ان البيت للرجل وبحكم له به فان الله اضافه اليه
فان قيل فقد قال تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن الاية قلنا اضافه
البيوت الى النبي صلى الله عليه وسلم اضافة ملك واضافة البيوت الى الازواج
اضافة محل بدليل انه جعل الاذن فيها للنبي صلى الله عليه وسلم والاذن انما
يكون لمالك الثالثة واختلف العلماء في بيوت النبي صلى الله عليه وسلم اذا
كان يسكن فيها اهله بعد موته هل هي ملك لهن ام لاهل قولين فقالت
طايفة كانت ملكا لهن بدليل انهن سكن فيها بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم
الى وفاتهن وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم وهب ذلك لهن في حياته الثاني
ان ذلك كان اسكانا كما يسكن الرجل اهله ولم يكن هبة وتاويل سكانهن
بعد الموت وهذا هو الصحيح وهو الذي ارتضاه ابو عمر بن عبد البر وابن
العربي وغيرهم فان ذلك من بيوتهن التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم استثناها
لهن كما استثنى لهن نفقتا من حين قال لا تقتسم ورثتي دينارا ولا درهما
ما تركت بعد نفقة اهلي ومونة عاملي فهو صدقة هكذا قال اهل العلم
قالوا ويدل لذلك على ان مساكنهن لم يرثها عنهن ورثتهن قالوا ولو تركت

ذلك دليلا على انها لم تكن لهن ملكا وانما كانت لهن يسكنها حياتهن فلما توفين رجعت ذلك
في المسجد الذي يعم الناس نفعه كما جعل ما كان لهن من النفقات في تركته
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما معين لسبيلهن فزيد الى اصل المال فصرف
في منافع المسلمين لما يعيد جميعه بنفعهم والله الموفق وقوله تعالى غير ناظرين
اناه اي غير منتظرين وقت نضجه وانا مقصور وفيه لغات ان تكسر الهمزه
قال الشيباني وكسرني اذ تقتمه بنو باسيف كما قتم اللحام

تحضنا المتوفى له بيوم اربه ولكل حاملة تمام

وقرا ابن ابي عبله غير ناظرين مجرورا صفة لطعام قال الزمخشري
وليس بالوجه لانه جري لغير ما هو له من حق ضميره ما هو له ان يبرز اللفظ
فيقال غير ناظرين اناه انتم كقولك هند عند زيد ضاربته هي وانا بفتحها
وانا بفتح الهمزه والمد قال اخطبه

واحرثا العشا الى سهيل او الشعرا فطال مي الاثاء

يعني الى طلوع سهيل واناه نضجه ان التي بابي انا فرغ وحان وادرك
الرابعة قوله تعالى ولكن اذا دعيتم فادخلوا فالمنع وحضر وقت
الدخول ان يكون عند الاذن على وجه الادب وحفظ الحرمة الكريمة من المباسطة
المكروهة قال ابن العربي وتقدير الكلام ولكن اذا دعيتم واذن لكم
في الدخول فادخلوا والا فمقتضى الدعوة الا تكون اذنا كافيا في الدخول والقاضي
جواب اذا الازمة لما فيها من معنى المجازاة الخامسة قوله تعالى
فاذا طعمتم فانتشروا والامر تعالى بعد الطعام بان يفترق جمعهم وينتشروا والمراد
التزام الخروج من المنزل عند انقضاء المقصود من الاكل والدليل على ذلك
ان الدخول حرام وانما جاز لاجل الاكل فاذا انقضى الاكل زال السبب المبيح
وعاد التحريم الى اصله السادسة في هذه الاية دليل على ان الضيف يكل
على ملك المضيف لاهلي ملك نفسه لانه قال فاذا طعمتم فلم يجعل له اكثر
من الاكل ولا اضاف اليه سواه وبقي الملك على اصله السابعة
قوله تعالى ولا مستانسين لحديث عطف على قوله غير ناظرين وغير منصوبه

على اكل من الكاف والميم في لكم اي غير ناظرين ولا مستانسين والمعنى المقصود
لا تمكثوا مستانسين بالحديث كما تفعل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لوليه
ز ينب ان ذلكم كان يوذي النبي صلى الله عليه وسلم فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق
اي لا يمتنع من بيانه واظهاره ولما كان ذلك يقع من البشر لعله لا يستحيا منكم الله تعالى
العله الموجبه لذلك في البشر وفي الصحيح عن ام سليم فقالت جاءت ام سليم
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان الله لا يستحي
من الحق فهل على المراه من غسل اذا هي احتلمت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا رات الماء الاية قوله تعالى واذا سالتموهن متاعا الايه روى ابو داود
الطيالسي عن انس بن مالك ان عمر قال وافقت ربي في اربع الحديث وفيه
قلت يا رسول الله لو حجبت على نسائك الحجاب فانه يدخل عليهن البر والفاجر
فانزل الله عز وجل واذا سالتموهن متاعا فاسلوهن من وراء حجاب واختلف
في المتاع فقيل ما يمتع به من العواري وقيل فتوى وقيل صحف القران
والصواب انه عام في جميع ما يلتمس ان يطلب من المواعين وساير المرافق
للدنيا والدين التاسعه في هذه الايه دليل على ان الله تعالى اذن في سالتهن
من وراء حجاب في حاجه تعرض ومساله يستفتين فيها ويدخل في ذلك جميع
النساء بالمعنى وبالتضمنه اصول الشريعه من ان المراه كلها عوره بدنها
وصوتها كما تقدم فلا يجوز كشف ذلك الا لحاجه كالشهاده عليها او يكون
ببدنها او سوالها عما يعرض ويتعين عندها العاشره استدل
بعض العلماء باختلاف الناس في ازواج النبي صلى الله عليه وسلم من وراء حجاب
على جواز شهاده الاعمى وبان الاعمى يطا زوجته بمعرفه كلامها وعلى اجازه
شهاده اكثر العلماء ولم يجزها ابو حنيفه والشافعي وغيرهما قال ابو
حنيفه يجوز في الانساب وقال الشافعي لا يجوز الا بما راه قبل ذهاب بصره
الحادي عشره قوله تعالى ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن يريد من الخواطر
التي تعرض للرجال في امر النساء والنساء في امر الرجال اي ذلك انقى للديانه

وابعد عن التهمه واقوى في الحكايه وهذا يدل على انه لا ينبغي لاحد ان يخلو
بنفسه في الخلوه مع من لا تحل له فان حجابه ذلك احسن لحاله واحسن لنفسه
واتم لعصمته الثانيه عشره قوله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا
رسول الله الايه هذا تكرار للعله تاكيدا لحكمها وتاكيد العلل اقوى
في الاحكام الثالثه عشره قوله تعالى ولا تنكحوا ازواجه من بعده ابدا
روى اسماعيل بن اسحق قال حدثنا محمد بن عبيد عن معمر عن قتاده ان رجلا
قال لو قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجت عايشه فانزل الله تعالى
وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا الايه
وزاد ان ازواجه امهاتهم وقال الفقيري ابو نصر عبد الرحيم قال
ابن عباس قال رجل من سادات قريش من العشره الذين كانوا مع النبي
صلى الله عليه وسلم على حراء نفسه لو توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
لتزوجت عايشه وهي بنت عمتي فانزل هو طلحه بن عبيد الله قال
ابن عباس فنم هذا الرجل على ما حدث به نفسه فبلغ الى الله على رجليه
وحمل على عشره ازاسنخ سيف الله واعتق رقبته فكفر الله عنه وقال ابن
عطيه روي انها نزلت بسبب ان بعض الصحابه قال لو مات رسول الله صلى الله
وسلم لتزوجت عايشه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى به هكذا
كنى عنه ابن عباس ببعض الصحابه وحكى مكي عن عكرمه انه قال هو طلحه بن
عبيد الله قلت وكذلك حكي النقاش عن معمر انه طلحه ولا يصح قال ابن
عطيه لم ير ابن عباس وهكذا يصح عن طلحه بن عبيد الله قال
شيخنا الامام ابو العباس القرطبي وقد حكى هذا القول عن بعض فضلا الصحابه
وحاشاهم عن مثله وما يليق هذا بالمنافقين الجهال روي ان رجلا من
المنافقين قال حين تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ام سلمه بعد ابي سلمه
وحفصه بعد خنيس بن حذافه ما بال محمد يتزوج نساءنا والله لو مات
لاحلنا السلام على نسايه فنزلت الايه في هذا فحرم
نكاح ازواجه من بعده وجعل لهن حكم الامهات ومنا من خصايصه

تمييزا لشرفه وتنبيها على حرمته صلى الله عليه وسلم قال الشافعي رحمه الله وازواجه
صلى الله عليه وسلم اللاتي مات عنهن لا يحل لاحد نكاحهن ومما استخلف ذلك كان
كافرا لقوله تعالى ما كان لكم ان توذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ان تنكحوا
ازواجه من بعده ابدا وقد قيل انما منع من التزوج بزوجاته لاظهار زواجه
في الجنة وان المرأة في الجنة لاحد زواجها قال حذيفة لامرأته ان سرك ان
تكوني زوجتي في الجنة فلا تزوجي بعدي فان المرأة لاحد
ازواجها وقد ذكرنا ما للعلماء في هذا في كتاب التذكرة من ابواب الجنة الرابعة
عشر واختلف العلماء في ارفاع النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته هل يتبين
ازواجا م زال النكاح بالموت واذا زال النكاح بالموت فهل عليهن عدة ام لا فقيل
عليهن العدة لانه توفي عنهن والعدة عبادة وقيل لا عدة عليهن لانها عبدة
من نصبها يتنظر بها الاباحة وهو الصحيح لقوله عليه السلام ما تركت بعدي
نفقة عيالي وروي لاهلي وهذا اسم خاص بالزوجة فابقى عليهن النفقة
والسكنى مدة حياتهن لكونهن زواجا له في الاخرة فطعا بخلاف سائر النساء في
الرجل لا يعلم كونه مع اهله في دار واحدة وربما كان احدهما في الجنة والاخر في
النار فهذا يقطع السبب في حق الخلق وبقي في حق النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال
عليه السلام زواجي في الدنيا هن زواجي في الاخرة وقال عليه السلام كل
سبب ونسب ينقطع الا سببي ونسبي فانه باق الى يوم القيمة فرعا فاما
زواجه عليه السلام التي قارفن في حياته مثل الكلبية وغيرها فهل كان
يحل لغيره نكاحهن فيه خلاف والصحيح جواز ذلك لما روي ان الكلبية التي
قارفها رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها عكرمة بن ابي جهل على ما تقدم
وقيل ان الذي تزوجها الاشعث ابن قيس الكندي قال ابو الطيب الطبري
تزوجها مهاجر بن ابي امية ولم ينكر ذلك احد فدل انه اجماع والله اعلم

الخامسة عشرة قوله تعالى ان ذلكم كان عند الله عظيما يعني اذايه
رسول الله صلى الله عليه وسلم او نكاح ازواجه فجعل ذلكم مرجعه الى هذا بيد
والذنب اعظم منه السادسة عشرة فذهبنا سبب نزول الحجاب من

حديث انس وقول عمر وانه كان يقول لسوده اذا خرجن وكانت امرأة طويلة
قد عرفناك يا سوده حرصا على ان ينزل الحجاب ولا بعد في نزول الاية عند هذه
الاسباب كلها والله اعلم سبحانه ٥ لما ماتت زينب بنت جحش قال لا يشهد جنازتها
الا ذو محرم منها فراعاه للحجاب الذي نزل بسببها فقالت اسماء بنت عميس على سنرها
في النعش في الحبشة واعلمته انها رات ذلك في بلاد الحبشة فصنعه عمر وروي
ان ذلك صنع في جنازة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان تبدوا شيئا او تخفوه الاية

الباري سبحانه وتعالى عالم ما ابدا وما يخفى وما كان وما لم يكن لا يخفى عليه ما من
بعض ولا مستقبل يأتي وهذا على العموم يمدح به وهو اهل المدح والمدح
والمراد هنا التوبيخ والوعيد لتقدم الغرض به في الاية قبلها مما اشبه
بقوله ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم ان
توذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا فقيل لهم في هذه الاية
ان الله تعالى يعلم ما تخفونه من هذه المعتقدات وانحو الها المكروهة ويجازيكم
عليها فصارت هذه الاية مختطفة على ما قبلها مبينة سببها والله الموفق
للصواب قوله تعالى

لا جناح عليهن في ابائهن

فيه ثلاث مسائل الاولى لما نزلت اية الحجاب قال الاباء والابناء والاقارب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وخرا بصا نكلمهن من وراء حجاب فنزلت هذه
الاية الثانية ذكر الله في هذه الاية من يحل للمرأة الرؤية ولم يذكر
العم والخال لانهما يجريان مجرى الوالدين وقد سمى العم ابا قال الله تعالى نعبد
الهك واله ابائك ابرهيم واسماعيل واسحق واسمى كذا العم قال الزجاج
العم والخال ربما يصفان المراة لولديهما فان المرأة تحل لابن العم وابن الخال فلذلك
ذكرهما الرؤية وقد روي عن الشعبي وعكرمة ان نضع المرأة خمارها عند عمها او خالها

وقيل ذكر في هذه الآية بعض المحارم وذكر الجميع في سورة النور في هذه الآية
تتضمن تلك وقد مضى الكلام هناك مستوفى الثالثة قوله تعالى واتقين الله
لما ذكر تعالى الرخصة في هذه الأصناف والحرمة الباقية عطف بالأمر من بالتقوى
عطف جملة وهذا نهاية البلاغة والإحكام كأنه قال انتهين على هذا واتقين الله
فيه ان تقديمه الى غيره وخص النساء بالذكر وعيبهن في هذا الأمر لفلة حظهن
وكثرة استرسالهن والله اعلم ثم توعد تعالى بقوله ان الله كان على كل شيء
شهيدا والله الموفق للصواب

ان الله وملائكته يصلون على النبي

هذه الآية شرف الله تعالى بها رسوله صلى الله عليه وسلم حياته ومدحه وذكر منزلته
منه وظهر بها سوء فعل من استخف في جهته فكره سوء أذى زوجاته ونحو
ذلك والصلاة من الله رحمته ورضوانه ومن الملائكة الدعاء والاستغفار ومن
الأمة الدعاء والتعظيم له ولأمره مسألة اختلف العلماء في الصيغة في قوله
يصلون فقالت فرقة الضمير فيه لله والملائكة وهذا أفضل من الله تعالى شرف به ملائكته
فلا يصحبه الاعتراض الذي جاء في قول الخطيب من يطع الله ورسوله فقد رشد
ومن يعصهما فقد غوى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس الخطيب أنت قل ومن
يعص الله ورسوله اخرجه الصحيح قالوا لأنه ليس لأحد ان يجمع ذكر الله مع غيره
في ضمير ولله ان يفعل في ذلك ما شاء وفاته فرقة في الكلام حذف تقديره
ان الله يصلي وملائكته يصلون وليس في الآية اجتماع في ضمير وذلك جائز للبيئة
فعله ولم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس الخطيب أنت لهذا المعين وانما
قاله لأن الخطيب وقف على ومن يعصهما وسكت سكتة واستدلوا بما رواه
ابو داود عن عدي بن حاتم ان خطيبا خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال
ومن يطع الله ورسوله ومن يعصهما فقال قم او اذهب بئس الخطيب أنت الا انه
يحتمل ان يكون للخطاه في وقفه وقال له بئس الخطيب أنت اصلح له بعد ذلك
جمع كلامه فقال ومن يعص الله ورسوله كما في صحيح مسلم وهو بعيد لفظا

الأول فانه لم يقف على ومن يعصهما وقرأ ابن عباس وملائكته بالرفع على موضع
اسم الله قبل دخول ان والجمهور بالنصب عطفا على المكتوب فوله تعالى

يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما

فيه خمس مسائل الأولى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا الآية أمر تعالى عباده
بإصلاة على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم دون انبيائه تشريفا لهم ولا خلاف في
ان الصلوة عليه وضن في العمر وفي كل حين من الواجبات وجوب السنن
المؤكدة التي لا يسع تركها ولا يغفلها الا من لا خير فيه ذكر الزمخشري فان قلت
الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة ام مندوب اليها قلت بل واجبة
وقد اختلفوا في حال وجوبها فمنهم من اوجبها كلما جرى ذكره ومن الحديث الذي ذكرت
عنده فلم يصل علي فدخل النار فابعده الله وبين انه قيل له يا رسول الله
ارأيت قول الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي فقال عليه السلام
هذا من العلم المكنون ولولا انكم سألتموني ما اخبرتكم به ان الله وكل بي ملكين
فلا اذكر عند مسلم فيصلي علي الا قال ذلك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته
لذينك الملكين امين ومنهم من قال يجب في كل مجلس مرة وان تكرر
ذكره كما قال في آية السجدة وتشهى الطحاوي وكذلك في دعاء في اوله واخره
ومنهم من اوجبها في العمر وكذا في الطهارة لشبهها دين والذي يقتضيه الاحتياط
الصلاة عند كل ذكر لما ورد من الاخبار في ذلك الثانية واختلفت
الآثار في صفة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فروى مالك عن ابي مسعود الانصاري
قال أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له
بشير بن سعد امرنا الله ان نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك فسكت
النبي صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا انه لم يسأله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد كما باركت على
آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم ورواه النسائي عن
طلحة بإسقاط قوله في العالمين وقوله والسلام كما قد علمتم وفي الباب عن كعب بن عجرة وابي حميد الساعدي وابي سعيد الخدري وعلي بن ابي طالب

وابي هريرة وبريدة الخزاعي وزيد بن حارثة وقال ابن حارثة اخرجها ابو الحديث
في كتبهم وصحح الترمذي حديث كعب بن عجرة خرجه مسلم في صحيحه من حديث
ابي حميد الساعدي قال ابو عمر وروي شعبة والثوري عن الحكم بن عبد الله
ابن ابي ليلى عن كعب بن عجرة قال لما نزل يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا
تسليما جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هذا السلام
عليك قد عرفناه فكيف الصلاة فقال قل اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ال
ابرهيم وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ال ابرهيم انك حميد مجيد وهذا
لفظ حديث الثوري لحديث شعبة وهو يدخل في التفسير السند لقول الله تعالى
ان الله وملائكته يصلون على النبي الاية فبين الصلاة عليه وعلمهم في التحيات
كيف السلام عليه وهو قوله عليك السلام ايها النبي ورحمة الله وبركاته
وروى المعمري عن عون بن عبد الله عن ابي فاختة عن الاسود عن عبد الله
انه قال اذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلاة عليه فانكم لا تدرون
لعل ذلك يعرض عليه قالوا فعلمنا قال قولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك
على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير
وقايد الخير ورسول الرحمة اللهم اعطه مقاما محمودا يغبطه به الاولون
والاخرون اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد
مجيد اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابرهيم وال ابرهيم انك حميد
مجيدون وروينا بالاسناد المتصل ذكره الشافعي عن علي بن
ابي طالب رضي الله عنه قال علمني بيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علمني
بيدي جبريل عليه السلام وقال هكذا انزلت من عند رب العزة اللهم صل على محمد
وعلى ال محمد كما صليت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد
وعلى ال محمد كما باركت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد اللهم
وترحم على محمد وعلى ال محمد كما ترحمت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد
قال ابو العربي من هذه الروايات صحيح وسقيم واصحها

ما رواه مالك فاعتمدوه وروايته غيرها لك مزيادة الترحم مع الصلاة وغيرها لا تفوت
واما على الناس ان ينظروا في اديانهم نظرهم في اموالهم ومن لا يحتدون في البيع ويبتاع
معيبا وهم لا يختارون السالم الطيب كذلك لا يجتزئ الروايات عن النبي صلى الله عليه
وسلم الا ما صح سنده ليلا يدخل في حيز الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فبينما هو يطلب الفضل اذا به قد اصاب النقص بل ربما اصاب الخسران المبين
الثالثة في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثبت عنه صلى الله عليه
وسلم انه قال من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا وقال سهل بن عبد الله الصلاة
على محمد افضل العبادات لان الله تعالى تولاها هو وملائكته ثم امرنا المومنين
وسايرا العبادات ليس كذلك قال ابو سليمان للداراني مرادا ان يسال الله حاجة
فليبدا بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسال الله حاجته ثم يختم بالصلاة على
النبي صلى الله عليه وسلم فان الله يقبل الصلاتين وهو اكرم ان يرد ما بينهما وروي
سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب انه قال الدعا محجوب دون السماء حتى يصلى على النبي
صلى الله عليه وسلم فاذا جاءت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم رفع الدعاء وقال
النبي صلى الله عليه وسلم من صلى في كتاب لم تزل الملايكة تصلي عليه ما دام اسمي
في ذلك الكتاب الرابعة واختلف العلماء في الصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم فالذي عليه الجم الغفير والجمهور الكبير ان ذلك من سنن الصلاة وسجاياها
قال ابن المنذر يستحب ان لا يصلي احد صلاة الا صلى فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فان ترك ذلك تارك فصلاته مجزية في مذهب مالك واهل المدينة وسفيان
الثوري واهل الكوفة من اصحاب الراي وغيرهم وهو قول جل اهل العلم وحكي
عن مالك وسفيان الثوري انهما في التشهد الاخير مستحبة وان تاركها في التشهد
مبتدئ وشذ الشافعي فاوجب على تاركها في الصلاة الاعادة واوجبها سحنون
الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان قاله ابو عمر وقال الشافعي اذا لم يصل
على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد الاخير بعد التشهد وقبل التسليم اعاد
الصلاة قال وان صلى عليه قبل ذلك لم يجزه هذا قول حكاه عنه حرملة بن يحيى
لا يكاد يوجد هذا عن الشافعي الا من حديث حرملة بن يحيى عنه

وهو من كبار اصحابه الذين كتبوا كتبه وقد نقله اصحاب الشافعي وعولوا اليه
وناظروا عليه وهو عندهم تخريج مذهبه وذكر الطحاوي انه لم يقل به احد من
اهل العلم غيره وقال الخطابي وهو من اصحاب الشافعي ليست بواجبة في الصلوة
وهو قول جماعة الفقهاء الا الشافعي ولا اعلم له فيها قدوة والدليل على انها ليست من
فروض الصلوة عمل السلف الصالح قبل الشافعي واجماعهم عليه وقد شنع عليه في هذه
المسالة جدا وهذا شهد ابن مسعود الذي اختاره الشافعي وهو الذي علمه النبي صلى الله
وسلم ليس فيه الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك كل من روى التشهد عنه
صلى الله عليه وسلم وقال ابو بكر كان ابن عمر يعلمنا التشهد كما تعلمون الصبيان
في الكتاب وعلمه ايضا على المنبر وليس في ذكر الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم
فلت وقد قال بوجوب الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن المواز من
اصحابنا فيما ذكر ابن القصار وعبد الوهاب واختاره ابن العربي لحديث الصحيح
ان الله يامرنا ان نصلي عليك فكيف نصلي عليك فعلم الصلوة ووقتها فتعينت كيفيه
ووقتا وذكر الدارقطني عن ابي جعفر محمد بن الحسين انه قال لو صليت صلاة
لم اصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على اهل بيته لرايت انها لا تتم وروي
مرفوعا عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم والصواب انه قول ابي جعفر
قال الدارقطني احكامه قوله تعالى وسلموا تسليما قال القاضي ابو بكر
ابن بكير زمان هذه الاية على النبي صلى الله عليه وسلم فامر الله اصحابه ان يسلموا عليه
وكذلك من بعدهم امروا ان يسلموا عند ذكره وعند حضورهم قبره وروي
المنذر عن عبد الله بن ابي طلحة عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه ذات
يوم والبشر في وجهه فقلت انا لنرى البشر في وجهك فقال انه اتاني الملك
فقال يا محمد ان ربك يقول ما يرضيك انه لا يصلي عليك احد واحدة الا صليت
عليه عشرا ولا يسلم عليك احد الا سلمت عليه عشرا وعن محمد بن عبد الرحمن ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم من احد يسلم علي اذا مت الا جاني سلامه
مع جبريل يقول يا محمد هذا فلان بن فلان يقرئك السلام فاقول وعليه السلام

ورحمة الله وبركاته وروى النسائي عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن امتي السلام والتسليم قال ذلك
سلام عليك [illegible]

ان الذين يؤذون الله ورسوله
لعنهم الله في الدنيا والاخرة

فيه خمس مسائل الاولى اختلف العلماء في اذاية الله تعالى هنا فقال الجمهور من العلماء معناه
الكفر ونسبه للصاحبة والولد والشريك اليه ووصفه بما لا يليق به كقولهم
اليهود لعنهم الله يد الله مغلولة والنصارى للمسيح ابن الله والمشركين للملائكة بنات الله
والاصنام شركاؤه وفي صحيح البخاري قال الله تعالى كذبني ابن ادم ولم يكن ذلك
وشتمني ولم يكن له ذلك الحديث وقد تقدم في سورة مريم وفي صحيح مسلم عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يؤذيني ابن ادم يقول يا خيبة
الدهر واني انا الدهر اقلب ليله ونهاره فاذا شئت قبضتهم هكذا جاء هذا الحديث
موقوفا على ابي هريرة في هذه الرواية ووقع مرفوعا عنه يؤذيني ابن ادم يسب
الدهر وانا الدهر اقلب الليل والنهار اخرجه مسلم ايضا وقال عكرمة معناه
بالتصوير والتعرض لفعل ما لا يفعله الا الله عز وجل تحت الصور وغيرها
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله المصورين قلت وهذا
يقوي قول مجاهد والشعبي بن نفخ فيها الصور ونحوها لان كل ذلك صفة اختراع
وتشبه بفعل الله الذي انفرد به سبحانه وتعالى وقد تقدم في هذا سورة النمل
والله الموفق للصواب وقالت فرقة ذلك على حذف مضاف تقديره يؤذون
اولياء الله واما اذاية رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن كل ما يؤذيه مما قال
او عيره بعين واحد ومن الافعال ايضا فعلهم ساحر شاعر كاهن مجنون
واما فعلهم فكسر رباعيته وشج وجهه يوم احد وبكاه الفا السلام على
طمه وهو ساجد الى غير ذلك وقال ابن عباس نزلت في الذين طعنوا عليه

حين اخذ صفيه بنت حيي واطن ايذا الله ورسوله وفيه ايذا المومنين والمومنات
فنه ومنه ان بنيه فاعلموا ان الطعن في تاميرا سامه بن زيد اذا بلغه
عليه السلام روي الصحيح عن ابن عمر قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعثا وامر عليهم اسامه بن زيد فطعن الناس في امرته فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان تطعنوا في امرته فقد كنتم تطعنون في امره ابيه
من قبل وايم الله ان كان لخليقا للامارة وان كان لمن احب الناس الي وان هذا
لمن احب الناس الي بعده ٥ وعند البعث الله اعلم هو الذي حمزه رسول الله
صلى الله عليه وسلم مع اسامه وامره عليهم وامره ان يغز والقريه التي عند موته
الموضع الذي قتل فيه زيدا بوه مع جعفر بن ابي طالب وعبد الله بن رواحه وامره
ان ياخذ بثار ابيه فطعن من في قلبه ريب في امارته من حيث انه مولى
ومن حيث كان صغير السن لانه كان اذ ذاك ابن ثمان عشره سنه فان النبي
صلى الله عليه وسلم وقد بين هذا البعث عن المدينه ولم ينفصل بعد عنها فنفذه
ابو بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الثالثه في هذا الحديث اوضح دليل
على اجازه لاسامه المولى والمفضول على غيرهما ما عدا الامامه الكبرى وقد
قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم سالما مولى ابي حذيفه على الصلاه بقبا فكان
يؤمهم وفيهم ابو بكر وعمر وغيرهم من كبرا قريش وروي الصحيح عن عامر بن والله
ابن الاسقع ان نافع بن الحرث لقي عمر بعسفان وكان عمر استعمله على مكه
فقال لمن استعملت على هذا الوادي فقال ابن ابزي قال ومن ابزي قال
مولى من موالينا فقال فهل استخلفت عليهم غير مولى فقال انه لقارئ لكتاب الله
وانه عالم بالفرايض قال اما ان نبيكم قال ان الله يرفع بهذا العلم
اقواما ويضع به اخرين الا ان اسامه رضي الله عنه كان اسامه الحب
الحب وبذلك كان يدعى وكان اسود شديد السواد وكان ابوه ابيض
من القطن هكذا ذكره ابو داود عن احمد بن صالح وقال غيره احمد كان زيد
ادم اللون وكان اسامه شديد الادمه وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يحب اسامه وهو صغير ويمسح محاجمه ويثني انفه ويقول لو كان اسامه

جاريه لزينا ه وحمرناه وحبيناه الى الارواح وقد ذكر ان سبب ارتداد
العرب بعد النبي صلى الله عليه وسلم انه لما كان عليه السلام في حجه الوداع بعرفه
عشيه عرفه عند الغروب احتبس النبي صلى الله عليه وسلم فلما نبه اسامه الى ان اتاه
فقالوا ما احتبس الا لاجل هذا تحقيرا له فكان هذا سبب ارتدادهم ذكره
البخاري في التاريخ بمعناه الكاسه كان عمر رضي الله عنه يفرض لاسامه
في العطاء خمسه الاف ولابنه عبد الله الفين فقال له عبد الله فضلت عليه اسامه
وقد شهدت ما لم يشهد فقال ان اسامه كان احب الى رسول الله منك واباه
كان احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابيك ففضل رضي الله عنه محبوب رسول الله
صلى الله عليه وسلم على محبوبه وهكذا يجب ان يحب ما احب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ويبغض من ابغض وقد قابل مروان هذا الحب ببغضه وذلك انه مد
باسامه بن زيد وهو يصلي عند باب بيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال له مروان
اما اردت ان يرى مكانك فقد رايناه مكانك فعل الله به وفعل فولا فتيحا
فقال له اسامه انك اذيتني وانك فاحش متفحش وقد سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يبغض الفاحش المتفحش فانظر ما بين
الفعلين وفي ما بين الرجلين فلقد اذي بغوا بيه النبي صلى الله عليه وسلم ونافضوه
في محبته فوله تعالى لعنوا معناه ابعدوا من كل خير واللعن في
اللغه الابعاد ومنه اللعان واعدلم عذابا مهينا تقدم في عبد
محض [illegible]

والذين يوذون المومنين والمومنات

اذاية المومنين والمومنات هي ايصالا لاقعال والاقوال القبيحه كالبهتان
والتكذيب الفاحش المختلق ومعنى الاية تتطير الاية التي في النساء
ومن يكسب خطيه او اثما ثم يرم به بريا فقد احتمل بهتانا واثما
مبينا كما قالها وقد يقبل ان مرا الاذاية تعبير بحسب مذموم
او حرفه دنيه او بيتي يثقل عليه اذا سمعه لان اذاه في الجمله حرام

وتنعيس الله تعالى بزناه واذى الرسول واذى المومنين فجعل الاول كفرا
والثاني كبيرة فقال في اذى المومنين فقد احتملوا بهتانا واثما
مبينا وقد بيناه وروي ان عمر بن الخطاب قال لابي بن كعب فما بال بارحه
هذه الايه فذعرت منها والذين يوذون المومنين والمومنات الايه واسباني
لاضربهم واذلهم فقال له ابي يا امير المومنين لست منهم انما انت معلم
ومقوم وقيل ان سبب نزول هذه الايه ان عمر راى جاريه من الانصار
فضربها وكره ما راى من زينتها فخرج موالبها فاذا عمر بالسيف فانزل الله
هذه الايه وقيل نزلت في علي فان المنافقين كانوا يودونه ويلذون
عليه رضي الله عنه فقله تعالى

يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المومنين
يدنين عليهن من جلابيبهن

ذكر ازواجه وبناته وبنات المومنين لجعل الاول كفرا والثاني كبيرة فقال في اذى المومنين فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا وقد بيناه وروي ان عمر بن الخطاب قال لابي بن كعب فما بال بارحه هذه الايه فذعرت منها والذين يوذون المومنين والمومنات الايه واسباني لاضربهم واذلهم فقال له ابي يا امير المومنين لست منهم انما انت معلم ومقوم وقيل ان سبب نزول هذه الايه ان عمر راى جاريه من الانصار فضربها وكره ما راى من زينتها فخرج موالبها فاذا عمر بالسيف فانزل الله هذه الايه وقيل نزلت في علي فان المنافقين كانوا يودونه ويلذون عليه رضي الله عنه فقله تعالى

يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المومنين
يدنين عليهن من جلابيبهن

يدنين مسايل الاولى قوله تعالى قل لازواجك وبناتك قدم ازواجه في الفضل ازواجه واحده واحده فالاولى زوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش عايشه وحفصه وام حبيبه وسوده وام سلمه وثلاث من سايا العرب ميمونه وزينب بنت جحش وجويريه وواحده من بني هرون صفيه واما بناته فكان النبي صلى الله عليه وسلم اولاد ذكور واناث فالذكور من اولاده القاسم وامه خديجه وبه كان يكنى النبي صلى الله عليه وسلم وهو اول من مات من اولاده وعاش سنتين وقال عروه ولدت خديجه للنبي صلى الله عليه وسلم القاسم والطاهر وعبد الله والطيب وقال ابو بكر البرقي يقال ان الطاهر هو الطيب وهو عبد الله وابرهيم امه مارية القبطيه ولد في ذي الحجه سنه ثمان من الهجره وقيل ابن سنه عشر شهرا وقيل ثمانيه عشر

ذكره الدارقطني وتوفي بالبقيع وقال صلى الله عليه وسلم ان له مرضعا يتم رضاعه في الجنه وجميع اولاد النبي صلى الله عليه وسلم فرخديجه سوى ابرهيم وكل اولاده ما توا في حياته غير فاطمه واما الاناث من فاطمه الزهراء فتزوجه ولدت له وقريش تبني البيت قبل النبوه بخمس سنين وهي رضوان الله عليها اصغر بناته وتزوجها علي رضي الله عنه في السنه الثانيه من الهجره في شهر رمضان وبنى بها في ذي الحجه وقيل تزوجها في رجب وتوفيت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بيسير وهي اول من لحقه من اهل بيته رضي الله عنهن ومنهن زينب وامها خديجه تزوجها ابن خالتها ابو العاص بن الربيع وكانت ام ابو العاص هاله بنت خويلد اخت خديجه واسم ابي العاص لقيط وقيل هاشم وقيل مهيشم وكانت زينب اكبر بناته صلى الله عليه وسلم وتوفيت سنه ثمان من الهجره ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبرها ومنهن رقيه وامها خديجه تزوجها عتبه بن ابي لهب قبل النبوه فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانزل عليه تبت يدا ابي لهب قال ابو لهب لابنه راسي من راسك حرام ان لم تطلق ابنته ففارقها ولم يكن نباها واسلمت حين اسلمت امها خديجه وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من واخواتها حين بايعه النسا وتزوجها عثمان بن عفان وكانت بنات قريش يقلين حين تزوجها عثمان احسن شخصين راي انسان رقيه وبعلها عثمان

وهاجرت معه الى ارض الحبشه مهاجرتين وكانت قد اسقطت من عثمان سقطا ثم ولدت بعد ذلك عبد الله وكان يكنى به في الاسلام وبلغ ست سنين ونقره الديك على وجهه فمات ولم نعلم له شيا بعد ذلك وهاجرت الى المدينه ورسول الله صلى الله عليه وسلم بجهز الى بدر فتخلف عثمان عليها فتوفيت ورسول الله صلى الله عليه وسلم بنبد فضرب علي براس سبعه عشر شهرا من الهجره وقدم زيد بن حارثه ببشيرا من بدر ودخل المدينه حين سوي التراب على رقيه ولم يشهد دفنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهن ام كلثوم امها خديجه تزوجها عتيبه بن ابي لهب اخو عتبه قبل النبوه وامره

ابوه ان يفارقها للسبب المذكور في ذيه ولم يكن دخل بها فلم تزل معه رسول الله
صلى الله عليه وسلم مع اخواتها واسلمت حين اسلمن امها وبايعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم مع اخواتها حين بايعه النسا وهاجرت الى المدينة حين هاجر
النبي صلى الله عليه وسلم فلما توفيت رقية تزوجها عثمان ولذلك سمي ذي
النورين وتوفيت في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعبان في سنة
سبع من الهجرة وحلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبرها ونزل في
حفرتها علي والفضل واسامة وذكر الزبير بن بكار ان اكبر ولد النبي صلى الله
عليه وسلم القاسم ثم زينب ثم عبد الله وكان يقال له الطيب والطاهر
وولد بعد النبوة وماتوا صغارا ثم فاطمة ثم رقية
فمات القاسم بمكة ثم مات عبد الله الثاني بها كما تقدم عاده الغربان
التقتل بكشف وجوههن كما يفعل الاما وكان ذلك داعيه الى نظر الرجال
اليهن وتشهي النكره فيهن امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان يامر من
بارحاء الجلابيب عليهن اذا اردن الخروج الى حوايجهن وكن يسبرن في
الصحرا قبل ان تحد الكف فيقع الفرق بينهن وبين الاما فتعرف الحرايب
بسترهن فيكف عن معارضتهن من كان عزبا او شابا وكانت المراة من
نسا المومنين قبل نزول هذه الاية تبرز للحاجه فيعرض لها بعض الفجار
يظن انها امه فتصيح به فيذهب فشكوا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم
ونزلت الاية بسبب ذلك فالمراد بمعناه الخمر وغيره الثالثة
قوله تعالى من جلابيبهن الجلابيب جمع جلباب وهو ثوب اكبر من الخمار
ودوي عن ابن عباس وابن مسعود انه الرداء وقد قيل انه القناع
والصحيح انه الثوب الذي يستر جميع البدن وفي صحيح مسلم عن ام
عطيه قلت يا رسول الله احدانا لا يكون لها جلباب قال لتلبسها
اختها جلبابها الرابعة اختلف الناس في صوره ارخاء
ابن عباس وعبيده السلماني ذلك ان تلويه المراه حتى لا يظهر منها الا عين

واحده تبصر بها وقال ابن عباس وقتاده ذلك ان تلويه فوق
الحاجبين وتشده ثم تعطفه على الانف وان ظهر نعيانا ما لكنه يستر الصدر
وسعظم الوجه وقال الحسن يغطي نصف وجهها الخامسة
امر الله سبحانه جميع النسا بالستر وان ذلك لا يكون الا بتغيير هيئاتهن
كانت سبب زوجها فلها ان تلبس ما شاءت لان له ان يستمتع بها كيف شاء
ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم استيقظ ليله فقال سبحان الله ماذا انزل
الليله من الفتن وماذا فتح من الخزاين من يوقظ صواحب الحجرات كاسيه
في الدنيا عاريه في الاخره وروي ان دحيه الكلبي لما رجع من عنده قبل عطاه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله فقال لاجعل صديقها لك قميصا واعط
صاحبتك صديقها تخمر به والصديق النصف ثم قال له مرها ان تجعل تحتها
شيئا لئلا تصف وذكر ابو عبيده دقه ثياب الشام فقال الكاسيات
العاريات الناعمات الشفيات ودخل نسوه من بني تميم على عايشه
رضي الله عنها عليهن ثياب رقاق فقالت ان كنتن مومنات
فليس هذا لباس المومنات وان كنتن غير مومنات فتمتعن
وادخلت امراه عروس على عايشه رضي الله عنها وعليها خمار رقيق فشقته
فلما راتها قالت لم تؤمن بسوره النور امراه تلبس هذا وثبت عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال لنسا كاسيات عاريات مايلات ممايلات رؤسهن كاسنمه
البخت لا يدخلن الجنه ولا يجدن ريحها وقال عمر رضي الله عنه
ما ينبغي للمراه المسلمه اذا كانت لها حاجه ان تخرج في اطمارها او الطمار
جارتها مستخفيه لا يعلم بها احد حتى ترجع الى بيتها السادسة
قوله تعالى ذلك ادنى ان يعرفن اي الحرايب حتى لا يخلطن بالاما فاذا عرفن
لم يقابلن باذى من المعارضه مراقبه لريبه الحريه فتقطع الاطماع عنهن
وليس المعين ان تعرف المراه حتى يعلم من هي وكان عمر رضي الله عنه اذا راى امه
قد تقنعت صربها بالدره محافظه على زي الحرايب وقد قيل انه يجب الستر
والتقنع الان في حق الحرايب والاما وهذا كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

مسجد النبي المساجد بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قوله
لا تمنعوا اماء الله مساجد الله حتى قالت عايشه رضي الله عنها لو فاش
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما احدث النساء لمنعهن المساجد كما
منعت نساء بني اسرايل ۞ وكان الله غفورا رحيما تأنيس للنساء في ترك
الخلاف قيل هذا الامر المشروع قوله تعالى

لئن لم ينته المنافقون والذين في
قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم
ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ان ملعونين

فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى ان لم ينته المنافقون الاية اهل
التفسير على ان الاوصاف الثلاثة شئ واحد كما روى سفيان بن سعيد عن منصور
عن ابي رزين قال المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة
هم شئ واحد بعين انهم يذمجموا من الاتيا والواو مخمه كما قال
الي الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبه في المزدحم
اراد الي الملك القرم ابن الهمام ليث الكتيبه وقد مضى في البقره وقيل
كان منهم قوم رجفون وقوم يتجفون المنا للريبه وقوم يشكلون المليين
قال عكرمه وشئ يخوفهم الذين في قلوبهم مرض يعني الذين
في قلوبهم الزنا وقال طا وس نزلت هذه الاية في امر النسا وقال
سلمه بن كهيل نزلت في اصحاب الفواحش والمعنى متقارب وقيل
المنافقون والذين في قلوبهم مرض شئ واحد عبر عنهم بلفظين دليله
ايه المنافقين في اول البقره والمرجفون في المدينه قوم كانوا يخبرون
المومنين بما يسوءهم من عدوهم فيقولون اذا خرجت سرايا يا رسول الله
صلى الله عليه وسلم انهم قد قتلوا او هزموا وان العدو قد اتاكم
قاله قتاده وغيره وقيل كانوا يقولون اصحاب الصفه فقرا

اعراب قيهم الذين ينغضون للنسا وقيل هم قوم من المسلمين
يتطقون بالاخبار الكاذبه حبا للفتنه وقد كان في اصحاب الافك قوم
مسلمون ولكنهم خاضوا حبا للفتنه وقال ابن عباس الارجاف
التماس الفتنه والارجاف اشاعه الكذب والباطل للاغتمام به ويقال
تحريك القلوب بقال رجفت الارض بهم تحركت وزلزلت ترجف رجفا
والرجفان الاضطراب الشديد والارجاف الخوض فيما يضطرب به قال الشاعر

المطعمون اللحم كل عشيه حتى تغيب الشمس في الارجاف

والارجاف واحدا لاخبث الاخبار وقد ارجفوا في الشئ خاضوا فيه
وقال الشاعر

فانا وان عيرتمونا بقتله وارجف بالاسلام باغ وحاسد

وقال اخر

ابالارجيف يا ابن اللوم توعدني وفي الارجيف حلت اللوم والحور

والارجاف حرام لان فيه اذايه فلذلك الايه على تحريم الايذا بالارجاف
الثانيه قوله تعالى لنغرينك بهم اي لنسلطنك عليهم فتناصلهم بالقتل
وقال ابن عباس لين لم ينتهوا عن اذا النسا وان اسعر رجل قد اعناهم
ثم انه قال عز وجل لا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره وانه
امره بلعنهم وهذا هو الاعنا وقال محمد بن يزيد فذا عناه بهم في الايه التي قبل
هذه مع اتصال الكلام بها وهو قوله عز وجل اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا
تقتيلا فذا فيه معنى الامر بقتلهم واخذهم اي هذا حكمهم اذا كانوا مقيمين
على النفاق والارجاف وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم حمن يقتل في
الكر والكرم فقد اتيه معنى الامر كالايه سوا وهذا احسن ما قيل في الايه
وقيل انهم قد انتهوا عن الارجاف فلم يغرهم فلام يغرينك لام القسم
واليمين واقعه عليها وادخلت اللام ان توطيه لها الثالثه قوله تعالى
ثم لا يجاورونك فيها اي في المدينه الا قليلا نصب على الحال من الضمير في

يجاورونك فكان الامر كما قال جل وعز لانهم لم يكونوا الا قليلا منهم احد جواري الذنا
وهو الوكي عنده اي لا يجاورونك فيها الا جوارا يسيرا حتى يهلكوا فيكون
نعت المصدر او ظرف محذوف ودل على ان مرکان ساكنا معك بالمدينه
لتوجار وقد مضى في النساء الرابعه قوله تعالى ملعونين هنا تام الكلام
عند محمد بن يزيد وهو منصوب على الحال وقال ابن الانباري قليلا ملعونين
وقف حسن ه النحاس ويجوز ان يكون التمام الاقليلا وينصب ملعونين على
الشتم كما قرا عيسى بن عمر وامرأته حمالة الحطب وقد حكي عن بعض النحويين
انه قال يكون المعنى اينما ثقفوا اخذوا ملعونين وهذا خطا لا يعمل مع
المجازاة فيما قبله وقيل معنى الآية ان اصروا على النفاق لم يكن لهم
مقام بالمدينة الا وهم مطرودين ملعونين وقد فعل بهم هذا فانه لما نزلت
سورة براءة جمعوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا فلان قم فاخرج فانك
منافق يا فلان قم فقام اخوانهم من المسلمين وتولوا اخراجهم من المسجد
الحاسه قوله تعالى سنة الله نصب على المصدر اي سن الله جل وعز
فيمن ارجف بالانبياء والمؤمنين فقاتله ان يوخذ ويقتل ولن تجد لسنة الله تبديلا
اي تحويلا وتغييرا حكاه الفراء قال السدي يعني ان من قتل يقتل فلان
على قاتله المهدوي وفي الآية دليل على جواز قتل المنافق اذا وعيد والدليل
على ذلك بقاء المنافقين محرمات والمعروف من اهل الفضل انام عنهم
وتاخير وعيدهم وقد مضى هذا في آل عمران وغيرها

يسئلك الناس عن الساعة قوله تعالى

هو امر الله المؤمنون رسول الله صلى الله عليه وسلم لما توعدوا بالعذاب سالوا عن الساعة
استبعادا وتكذيبا وسموين بها لانها تقطع قل انما علمها عند الله اي اخبيه عن
سوالهم وقل علمها عند الله وليس في اخفاء الله وقتها عنهم ما يبطل نبوتي وليس
من شرط النبي ان يعلم الغيب بغير تعليم من الله عز وجل وما يدريك اي ما يعلمك
لعل الساعة تكون قريبا اي في زمان قريب وقال

صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين واشار باصبعيه السبابة والوسطى
خرجه اهل الصحيح وقيل اي لعل بعثك الساعة تكون قريبا فحذف ما
اضيف ذها بالساعة الى اليوم كقوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين
ولم يقل قريبة ذها بالرحمة الى العفو او لتاويلها اصليا وقد مضى هذا
مستوفى وقيل انما اخفى وقت الساعة ليكون العبد مستعدا لها في كل وقت فتقوله تعالى
ان الله لعن الكافرين اي طردهم وابعدهم واللعن الطرد والابعاد من الرحمة
وقد مضى في البقرة بيانه واعد لهم سعيرا خالدين فيها ابدا لا تنفك السعير عنهم
النار ولا يجدون وليا ولا نصيرا يحميهم من عذاب الله والخلود فيه

يوم تقلب وجوههم في النار

قراه العامة بضم التاء وفتح اللام على الفعل المجهول وقرا عيسى الهمذاني وابن
اسحق تقلب بنون وكسر اللام وجوههم نصبا وقرا ابو عيسى ايضا
تقلب بضم التاء وكسرها على معنى يقلب السعير وجوههم وقرا الوحيد ه
باختلاف عنه وابو جعفر وشيبة تقلب بفتح التاء واللام على معنى يتقلب
وهذا التقليب تقليب الوانهم بلفح النار فتسود وجوههم وتخضر احزي فاذا
بدلت جلودهم جلودا احزي فجميعهم تمنوا انهم ماكنوا يالبتنا اي يقولون
يالبتنا ويجوز ان يكون المعنى يقولون يوم تقلب وجوههم في النار يالبتنا
اطعنا الله واطعنا الرسول اي لم نكفر فننجو من العذاب كما نجا المؤمنون
وهمزة الالف تقتح في الوصل فلا يوقف عليها ولا يبتدا بها وكذا السبيلا
وقد مضى اول السورة وقرا الحسن انا اطعنا ساداتنا بكسر التاء جمع سادة
وكان في هذا رجع عن التقليد والسادة جمع السيد وموقعه مثل كتبه
وفخذه وسادات جمع الجمع والسادة والكبراء معين وقال مقاتل هم
الطعون في عزوه بدد والاطعن العوم في القناة والروسا في الشرك

والضلال اي العذاب من عصيتك وما دعونا اليه فاضلونا السبيل اي عن السبيل وهو التوحيد فلما حذف الجار وصل الفعل فنصب والاضلال لا يسند الى المفعولين من غير توسط حرف الجر كقوله تعالى لفتا صلين عن الذكر قوله تعالى

ربنا انهم ضعفين من العذاب

قال قتادة عذاب النار وعذاب الاخرة وقيل عذابا بكفرهم وعذابا بالاضلال اي بعقدهم مثل ما عقدنا فانهم ضلوا واضلوا والعنهم لعنا كثيرا وقرأ ابن مسعود واصحابه وبخ وهاهم بابا بالف فون باتا واختاره ابو حاتم وابو عبيد والحاسن لقوله تعالى اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون وهذا لعن كثير وقال محمد بن السري رايت في الشام كاتبا في مسجد عسقلان وكان يباشري فيمن بعض اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقال والعنهم لعنا كثيرا ثم كرر ما حتى عاتب عني لا يقولها الا مالا وقرأ الباقون بالثاء المثلثة من الثبور وهو الهلاك والعنهم لعنا كثيرا ثم كرر ما حتى عاتب عني لا يقولها الا مالا وقرأ الباقون بالثاء المثلثة من الثبور وهو الهلاك

يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى

لما ذكر نعالى المنافقين والكفار الذين اذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حذر المؤمنين الغرض الايذاء ونهاهم عن التشبه ببني اسرائيل في اذائهم نبيهم موسى والحلف ان رسول الله اوذي محمد صلى الله عليه وسلم وموسى محل النقاش انا اذاينهم محمدا قوله زيد بن محمد وقال ابو وائل اذاينه عليه السلام قسم قسما فقال رجل من الانصار ان هذه القسمة ما اريد بها وجه الله فذكر ذلك لنبي صلى الله عليه وسلم فغضب وقال رحم الله موسى لقد اوذي اكثر من هذا فصبر واما اذاية موسى صلى الله عليه وسلم فقال ابن عباس وجماعة مما ضمنه حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وذلك انه قال كان بنو اسرائيل يغتسلون عراة

وكان موسى عليه السلام يستر كثيرا لا يرى من بدنه شيء فقال قوم هو ادرا وابرص او به اله فاطلق ذات يوم يغتسل وثيابه على صخرة ففر الحجر بثيابه وابصره موسى يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى الى ملا من بني اسرائيل فنظروا اليه وهو احسن ما خلق الله وابرأه مما قالوا فبرأه الله مما قالوا اخرجه البخاري ومسلم بمعناه ولفظ مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت بنو اسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى بعض وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى ان يغتسل معنا الا انه ادر قال فذهب يوما يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه قال فجمح موسى عليه السلام بأثره يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى نظرت بنو اسرائيل الى موسى وقالوا والله ما بموسى من باس فقام الحجر حتى نظر اليه قال فاخذ ثوبه وطفق بالحجر ضربا فقال ابو هريرة والله انه بالحجر ندب ستة او سبعة ضربا بالحجر فذلك قول الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها وهارون حمل معه فمات فانطلقوا الى قبره فرأوا سريره موضوعا بين السماء والارض فدلهم ملك الموت عليه فقال موسى ما كذبت ولا كذبت وكان هارون يحب بني اسرائيل ويحزن لهم فامر الله ملائكته فحملته حتى طافوا به في بني اسرائيل وبرأوا ايه عظيمة لنبيهم على صدق موسى ولم يكن فيه اثر وقد قيل ان الملائكة تكلمت بموته ولم يعرف موضع قبره الا الرخم وان الله تعالى جعله اصم ابكم ومات هارون قبل موسى وفي التوراة ومات موسى قبل انقضاء مدته التي بينه وبين يوشع بن نون وحكى القشيري عن علي بن ابي طالب ان الله تعالى احيا هارون فاخبرهم انه لم يقتله بل مات وقد قيل ان اذاية موسى رميهم اياه بالبرص والادرة والاول اصح ويحتمل ان فعلوا ذلك فبرأه الله من جميع ذلك في وضع موسى عليه السلام ثوبه على الحجر ودخوله في الماء عريانا دليل على جواز ذلك وهو مذهب الجمهور ومنعه ابن ابي ليلى واحتج بحديث ابي هريرة وهو قوله عليه السلام لا تدخلوا الماء الا بمئزر فان له آفة وهو ضعيف عند اهل العلم اما انه سبحانه استتر لما رواه اسرائيل عن عبد الاعلى ان الحسن بن علي دخل غديرا وعليه برداه مستحيا به فلما خرج قال انا استترت ممن يراني ولا اراه من ربي والملائكة فان قيل كيف نادى موسى عليه السلام الحجر انا من ثقل

قيل لانه صدر عز الحجر فعل من يعقل وحجر نادي مفرد محذوف حرف النداء كما قال الله
ليوسف عليه السلام اعرض عن هذا وتوبي منصوب بفعل مضمر التقدير اعطى توبي
او ازل توبي فحذف الفعل لدلالة الحال عليه قوله تعالى

وكان عند الله وجيها

اي عظيما والوجيه عند العرب العظيم القدر الرفيع المنزلة وسيذكر انه كان فاسأل الله
شيا اعطاه اياه وقرا ابن مسعود وكان عند الله وقيل معين وجيها اي كلمه
تكليما قال ابو بكر الانباري في كتاب الرد زعم من طعن في القرآن انا المسلمين
صحفوا وكان عند الله وجيها وان الصواب عنده وكان عبد الله وجيها وذلك يدل
على ضعف منصبه ونقصان فضله وقلة علمه وذلك ان الهاء لو حملت على قوله وقربت
وكان عبد الله نقص الثناء على موسى عليه السلام وذلك ان وجيها يكون عند اهل
الدنيا وعند اهل زمانه وعند اهل الاخرة قد لا يوقف على مكان المدح
لانه كان وجيها عند بني الدنيا كان ذلك ذما من الله قد اوضح الله تعالى
موضع المدح بقوله وكان عند الله وجيها استحق اشرف الشرف واعظم الرفعة
بان الوجاهة عند الله من غير اللفظة صرف عن بني الله افخر الثناء واعظم
المدح والله الموفق للصواب قوله تعالى

يا ايها الذين امنوا اتقوا الله

وقولوا قولا سديدا

اي قصدا وحقا وقال ابن عباس اي صوابا وقال مقاتل وقتادة
قولوا قولا سديدا في شان زيد وزينب ولا تتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم
الى ما لا يحل وقال عكرمة وابن عباس ايضا القول السداد لا اله الا الله
وقيل هو الذي يوافق ظاهره باطنه وقيل هو ما اريد به وجه الله دون غيره
وقيل هو الاصلاح بين المتباينين وهو ماخوذ من سديد السهم ليصاب
به الغرض والقول السديد يعم انواعا من جميع ما ذكر وفيه

ذلك وظاهر الآية يعطي انه اذا اتى بما يكون خلافا للاذى الذي قيل في وجهه
الرسول وجهه المومنين ثم وعد جل وعز بانه يجازي على القول السداد باصلاح
الاعمال وغفران الذنوب وحسبك بذلك درجة ورفعة ومنزلة ومن يطع الله ورسوله
اي فيما امر به ونهى عنه فقد فاز فوزا عظيما فقوله عز وجل

انا عرضنا الامانة على السموات

والارض والجبال

لما بين تعالى في هذه السورة من الاحكام ما بين امر بالتزام اوامره والامانة تعم
جميع وظايف الدين على الصحيح من الاقوال وهو قول الجمهور روى الترمذي الحكيم
ابو عبد الله قال حدثنا اسماعيل بن نصر عن صالح بن عبد الله عن محمد بن زيد بن جدعان
عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله لادم يا ادم
اني عرضت الامانة على السموات والارض والجبال فلم تطقها فهل انت حاملها بما
فيها قال وما فيها يا رب قال وما فيها يا رب قال ان حملتها اجرت وان ضيعتها عذبت
فاحملها بما فيها فلم يلبث في الجنة الا قدر ما بين العصر الى الليل حتى اخرجه الشيطان
منها فالامانة هي الفرايض التي ائتمن الله عليها العباد وقد اختلف في تفاصيل بعضها
على اقوال فقال ابن مسعود هي في الامانات الاموال كالودايع وغيرها وورد في ذلك
في كل الفرايض واشدها امانة المال وقال ابي بن كعب من الامانة ان ائتمنت المراة
على فرجها وقال ابو الدرداء غسل الجنابة امانة وقال الله تعالى لم يامن ابن ادم على شيء من دينه
غيرها وفي حديث مرفوع الامانة الصلاة ان شئت قلت فصليت وان شئت قلت لم اصل
وكذلك الصيام وغسل الجنابة وقال عبد الله بن عمرو بن العاص اول ما خلق الله من الانسان
فرجه وقال هذه امانة استودعتكها فلا تلبسها الا بحق فان حفظتها حفظتك والفرج امانة
والاذن امانة والعين امانة واللسان امانة والبطن امانة واليد امانة والرجل امانة وكل
ايمان لمن لا امانة له وقال السدي هي ايمان ادم ابنه قابيل على ولده واهله وجيرانه
اياه في قتل اخيه وذلك ان الله تعالى قال له يا ادم هل تعلم ان لي بيتا في الارض قال اللهم لا

فاربان لي بيا بكه فقال لسما احفظي ولدي بالامانه فابت فقال للجبال فابت فقال
لقابيل احفظ ولدي بالامانه فقال نعم نذهب ونرجع فنجد ولدك كما يسرك فرجع فوجده
قد قتل اخاه فذلك قوله تعالى انا عرضنا الامانه على السموات والارض والجبال
الايه قال الامانه التي عرضها الله جل وعز على السموات والارض والجبال ان ادوها
اثابهم وان ضيعوها عذبهم فكرهوا ذلك واشفقوا من غير معصيه ولكن تعظيما لدين الله
عز وجل الا يقوموا به ثم عرضها على ادم فقبلها بما فيها قال الكاشي وهذا القول الذي
عليه اهل التفسير وقيل لما حضرت ادم عليه السلام الوفاه امر ان يعرض الامانه على
الخلق فعرضها فلم يقبلها الا بنوه وقيل هذه الامانه هي ما اودعه الله في السموات
والارض والجبال والخلق من الدلايل على ربوبيته ان يظهروها فاظهروها الا الانسان فانه
كتمها وجحدها قال بعضهم التكليف ومعنى عرضنا الخ مرنا اذ تقول عرضت الجاريه على البيع والعين
انا عرضنا الامانه وصفها على اهل السموات والارض من الملايكه والانس والجن فابين ان
يحملنها ايران يحملن وندمانا قال جل وعز ويحملن انفسهم وانفنا لا طلع انفسهم وحملها الانسان
قال الحسن المراد الكافر والمنافق انه كان ظلوما لنفسه جهولا بربه فيكون على هذا الخواص كقوله
مثل واسال القريه وبين جواب اجزعليان تكون حقيقته انه عرض على السموات والارض
والجبال والامانه ونصفها وهو الثواب والعقاب ايا طهم لمرذلك فلم يحملن وزرها
واشفقن وقالنا ابتغي ثوابا ولا عقابا وكل يقول هذا امرلا نطيقه وتخرلك ساجدون طايعون
فيما امرتنه وسخرن له قاله الحسن وغيره وخلقه الانسان وهو ظلوم جهول لو عقل وهذا
كقوله لو انزلنا هذا القرآن على جبل ثم قال وتلك الامثال نضربها للناس قال القفال فاذا تقدر
ان الله تعالى يجوز الامثال ورد علينا مرا لجزما لا يخرج الا على جهة المثل وجعله عليه وقال نحوم ان الله
مرالجماد ايا ناذا قابنا نقل الامانه بقوله السموات والارض والجبال ايانها انا لا نطيقها وانها لو
كلمت وشفقت فغير بهذا البعض انا عرضنا الامانه على ابيه وهذا كما نقول عرضت الحمل على البعير فاباه وانت تريد
فابيه فوقه بثقل الحمل فرايتنا انها تقصر عنه وقيل عرضها بعرضها عرضنا الامانه بالسموات والارض والجبال
انا كان من ادم عليه السلام وذلك ان الله تعالى لما استخلفه على ذريته وسلطه على جميع ما في يتولى عامله

فامره ان يعرض ذلك على السموات بالشرط الذي اخذ عليه من الثواب ان اطاع ومن
العقاب ان عصى فابين ان يقبلنه منه شفقا من عذاب الله ثم امره ان يعرض ذلك
على الارض والجبال كلها فابياه ثم امره ان يعرض على ولده فعرضه عليه فقبله بالشرط
ولم يهب ما لهيبت السموات والارض والجبال انه كان ظلوما لنفسه جهولا لعاقبه
ما تقلد لربه قال الترمذي الحكيم ابو عبد الله محمد بن علي عجبت لهذا القايل
من اين اتى بهذه القصه فان نظرنا الى الاثار وجدناها على خلاف ما قال وان نظرنا
الى ظاهره وجدناه بخلاف ما قال وان نظرنا الى باطنه وجدناه بعيدا ايضا فقال
وذلك انه ردد ذكر الامانه ولم يذكر ما الامانه الا انه يوهن ذلك انه
سلط على جميع ما في الارض وعهد الله اليه عهد ابنيه امره ونهيه وحله وحرامه
وزعم انه يعرض ذلك على السموات والارض والجبال فان نضع السموات والارض
والجبال بالحلال وبالحرام وبالتسليط على الانعام والطير والوحش وليس اذا عرضه
على ولده فعلقه فاعا قد ذريته من بعده وفي اخر في التنزيل انه عرض
الامانه على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان
اي من قبل نفسه لانه حمل ذلك وسماه ظلوما اي لنفسه جهولا بما فيها واما
الاثار التي هي بخلاف ما ذكر فحدثني ابي رحمه الله قال حدثنا الفيض بن الفضل
الكوفي قال حدثنا السري بن اسماعيل عن عامر الشعبي عن مسروق عن عبد الله بن
مسعود قال لما خلق الله الامانه مثلها صخره ثم وصفها حيث شاء ثم دعا السموات
والارض والجبال ليحملنها وقال لهن ان هذه الامانه ولها ثواب وعليها عقاب
قلن لا يا رب لا طاقه لنا بها ما قبل الانسان من قبل ان يدعى فقال للسموات
والارض والجبال ما رايكن فوقكم قلن وادعانا ربنا ان نحمل هذه فاشفقنا منها ولم
نطقها قال فحركها بيده وقال والله لو شئتان احملها كلكن لحملتها حين بلغ
بها الى ركبتيه ثم وضعها وقال والله لو شئتان ازداد لازددت قال دونك
محملها حين بلغ بها حقويه ثم وضعها وقال والله لو شئت ان ازداد لازددت
قال دونك محملها حتى وضعها على عاتقه فلما هوى ليضعها قلن لا وما كان لك
ان هذه الامانه لها ثواب وعليها عقاب وامرنا ربنا ان نحملها فاشفقنا منها

وحملها انت مع غيرك ان تدعي لها حتى في عنفوانه واعنا فذر بنك الي يوم القيمه
انك كنت ظلوما جهولا وذكر اخبارا عن الصحابه والتابعين تقدم ذكرها وحملها
الانسان اي التزم القيام بحقها وهو في ذلك ظلوم لنفسه وقال قتاده مجهولا لقدر
ما دخل فيه وهذا تاويل ابن عباس وابن جبير وقال الحسن جهول بربه قال
ومعنى حملها خان فيها وقاله الزجاج والايه في الكافر والمنافق والعاصي
علي قدرهم علي هذا التاويل وقال ابن عباس واصحابه والضحاك وغيره
الانسان ادم تحمل الامانه فانه له يوم حتى غصل لمعصيه التي اخرجته من الجنه وعن
ابن عباس ان الله تعالي قال له اتحمل هذه الامانه بما فيها قال وما فيها قال ان اتحت
جزيت وان اساءت عوقبت قال نا احملها بما فيها بين اذني وعاتقي فقال الله تعالي
له اني ساعينك فجعلت لبصرك حجابا فاغلقه عما لا يحل لك ولفرجك لباسا
فلا تكشفه الا علي ما احللت لك وقال قوم الانسان النوع كله مناحسن مع
عموم الابه كما ذكرناه اولا وقال السدي الانسان قابيل والله اعلم ليعذب الله
المنافقين والمنافقات اللام في ليعذب متعلقه بحمل اي حملها ليثبت المطيع
ويعذب العاصي فهو لام التعليل لان العذاب نتيجه حمل الامانه وقيل يعرضنا
اي يعرضنا الامانه علي الجميع ثم قبلها الانسان ليظهر شرك المشرك ونفاق
المنافق بعذبهما الله وايمان المؤمن ليثيبه الله ويتوب الله قرأه الحسن بالرفع
بقطعه من الاول اي يتوب الله عليهم بكل حال وكان الله غفورا رحيما خبر بعد
خبر لكان ويجوز ان يكون نعتا لغفور ويجوز ان يكون حالا من المضمر

تمت السوره ولله المنه والحمد

سوره سبا مكيه

في قول الجميع الا ايه واحده واختلف فيها وهي قوله تعالي ويري الذين
اوتوا العلم الايه ○ وقالت فرقه هي مكيه والمراد المؤمنون اصحاب النبي صلي الله عليه وسلم
قاله ابن عباس وقالت فرقه هي مدنيه والمراد المؤمنين من اسلم بالمدينه كعبد الله
سلام وغيره قاله مقاتل هم امه محمد صلي الله عليه وسلم المؤمنون به كان من كان في اي وقت

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض

الذي في موضع خفض علي النعت له او البدل ويجوز ان يكون في موضع رفع علي ابتداء
مبتدا وان يكون في موضع نصب بمعني اعني وجائز ان يجيء به الحمد اهل الحمد بالرفع والنصب
والخفض والحمد الكامل والثناء الشامل كله لله اذ النعم كلها منه وقد مضي الكلام فيه
في اول الفاتحه فله الحمد في الاخره قيل هو قوله تعالي وقالوا الحمد لله الذي صدقنا
وعده وقيل هو قوله واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين فهو الحمد في الاخره
كما انه المحمود في الدنيا وهو المالك للاخره كما هو مالك الدنيا وهو الحكيم في فعله
الخبير بما خلقه قوله تعالي يعلم ما يلج في الارض اي يدخل فيها من قطر وغيره
كما قال فسلكه ينابيع في الارض ومن الكنوز والدفائن والاموات
وما هي له نبات وما يخرج منها من نبات وغيره وما ينزل من السماء من الامطار
والثلوج والبرد والصواعق والارزاق والمقادير والبركات وقد مضي
اخبار بطالب وما نزل بالمون والتشديد وما يعرج فيها من الملائكه واعمال
العباد قاله الحسن وغيره وهو الرحيم العفور لمؤمني عباده

وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعه

قيل اراد اهل مكه قال مقاتل قال ابو سفيان لكفار مكه واللات والعزي
لا تاتينا الساعه ابدا ولا بعثت فقال الله قل يا محمد بلي وربي لتاتينكم وروي
هرون عن ابي عمرو عالم الغيب بالخفض نعتا لربي ويقرا عالم الغيب بالرفع
حكوه علي المعني كانه قال لياتينكم البعث او امره كما قال هل ينظرون الا ان
تاتيهم الملائكه او ياتي امر ربك فهو لا الكفار معذورون بالابتداء منكرون
الاعاده وهو نقض لما اعترفوا بالقدره علي البعث وقالوا فان قد كان يفعل
هذا نحكم بعد ان اخبر علي السنه الرسل ببعث الخلق واذا ورد الخبر بشيء

وهو ممكن في العقل مقدور فتكذيب من وجب صدقه محال عالم الغيب
بالخفض ابن الحدسه عالم فعلى هذه القراءه لا يحسن الوقف على قوله لتاتينكم وقرا حمزه
والكسايي علام الغيب على المبالغه والغث لا يعزب عنه اي لا يبعد عنه ويعزب
ايضا قال الفرا الكسر اجود قال النحاس وهي قراءه يحيى بن وثاب وهي لغه
معروفه يقال عزب يعزب ويعزب اذا بعد وغاب مثقال ذره ايعدل زنه صغير
في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر وقرا الاعمش ولا اصغد
من ذلك ولا اكبر بالفتح فيهما عطفا على ذره وقراه العامه بالرفع عطفا على مثقال
الا في كتاب مبين فهو العالم بما خلق ولا يخفى عليه شي ليجزي متعلق بالاتيان والتقدير
لتاتينكم ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالثواب والكافرين بالعقاب
اولئك يعني المومنين لهم مغفره لذنوبهم ورزق كريم وهو الجنه قوله تعالى

والذين يسعون في اياتنا

اي في ابطال ادلتنا والتكذيب باياتنا معاجزين مسابقين يحسبون
انهم يفوتونا وان الله لا يقدر على بعثهم في الاخره وظنوا انهم لهم لا لهم
عذاب من رجز اليم يقال لعاجزه واعجزه اذا غالبه وسبقه واليم قراه نافع
بالكسر لغتا للرجز فان الرجز هو العذاب قال الله تعالى فانزلنا على الذين ظلموا
رجزا من السما وقرا ابن كثير وحفص رجز من عذاب اليم برفع الميم هنا وفي
الجاثيه لغتا للعذاب وقرا ابن كثير وابن محيصن وحميد بن قيس ومجاهد
وابو عمرو معجزين مثبطين اي يثبطوا الناس عن الايمان بالمعجزات واي
القرآن

ويرى الذين اوتوا العلم

الذي انزل اليك من ربك هو الحق

لما ذكر الذين سعوا في ابطال النبوه بين ان الذين اوتوا العلم يرون ان القرآن حق
قال مقاتل الذين اوتوا العلم هم مومنوا اهل الكتاب وقال ابن
عباس هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل جميع المسلمين وملاصح لغويه
والرويه لمعنى العلم وهي في موضع نصب عطفا على ليجزي اي ليجزي
وليرى قال الزجاج والفرا وفيه نظر لان قوله ليجزي متعلق بقوله
لتاتينكم الساعه ولا يقال لتاتينكم الساعه ليرى الذين اوتوا العلم ان القرآن
حق فانهم يرون القرآن حقا وان لم تاتهم الساعه والصحيح انه رفع على
الاستيناف ذكره الفشيري قلت واذا كان ليجزي متعلقا بمعنى
ابتدا ذلك في كتاب مبين فحسن عطف ويرى اي واثبت ايضا رويه الذين اوتوا
العلم ان القرآن حق فانهم يرون القرآن حقا ويجوز ان يكون مستانفا للذي في
موضع نصب على انه مفعول اول ليرى هو الحق مفعول ثان وهو فاصله
والكوفيون يقولون عماد ويجوز الرفع على ان يكون مبتدا والحق خبره والجمله في موضع
نصب على المفعول الثاني والنصب اكثر فيما كانت فيه الالف واللام عند جميع النحويين
وكذا ما كان نكره لدخله الالف واللام فيشبه المعرفه فان كان الخبر اسما معروفا نحو قولك
كان اخوك هو زيد وزعم الفرا ان الاختيار الرفع وكذا كان محمد هو عمرو وعليه فراختياره
الرفع انه لما لم يكن فيه الالف واللام اشبه النكره في قولك كان زيد صوحا لس لان هذا
لا يجوز فيه الا الرفع ويهدي الى صراط العزيز الحميد اي يهدي القرآن الى الطريق الاسلام
الذي هو دين الله ودل بقوله الكريم على انه لا يغالب وبقوله الحميد على انه لا يليق به
العجز قوله تعالى

وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل

وان شئت ادغمت اللام في التاء لقربها منها ينبيكم لذا مزقتم كل ممزق
هذا اخبار عنهم قال لانا تيتنا الساعه اي هل نرشدكم الى رجل ينبيكم اي يقول
لكم انكم مبعوثون بعد البلى في القبور وهذا صادر على وجه انكارهم
قال الزمخشري فان قلت كانوا يقصدون بذلك الطير والعزه والسخريه
فما وجه مخرج التخلي ببعض الاجانب الذي تخارج بها الصعد والتلهي

منجا هليين به وبامره واذا في موضع نصب والعامل فيها مرقتم قاله النحاس ولا يجوز ان يكون العامل فيما بينكم لانه ليس يخبرهم ذلك الوقت ولا يجوز ان يكون العامل فيها ما بعد ان لانه لا يحمل فيما قبله وان لا يتقدم عليها ما بعدها ولا معمولها واجاز الزجاج ان يكون العامل فيها محذوفا والتقدير اذا مزقتم كل ممزق بعثتم او بنيكم بانكم تبعثون اذا مزقتم قال المبرد لا يعمل فيه مزقتم لانه مضاف اليه والمضاف اليه لا يعمل في المضاف اجازه بعضهم على ان يحمل اذا للجازاه فيعمل فيها جيئني ما بعدها لانها غير مضافة اليه واكثر ما يقع اذا للجازاه في الشعر ومعنى مزقتم كل ممزق والمعنى مزقتم كل تمزق والتمزق التشتيت يقال ثوب مزيق وممزوق ومتمزق وممزق قوله تعالى افترى على الله كذبا لما دخلت الف الاستفهام استغنيت عن الف الوصل تحذفها وكان فتح الف الاستفهام فرقا بينها وبين الف الوصل وقد مضى هذا في سوره مريم عند قوله تعالى اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا وقد مضى هذا في سوره مريم عند قوله تعالى اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا ثم رد على ما تقدم من قول المشركين والمعنى قال المشركون افترى على الله كذبا والافتراء الاختلاق ام به جنه اي جنون فهو يتكلم فيما لا يدري ثم رد عليهم فقال بل الذين لا يؤمنون بالاخره في العذاب والضلال البعيد ألا ترى ان الامر كما قالوا بل هو اضل قال قتاده في الضلال عن الصواب اذ صاروا الى التعجيز لالاله ونسبه الافتراء الى من ايده الله بالمعجزات

اولم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السما والارض

اعلم الله تعالى ان الذي قدر على خلق السموات والارض وما بينهن قادر على البعث وعلى تعجيل العقوبه لهم فاستدل بقدرته عليهم وان السموات والارض ملكه وانهما محيطتان بهم من كل جانب فكيف يامنون الخسف والكسف كما فعل بقرون واصحاب الايكه وفراعنه واكثر ان نشا نخسف بهم الارض

او نسقط بانا في الثلاث اي ان نشا امرنا الملائكه الموكلين بالسما فتسقط عليهم كسفا الباقون بالاسكان وسنتقدم بيانه في سبحانه وغيرها ان في ذلك لايات اي في هذا الذي ذكرناه من قدرتنا لعبده اي دلاله ظاهره لكل عبد منيب اي تايب رجاع الى الله بقلبه وخص المنيب بالذكر لانه المنتفع بالفكر في حجج الله وايات

ولقد اتينا داود منا فضلا

بين لمكذبي نبوه محمد صلى الله عليه وسلم ان ارسال محمد صلى الله عليه وسلم ليس باول ارسلنا قبله رسل وايدناهم بالمعجزات واحللنا بمن خالفهم العقاب اتينا اي اعطينا فضلا اي امرا فضلناه به على غيره واختلف في هذا الفضل على تسعه اقوال الاول النبوه الثاني الزبور الثالث العلم قال الله تعالى ولقد اتينا داود وسليمان علما الرابع القوه قال الله تعالى واذكر عبدنا داود ذا الايد الخامس تسخير الجبال والناس قال الله تعالى يا جبال اوبي معه السادس المشوبه تغفرنا له ذلك لايه السابع الحكم بالعدل يا داود انا جعلناك خليفه في الارض الايه الثامن الالانه الحديد والناله الحديد التاسع حسن الصوت وكان داود عليه السلام ذا صوت حسن ووجه حسن وحسن الصوت هبه من الله وتفضلا منه والمراد بقوله عز وجل يزيد في الخلق ما يشا على ما يا بي وقال صلى الله عليه وسلم لابي موسى لقد اوتيت مزمارا من مزامير آل داود قال العلما المزمار والزبور الصوت الحسن وبه سميت اله الزمر مزمارا وقد استحسن كثير من وقفها الابصار القراه بالتذبين والترجيع وقد مضى هذا في مقدمه الكتاب

يا جبال اوبي معه والنا له الحديد

اي وقلنا يا جبال اوبي معه لانه جل وعز قال انا سخرنا الجبال معه يسبحن قال ميسره هو في التسبيح بلسان الحبشه ومعنى تسبيح الجبال هو ان الله خلق

فيها تسبيحا كما خلق الكلام في الشجر وسمع منها ما سمع من التسبيح معجزة لداود
صلى الله عليه وسلم وقيل المعنى سيري معه حيث شئتما من الثنا والذهاب الذي هو سير
النهار راجع وتنزل الليل قال ابن مقبل

لحقنا بحي اوبوا السير بعدما دفعنا شعاع الشمس والظرف مخنخ

وفسر الحسن قتاده وغيرهما اوبي معه اي ارجعي معه من ذهب يؤب
اذا رجع اوبا واوبه وايابا وقيل المعنى تصرفي على ما يتصرف عليه داود
بالنهار فكان اذا قرأ داود صوتت الجبال معه واصغت اليه الطير فكانها فعلت
ما فعل وقال وهب بن منبه المعنى يوجي معه والطير تسعده على ذلك فاذا
نادى بالنياحه اجابته الجبال بصداها وعكفت عليه الطير من فوقه فصدي
الجبال الذي يسمعه الناس انما كان ذلك اليوم الى هذه الساعه فاذا سكت
الجبال والطير ايلا تجد فتره فاذا دخلت الفتره اقشعر وفزع لسماعه الجبال
والطير وكان فيما اعطي من الصوت ما تنزاح الوحوش من الجبال على صوته وكان
الماء الجاري ينقطع عند الجري وقوفا لصوته والطير بالرفع قراه ابن ابي اسحق
ونصر عن عاصم وابن هرمز وسلمه بن عبد الملك عطفا على موضع يا جبال اي نادينا
الجبال والطير قاله سيبويه وعند ابي عمرو بن العلا باصمار فعل على معنى وسخرنا
له الطير قال الكسائي هو معطوف على واتيناه الطير حملا على ولقد اتينا داود
منا فضلا الحاس ويجوز ان يكون مفعولا معه كما تقول استوى الماء
والخشبه وسعت الزجاج بجيز ت وذبدا قالعيني اوبي معه ومع الطير
وقال له الحديد قال ابن عباس صار عنده كالشمع وقال الحسن كالعجين
فكان يعمله من غير نار وقال السدي كان الحديد في يديه كالطين المبلول والعجين
والشمع بصرفه كيف يشاء من غير ادخال نار ولا ضرب بمطرقه وقال مقاتل
وكان يفرغ من الدرع في بعض اليوم او بعض الليل ثمنها الف درهم وقيل
اعطي قوة يثني بها الحديد وسبب ذلك ان داود لما ملك بني اسرائيل
لقن ملكا وداود يظنه انسانا وداود منكر حزج ليسائله عن نفسه وعن
سيرته في بني اسرائيل في خفاء فقال داود لذلك الشخص الذي تمثل له ما قولك في

هذا الملك داود فقال له الملك نعم العبد لولا خلة فيه قال داود وما هي قال يرتزق
من بيت المال ولو اكل من عمل يده لعمت فضائله فرجع داود فدعا الله ان يعلمه صنعه
ويسهلها عليه فعلمه صنعة لبوس كما قال الله عز وجل في سوره الحديد فصنع
الدروع فكان يصنع الدرع فيبيعها بين يومه وليلته بما وبي الف درهم حتى اتخذ
منها كثيرا وتوسعت معيشته في منزله وتصدق على الفقرا والمساكين وكان
ينفق ثلث المال في مصالح المسلمين وهو اول من اتخذ الدروع وصنعها وكانت
قبل ذلك صفايح وقيل انه كان يبيع كل درع منها باربعه الاف والدرع مونثه
اذا كانت للحرب ودرع المراه مذكره وفي هذه الايه دليل على تفاضل
اهل الفضل الصنايع وان التحرف بما لا يزيل من مناصبهم بل ذلك زياده فضلهم
وفضائلهم اذ يحصل لهم التواضع في انفسهم والاستغناء عن غيرهم وكسب الحلال
الخلي عن الامتياز وفي الصحيح عن ابن صلى الله عليه وسلم قال ان خيرا ما اكل المرء
من عمل يده وان نبي الله داود كان ياكل من عمل يده وقد مضى الكلام في
هذا في الانعام مجودا فليره هناك

ان اعمل سابغات

اي دروعا سابغات اي كوامل تامات واسعات يقال سبغ الدرع والثوب
وغيرهما اذا عطى كما هو عليه وفضل منه وقد في السرد قال قتاده
كانت الدرع قبله صفايح فكانت ثقالا فالان لك امر هو بالتقدير فيما يجمع
بين الخفه والحصانه اي قدر ما اختبر هذين المعنيين بعضهما اي لا تقضد
الحصانه فتثقل ولا الخفه فتنزل المنعه وقال ابن زيد التقدير الذي امر به
في قدر الحلقه اي لا يجعلها صغيره فتضعف ولا يفوت الدرع على الدفاع ولا يجعلها
كبيره فتثقل لابسها وقال ابن عباس رضي الله عنهما التقدير الذي امر به موجود
المسمار اي لا يجعل مسمار الدرع رقيقا فيقلق ولا غليظا فيقصم الحلق بضم القاف
والقاف ايضا رواية في السرد السرد نسج حلق الدروع ومنه قيل

نصانع الدروع السراد والزاد وبدل من السين الزاي كما يقال صراط وزراط
والسرد الخرز يقال سرد يسرد حرد والمسرد الاسفي ويقال سراد قال الشماخ

فظلت بتاعلجيلنا في بيوتكم كما نابعت سرد العنان الخوارز

والسرد السير الذي يخرز به قال لبيد

سلسة صفاحها بالروق سردًا كما خرج السراد من النعال

ويقال قد سرد الحديث والصوم فالسرد فيها ان يجيء ولا في سنن واحد
ومنه سرد الكلام ومنه حديث عايشة لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يسرد
الحديث كسردهم كان يجدد الحديث لو اراد ان يحصيه لعده قال
سيبويه ومنه رجل سريبيك اي حربي قال لانه يمضي قدما واصل ذلك في
سرد الدرع وهو ان يجعلها وتجعل نظام حلقها كما مر مختلف قال لبيد

صنع الحديد مضاعفا اسراده لينال اطول العيش غير مرزم

وقال ابو ذويب وعليهما مسرودتان قضاهما داود او صنع السوابغ تبع
واعملوا صالحا اي عملا صالحا وهذا خطاب لداود واهله كما قال
اعملوا ال داود شكرا اني بما تعملون بصير

ولسليمن الريح غدوها شهر ورواحها شهر

قال الزجاج التقدير وسخرنا لسليمان الريح وقراءهم في رواية ابي بكر
عنه الريح بالرفع على الابتدا والمعنى له تسخير الريح او بالاستقرار اي ولسليمان
الريح تابينه وبينه ذلك المعنى الاول فان قال فقيل اذا اعطيت زيدا دينارا
ولعمرو دينارا فقد اعطيته لم يكن فيه معنى الاول وجاز ان يكون لم تعظه الدينار
قبل الامر لكنا ولكن الامر علي خلاف هذا فوجه المعنى لانه قد علم انه لم
يخرها احد الا الله عز وجل غدوها شهر ورواحها شهر اي مسيره
شهر قال الحسن كان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر وبينهما
شهر للمسرع قال السدي كان يسير في اليوم مسيرة شهرين وروي
سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان سليمان اذا خطر نصب حوالبه

اربع مايه الف كرسي ثم جلس روسا الانس مما يليه وتجلس سفله الانس مما يليهم
وجلس روسا الجن مما يلي سفله الانس وتجلس سفله الجن مما يليهم ويوكل
بكل كرسي طاير لعل قد غرقه ثم تقلهم الريح والطير تظلهم من الشمس فيغدوا من
بيت المقدس الي اصطخر وبين بيت المقدس ثم قزا بن عباس غدوها
شهر ورواحها شهر وقال وهب ذكر لي ان منزلا من منازله دحله
فيها كتبه بعض اصحاب سليمان اما من الجن واما من الانس نحن نزلنا وما
بنيناه ومسينا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن راجعون منه
ان شا الله فبايتوا الشام وقال الحسن شغلت سليمان الخيل حتى فاتته
صلاة العصر فعقر الخيل فابدله الله خيرا منها واسرع ابله الريح تجري بامره
حيث شا غدوها شهر ورواحها شهر وقال ابن زيد كان مستقر سليمان
مدينة تدمر وكان امر الشياطين قبل شخوصه من الشام الي العراق
فيتوهاله بالصفاح والعمد والرخام الابيض والاصفر وفيه يقول النابغه

الا سليمان اذ قال الاله له قم في البريه فاحددها عن الفند
وخيس الجن اني قد اذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمد
فمن اطاعك فانفعه بطاعته كما اطاعك وادللة علي الرشد
ومن عصاك فعاقبه معاقبة تنهي الظلوم ولا تقعد علي صمد

قال ووجدت هذه الابيات منقوره في صخره في ارض كسكر
انشاها من بعض اصحاب سليمان عليه السلام

ونحن ولا حول سواحول ربنا نروح الي الاوطان من ارض تدمر
اذا نحن رحنا كان ريب رواحنا مسيرة شهر والغدو كاحد
اناس سعود والاله طوعا نفوسهم بنصر ابن داود النبي المطهر
لهم في معالي الدين فضل ورافه فان نسوا يوما فمن خير معشر
متى يركبوا الريح المطيعه اسرعت مسايرة عن شهرها لم تقصر
تظلهم طير صفوف عليهم متى زفرت من فوقهم لم تنفر

قوله عز وجل

وأسلنا له عين القطر

القطر النحاس عن ابن عباس وعنه اسيلت له مسيرة ثلثة ايام كما يسيل الماء وكانت بارض اليمن ولم يذب النحاس فيما روي لاحد قبله وكان لا يذب ومن وقته ذاب وانما ينتفع الناس اليوم بما اخرج الله لسليمان قال قتادة اسال الله عينا يستعملها فيما يريد وقيل لعكرمة اليمن سالت فقال لا ادري وقال ابن عباس ومجاهد اسيل لسليمان اجريت له عين الصفر ثلثة ايام بلياليهن قال القتيبي وتخصيص الاسالة بثلاثة ايام لا يدري ما اخذه ولعله وهم من الناقل اذ في رواية مجاهد انها سالت من صنعاء ثلاث ليال مما يليها وهنا يشير الى بيان الموضع لا الى بيان المدة والظاهر انه جعل النحاس في معدنه عينا تسيل كعيون المياه دليلا على بنوته قال الخليل القطر النحاس المذاب قلت دليله قراءة من قرأ من قطران قوله تعالى ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه اي بامره ومن يزغ منهم عن امرنا الذي امرناه به من طاعة سليمان نذقه من عذاب السعير اي في الاخرة قاله اكثر المفسرين وقيل ذلك في الدنيا وذلك ان الله تعالى وكل بهم فيما روي عن السدي ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ عن امر سليمان ضربه بذلك السوط ضربة من جبته لا يراه فاحرقته ومن في موضع نصب بمعنى وسخرنا له من الجن من يعمل ويجوز ان يكون في موضع رفع كما تقدم في النحل قوله تعالى

يعملون له ما يشاء من محاريب

وتماثيل وجفان كالجواب الآية

فيه ثمان مسايل الاول قوله تعالى من محاريب المحاريب في اللغة كل موضع مرتفع وقيل للذي يصلى فيه محراب لانه يحبس ان يرفع ويعظم قال الضحاك من محاريب اي من مساجد وكذا قال قتادة وقال مجاهد

المحاريب دون القصور وقال ابو عبيدة المحراب اشرف بيوت الدار قال وما ذا عليه ان ذكرت اوانسا كخزلان رمل في محاريبا فتال

وقال عدي بن زيد كديم الحاج في المحاريبا وكالبيض في الروض زهر مستنير

وقيل هو ما ارتفى اليه بالدرج كالغرفة الحسنة كما قال اذ تسورو المحراب وقوله فخرج عليهم من المحراب اي اشرف عليهم وفي الخبر انه امر ان يعمل له حول كرسيه الف محراب فيها الف رجل عليهم المسوح يبكون الى الله دائبا وهو على الكرسي في موكبه والمحاريب حوله ويقول الجنود اذا ركبوا سجود الله الى ذلك العلم فاذا بلغوه قال هللوه الى ذلك العلم فاذا بلغوه قال كبروا الى ذلك العلم الاخر فتلج الجنود بالتسبيح والتهليل لوجه واحد الثاني قوله تعالى وتماثيل جمع تمثال قيل كانت من زجاج ونحاس ورخام تماثيل اشياء ليست بحيوان وهو كل ما صور على صورة غيره من حيوان او غير حيوان وذكر انها صور الانبياء عليهم السلام والعلماء وكانت تصور في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة واجتهادا قال صلى الله عليه وسلم ان اولئك كان اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصورة اي ليتذكروا عبادتهم فيجتهدوا في العبادة وهنا يدل على ان التصوير كان مباحا في ذلك الزمان وسنح ذلك بشرع محمد صلى الله عليه وسلم وبين هنا مزيد بيان في سورة نوح عليه السلام وقيل التماثيل طلسمات كان يعملها ويحرم على كل مصران نجاوزها فلا يتجاوزها فيفعل تمثالا للذباب والبعوض اولتسبح في كل مكان ويأمرهم ان لا يتجاوزونه فلا يتجاوزون واحد ابدا مادام ذلك التمثال قائما وواحد التماثيل تمثال كبرانا قال

ويأرب يوما تذهبون وليله بأنسه كأنها خط تمثال

وقيل كانت هذه التماثيل رجالا اتخذهم من نحاس وسأل ربه ان ينفخ فيها الروح فيقاتلوا في سبيل الله ولا يحل فيهم السلاح ويقال ان اسفنديار كان منهم والله اعلم وروي انهم حملوا له اسدين في اسفل كرسيه وسبعين فوقه

فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان لذراعيه واذا قعد اطلقه السران باحتهما
الثالثه حكي مكي في الهدايه ان فرقه يجوز التصوير ويخص هذه الايه
قال ابن عطيه وذلك خطا ولا احفظ عن احد من اهل العلم من يجوزه
قلت ما حكاه مكي وذكره النحاس قبله قال النحاس قال قوم عمل
الصور جايز لهذه الايه وبما اجز الله جل وعز عن السيح وقال قوم فتح هي النبي
صلي الله عليه وسلم عنها والوعد لمن عملها او اتخذها فنسخ الله عز وجل هذا ما
كان مباحا قبله وكانت الحكمه في ذلك لانه بعث عليه السلام والصور
تعبد فكان الاصلح ان النهاي الرابعه التمثال علي قسمين حيوان وموات
علي قسمين جماد وتام وفنكا تنا بجز تضع لسليمان جميعه وتماثيل وفي
الاسرائيليات ان التماثيل من الطير كانت تتعلي كرسي سليمان فان قيل الاعموم
لقوله وتماثيل فانه اثبات في نكره والاثبات في النكره لا عموم له اما
العموم في الشئ في النكره فلنا كذلك هو بيد انه قد قترن هنا الاثبات
نه النكره ما يقتضي حمله علي العموم وهو قوله ما يشاء فاقترن المشبه به
يقتضي العموم له فان قيل كيف استجاز الصور المنهي عنها قلنا كان ذلك جايزا
و شرعه ونسخ في شرعنا كما بينا والله اعلم وعزاير العاليه لم ير التصوير
اذا كان محرما الخامسه يقتضي الاحاديث بيدل علي ان التصوير تثبت
الكراهه فيه بقوله عليه السلام لعايشه في الثوب اخريه عني فاني كلما رايته ذكرت
الدنيا ثم هتكه الثوب المصور علي عايشه منعه منه ثم تقطيعها له وسادتين
حتي تغيرت الصوره وخرجت عن هيتها بان جواز ذلك اذا لم تكن الصوره
فيه منفصله لم يجز لغولها في الترفه التي فيها التصاوير باشتريها لك لتقعد
عليها وتوسدها فمنع منه ونوعد عليه وبين بحديث الصلوه الي الصور
ذلك جايز في الرقم في الثوب ثم نسخه المنع منه وهذا استقرا الادله والله
اعلم قال ابن العربي السادسه روي مسلم عن عايشه رضي الله عنها
قالت لنا سترفيه تماثيل طاير وكان الداخل اذا دخله استقبله فقال رسول الله
صلي الله عليه وسلم حولي هذا فاني كلما رايته ذكرت الدنيا قالت

وكانت لنا قطيفه حرير فكنا نلبسها وعنها قالت دخل علي رسول الله صلي الله عليه
وسلم وانا مستتره بقرام فيه صور فتلون وجهه ثم تناول الستر فهتكه ثم
قال ان من اشد الناس عذابا يوم القيمه الذين يشهون بخلق الله عز وجل وعنها
انها كان لها ثوب فيه تصاوير ممدوده الي سهوه فكان النبي صلي الله عليه
وسلم يصلي اليه فقال اخريه عني فاخرته فجعلته وساده قال بعض
العلما وشبه ان يكون هتكه عليه السلام الثوب وامره بتاخيره ورعا كان
محل النهوه الرساله الكامل فناسبه السابعه قال الزمخشري ان
ان دعي رجل الي عرس فراي صوره ذات روح او ذات ارواح لم يدخل ان
كانت منصوبه وان كانت توطا فلا باس وان كانت صور الشجر ونحوه
يختلفوا ان النصاري في الصور المعلقه كرهه غير محرمه وكذلك عندهم
ما كان رقما او نقشا في الثياب واستثنى بعضهم ما كان رقما في ثوب لحديث
سهل بن حنيف قلت لعن رسول الله صلي الله عليه وسلم المصورين ولم
يستثن وفي الترمذي عن ابي جحيفه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم
يخرج عنق من النار يوم القيمه له عينان تبصران واذنان تسمعان ولسان
ينطق يقول اني وكلت بثلاث بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله الها اخر
وبالمصورين قال ابو عيسي هذا حديث حسن غريب صحيح وفي
البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اشد
الناس عذابا يوم القيمه المصورون يقال لهم احيوا ما خلقتم وقد قال الله عز وجل ما كان لكم ان تنبتوا شجرها علي ما تقدم بيانه فاعلمه
الثامنه وقد استثني من هذا الباب لعب البنات لما ثبت عن
عايشه ان النبي صلي الله عليه وسلم تزوجها وهي بنت سبع سنين وزفت اليه
وهي بنت تسع ولعبها معها ومات عنها وهي بنت ثمان عشره سنه وعنها
ايضا قالت كنت العب بالبنات عند النبي صلي الله عليه وسلم وكان لي صواحب
يلعبن معي فكان رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا دخل ينقمعن منه فيسربهن
الي فيلعبن معي خرجه مسلم قال العلما وذلك للصغوره الي ذلك

وحاجه البنات حتى ينتدبن علي زينه اولادهن ثم انه لا يبقا لذلك وكذلك ما يصنع
من الحلاوه او العجين لا يبقاله ورخص ذلك والله اعلم قوله تعالي وجفان
كالجواب قال ابن عرفه الجوار جمع الجابيه وهي حفيره كالحوض وقال
مجاهد كالحياض الابل وقال ابن القاسم عن مالك كالحوبه من الارض والعين
متقاربه وكان يقعد علي الجفنه الواحده الف رجل الجفان كالجواب
الاولي ان تكون يائيا ومن حذف آثر يا قال سيبويه الالف واللام ان تدخل علي النكره
فلا تغيرها عن حالها فلما كان بقا الجواب ودخلت الالف واللام افرد علي حاله
فحذف قالبا وواحد الجوابي جابيه وهي الحفر العظيم والحوض العظيم
الكبير الذي يجبي اليه شي فيه اي يجتمع ومنه جبيت الخراج وجبيت الحمار
اي جعلت الماء فجمعته فيه الا ان ابن ابي نجيح روي عن مجاهد قال الجوابي جمع
حوبه والحوبه الحفره الكبيره تكون في الجبل فيها ما المطر وقال
الكسائي جبوت الماء في الحوض وجبيته اي جمعته والجابيه الحوض الذي
يجبي فيه الماء للابل قال

يروح علي الاعلق جفنه كجابيه الشيخ العراقي تفهق

ويروي تغني الندم عن المحلق جفنه ذكره الخاسن قوله تعالي
وقدور راسيات قال سعيد بن جبير هي قدور النحاس تكون بفارس وقال
الضحاك هي قدور تعمل من الجبال غير قد نحتت من الجبال الصم مما عملت له الشياطين
اثافيها منها منحوته هكذا من الجبال ومعني راسيات ثوابت لا تحمل ولا تحرك
لعظمها قال ابن العربي وكذلك كانت قدر عبد الله بن جدعان
يصعد اليها في الجاهليه ليسلم وعبر عنها طرفه بن العبد بقوله

كالجوابي لا يتني مزعفه لقري الاضياف والمحتضر

قال ابن العربي ورايت برباط ابي سعيد قدر الصوفيه علي نحو ذلك قائم
يطبخون جميعا ويا كلون جميعا من غير استيثار واحد منهم علي احد بنوبه قال

اعملوا ال داود شكرا وقليل من عبادي الشكور

قد جبي مجبي الشكر في البقره وغيرها وروي ان النبي صلي الله عليه وسلم صعد المنبر
فتلي هذه الايه ثم قال ثلاث من اوتيهن فقد اوتي مثل ما اوتي ال داود قال
فقلنا ما هن قال العدل في الرضا والغضب والقصد في الفقر والغني
وخشيه الله في السر والعلانيه خرجه الترمذي الحكيم ابو عبد الله عن عطا
ابن يسار عن ابي هريره وروي ان داود عليه السلام قال يا رب كيف الحق شكرك
علي نعمك والهامي وقد روي علي شكر نفسه لك فقال يا داود الان عرفتني وقد
مضي منا المعني في سوره ابرهيم وان حقيقه الشكر الاعتراف بالنعمه
للمنعم واستعمالها في طاعته والكفران استعمالها في معصيته وقليل من يفعل ذلك
لان الجزا قل من الشر والطاعه اقل من المعصيه بحسب سابق التقدير وقال
مجاهد لما قال الله عز وجل اعملوا ال داود شكرا قال داود وسليمان ان الله عز وجل
قد ذكر الشكر فكيف صلاه النهار فكيف صلوه الليل قال لا افقد قال فاكفني
قال الفارابي اراه قال صلاه الظهر قال نعم فكفاه وقال الزهري اعملوا ال داود
شكرا اي قولوا الحمد لله وشكرا نصب علي جهه المفعول اي اعملوا اعمالا هو
الشكر وكان الصلاه والصيام والعبادات كلها من هو نفسها الشكر
اذ سدت مسده وبين هذا قوله الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل
ما هم وهو المراد بقوله وقليل من عبادي الشكور وقد قال سفيان بن عيينه
وغيره وقليل قوله تعالي ان اشكرلي ان المراد بالشكر الصلوات الخمس وفي صحيح
مسلم عن عايشه رضي الله عنها ان رسول الله صلي الله عليه وسلم كان يقوم من الليل
حتى تفطر قدماه فقالت له عايشه تصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك
وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا الفرد باخراجه مسلم فنظام القرآن والسنه
ان الشكر يعم الابدان دون الاقتصار علي عمل اللسان فالشكر بالافعال عمل
الاركان والشكر بالاقوال عمل اللسان فاعلم قوله تعالي وقليل من
عبادي الشكور يحتمل ان يكون مخاطبه لال داود ويحتمل ان يكون مخاطبه
لمحمد صلي الله عليه وسلم قال ابن عطيه وعلي كل وجه ففيه تشبيه وتخريص
وسمع عمر بن الخطاب رجلا يقول اللهم اجعلني من القليل فقال عمر ما هذا الدعا

فقال الرجل اردت قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور فقال عمر رضي الله عنه
كل الناس اعلم منك يا عمر وروي ان سليمان عليه السلام كان يأكل التعبيد
ويطعم اهله الخشكار ويطعم المساكين الدرمك وقيل انه كان يأكل
الرماد ويتوسده والاول اصح اذ الرماد لا يبقوت وروي انه ما شبع
قط فقيل له في ذلك فقال ان شبعت اخاف ان انسى الجياع وهذا من التقدير
ومن القليل قوله

فلما قضينا عليه الموت

اي فلما حكمنا على سليمان بالموت حتى صار كالامر المفروغ منه ووقع به
الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منسأته وذلك انه كان متكيا على العصاه
وهي العصا بلسان الحبشة فمثل السدي وقيل هي بلغة اهل اليمن ذكره الفقيري
فاثرت فيها فمات وبقي على حاله الى ان سقط ميتا لانكسار العصا اكل الارضة
اياها فعلم موته بذلك فكانت الارضة داله على موته اي سببا لظهور موته
وكان سائل الله الا يعلموا بموته حتى يعلم علم ما غاب عنه واختلفوا في سبب سؤاله
لذلك على قولين احدهما ما قاله قتادة وغيره قال كانت الجن تدعي
علم الغيب فلما مات سليمان وخفي موته عليهم تبينت الانس ان الجن لو كانوا
يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ٥ ابن مسعود قام حولا والجن تعمل
بين يديه حتى اكلت الارضة منسأته فسقط وروي انه لما سقط لم يعلم منه
مات فوضعت الارضة على العصاه فاكلت منها يوم وليله ثم حسبوا ذلك فوجدوه
قد مات منذ سنه وقيل كان روسا الجن سبعه وكانوا مقادين لبلين
عليه السلام وكان داود اسس بيت المقدس فلما مات اوصى الى سليمان
اتمام مسجد بيت المقدس فامر سليمان الجن به فلما دنا وفاته قال لاهله
لا تخبروهم موتي حتى يتموا المسجد وكان قد بقي لاتمامه سنه وفي الخبر
ان ذلك الموت كان صديقه فساله عن ابان موته فقال ان تخرج في موضع
كذا تجد بيتا لها الخروبه فلم يكن يوم تصبح فيه الا نبت في بيت المقدس

شجره فيقول لها ما اسمك فتقول الشجره كذا وكذا فيقول لاي شيء انت فتقول لكذا
وكذا فيامرها ان تقطع ويغرسها في بستان له ويامر كيت منافعها ومضارها
واسمها وما تصلح له في الطب فبينما هو يصلي ذات يوم اذ راى شجره نبتت
بين يديه فقال لها ما اسمك فقالت الخروبه قال لاي شيء انت قالت لخراب هذا
المسجد فقال سليمان ما كان الله ليخربه وانا حي انت التي على وجهك هلاكي
وهلاك بيت المقدس فاخذ عصاه وغرسها في حائطه ثم قال اللهم عم على الجن موتي
حتى تعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الناس انهم يعلمون
من الغيب اشياء وانهم يعلمون ما في غد ثم لبس كفنه وتحنط ودخل المحراب
فقام يصلي واتكا على عصاه على كرسيه فمات ولم تعلم الجن بموته سنه
وتم بنا بيت المقدس قال ابو جعفر النحاس وهذا احسن ما قيل في الآيه
ويدل على صحته الحديث المرفوع روى ابراهيم بن طهمان عن عطاء بن السايب
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان نبي الله
سليمان بن داود اذا صلى رأى شجره نابته بين يديه فيقول ما اسمك
فان كانت لغرس غرست وان كانت لدواء كتبت فبينما هو يصلي ذات
يوم واذا بشجره نابته بين يديه فقال ما اسمك فقالت الخروب
فقال لاي شيء انتي فقالت لخراب هذا البيت قال اللهم اعم على الجن موتي
حتى تعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب فحتها عصيا ونوكا عليها وهم لا يعلمون
فسقطت فعلمت الانس ان الجن لا يعلمون الغيب فنظروا مقدار ذلك فوجدوه
سنه وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس تبينت الانس ان الجن لو كانوا
يعلمون الغيب وقرا يعقوب في رواية رويس تبينت الجن بضم التاء
ورفع الباء وابو عمرو تاكل منسأته بالف بين السين والالف من غير همز والباقون
بهمزه مفتوحه موضع الالف لغتان الالف ابدلت من همز وكان الاصل همزه
تخفيفا قال الشاعر في ترك الهمز

اذا دببت على المنساة من كبر فقد تباعد عنك اللهو والغزل

وقال اخر فمسنه صرببنسأة وجهه فشار بذاك مهيئا ذليلا
وقال اخر ان الجبل لاباك ضربته بمنسأة فتحرجبلا احيلا
وقال اخر وقايم فتقام من مكانه كقومة الشيخ الى منسأته
واصلها من نسأت الغنم اي زجرتها وسقتها فمنسأة العصا بذلك لانه يزجر
بها البيتي وبناق قال طرفه

امون كالواح الاران نسأها على لاحب كانه ظهر برجد

فسكن همزها قال الخاس واشتقاقها بدل على انها مهموزه لانها مشتقة من
نسأته اي اخرته ودفعته فقيل لها منساه لانها يدفع بها البتي ويوجد
وقال مجاهد وعليه هي العصا ثم قرا منساته ابدل من الهمزه الفا وقيل
البدل من الهمز قبيح جدا وانا يجوز في الشعر على بعد وشذوذ وابو عمرو بن العلا
لايعيب عنه مثل هذا لاسيما واهل المدينه على هذه القراه فالجواب على هذا
ان العرب استعملت في هذه الكلمه البدل ونطقوا بها فكذا يقع البدل في غيرها
ولايقاس عليه حتى قال ابو عمرو ليست اددي ممن هو الا انها مهموزه لان ما كان
مهموزا فغذ يزل همزه وما لم يكن مهموزا لم يجز همزه بوجه ن المهدوي
ومن قرا بهمزه ساكنه فشاذ بعيد لان ما الثابت لايكون ماقبلها الامتحركا
او الفا لكنه يجوز ان يكون مما سكن من المفتوح استخفافا ويجوز ان يكون
لما ابدل الهمزه الفا على غير قياس قلبه الالف همزه كما قلبوها في قولهم العالم
والخاتم وروي عن سعيد بن جبير من مفصوله سانة مهموز مكسوره التا قيل
انه من سه القوس في لغه من همزها وقد روي همز سيه القوس عن ربوبه
قال الجوهري سيه القوس ما عطف من طرفيها والجمع سيان والهاء عوض
عن الواو والتسيه ايضا سوي قال ابو عبيد كان ربوبه يهمز سيه القوس
وسايرالعرب لايهمزونها وبني دابه الارض قولان احدهما انها الارض قاله ابن
عباس ومجاهد وغيرهما وقد فري دابه الارض بفتح الرا وهو واحد الارض
ذكره الماوردي الثاني انها دابه تاكل العيدان قاله الجوهري والارضه
بالتحريك دويبه تاكل الخشب يقال ارضت الخشبه تارض ارضا بالكسر

فهي مارو ضه اذا اكلتها فوقفي

فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا

يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب المهين

قال الزجاج اي بتبيت الجن موته وقال غيره المعنى تبين امر الجن مثل
واصل التبين في اللغه الاسابيد الصحاح عن ابن عباس قال اقام سليمان بن داود
عليهما السلام حولا لايعلم بموته وهو متكي على عصاه والخرت حرفه فلما كان امر الله
ثم سقط ميتا حول فلما خر تبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا في
العذاب المهين وهذه القراه من ابن عباس على وجه التفسير وقيل ان الجن شكرت
ذلك للارضه فاين ما كانت يانونها الماء قال السدي والطين الرطب
الذي وحوف الخشب فلما ماتيتها به الشياطين شكرا وقالوا لو كنت تاكلين
الطعام والشراب لاتيناك بهما وان موضع رافع على البدل من الجن والتقدير
تبين امر الجن فحذف المضاف اي بتبين وظهر للانس والكشف لهم امر الجن
انهم لايعلمون الغيب وهذا بدل وكون ان يكون في موضع نصب على تقدير حذف اللام
ولبثوا اقاموا والعذاب المهين السخره والحمل والبيان وعز ذلك وعمر سليمان
ثلثا وخمسين سنه ومده ملكه اربعون سنه فملك وهو ابن ثلاث عشره سنه
وقال السدي وغيره كان عمر سليمان عليه السلام سبعا وستين
سنه وملكه وهو ابن سبع عشره سنه وابتدا في بنيان بيت المقدس وهو
ابن عشرين سنه وكان ملكه خمسين سنه وحكي ان سليمان عليه السلام
ابتدا ببنيان بيت المقدس في السنه الرابعه من ملكه وفرغ بعد فراغه
منه اثني عشر الف قنطور وماييه وعشرين الف شاه واتخذ اليوم الذي فرغ فيه
من بنايه عيدا وقام على الصخره رافعا يديه الى الله تعالى بالدعا وقال
اللهم انت وهبتني هذا السلطان وقويتني على بنا هذا المسجد فاوزعني شكرك
على ما انعمت علي ووفقني على طاعتك ولاتنزع قلبي بعد اذ هديتني اللهم اني اسالك
لمن دخل هذا المسجد لايدخله منتبا دخل للتوبه الاغفرت له وبتت عليه ولاخايف

الامنه ولا يسقم الا شقيته ولا يفقر الا عنيته والخامس ان لا ينصرف نظرك عمن دخله
حين يخرج منه الا مزارا له كما ذكره الطبراني في كتاب الدعاء وذكره المنذري في الترغيب
اصح مما تقدم من انه لم يزر قبره الا بعد موته بسنة والدليل على صحة هذا ما رجحه
النسائي وغيره باسناد صحيح عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم ان سليمان
ابن داود لما بنى بيت المقدس سأل الله خلالا ثلثة حكما يصادف حكمه فاوتيه
وسأل الله ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فاوتيه وسأل الله حين فرغ من بنائه المسجد
ان لا يأتيه احد لا ينهزه الا الصلوة فيه ان يخرج من خطيئته كيوم ولدته امه وقد
ذكرنا هذا الحديث في آل عمران وذكرنا بناءه في سبحان

لقد كان لسبإ في مساكنهم ايه

قرأ نافع وغيره بالصرف والتنوين على انه اسم حي وهو في الاصل اسم رجل جاء ذلك
التوقيف عن النبي صلى الله عليه وسلم رواه الترمذي قال حدثنا ابو كريب عبد
الرحمن بن حميد قالا نا ابو اسامة عن اشعث عن الحكم النخعي قال ابو سبرة النخعي عن زرارة
ابن سبيع المرادي قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله الا اقاتل من
ادبر من قومي فاقبل بهم فاذن لي في قتالهم وامسكني فلما خرجت من عنده سألت عني
ما سأل العطيفي فاخبرني فقد سرت فارسل في اثري فرددني فاتيته وسوف يقدمن
اصحابه فقال ادع القوم فمن اسلم منهم فاقبل منه ومن لم يسلم فلا تعجل حتى
احدث لك قال وانزل في سبإ ما انزل فقال رجل يا رسول الله وما سبا ارض
او امرأة قال ليس بارض ولا بامرأة ولكنه رجل ولد عشرة من العرب فتيامن
منهم ستة وتشام اربعة فاما الذين تشاموا فلخم وجذام وغسان وعاملة
واما الذين تيامنوا فالازد والاشعريون وحمير وكندة ومذحج وانمار
فقال رجل يا رسول الله وما انمار قال الذين منهم خثعم وبجيلة وروى
هذا عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابو عيسى هذا حديث
حسن غريب وقرأ ابن كثير وابو عمرو لسبإ بغير صرف جعله اسما للقبيلة
وهو اختيار ابي عبيد واستدل على انه اسم قبيلة ان بعده في

مساكنهم ن الخ اس ولو كان كما قال لكان في مساكنها وقد مضى في النمل زيادة لهذا
المعنى وقال الشاعر في الصرف

الواردون وتيم في ذرا سبإ ... قد عض اعناقهم جلد الجواميس

وقال اخر في غير الصرف

من سبا الحاضرين مأرب اذ يبنون من دونه سيله العرما

وقرأ قنبل وابو حيوة والمحدري لسبا باسكان الهمزة في مساكنهم قراءة العامة
على الجمع وهي اختيار ابي عبيد وابي حاتم لان لهم مساكن كثيرة وليس لمسكن واحد وقرأ
ابو بكير وحمزة وحفص مسكنهم موحدا الا انهم فتحوا الكاف وقرأ يحيى والاعمش
والكسائي موحدا كذلك الا انهم كسروا الكاف قال النحاس ومساكن في
هذا ابين لانه يجمع اللفظ والمعنى فان قلت مسكنهم كان فيه تقديران احدهما ان
يكون واحدا يودي عن الجمع والاخر ان يكون مصدرا لا يثنى ولا يجمع كما قال الله جل وعز
ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم مجازا بالسمع موحدا وكذا تصدق
وسكن مثل سجد خارج عن القياس ولا يوجد مثله الا سماعا انه اسم كان اي
علامة دالة على قدرة الله عز وجل ان لهم خالقا عظيما وان كل الخلائق لو اجتمعوا على ان
يخرجوا بزعمهم شيئا من تحت تلك الشجرة لم يكن ذلك ولم يهتدوا الى اختلاف اجناس الثمار وانواعها
وطعومها وروائحها واذهارها وفي ذلك ما يدل على انها لا تكون الا من عالم قادر
حسنان يجوز ان يكون بدلا من ايه ويجوز ان يكون خبرا لمبتدا محذوف فيوقف على هذا
الوجه على ايه وليس بتمام قال الزجاج ايه لا يه حسنان فحسنان
لانه خبر لمبتدا محذوف وقال الفراء رفع تفسير للايه ويجوز ان ينصب ايه
على انها حال وكان ويجوز ان تنصب الجنتين على الخبر ايضا في غير القرآن
وقال عبد الرحمن بن زيد ان الايه الزكاة تنزلت لاهل سبا في مساكنهم انهم لم
يروا فيها بعوضة قط ولا ذبابا ولا برغوثا ولا قملة ولا عقربا ولا حية ولا
غير هذا من الهوام واذا جاءهم الركب في ثيابهم القمل والدواب فانظروا الى
ثيابهم ماتت الدواب وقيل ان الايه هي الحسنان كانت المرأة تمشي

بينها وعلي راسها الكيل فتمتلئ من انواع الفواكه من غير ان تمسها بيد هاقاله قتاده وروي
ان الجنتين كانتا بين جبلين باليمن قال سفيان وحدثنا فضل ان مكتوب على احدهما
نحن بينا ساكنين ٤ سبعين خريفا دابرين وعلي الاخر مكتوب نحن بينا صراح
مقيل ومراح فكانتا احد الجنتين عن يمين الوادي والاخري من شماله قال القشيري ولم
يرد بالجنتين ان كل واحد من الجنتين بستان بل اراد ان جملة احدهما كذا وجملة
واشجارها وثمارها تستغرق هذا القدر من الغلات كلوا من رزق ربكم اي قيل لهم كلوا ولم يكن ثم امر ولكنهم
تمكنوا من تلك النعم وقيل اي قال لهم نبيهم واشكروا له اي قدم فقد اباح الله لكم منه النعم فاشكروا بالطاعه
من رزق ربكم اي من ثمار الجنتين واشكروا له على ما رزقكم بلده طيبه هذا كلام مستانف
اي هذه بلده طيبه اي ليس فيها سباخ ولا هوام تؤذي وقيل طيبه ليس فيها هوام لطيب
هوائها قال مجاهد هي صنعا ورب غفور اي لمن تاب اليكم رب عفو يعفر ذنوبكم
فجمع لهم بين مغفره ذنوبهم وطيب بلدهم ولم يجمع لاحد مثل خلقه وقيل انما ذكر المغفره
مشيرا الى الرزق فذكر ان فيه حراما وقد مضى هذا في البقره وقيل انما استتر
عليهم بعضهم عن عذاب الاستيصال بتكذيب من كذبوه من سالف الانبيا الى
ان استدامو الاصرار فاستوصلوا قوله تعالى فاعرضوا عرامر واتبع رسله
بعد ان كانوا مسلمين قال السدي وهب بعث الى اهل سبا ثلثه عشر نبيا
فكذبوهم قال القشيري وكان لهم نبي يقال له حمار وكانوا في
زمن الفتره بين عيسى ومحمد عليهما السلام وقيل كان له ولد فرفع راسه
الى السما فبرق وكفر لهذا قيل الكفر من حمار وقال الجوهري وقولهم
هو اكفر من حمار هو رجل من عاد مات له اولاد فكفر كفرا عظيما فلا يبارضه
احد الا دعاه الى الكفر فان اجابه والا قتله ثم لما سال السيل بخنيهم
تفرقوا في البلاد على ما يأتي ولهذا قيل في المثل تفرقوا ايادي سبا وقيل
الاوس والخزرج منهم فارسل عليهم سيل العرم فما روي عن ابن عباس السد
فالتقدير سيل السد العرم وقال عطا العرم اسم الوادي قتاده العرم
واد باليمن كان يجمع اليه مسايل من الاودية قيل من النخر وادية
اليمن فردموا ردما بين جبلين وحملوا في ذلك الردم ثلاثه ابواب بعضها

فوق بعض فكانوا اذا سقوا من الاعلى ثم من الثاني ثم من الثالث على قدر حاجاتهم
فاخصبوا واكثرت اموالهم فلما كذبوا الرسل سلط الله عليهم الفار فثقب الردم قال
وهب كانوا يزعمون انهم يجدون في علمهم وفهاشتهم ان يخرب سدهم فاره فلم يزكوا
حفره بين صخرتين الا ارطوا الى جانبها فارة فلما جاء ما اراد الله بهم اقبلت فاره حمرا الى
بعض تلك الفار فساورتها حتى استأخرت عن الحفره ثم وثبت ودخلت في
الفرجه التي كان عندها ونقبت السد حتى اوهنته للسيل دهم لا يدرون فلما
السيل دخل تحت تلك الخلل حتى بلغ السد وفاض الما على اموالهم فغرقها ودفن
بيوتهم وقال الزجاج العرم اسم الوادي الذي بنت السكر عليهم وهو الذي يقال
له الخلد وقال قتاده ايضا منتهى السيل اليه لانه سيبه وقد قال
ابن الاعرابي العرم مسايل الغار وقال مجاهد هو جمع عرمه كما يجمع العرم ما احمد
ارسله الله تعالى في السد فشقه وهدمه وعن ابن عباس ايضا ان العرم المطر
الشديد وقيل العرم سكون الرآ وعن الضحاك كانوا في الفتره بين عيسى ومحمد
عليهما السلام وقال عمرو بن شرحبيل العرم المسناه وقاله الجوهري قال لا واحد
لها من لفظها ويقال واحدها عرمه وقال ابن زيد العرم كل شي حاجز بين شيئين
وهو الذي يسمى السكر وهو جمع عرمه التي سبق انها تجمع من سطرين حجلين
وفي وجهه مسناه هو للعرم والمسناه هي التي تسمى اهل مصر الجسر فكانوا يفتحون
اذا شاءوا فاذا رويت جنانهم سدوها قال القروي المسناه الصعده
بنيت للسيل خاصه سميت مسناه لان فيها مفاتيح الما ويروى ان العرم سد بنته
بلقيس صاحبه سليمان عليه السلام وهو المسناه بلغه حمير بنته بالصخر
والقار وجعلت له ابوابا ثلاثه بعضها فوق بعض وهو مشتق من العرامه
وهي الشده يقال رجل عارم اي شديد وعرمنا العظم اعطه واعرمه عرما
اذا عرقته ولذلك عرمت الابل البحراي بالتسمنه والعرام بالضم العرام من
العظم والبحر وتعرمت العظم تعرقته وصبي عارم بين العرام بالضم اي شرس
وقد عرم يعرم ويعرم عرامه بالفتح والعرم العام عن الجوهري
قوله عز وجل

وبدلناهم بجنتيهم جنتين

ذواتي اكل خمط الايه

وقرا ابو عمرو اكل خمط بغير تنوين مضافا قال لاهل التفسير والخليل الخمط الاراك الجوهري الخمط ضرب من الاراك له حمل يوكل وقال ابو عبيده هو كل شجر ذي شوك فيه مراره الزجاج كل نبت فيه مراره لا يكاد اكله المبرد الخمط كل ما تغير الى ما لا يشتهى واللبن خمط اذا حمض والاولى عندي في القراءه ذواتي اكل خمط بالتنوين على انه نعت لا اكل او بدل منه لان الاكل هو الخمط بعينه عندنا فاما الاضافه فباب جوازها ان يكون تقديره ذواتي اكل حموضه او اكل مراره وقال الاخفش حقيق والاضافه احسن بنا كلام العرب نحو قولهم ثوب خز والخمط اللبن الحامض وذكر ابو عبيد ان اللبن اذا ذهب عنه حلاوه الحلب ولم يتغير طعمه فهو ساقط وان اخذ شيا من الدسم فهو خامط وخميط فان اخذ شيا من طعم فهو محل فاذا كان فيه طعم الحلاوه فهو فوهه ويحل المحل بهدد وتخمط فلان اي يغضب وتكير وتخمط البحر اي التطم وخمطت الخمر اي اخذت ريح الاراك كريح التفاح ولم يبدل بعد وبقال هي الحامضه قاله الجوهري وقال العتبي في ادب الكتاب يقال للحامضه خمطه ويقال لخمطه البن قد اخذت شيا من الدسم واستد

عفاركما التي لبس بخمطه ولا خله يلوي التردي شهابها

قال الفراء وهو شبيه بالطرفا لانه اعظم منه طولا وقيل وهو اتخذ من بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم واثل الاصل اصول غليظه تخذ منه الابواب وورقه كورق الطرفا الواحده اثله والجمع اثلات وقال الحسن الاثل الخشب قتاده ضرب من الخشب يشبه الطرفا رايته بفيد وقال هو السمر وقال ابو عبيده هو شجر النضار ق وشي من سدر قليل قال الفراء هو السمر ذكره النحاس وقال الازهري السدر من البشر سدر ان بري لا ينتفع به ولا يصلح وورقه للغسول وله ثمر عفص لا يوكل وهو الذي يسمى الضال والنابق

سدر نبت على الماء ثمره النبق وورقه غسول يشبه بشجر العناب قال قتاده بينما شجر القوم مر خير شجر اذ صيره الله مر شجر الشوك باعمالهم فاهلك الله ابتى رم المتمده وابدلها الاراك والطرفا والسدر القشير واشجار البوادي لا شيء حسنه وبستانا ولكن وقعت الثانيه في مقابله الاولى اطلق لفظ الجنه وهو كقوله وجزاء سيئه سيئه مثلها ويحتمل ان يرجع قوله قليل الى جملة ما ذكر من الخمط والاثل والسدر فتامل

ذلك جزيناهم بما كفروا

اي هذا البديل جزاء كفرهم وموضع ذلك نصب اي جزيناهم ذلك بكفرهم وهل نجازي الا الكفور قراه العامه نجازي بنا معظمه وراي مفتوحه الكفور رفعا على ما لم يسم فاعله وقرا يعقوب وحفص وحمزه والكسائي نجازي بالنون وكسر الزاي الكفور رفعا على ما لم يسم فاعله وقرا يعقوب وحفص وحمزه والكسائي نجازي بالنون وكسر الزاي الكفور بالنصب واختاره ابو عبيد وابو حاتم قال لان قبله جزيناهم ولم يقل جوزوا ان النحاس والامر في هذا واسع والمعنى فيه بين ولو قال قد خلق الله ادم صلى الله عليه وسلم من طين وقال اذ خلق خلق ادم من طين كان المعنى واحد **مسأله** في هذه الايه سوال وابس في السوره اشد منه ان يقال لم خص المجازاه بالكفور ولم يذكر اصحاب المعاصي فتكلم العلماء في هذا فقال قوم ليس نجازي هذا الجزا الذي الاصطلام والاهلاك الا من كفر وقال مجاهد نجازي بمعنى يعاقب وذلك ان المومن يكفر الله عنه سيانه والكافر نجازي بكل سوء عمله فالمومن نجزي ولا نجازي لانه لا شيا يقال طاووس هو المناقشه في الحساب واما المومن فلا يناقش في الحساب وقال قطرب بطلان هذا جميعا في اهل المعاصي مجزا الكفار وقال المعنى على من كفر بالنعم وعمل بالكباير النحاس واول ما قيل في هذه الايه واجل ما روي فيها ان الحسن قال مثلا بمثل وعز عايشه قالت سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من حوسب هلك فقلت يا نبي الله

فاين قوله تعالى فنوف بحاسبه حسابا يسيرا قال انما ذلك العرض ومن نوقش الحساب
هلك وهذا اسناد صحيح وشرحه ان الكافر يحاسب على اعماله ويحاسب عليها وعيط
ما عمل من خير وبين هذا قوله عز وجل في الاول ذلك جزيناهم بما كفروا وفي الثاني
وهل نجازي الا الكفور ومعنى نجازي نكافي بكل عمل ومعنى جزيناهم
وفيناهم هنا حقيقة اللغة وان كان نجازي يقع لمعنى جزيي مجازا ان
قوله تعالى وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة
قال الحسن يعني بين الشام واليمن والقرى التي باركنا فيها الشام والاردن
وفلسطين والبركة قيل انها كانت اربعة آلاف وسبع مايه قرية يدرك فيها بالشجر والثمر
والماء ويحتمل ان يكون باركنا فيها لكثرة العدد قرى ظاهرة قال ابن عباس يريد
بين المدينة والشام وقال قتاده معنى ظاهرة اي متصلة على الطريق يغدون
مقيلون في قريه ويروحون فيبيتون في قريه وقيل كان على كل قريه سوق
وهو سبب امن الطريق قال الحسن كانت المراة تخرج منها من بلدها وعلى راسها مكتلها
ثم تلقى لمنزلها فلا تاتي بيتها حتى تمتلى مكتلها من كل الثمار فكان ما بين الشام واليمن
كذلك وقيل ظاهرة اي مرتفعة قاله للبردوني قيل لها ظاهرة لظهورها اي اذا خرجت
من هذه ظهرت لك الاخرى فكانت القرى ظاهرة اي معروفه يقال هذا امر ظاهر
اي معروف وقدرنا فيها السير اي جعلنا السير بين قراهم بين القرى التي باركنا
فيها سيرا مقدارا من منزل الى منزل ومن قريه الى قريه اقرا ابن كثير
قريتين نصف يوم يكون الفيل قريه والسيب قريه حتى يبلغ الانسان
السير لعدم الزاد والماء وخوف الطريق فاذا وجد الزاد والامن لم يحمل على نفسه
المشقه ونزل ايما اراد وسيروا فيها اي وقلنا لهم سيروا فيها اي في هذه
المسافه فهو امر تمكين اي كانوا يسيرون فيها الى مقاصدهم اذا ارادوا
امنين فهو امر بمعنى الخبر وفيه اضمار القول اي قلنا لهم وايا ما الطرفان امنين
نصب على الحال وقيل ليالي وايا ما بلفظ التكرير تنبيها على قصر اسفارهم
اي كانوا لا يحتاجون الى طول السفر لوجود ما يحتاجون اليه قال قتاده وكانوا

يسيرون غير خايفين ولا جياع ولا ضاما كانوا يسيرون مسيره اربعة اشهر
في امان لا يحرك بعضهم بعضا ولو لقي الرجل قاتل ابيه لم يحركه فقوله تعالى

وقالوا ربنا باعد بين اسفارنا

لما نظروا وطغوا وسيموا الراحه ولم يصبروا على العافيه تمنوا طول الاسفار
والكد في المعيشه كقول بني اسرايل ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من
بقلها الايه وكالنضر بن الحارث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر
علينا حجاره من السما فاجاب الله وقتل يوم بدر صبرا فلذلك هو لابد وا
في الدنيا ومزقوا كل ممزق وجعل بينهم وبين الشام فلواته مفاوز فيها يركبون
الرواحل ويتزودون الازواد وقراه العامه ربنا بالنصب على انه منادى مضاف
وهو منصوب لانه مفعول به لان معناه ناديت ودعوت باعد بين اسفارنا على
في اسفارهم وقرا ابن ابي ليلى وابو عمرو وابن محيصن وهشام عن ابن عامر ربنا بالرفع
على الدعا بعد من البعد النخاس باعد بعد واحد في العين كما تقول
قارب وقرب وقرا ابو صالح ومحمد بن الحنفيه وابو العاليه ونصر بن عاصم ويعقوب
وبيروي عن ابن عباس ربنا رفعا باعد بفتح العين والدال على الخبر تقديره
لقد باعد ربنا بين اسفارنا كان الله سبحانه يقول فربما لهم اسفارهم فقالوا ابدا
وبطرا لقد بوعدت علينا اسفارنا واختار هذه القراه ابو حاتم قال لانهم سالوا
طلبوا البعد وانما طلبوا اقرب من ذلك التعب بطرا وعجبا مما كانوا فيه
يعمه وعيسى بن عمر ويروي عن ابن عباس قال شكوا ان ربهم باعد بين اسفارهم
وقراه سعيد بن ابي الحسن اخو الحسن البصري ربنا باعد بين اسفارنا ورفع
بين بالفعل اي بعد ما بينها باسفارنا قرا ابو جعفر وابو اسحق قراه سادسه
مثل الذي قبلها في ضم العين الا ان بين منصوب على انه ظرف وتقديره في
العربيه بعد سيرنا بين اسفارنا قال النخاس وهذه القرات اذا
اختلفت معانيها لم يجز ان يقال احدها اجود من الاخرى كما لا يقال ذلك
في اخبار الاحاد اذا اختلفت معانيها ولكن خبرانهم دعوا ربهم ان يبعد بين

اسفارهم اشتراوبطرا وخبر عنهم انهم لما فعل ذلك بهم جزوا به وشكوا كما قال
ابن عباس وظلموا انفسهم اي بكبرهم فجعلناهم احاديث اي تحدث باخبارهم
وتقديره في العربيه ذوي احاديث ومزقناهم كل ممزق اي لما احقتهم ما احقتهم
تفرقوا وتمزقوا قال الشعبي فلحقت الانصار بيثرب وغسان بالشام
والازد بعمان وخزاعه بتهامه وكانت العرب تضرب بهم المثل فتقول تفرقوا
ايدي سبا وايادي سبا اي مذاهب سبا وطرقها ان في ذلك لايات لكل
صبار شكور الصبار الذي يصبر عن المعاصي وهو تكثير صابر يمدح هذا الاسم
فان اردت انه صبر على المعصيه لم يشتمل فيه صبار عن كذا شكور لنعمه وقد مضى
هذا المعنى في البقره

ولقد صدق عليهم ابليس ظنه

فيه اربع قرآات قرا ابو جعفر وشيبه ونافع وابو عمرو وابن كثير وابن عامر
ويروى عن مجاهد ولقد صدق بالتخفيف ابليس بالرفع ظنه بالنصب اي ظنه
قال الزجاج وهو على المصدر اي صدق ظنه فنصب على المصدر
او على الظرف وقال ابو علي ظنه نصب لانه مفعوله اي صدق الظن الذي
ظنه اذ قال لاقعدن لهم صراطك المستقيم وقال الاخفش يجوز تعديه الصدق
الى المفعول به ويقال صدق الحديث في الحديث وقرا ابن عباس وعكرمه بن وثاب
والاعمش وعاصم وحمزه والكسائي صدق بالتشديد ظنه بالنصب على وقوع
الفعل عليه قال مجاهد ظن ظنا فكان كما ظن فصدق ظنه وقرا ابو جعفر
ابن محمد وابو الحجاج صدق عليهم بالتخفيف ابليس بالنصب ظنه بالرفع قال ابو
حاتم لا وجه لهذه القراءه عندي والله اعلم وقد اجاز هذه القراءه ذكرها
الزجاج جعل الظن فاعل صدق وابليس مفعول به والمعنى ان ابليس سهل
له ظنه بهم شيا فصدق ظنه فكانه قال ولقد صدق عليهم ظن ابليس وعلى
متعلقه بصدق كما تقول صدقت عليك يا ظنتي بك ولا يتعلق بالظن
لانه لا يسوغ له تقدم شيء من صلته على الموصول والقراءه الرابعه ولقد صدق

عليهم ابليس ظنه برفع ابليس والظن مع التخفيف فيه صدق على ان يكون ظنه بدلا
من ابليس وهو بدل الاشتمال ثم قيل هذا في اهل سبا اي كفروا وعوقبوا وبدلوا بعد ان
كانوا مسلمين الا قوما امنوا برسلهم وقيل هذا عام ان صدق ابليس ظنه على الناس
كلهم الا من اطاع الله قاله مجاهد وقال الحسن لما اهبط ادم من الجنه ومعه
حوى وهبطا ابليس قال اما اذ اصبحت سلطانا على ابنائهما اصبحت فالذنب به اضعف
واضعف فكان ذلك ظنا من ابليس فانزل الله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقال
ابن عباس ان ابليس قال خلقت من نار وخلق ادم من طين وان ارتفع كل شيء لاحتنكن
ذريته الا قليلا فصدق ظنه عليهم وقال زيد بن اسلم ان ابليس قال يا رب
ارايت هولاء الذين كرمتهم وشرفتهم وفضلتهم علي لاحتنكنهم تاركين ظنا منه
فصدق عليهم ظنه فاتبعوه قال الحسن ما ضربهم بسوط ولا بعصى وانما
ظن ظنا فكان كما ظن بوسوسته الا فريقا من المومنين نصب على الاستثناء وفيه
قولان احدهما يراد به بعض المومنين لان كثيرا من المومنين يزيغ ويتابع ابليس في
بعض المعاصي ايضا سلم من المومنين ايضا الاوفيق وهم المعنيون بقوله ان
عبادي ليس لك عليهم سلطان قال ابن عباس فعنه انه قال لهم المومنون كلهم فمن
على هذا للتبعيض فان قيل كيف علم ابليس صدق ظنه وهو لا يعلم
الغيب قيل له لما نقله ذرية ادم ما نقذ عليه ظنه انه يتبعه مثل ذلك في ذريته
وقد وقع له تحقيق ما ظن وحوا اخر وهو ان ما احبيبه بقوله تعالى
واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك فاعطي القوه
والاستطاعه وظن انه يملكهم كلهم بذلك فلما راى انه قد تاب على ادم وانه سلموت
له نسل يتبعوته الى الجنه وقال ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك
من الغاوين فعلم ان له اتباعا ولادم اتباعا فظن ان اتباعه اكثر من اتباع ادم لما وضع
في يديه من سلطان الشهوات ووصفنا الشهوات في اجواف الادميين فخرج على ما ظن
حين نفخ فيهم وزين في اعينهم تلك الشهوات وصدهم اليها بالاماني
والخداع فصدق عليهم الظن الذي ظنه والله اعلم بالصواب واليه
المرجع والمآب

وما كان له عليهم من سلطان

اي لم يقتدروا على ان يكرهوهم على الكفر وما كان منه ادعاء وانتزاع والسلطان القوة وقيل الحجة اي لم تكن له عليهم حجة يستبنعهم بها وانما اتبعوه بهواهم وتقليدا وهو نفس الامر وحجة ودليل الا لنعلم من يؤمن بالاخرة من يشك فيها وهو الذي يقع به الثواب والعقاب فاما الغيب فقد علمه جل وعز ومذهب الفراء يكون المعنى الا لنعلم ذلك عندهم كما قال ابن نشر كاي على قولكم وزعمكم وليس قوله الا لنعلم بجواب وما كان لهم عليهم من سلطان فظاهره انه محمول على المعنى اي وما جعلنا له عليهم سلطانا الا لنعلم فالاستثناء منقطع اي لا سلطان له عليهم ولكنا ابتليناهم بوسوسته لنعلم ذلك بالمعنى لكن وقيل هو متصل اي وما كان له عليهم سلطان بمرة انما سلطناه عليهم ليتم الابتلاء وقيل كان رأيه وما كان له عليهم من سلطان كقوله كنتم خيامه وقيل لما انفصل طرف منه بقصة سبأ قال وما كان لابليس على اوكيد الكفار من سلطان وقيل ما كان له في قضائنا السابق من سلطان عليهم وقيل الا لنعلم الا لنظهر وهو كما يقول النار تحرق الحطب فيقول احد لاجل الحطب تحرق النار فيقول الاول تعال نجرب النار والحطب ايما يحرق صاحبه اي ليظهر ذلك وان كان معلوما لهم ذلك وقيل الا لنعلموا انتم وقيل اي لنعلم اولياءنا والملائكة كقوله انا محاربون الله ورسوله اي محاربون اولياء الله ورسوله وقيل اي ليميز لقوله ليميز الله الخبيث من الطيب وتذهب هذا المعنى في البقرة وغيرها وقرأ الزهري الا لنعلم على ما لم يسم فاعله وربك على كل شيء حفيظ اي انه عالم بكل شيء وقيل يحفظ كل شيء على العبد حتى يجازيه عليه قوله تعالى

قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله

اي هذا الذي ذكره من ذكر داود وسليمان وشيء من آثارهما قد تم فقل يا محمد لهؤلاء المشركين هل عندشركائكم قدرة على شيء من ذلك وهذا خطاب توبيخ فيه اصغار اي ادعوا الذين زعمتم انهم آلهة لكم من دون الله لتشفعكم اولتدفع عنكم ما قضاه الله عز وجل عليكم فانهم لا يملكون ذلك ولا يملكون مثقال حبة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما لهم منهم من ظهير اي ما لله من هؤلاء من معين على خلق الله شيء بل الله المتفرد بالانعام وهو الذي يعبد وعبادة غيره محال قوله تعالى ولا تنفع الشفاعة اي شفاعة الملائكة ومن عبدهم عنده اي عند الله الا لمن اذن له قرأه العامة بفتح الهمزة لذكر الله تعالى ولا وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي اذن بضم الهمزة على ما لم يسم فاعله والاذن هو لله جل وعز ويجوز ان يرجع الى الشافعين ويجوز ان يرجع الى المشفوع لهم حتى اذا فزع عن قلوبهم قال ابن عباس جلي عن قلوبهم الفزع ان قطر ياخذ ما فيها من الخوف مجاهد كشف عن قلوبهم الغطاء يوم القيمة اي ان الشفاعة لا تكون من احد سوى العبودية من دون الله من الملائكة والانبياء والاصنام الا ان الله يأذن للملائكة والانبياء في الشفاعة وهم على غاية الفزع من الله كما قال وهم من خشيته مشفقون والمعنى انه اذا اذن لهم في الشفاعة ورد عليهم كلام الله فزعوا لما يقترن بذلك كل من الاهوال والخوف ان يقع في تنفيذ ما اذن لهم فيه تقصيرا فاذا سري عنهم قالوا للملائكة فوقهم وهم الذين يوردون عليهم بالاذن ما قال ربكم اي ما اذا امر الله به فيقولون لهم قال الحق وهو ان اذن لكم في الشفاعة لمن ارتضى وهو العلي الكبير فله ان يحكم في عباده بما يشاء ثم يجوز ان يكون هذا اذنا لهم في الدنيا في شفاعة اقوام ويجوز ان يكون في الآخرة وفي الكلام اضمار اي ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له فيزعج لما ورد عليه من الاذن تفهيما لكلام الله جل وعز حتى اذا ذهب الفزع عن قلوبهم اجاب بالانقياد وقيل هذا الفزع يكون اليوم للملائكة في كل امر يأمر به الرب تعالى ان لا تشفع الشفاعة الا من الملائكة الذين هم اليوم يزعمون اليوم مطيعون لله تعالى دون الجمادات والشياطين وفي صحيح الترمذي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله امرا في السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كانها سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير قال والشياطين بعضهم فوق بعض قال حديث حسن صحيح وقال النواس بن سمعان قال النبي صلى الله عليه وسلم

ان الله اذا اراد ان يوحي بالامر تكلم بالوحي فحدث السموات صنة حيفة او رعد شديده
خوفا من الله تعالى فاذا سمع اهل السموات ذلك صعقوا وخروا لله سجدا فيكون اول من
يرفع راسه جبريل فيكلمه الله بما اراد ثم يمر جبريل بالملائكة كلما مر
بسماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل فيقول جبريل قال الحق وهو العلي الكبير فكل
فيقول كلهم كما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحي حيث امره الله تعالى وذكر البيهقي عن ابن
عباس في قوله تعالى حتى اذا فزع عن قلوبهم قال كان كلما بعثه الله من الجن بعد من السما
يستمعون منه الوحي وكان اذا نزل الوحي له صوت كما مر السلسلة على الصفوان
فلا ينزل على اهل سما الا صعقوا فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ما ذا قال ربكم قالوا الحق
وهو العلي الكبير ثم يقول بعضهم لبعض هذا او هذا فتسمعه الجن فيخبرون به
والكهنة يقولون لنا سمعنا كذا او كذا فنجدونه كذلك فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه
وسلم رجموا بالشهب فقالت العرب حين اخبرهم الجن بذلك هلك من في السما فجعل
صاحب الابل يخبر كل يوم بعيرا وصاحب البقر يخبر كل يوم بقره وصاحب الغنم شاه
حتى اسرعوا في اموالهم فقالت ثقيف وكانت اعقل العرب يا هؤلاء الناس امسكوا عليكم
اموالكم فانه لم يمت من في السما وان هذا لبيس باستاره الستة ونون وما لكم من النجوم
كما هي والشمس والقمر والليل والنهار فقال ابليس لقد حدث في الارض اليوم حدث
فاتوني من تربة كل ارض فاتوه بها فجعل يشمها فلما شم تربة مكة قال من ههنا جاء الحدث
فمضوا فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث وقد سمع هذا الجن مرفوعا مختصرا
في سوره الجن وسمع العقل ايضا في مسيره بالشهب واحراقها كما ويأتي في سور
الجن بيانه ذلك ان شاء الله تعالى وقيل انما يفزعون من قيام الساعه قال
الكلبي كان بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم فترة خمس مايه سنه وخمسون سنه
لا يجري فيها الرسل فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم كلم الله جبريل بالرساله فلما
سمعت الملائكه الكلام ظنوا انها الساعه فقامت فصعقوا اما سمعوا فلما اخذ
جبريل عليه السلام جعل لا يمر بكل سما فيكشف عنهم فيرفعون رؤسهم ويقول
بعضهم لبعض ما ذا قال ربكم فلم يدروا ما قال ولكنهم قالوا قال الحق وهو العلي
الكبير وذلك ان محمدا صلى الله عليه وسلم عند اهل السموات من اشراط الساعه

وقال الضحاك ان الملائكه المعقبات الذين يختلفون الى اهل الارض يكتبون
اعمالهم يرسلهم الرب تبارك وتعالى فاذا احدوا سمع لهم صوت شديد فيحسب الذين
هم اسفل من الملائكه انه من امر الساعه فيخرون سجدا ويصعقون حتى يعلموا انه
ليس من امر الساعه وهذا تنبيه من الله تعالى واخبار ان الملائكه مع اصطفائهم
ورفعتهم لا يمكنهم ان يشفعوا لاحد حتى يؤذن لهم فاذا اذن لهم وسمعوا صعقوا
وكان هذا حالهم فكيف تشفع الاصنام وكيف يأمل المشركون شفاعه ولا يعتزون بالاصنام
وقال الحسن وابن زيد ومجاهد حتى اذا كشف الفزع عن قلوب المشركين يوم الاخره
وعند نزول الموت اقامه بمحمد عليهم قالت الملائكه ماذا قال ربكم في الدنيا قالوا الحق
فاقروا حين لا ينفعهم الا قرار لو قالوا الحق وقرأ العامه فزع عن قلوبهم مسمى
الفاعل والفاعل ضمير يرجع الى اسم الله عز وجل ومن بناه للمفعول فاكتفى بالجار والمجرور في
موضع رفع والمعنى في القراءتين زيل الفزع عن قلوبهم حسب ما تقدم بيانه
وشكله اسكان الزاي وقرأ الحسن فزع مثل قرأة العامه
الا انه خفف الزاي والكاف والجار والمجرور في موضع رفع ايضا وهو كقولك انصرف عن
كذا الى كذا وكذا حتى فزع بالزاي والعين المعجمه والتخفيف عن مسمى الفاعل
روي عن الحسن ايضا وقتاده وروي عنهما ايضا بالنون والغين المعجمه مسمى الفاعل
والمعنى فزع الله قلوبهم اي كشف عنها اي فزعها عن الفزع والخوف وال ذلك
يرجع البنا للمفعول على هذه القراءه وعن الحسن ايضا فزع بفتح الفاء والزاي

قل من يرزقكم من السموات والارض

لما ذكر ان الشفاعه لا يملكون منها ذره مما يعتقد عليه الرب فرد ذلك وقال يا محمد
قل للمشركين من يرزقكم من السموات والارض اي من يخلق لكم هذه الارزاق
الخامسه من السموات والارض اي من المطر والشمس والقمر والنجوم وما فيها من
المنافع والارض اي الخارجه من الارض من الحب والنبات اي ان لم يكن ان يقولوا هذا
الفعل فقل انت لهم الله يفعل ذلك اي الذي يعلم ما في نفوسكم وان قالوا

الله برزقنا فقد تقرر الحجه فان الله ينبغي ان يعبد وانا واياكم لعلى هدى او في
ضلال مبين هذا على وجه الانصاف في الحجه كما يقول القائل احدنا كاذب وهو يعلم
انه صادق وان صاحبه كاذب والمعنى ما نحن وانتم على امر واحد بل على امرين
متضادين واحد الفريقين هو محق والاخر مبطل وهو انتم فلذلك يحسن فيه حسن تضمن
التكذيب والمعنى انتم الضالون حين اشركتم بالذي يرزقكم من السموات
والارض اوايانا معطوف على اسم ان ولو عطف على الموضع لكان وانتم وتكون على
هدى للاول لا غير واذا قلت اواياكم كان للثاني اولا وحذفت من الاول ويجوز
ان يكون للاول وهو احتيار المبرد ومعناه معين قول المستظهر لصاحبه على صحه
الوعيد والاستظهار بالحجه الواضحه احدنا كاذب وقد عرفنا المعين كما تقول انا
افعل كذا وتفعل انت كذا واحدنا بخطي وقد عرفنا انه المخطي فهذا انا واياكم
لعلى هدى او في ضلال مبين واوعدنا بضربين على بابها وليست للشك لكنها على
ما تستعمله العرب في مثل هذا الذي يعلم الخبر ان سيبين وهو عالم بالمعنى وقال ابو
عبيده والفراء بمعنى الواو وتقديره وانا على هدى وايانا في ضلال مبين وقال جرير

انقلب الفوارس ورياحا عدلت بهم طهيه والربابا

بعني انقلبه ورياحا وقال الاخر

فلما اشتد الحرب فينا تاملنا رياحا وربانا ٭

اي وربانا قوله تعالى قل لا تسئلون عما اجرمنا اي ما كنا
ولا نسئل نحن ايضا عما تعملون اي انا اقصد بما ادعوكم اليه ايجاز لكم لانه بيان
صدقكم وهذا كما قال لكم دينكم ولي دين والله يجازي الجميع فهذه اية مهادنه
ومتاركه وهي منسوخه باية السيف وقيل نزل هذا قبل اية السيف قوله تعالى
قل يجمع بيننا ربنا يريد يوم القيمه ثم نفتح بيننا بالحق اي يقضي فيبيننا الهندي
ويعاقب المحق وهو الفتاح اي القاضي بالحق العليم باحوال الخلق وهذا
كله منسوخ باية السيف قوله تعالى

قل اروني الذين الحقتم به شركاء

يكون اروني هنا من رويه القلب فيكون شركاء المفعول الثاني اي عرفوني هذه
الاصنام والاوثان التي جعلتموها شركاء لله عز وجل هل شاركت في خلق شيء
منها او اما هي والاقلام تعبدوها ويجوز ان يكون من رويه البصر فيكون شركاء حالا
كلا اي ليس الامر كما زعمتم وقيل ان كلا رد لجوابهم المحذوف كانه قال اروني
الذين الحقتم به شركاء قالوا هي الاصنام فقال كلا اي ليس له شركاء بل هو الله العزيز
الحكيم قوله تعالى وما ارسلناك الا كافه للناس بشيرا ونذيرا اي وما ارسلناك
الا للناس كافه اي عامه فقلب الكلام لتقديم وتاخير وقال الزجاج اي وما
ارسلناك الا جامعا للناس بالانذار والابلاغ والكافه بمعنى الجامع وقيل
المعنى كافا لهم عن الكفر وتدعوهم الى الاسلام والهاء للمبالغه
وقيل اي للاذاكافه فحذف المضاف اليه ما منع لين سن من ان يشد واعز تبليغك
اي ذا منع لهم من الكفر ومنه كفا الثوب لانه ضم طرفيه بشيرا اي بالجنه لمن اطاع ونذيرا
من النار لمن كفر ولكن اكثر الناس وهم المشركون وكانوا في ذلك الوقت اكثر من المؤمنين
عددا ويقولون متى هذا الوعد اي موعدكم لنا بقيام الساعه ان كنتم صادقين
فقال الله تعالى قل لكم ميعاد يوم لا تستاخرون عنه ساعه ولا تستقدمون
قال ابن عباس ثم اخبره والميعاد الميقات ويعني بهذا الميقات وقت البعث وقيل
وقت حضور الموت اي لكم قبل يوم القيامه وقت معين تموتون فيه فتعلمون
حقيقة قوله تعالى وقيل اراد بهذا اليوم يوم بدر لان ذلك اليوم كان ميقات
عذابهم في الدنيا وحكم الله تعالى واحبار الخيرون ميعاد يوم على ان يكون ميعاد
ابتداء ويوم بدله واخبركم واجاز الفراء ميعاد يوما يكون ظرفا وتكون الهاء
عنه يرجع الى يوم ولا يصح ميعاد يوم لانه حرف يغير تنوين واضافه يوم
الى ما بعده اذا افتدت الهاء عائده على اليوم لان ذلك يكون من اضافه الشيء الى
نفسه من اجل الهاء التي في الجمله ويجوز ذلك على ان تكون الهاء للميعاد لا للبعيد
قوله تعالى وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن
ولا بالذي بين يديه قال سعيد بن قتاده ولا بالذي بين يديه من الكتب
والانبياء عليهم السلام وقيل من الاخره وقال ابن جريج قبل ذلك انو جهل

ابن هشام وقيل ان اهل الكتاب قالوا للمشركين صفة محمد في كتابنا فسلوه فلما
سألوه وافق اهل الكتاب فقالوا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي يفسله من التوراة
والانجيل بل نكفر بالجميع وكانوا قبل ذلك يراجعون اهل الكتاب ويحتجون بقولهم
فظهر بهذا تناقضهم وقلة عقلهم ثم اخبر الله تعالى عن حالهم في مآلهم فقال ولو ترى يا محمد
اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يحبوسون للوقف الحساب يراجعون الكلام فيما
بينهم باللوم والعتاب يعبد الذين كانوا في الدنيا اخلاء ناصرين وحواب لو محذوف اي لرايت
امرا هايلا فصيعا ثم ذكر ابتدا جواب لو فقال يقول الذين استضعفوا وهم
الدنيا من الكافرين للذين استكبروا وهم القاده والرؤساء لولا انتم لكنا مؤمنين
اي عوينوتا واضلبتونا والفعه الفصيحه لولا انتم ومن العرب من يقول لولا لم حكاه
سيبويه يكون لولا بخفض المضمر ورفع المظهر بعدها بالابتدا ويحذف خبره
ومحمد بن يزيد يقول لا يجوز لولاكم لان المضمر في كان المظهر مرفوعا
بالاجماع وجايز ان يكون المضمر ايضا مرفوعا فقال الذين استكبروا للذين استضعفوا
انحن صددناكم عن الهدى هو استفهام بمعنى الانكار اي ما صددناكم عن الهدى
ولا اكرهناكم بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين اي مشركين مصرين على الكفر وقال
الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار المكر اصله في كلام العرب
الاحتيال والخديعه وقد ذكره بكر بن حماد وقال الاخفش فهو على تقدير
هذا مكر الليل والنهار قال النحاس والله اعلم بل مكركم في الليل والنهار
وقال قتاده بل مكركم بالليل والنهار صدنا فاضيف المكر اليهما لوقوعه
فيهما وهو كقولهم ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر فاضاف الاجل الى نفسه ثم قال
فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعه اذا كان الاجل لهم وهذا من قيل قولهم
ليله قايم ونهاره صايم قال الشاعر دلي مكركم الليل والنهار كما فقد
العرب نهاره صايم وليله قايم واستد جرير

لقد لقيتنا يا ام غيلان في السرى ونمت وما ليل المطي بنايم

واستد سيبويه نام ليل وتجلى همي اي لمن فيه نظيره والنهار
مبصر وقراته بل مكر الليل والنهار بتنوين مكر ونصب الليل والنهار

والتقدير بل مكركم في الليل والنهار فحذف وقرا سعيد بن جبير بل مكر بفتح الكاف
وشد الراء بمعنى الكرور وارتفاعه بالابتدا والخبر محذوف وتجوز ان يرتفع بفعل
مضمر دل عليه الخبر صددناكم كانهم لما قالوا لهم الخبر صددناكم عن الهدى قالوا بل
صدنا مكر الليل والنهار وروي عن سعيد بن جبير بل مكر الليل والنهار قال مر
الليل والنهار عليهم فغفلوا وقيل طول السلامه فيها كقوله فطال عليهم الامد
وقرا راشد بل مكر الليل والنهار بالنصب كما تقول رايته مقدم الحاج
وانما يجوز هذا فيما يعرف لو قلت رايته مقدم زيد لم يجز ذكره النحاس اذ
تامرونا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا اي اشباها واشتقاقها من نظر اذا قال
محمد بن زيد ند فلان اي مثله ويقال نديد واستد

اتيما تجعلون الي ندا وما تيم لذي حسب نديد

وقد جعل هذا في البره واسره النداما اي اطفرها وهو من الاضداد يكون بمعنى
الاخفا والابدا قال امرؤ القيس

تجاورت احراسا واهوال معشر علي حراص لو يسرون مقتلي

روي يسرون وقيل واسروا الندامه اي تبينت الندامه في اسرار وجوههم
وقيل الندامه لا تظهر وانما تظهر ما تولد منها حسب ما تقدم بيانه في سوره يس وال
عمران وقيل اظهارهم للندامه قولهم قولوا لما كره فلون من المومنين وقيل
اسروا فيما بينهم ولم يجهروا القولها واسروا الندامه وجعلت الاغلال في اعناق
الذين كفروا والاغلال جمع غل يقال في رقبته غل من حديد ومنه قيل للمراه السيه
الخلق علي قفل واصله ان الغل كان يكون من قد وعليه شعر فيقل وغلت يده
الي عنقه وقد غل فهو مغلول يقال لماله الوغل والغل ايضا والغله حراره العطش
وكذلك الغليل يقال منه غل الرجل يغل غللا فهو مغلول على ما لم يسم فاعله
عن الجوهري اي جعلنا الجوامع في اعناقهم يعني الاتباع والمتبوعين قيل لرءسا
هوله الفريقين وقيل يرجع الذين كفروا اليهم وتم الكلام عند قوله لما راوا
العذاب ثم ابتدا فقال وجعلت الاغلال بعد ذلك في اعناق سايرالكفار

هل يجزون الا ما كانوا يعملون في الدنيا

وما ارسلنا في قرية من نذير

الاموال ستزفوها الآية

قال قتادة اي اغنيا وها وروساوها وجبابرتها وقادة الرسل انا بما ارسلتم به كافرون وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا اي فضلنا عليكم بالاموال والاولاد ولو لم يكن ربكم راضيا بما نحن عليه من الدين والفضل لم يخولنا ذلك وما نحن بمعذبين لان من احسن اليه فلا يعذبه من ذا الذي عليم فيفهم وما احتجوا به من المعنى فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشا اي يوسعه ويقدر اي يقتر اي ان الله هو الذي يفاضل بين عباده في الارزاق امتحانا لهم فلا يدل شيء من ذلك على ما في العواقب فسعة الرزق في الدنيا لا تدل على سعادة الاخرة فلا تظنوا اموالكم ولا اولادكم تقربكم عندنا شيئا ولكن اكثر الناس لا يعلمون هذا لانهم لا يتأملون ثم قال تاكيدا وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى قال مجاهد اي قربا والزلفى القربة قال الاخفش اي ازلافا وهو اسم المصدر فيكون موضع قربى نصبا كانه قال بالتي يزلفكم عندنا زلفى وزعم الفراء ان التي تكون للاموال والاولاد جميعا وله قول اخر وهو مذهب ابي اسحق الزجاج تكون المعنى وما اموالكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ثم حذف خبر الاول لدلالة الثاني عليه ا واستثنى الفراء نحن بما عندنا وانت بما عندك فيه والراي يختلف

ويجوز في غير القرآن بالتي وباللاتي وباللواتي وبالذين وبالذين للاولاد خاصة اي لا يزيدكم الاموال عندنا رفعة ودرجة ولا تقربكم تقريبا الا من امن وعمل صالحا قال سعيد بن جبير الا من امن وعمل صالحا فمن بذه ماله وولده في الدنيا وروي ليتنعم بها طاوس انه كان يقول اللهم ارزقنا الايمان بالعمل وحببني المال والولد فاني سمعت بها وحين وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من امن وعمل صالحا قلت قول طاوس فيه نظر والمعنى والله اعلم

وحببني المال والولد المطيعين الذين لا خير فيهما فاما المال الصالح والولد الصالح للرجل الصالح فنعم هذا وقد مضى هذا في ال عمران ومريم والفرقان ومن في موضع نصب على الاستثنا المنقطع اي لكن من امن وعمل صالحا فايمانه وعمله يقربانه مني وزعم الزجاج انه في موضع نصب بالاستثنا على ليدل من الكاف والميم التي في يقربكم قال الخاسن وهذا القول غلط لان الكاف والميم للمخاطب فلا يجوز البدل ولو جاز هذا جاز ان تسأل زيدا وتقول اني احق هذا هو فقول الفراء ان الفراء لا يقول بدل لانه من لفظ الكوفيين ولكنه قوله يؤول الى ذلك وزعم ان مثله الا من اتى الله بقلب سليم يكون منصوبا بعينه ينتفع واحتجا بالقرآن يكون في موضع رفع بمعنى ما الامن امن كذا قال ولست اتصل بمعناه فاولئك لهم جزا الضعف بما عملوا يعني في قوله من جا بالحسنة فله عشر امثالها فالضعف الزيادة اي لهم جزا التضعيف وهو من باضافة المصدر الى المفعول وقيل لهم جزا الاضعاف فالضعف في معنى الجمع واضافة الجزا الى الضعف كاضافة الشيء الى نفسه نحو حق اليقين وصلة الاولى اي لهم الجزا المضعف للواحد عشرة الى ما يريد الله من الزيادة وهذه الاية استثنا من فضل العين على الفقه وقال محمد بن عبيان المؤذن اذا كان غنيا تقيا اتاه الله اجره من غير حساب هذه الاية وهم في الحرفات امنون قراه العامة جزا الضعف بالاضافة وقرا الزهري ويعقوب ونصر عن عاصم جزا منونا منصوبا الضعف رفعا اي فاولئك لهم الضعف على التاخير والتقديم وجزا الضعف على ان تجاوزا الضعف جزا الضعف مرفوعا الضعف بدل من جزا وقرا الجمهور ايضا في الحرفات على الجمع وهو اختيار ابي عبيد لقوله لنبوتهم من الجنة غرفا وقرا الاعمش ويحيى بن وثاب وحمزة وخلف الغرفة على التوحيد لقوله تعالى اولئك يجزون الغرفة والغرفة قد يراد بها اسم الجمع واسم الجنس قال ابن عباس هي من ياقوت وزبرجد وقد مضى بيان ذلك امنون من العذاب والموت والاسقام والاحزان والذين يسعون في اياتنا اي في ابطال ادلتنا وحجتنا وقايانا معاجزين معاندين محسبون

انهم يعوقونا بانفسهم فاولئك في العذاب محضرون اي في جهنم نخصرهم
لنزيانيه فيها

قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشا

من عباده ويقدر الايه

كررها تاكيدا وما انفقتم من شئ فهو يخلفه اي قل يا محمد لهؤلاء المغترين
بالاموال والاولاد ان الله يوسع على من يشا ويضيق على من يشا فلا تغتروا
بالاموال والاولاد بل انفقوها في طاعة الله فانما انفقتم في طاعة الله فهو
يخلفه وفيه اضمار اي فهو يخلفه عليكم يقال اخلف له واخلف عليه
اي يعطيكم خلفه وبدله وذلك البدل اما في الدنيا واما في الاخرة
وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم
تصبح العباد فيه الا وملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا
واعط ممسكا تلفا وفيه ايضا عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان الله قال لي انفق انفق عليك الحديث
وهذه اشارة الى الخلف في الدنيا مثل المنفق فيما اذا كان في طاعة الله وقد لا يكون
الخلف في الدنيا فيكون كالدعاء فيما تقدم سواء في الاجابة او التذكار والاخبار والاخبار
ههنا مثله في الاخرة مساه روى الدارقطني واحمد بن عدي عن عبد الحميد الهلالي
عن محمد بن المنكدر عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة
وما انفق الرجل على نفسه واهله كتب له صدقة وما وقى به الرجل عرضه فهو صدقة وما انفق
الرجل من نفقة فعلى الله خلفها الا ما كان من نفقة في بنيان او معصية قال عبد الحميد قلت لابي
ما وقى به عرضه قال يعطي الشاعر وذا اللسان عبد الحميد وثقه ابن معين قلت اما ما انفق في
معصية فلا خلاف انه غير مثاب عليه ولا مخلوف له واما البنيان فما كان منه ضروريا يكن
الانسان وتحفظه فذلك مخلوف عليه وما جاوز بنيانه ذلك فحفظ بيته

وستر عورته فقال صلى الله عليه وسلم ليس لابن ادم حق في سوى هذه الخصال
بيت يسكنه وثوب يواري عورته وجلف الخبز والماء وقد مضى هذا في الاعراف
مستوفى ولله الحمد قوله تعالى

وهو خير الرازقين

لما كان يقال في الانسان انه يرزق عياله والامير جنده قال وهو خير الرازقين
والرازق من المخلوقين يرزق لكن ذلك من مال يملك عليه ثم ينقطع والله تعالى
يرزق من خزائن لا تفنى ولا تتناهى ومن اخرج من عدم الى الوجود
فهو الرازق على الحقيقة كما قال ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين قوله تعالى

ويوم نحشرهم جميعا

هذا متصل بقوله ولو ترى اذ الظالمون موقوفون اي لو ترامم في هذا الحال
لرايت امرا فضيعا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد هو وامته ثم
قال ولو ترى ايضا ويوم نحشرهم جميعا العابدين والمعبودين اي
نجمعهم للحساب ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قال سعيد عن
قتادة هذا استفهام كقوله عز وجل يعيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين من دون الله قال الفراء معنى ان الملائكة صلوات الله عليهم
اذا اكذبتهم كان في ذلك تبكيت لمن لم يتوا استفهام توبيخ للعابدين قالوا سبحانك
اي ننزهك عما لا يليق بك انت ولينا من دونهم اي انت ربنا الذي نتولاه ونطيعه
ونعبده ونخلص له العبادة له بل كانوا يعبدون الجن اي يطيعون الشياطين فاعوانهم
في التفاسير ان جبريل قال له ابو مليح من خزاعة كانوا يعبدون الجن ويزعمون
ان الجن ثنت اي لهم وانهم ملائكة وانهم بنات الله وهو قوله وجعلوا بينه
وبين الجنة نسبا قوله تعالى

فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا

الخامس

اي شفاعته ونجاته ولا ضرا اي عنا بها هلاكا وقيل لانك للملائكه ادفع مزعم عبادتكم
تحذف المضاف ويقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون
يجوز ان يقول لهم والملائكه ذوقوا قوله تعالى

واذا تتلى عليهم اياتنا بينات

يعني القرآن قالوا ما هذا الا رجل يريد محمد صلى الله عليه وسلم ان يصدكم عما كان يعبد اباؤكم ما هذا الا افك مفترى يعنون القرآن اي ما هو الا كذب مختلق وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين قصارى قولهم انه سحر وتارة قالوا افك ويحتمل ان يكون منهم من قال سحر ومنهم من قال افك قوله تعالى

وما اتيناهم من كتب يدرسونها

اي لم يقرؤا في كتاب اوتوه بطلان ما جئتهم به واسعوه من رسول بعث اليهم كما قال ام اتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون فليس لتكذيبهم وجه يتشبث به ولا شبهه تعلق كما يقول اهل الكتاب فانهم كانوا مبطلين في اهل كتابهم وشرايعهم ومستندون الى رسل الله ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله تعالى وكذب الذين من قبلهم اي كذب قبلهم اقوام كانوا اشد من هؤلاء بطشا واكثر اموالا واولادا واوسع عيشا فاهلكناهم كثمود وعاد وما بلغوا اي بلغ اهل مكه معشار ما اتينا تلك الامم والمعشار والعشر سواء وقيل المعشار عشر العشر قال الجوهري ومعشار الشيء عشره ولا تقولون هذا في شيء سوى العشر وقيل ما بلغ الذين من قبلهم معشار شكر ما اعطيناهم حكاه الثعلبي وقيل ما اعطى الله قبلهم عشر ما اعطيناهم من العلم والبيان والحجة والبرهان قال ابن عباس فليس امه اعلم من امته ولا كتاب بين من كتابه وقيل المعشار هو عشر العشر والعشر عشر العشر فيكون جزءا من الف جزء الماوردي وهو الاظهر لان المراد به المبالغة في التقليل فلذلك جاء على فعيل فكيف كان تكذيب

اي عقابي في الامم وفيه محذوف تقديره فاهلكتهم فكيف كان نكير قوله تعالى

قل انما اعظكم بواحده

ثم الحجه على المشركين اي قل لهم يا محمد انما اعظكم اي اذكركم واحذركم سوء عاقبه ما انتم فيه اي بكلمه واحده متضمنه على جميع الكلام تعتضي نفي الشرك واثبات الاله قال مجاهد هي لا اله الا الله وهذا قول ابن عباس والسدي وعن مجاهد ايضا بطاعه الله وقيل بالقرآن لانه يجمع كل المواعظ وقيل تقديره بخصله واحده ثم بينها بقوله ان تقوموا لله مثنى وفرادى ويكون في موضع خفض على البدل من واحده او في موضع رفع على اضمار مبتدا اي هي ان تقوموا ومذهب الزجاج انها في موضع نصب لمعنى ان تقوموا وهذا القيام معناه القيام الى الطلب الحق لا القيام الذي هو ضد القعود وهو كما يقال قام فلان بامر كذا اي لوجه الله والتقريب اليه وكما قال تعالى وان تقوموا لليتامى بالقسط مثنى وفرادى وحيارى ومجتمعين قاله السدي وقيل منفردا برايه ومثنى وبالغيره وهذا قول ماثور وقال الفتيي ناظرا مع غيره ومفكرا في نفسه وكله متقارب ويحتمل ان المثنى عمل النهار والفرادى عمل الليل لانه زمان النهار معاش وفي الليل وحيد قال الماوردي وقيل انما قال مثنى وفرادى لان التفكر حجه الله على عباده وهو العقل فاوزعهم عقلا اوفرهم حظا منه فاذا كانوا فرادى كانت فكره واحده واذا كانوا مثنى تقابل الذهنان فنتايا من العلم لهما ما اضعف على الانفراد ثم يتفكروا ما يصاحبكم من جنه الوقف عند ابي حاتم وابن الانباري على ثم يتفكروا وقيل ليس هو توقف لان المعنى ثم يتفكروا على جهتين على صاحبكم كذبا او بامر منه او في احواله من فساد او احلفا الى احد ممن يدعي العلم بالسحر او تعلم الاقاصيص او قراءة الكتب او عرفتموه بالطمع في اموالكم او تقدرون على معارضته في سوره واحده فاذا عرضتم هذا الفكر صدقه فيما هذه المعانده ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الايه وانذر عشيرتك الاقربين ورهطك منهم المخلصين

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه فقالوا
من هذا الذي يهتف فقالوا محمد فاجتمعوا اليه فقال يا بني فلان يا بني
عبد مناف يا بني عبد المطلب فاجتمعوا اليه فقال ارايتكم لو اخبرتكم ان خيلا
تخرج بسفح هذا الجبل اكنتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير
لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب لعنه الله بتا لك اما جمعتنا الا
لهذا ثم قام فنزلت هذه الاية تبت يدا ابي لهب وقد تبت كذا قرا الاعمش الى
اخر السورة قوله تعالى

قل ما سالتكم من اجر

اي جعل عملي تبليغ الرسالة فهو لكم اي ذلك الجعل ان كنت سالتكموه ان
اجري الا على الله وهو على كل شئ شهيد اي رقيب وعالم وحاضر لاعمالكم
لا يخفى عليه شئ وهو مجازيكم على الجميع قوله تعالى قل ان ربي يقذف بالحق
اي يبين الحجة وينظمها قال قتادة يقول بالحق اي بالوحي وعنه الحق
القرآن وقال ابن عباس اي يقذف الباطل بالحق فيذهبه والغيوب وقد
قيل من عمر علام الغيوب على انه بدل اي قل ان ربي علام الغيوب يقذف بالحق
قال الزجاج والرفع من وجهين احدهما على الموضع لان الموضع موضع
رفع او على البدل مما في يقذف ○ النحاس ومن الرفع وجهان احدهما ان يكون
خبرا بعد خبر ويكون علي اضمار مبتدا وزعم الفراء ان الرفع في مثل هذا كثير
في كلام العرب اذا اتى بعد خبران ومثله ان ذلك لحق تخاصم اهل النار وقرا
الغيوب بالكسر كانه نعت للثلاث فالغيوب بالرفع والخفض كالقيوم والقيوم
بالنصب كالصبور وهو الامر الذي غاب عنك وخفي جدا قوله تعالى
قل جاء الحق قال سعيد بن المسيب عن قتادة يريد القرآن النحاس
والتقدير جاء الحق اي الكتاب الذي فيه البراهين بالحجج وما يبدئ
الباطل وقال قتادة الشيطان اي ما يخلق الشيطان احدا وما يعيد ثم
نفى ويجوز ان يكون استفهاما اي اي شئ اي جاء الحق فاي شئ بقي للباطل

حتى يعيده ويبديه اي فلم يبق منه شئ كقوله تعالى فهل ترى لهم من باقية
اي لا ترى قوله تعالى

قل ان ضللت فانما اضل على نفسي

وذلك ان الكفار قالوا ان كنت دينا ما يك فضللت فقال له قل يا محمد ان ضللت
كما تزعمون فانما اضل على نفسي وقراة العامة ضللت بفتح اللام وقرا يحيى بن وثاب
وعيره قل ان ضللت بكسر اللام وفتح الضاد من ضل والضلال والضلاله
ضد الرشاد وقد ضللت بفتح اللام اضل بكسر الضاد قال الله تعالى قل ان ضللت
فانما اضل على نفسي وهذه لغة نجد وهي الفصيحة واهل العالية يقولون
ضللت بالكسر اضل ايا ثم ضلالتي على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي
من الحكمة والبيان انه سميع قريب اي سميع لمن دعاه قريب الاجابة وقيل
وجه النظر قل ان ربي يقذف بالحق وبين الحجة وضلال من ضل لا يبطل
الحجة ولو ضللت لاضررت بنفسي لانه يبطل حجة الله واذا اهتديت
فذلك فضل الله اذ ثبتني على الحجة انه سميع قريب قوله تعالى

ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت

ذكر احوال الكفار في وقت ما يضطرون الى معرفة الحق والعين لو ترى اذ فزعوا
في الدنيا عند نزول الموت وغيره من بأس الله تعالى لهم روى معناه عن ابن عباس
○ احسن ما هو فزعهم في القبور من الصيحة وعنه ان ذلك الفزع انما هو اذا اخرجوا
من قبورهم وقاله قتادة وقال ابن مسعود اذا عاينوا عقاب الله جل جلاله
يوم القيامة الذي فزعهم يوم يدا خذ بنا عناقهم نبوئ الملائكة فلم
يستطيعوا فرارا ولا رجوعا الى التوبة ○ سعيد بن جبير هو الخسف الذي
يخسف به في البيداء فيفقد منهم رجل واحد فيخبر الناس بما لقي اصحابه فيفزعوا
فهذا فزعهم فلا فوت فلا نجاة قاله ابن عباس ○ مجاهد فلا مهرب
واخذوا من مكان قريب اي من القبور وقيل من حيث كانوا فهم من الله قريب

لا يعبدون عليه ولا يقوتونه وقال ابن عباس نزلت في ثمانية نفر كانوا يغيرون
في آخر زمان إلى الكعبة ليخربوها فكاد يد خلوت البيد لتخسفهم فنزلا خذ
من مكان قريب قلت وفي هذا المعنى خبر مرفوع عن حذيفة وقد
ذكرناه في كتابنا التذكرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر فتنة تكون
بين أهل المشرق والمغرب فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم السفياني من الوادي اليابس
في فوره ذلك حتى ينزل دمشق فيبعث بعثين جيش إلى المشرق وجيش إلى
المغرب فيصير الجيش نحو المشرق حتى ينزلوا بارض بابل في المدينة الملعونة
وهي البقعة الخبيثة يعني مدينة بغداد فيقتلون فيها ثلاثمائة ألف ويقبضون
أكثر من مائة امرأة ويقتلون بها ثلثمائة كبش من ولد العباس ثم يخرجون
متوجهين إلى الشام فتخرج راية هدى من الكوفة فتلحق ذلك الجيش منها على
ليلتين فيقتلونهم لا يفلت منهم مخبر ويستنقذون ما في أيديهم من السبي والغنائم
ويعلم جيشه الذي بالمدينة فيهربون هاربة ثلاثة أيام وليالها ثم يخرجون متوجهين
إلى مكة حتى إذا كانوا بالبيداء بعث الله جبريل عليه السلام فيقول يا جبريل اذهب
فأبدهم فيضربها برجله ضربة فيخسف الله بهم وذلك قوله تعالى ولو ترى إذ
فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب فلا يفلت منهم إلا رجلان أحدهما بشير
والآخر نذير وهما من جهينة وهذا جاء القول وعند جهينة الخبر اليقين
وقيل أخذوا من مكان قريب أي أخذتهم الرواجف من أماكنهم فلم يكن لهم
الفرار من الموت ومنا على قول من يقول معنى الفزع عندنا النزع ويجوز أن
يكون هنا من الفزع الذي هو بمعنى الإجابة يقال فزع الرجل أي
أجاب الصارخ الذي يستغيثه إذا نزل به خوف ومنه الخبر إذا فزعتم
للنصارانكم لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع ومن قال إياد
القتل والخسف والدنا كيوم بدر قال أخذوا من الدنا قبل أن يوخذوا
في الآخرة ومن قال هو فزع يوم القيمة قال أخذوا من بطن الأرض إلى ظهرها
وقيل أخذوا من مكان قريب في جهنم فالفوا فيها والله الموفق
للصواب وإليه الرجع والمآب

وقالوا آمنا به

أي بالقرآن وقال مجاهد بالله عز وجل وقال الحسن بالبعث وقالت فرقة
يا رسول عليه السلام وأنى لهم التناوش من مكان بعيد قال ابن عباس والضحاك
التناوش الرجعة أي يطلبون الرجعة إلى الدنيا ليؤمنوا وهيهات ذلك ومنه
قول الشاعر نمى أن تنوب إليه مي وليس إلى تناوشها سبيل
وقال السدي من التوبة أي يطلبونها وقد بعدت لأنها إنما تقبل التوبة
في الدنيا وقيل التناوش التناول وقال ابن السكيت يقال للرجل إذا تناول
رجلا ليأخذ برأسه وبجبته ناشه ينوشه نوشا وانتاش

ومن نوشي الحوض نوشا من علا ... نوشا به تقطع أجواف الفلا

أي تناولها الحوض من فوق وتشرب منه شربا كثيرا وتقطع بذلك السدب
فلوان فلا تحتاج إلى ما آخر قال ومنه المناوشة في القتال وذلك إذا
تدانى الفريقان ورجل نواش أي دو بطش والتناوش التناول والانتياش
مثله قال الراجز كانت نوشي الغنق انتياشا

وأنى لهم التناوش من مكان بعيد

يقول أنى لهم تناول الإيمان في الآخرة وقد كفروا به في الدنيا وقرأ أبو عمرو
والكسائي والأعمش وحمزة وأنى لهم التناوش بالهمز والتخاسر وأبو عبيدة
يستبعد هذه القراءة لأن التناوش بالهمز البعد فكيف يكون وأنى لهم البعد من
مكان بعيد قال أبو جعفر والقراءة جائزة حسنة ولها وجهان في
كلام العرب ولا يتناول لها هنا التناول البعيد فأحد الوجهين أن يكون
الأصل غير مهموز ثم همزت الواو لانكسار ما قبلها وذلك كثير في كلام العرب
وفي المصحف الذي نقلته الجماعة عن الجماعة وإذا الرسل أقتت والأصل
وقتت لأنه مشتق من الوقت لأنه يقال في جمع دار أدور والوجه الآخر
ذكره ابن إسحاق قال يكون مشتقا من النيش وهو الحركة في رفق أي من أين لهم

اكرمه فيما فتبعد يقال ما بنت اليتي اخذته من بعد والبنت التي اليلي قال
الجوهري التنائش بالهمز التأخر والتباعد وقد ناشت الامر اناشه نائشا
اخرته فاتناش يتنائل ويقال افعله بنتا اي اخيرا قال الشاعر

تمنى نبشت ان تكون اطاعني ويحدث من بعد الامور امورا

وقال اخر بعدت ديار كل من طلابك للعلي وحبيت بنتا بعدما فاتك الخير
وقال الفراء الهمز وترك الهمز في التنائش متقارب مثل ذممت للرجل
وذامته اي عبته من مكان بعيد اي من الاخرة رويا ابو اسحق النيمي عن ابن عباس
وانى لهم قالا لرد سالوه وليس بحين رد

وقد كذبوا به

اي بالله عز وجل وقيل محمد صلى الله عليه وسلم من قبل يعني في الدنيا ويقذفون
بالغيب العرب تقول لكل من تكلم بما لا يحققه هو يقذف ويرجم بالغيب من مكان
بعيد على جهة التمثيل لمن يرجم ولا يصيب اي يرمون بالظن فيقولون لا بعث
ولا نشور ولا جنة ولا نار رجما منهم بالظن قاله قتادة وقيل يقذفون اي يرمون
في القرآن فيقولون سحر وشعر واساطير الاولين وقيل في محمد فيقولون ساحر
شاعر كاهن مجنون من مكان بعيد ايمان الله يعلم ان يجلو اصدق محمد صلى الله عليه
وسلم وقيل الرد البعد عن القلب اي من مكان بعيد عن قلوبهم وقرأ مجاهد
ويقذفون بالغيب على مسمى الفاعل اي يرمون به وقيل يقذف به اليهم من يغويهم
ويضلهم

وحيل بينهم وبين ما يشتهون

كما فعل باشياعهم من قبل الاية

قيل حيل بينهم وبين النجاة من العذاب وقيل حيل بينهم وبين ما يشتهون
في الدنيا من اموالهم واهليهم ومذهب قتادة ان المعنى انهم كانوا يشتهون
لما راوا العذاب ان يقبل منهم ان يطيعوا الله عز وجل ويتوبوا الى ما يأمرهم
به الله فحيل بينهم وبين ذلك لانه ذلك لم يكن في الدنيا وقد قالت في ذلك في الاصل
حول فقلبت حركة الواو على الحاء فانقلبت ياء ثم حذفت حركتها لثقلها كما فعل
باشياعهم الاشياع جمع شيع وشيع جمع شيعة من قبل اي من مجيء من القرون
السالفة الكافرة انهم كانوا في شك اي من امر الرسل والبعث والجنة والنار
وقيل في الدين والتوحيد والمعنى واحد مريب اي يستراب به يقال
ارابني الرجل اي صار ذا ريبة فهو مريب ومن قال هو من الريب الذي هو الشك
والتهمة قال مما نقل شك مريب كما يقال عجب عجيب وشعر شاعر في التاكيد

سورة فاطر وهي مكية

في قول الجميع وهي خمس واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى

الحمد لله فاطر السموات والارض

يجوز في فاطر ثلاثة اوجه بالخفض على النعت والرفع على اضمار مبتدا والنصب على
المدح وحكى سيبويه الحمد لله اهل الحمد ولذا جاعل الملائكة والفاطر الخالق وقد
بيناه في سورة يوسف غير مرة فالفطر الشق عن الشيء يقال فطرته فانفطر وشقه
فطرا بالبعير طلع وهو بعير فاطر وفطر التي تشقق وسيف فطار
اي فيه تشقق قال عنترة

وسيفي كالعقيقة حين يحكي سلاجي لا افل ولا فطارا

والفطر الابتداء والاختراع قال ابن عباس ما كنت ادري ما فاطر السموات
والارض حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بير فقال احدهما انا فطرتها
اي انا ابتدانتها فالفطر حلب الناقة بالسبابة والابهام والمداد

بذكر السموات والارض العالم كله ونسبه هذا على ان من قدر على الابتداء قدر على الاعاده جاعل الملائكه لا يحوز فيه التنوين لانه لما مضى رسلا مفعول ثان وبقالا على اضمار فعل لان فاعلا اذا كان لما مضى لم يعمل فيه شيا واعماله على انه يستقبل حذف التنوين منه تخفيفا وقرا الضحاك الحمد لله فطر السموات والارض على الفعل الماضي جاعل الملائكه رسلا الرسل منهم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت صلوات الله عليهم اجمعين وقيل الحسن جاعل الملائكه بالرفع وقرا خليد بن سليط جعل الملائكه وكله ظاهر اولي اجنحه نعت اي اصحابا جنحه مثنى وثلاث ورباع اي اثنين اثنين وثلاثه ثلاثه واربعه اربعه قال قتاده بعضهم له جناحان وبعضهم ثلاثه وبعضهم اربعه ينزل بها من السما الى الارض ويعرجون من الارض الى السما وفي مسيره كذا في وقت واحد اي جعلهم رسلا قال يحيى بن سلام الب الانبيا وقال السدي الى العباد برحمه او نقمه وفي صحيح مسلم عن عبد الله ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم راى جبريل عليه السلام له ستمايه جناح وعن الزهري ان جبريل عليه السلام قال له يا محمد لو رايت اسرافيل لرايت احد عشر الف جناح منها جناح بالمشرق وجناح بالمغرب وان العرش لعلى كاهله وانه ليتضاءل العظمه لله حتى يعود مثل الوصع والوصع العصفور الصغير حتى ما يحمل عرش ربك الا عظمته واولوا اسم جمع لذو وكان هو الا اسم جمع او نظيرها في الممكنه المحاضر لخلقه وقد مضى الكلام في مثنى وثلاث ورباع في النسا وانه غير منصرف يزيد في الخلق ما يشا اي في اجنحه الملائكه ما يشا وقال الزهري وابن جريج يعني حسن الصوت وقد مضى الكلام فيه في مقدمه الكتاب وقال الهيثم الهاروني رايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال يا ابا الهيثم الذي زين القرآن بصوتك جزاك الله خيرا وقال قتاده يزيد في الخلق ما يشا الملاحه في العينين والحسن في الانف والحلاوه في الفم وقيل الخط الحسن وقال ابن هاجر الكلاعي قال النبي صلى الله عليه وسلم الخط الحسن يزيد الكلام وضوحا وقيل الوجه الحسن وفي الخبر في هذه الايه هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن ذكره القشيري وذكر النقاش هو الشعر الجعد وقيل العقل والتمييز وقيل العلم والصنايع ان الله على كل شي قدير من الزياده والنقصان وقال الزمخشري والايه مطلقه تتناول كل زياده في الخلق من طول قامه واعتدال صوره وتمام في الاعضا وقوه في البطش وخصافه في العقل وحذاقه في اليدين وخفه في القلب وسماحه في النفس وذلاقه في اللسان ولباقه في التكلم وحسن مساقه في مزاوله الامور وما اشبه ذلك مما لا يحيط به وصف واصف

ما يفتح الله للناس من رحمه فلا ممسك لها

واجاز النحويون في غير القرآن فلا ممسك له على لفظ ما ولها على المعنى واجاز وما يمسك فلا مرسل لها واجاز وا ما يفتح الله للناس من رحمه بالرفع يكون ما بمعنى الذي اي فالذي يفتحه الله للناس من رحمه فلا يقدر على ارساله غيره الله وقيل ما يتهيا من مطر او رزق فلا يقدر احد ان يمسكه وما يمسك من ذلك فلا يقدر احد على ان يرسله وقيل هو الدعا قاله الضحاك وقال ابن عباس من توبه وقيل من توفيق وهدايه قلت لفظ الرحمه يجمع ذلك اذ هي منكره للاشاعه والابهام فهي متناوله لكل رحمه على البدل لهو عام في جميع ما ذكر وفي الموطا ملك انه بلغه ان ابا هريره كان يقول اذا اصبح وقد مطرنا الناس مطرنا بنو الفتح ثم يتلو هذه الايه ما يفتح الله للناس من رحمه الايه وهو العزيز الحكيم تقدم

يا ايها الناس اذكروا نعمه الله عليكم

يعني منا الذكر الشكر هل من خالق غير الله يجوز في غير القرآن الرفع والنصب والخفض فالرفع من وجهين احدهما يعني هل من خالق الا الله والوجه الثاني ان يكون نعتا على الموضع لان المعنى هل خالق غير الله ومن زايده والنصب على الاستثنا والخفض على اللفظ قال حميد الطويل قلت للحسن من خلق

الشر فقال سبحان الله هل من خالق غير الله جل جلاله خلق الخير والشر وقرا
حمزه والكسائي هل من خالق غير الله بالخفض الباقون بالرفع يرزقكم من
السما والارض اي بالنبات لا اله الا هو فاني تؤفكون من الافك بالفتح وهو الصرف
يقال ما افكك عن كذا اي صرفك عنه وقيل من الافك بالكسر وهو الكذب
ومرجع هذا ايضا الى ما تقدم لانه قول يصرف عن الصدق والصواب اي من
اين يقع لكم التكذيب بتوحيد الله والايه حجه على القدريه لانه نفى خالقا
غير الله وهم يثبتون معه خالقين على ما تقدم في غير موضع قوله تعالى
وان يكذبوك يعني كفار مكه فقد كذبت رسل من قبلك يعزي نبيه ويسليه
صلى الله عليه واله وسلم وليتاسى بمن قبله في الصبر والى الله ترجع الامور
قرا الاعرج والحسن ويعقوب وابن عامر وابو حيوه وابن محيصن وحميد
والاعمش وحمزه ويحيى والكسائي وخلف بفتح التا على انه مسمى الفاعل واختاره
ابو عبيد لقوله تعالى الا الى الله تصير الامور للباقون يرجع على الفعل المجهول
قوله تعالى

يا ايها الناس ان وعد الله حق

وهذا وعظ للمكذبين للرسول بعد ايضاح الدليل على صحه قوله اي البعث والثواب
والعقاب حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا قال سعيد بن جبير غرور الحياه الدنيا
ان يشتغل الانسان بنعيمها ولذاتها من عمل الاخره حتى يقول يا ليتني قدمت لحياتي
ولا يغرنكم بالله الغرور قال ابن السكيت وابو حاتم الغرور الشيطان
وغرور جمع غر وغر مصدر ويكون الغرور مصدرا وهو بعيد عند غيره الى اسمع
لان غر رباعيه متعد والمصدر المتعدي انما هو على فعل نحو غرسه غرسا الا ان
اشياء يسيره جيئت على فعول قالوا لزمه لزوما ودفكه الرض هوكا فاما ما جيئ
الحرف فاحسن ما قيل فيه ما قال سعيد بن جبير الغرور بالله ان يقول الانسان
يعمل بالمعاصي ثم تمنى على الله المغفره وقرا العامه الغرور وهو الشيطان

اي لا يغرنكم بوساوسه في انه يتجاوز عنكم تفضلكم وقرا ابو حيوه وابو سماك
العدوي ومحمد بن السميفع الغرور بفتح الغين وهو الباطل اي لا يغرنكم الباطل وقال
ابن السكيت الغرور بالضم ما اغتررت به من متاع الدنيا قال الزجاج ويجوز
ان يكون الغرور جمع غار مثل قاعد وقعود الذي يخترق او مصدر غره كالندم
والهول الذي يخالس او جمع غر او تشبيه بفعولهم نهكه المرض نهوكا ولزمه لزوما
قوله تعالى

ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا

اي فعادوه ولا تطيعوه وبدلكم على عداوته اخراجه اباكم من الجنه وصيانه لخلالكم
في قوله ولاضلنهم ولامنينهم الايه وقوله ولاقعدن لهم صراطك المستقيم
ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم الايه فاخبرنا عز وجل ان الشيطان لنا عدو
مبين وافتض علينا فضته وما فعل بابينا ادم صلوات الله عليه وكيف
استذب لعداوتنا وغرورنا من قبل وجودنا وبعده ونحن مع ذلك نقاله ونطيعه
فيما يريد منا فيما فيه هلاكنا وكان الفضيل بن عياض يقول يا كذاب يا
مفتري اتق الله ولا تنسب الشيطان في العلانيه وانت صديقه في السر وقال
ابن السماك يا عجبا لمن عصى المحسن بعد معرفته باحسانه واطاع اللعين بعد
معرفته بعداوته وقد بين هذا المعين في البقره مجردا وعدد في قوله ان الشيطان
لكم عدو يجوز ان يكون بمعنى عاد فيثنى ويجمع ويونث فيكون بمعنى النسب
فيكون موحدا بكل حال قال الله جل وعز فانهم عدو لي وقال الموبخ على هذا ايضا
عدو قال النحاس فاما قول بعض النحويين ان الواو حقيقه فجائز
يا ايها فحذفوا الواو وحرف جلد الماء عواحزبه ليكونوا من اصحاب السعير
فهذه عداوته الذين كفروا لهم عذاب شديد يكون الذين بدلا من
حزبه فيكون في موضع نصب او يكون بدلا من الواو فيكون في موضع رفع
وقول رابع وهو احسنها يكون في موضع رفع بالابتدا ويكون خبره

لهم عذاب شديد وكانه صيحة نزيح حال موافقته ومخالفته ويكون الكلام
قد تم في قوله من اصحاب السعير ثم ابتدأ فقال الذين كفروا لهم عذاب شديد
والذين امنوا وعملوا الصالحات في موضع رفع بالابتدا ايضا وخبره لهم مغفرة
اي لذنوبهم واجر كبير هو الجنة

افمن زين له سوء عمله فراه حسنا

فلا تذهب نفسك عليهم حسرات

قال ومنها كلام عربي ظريف لا يعرفه الا قليل وذكره الزمخشري عن الزجاج
قال المحاسن والذي قاله الكسائي احسن مما قيل فيه لما ذكره من الدلالة على
المحذوف والمعنى ان الله عز وجل نبيه عن شدة الاغتمام بهم والحزن عليهم
كما قال عز وجل فلعلك باخع نفسك قال اهل التفسير قال نصر بن علي
سألت الاصمعي عن قول النبي صلى الله عليه وسلم في اهل اليمن هم ارق افئدة واليخ طاعة
ما معنى اليخ فقلت له ان اهل التفسير يحملونه على هدو غيره يقولون في قول الله عز وجل
لعلك باخع نفسك معناه قاتل نفسك فقال هو ذاك بعينه كانه من شدة النصح
لهم قاتل نفسه وقال ابن الفضل فيه تقديم وتاخير مجازه افمن زين له سوء عمله
فراه حسنا فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فيكل
الجواب محذوف والمعنى افمن زين له سوء عمله كمن هدي ويكون دليلا على هذا
المحذوف فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقرا زيد بن القعقاع فلا تذهب
نفسك وفيمن زين له سوء عمله اربعة اقوال احدها انهم اليهود والنصارى
والمجوس قاله ابو قلابة ويكون سوء عمله معاندة الرسول الثاني انهم الخوارج
رواه عمر بن القاسم فيكون سوء عمله تخريبات وويل الثالث للشيطان قاله
الحسن ويكون سوء عمله الاصوات الرابع كفار قريش قاله الكلبي ويكون سوء عمله الشرك
وقال انها نزلت في العاص بن وائل السهمي والاسود بن المطلب وقال غيره
نزلت في ابي جهل بن هشام فراه حسنا ابصوابا قاله الكلبي وقيل جميلا

قلت والقول بان المراد كفار قريش الهمز الافعال لقوله تعالى ليس عليك هداهم
وقوله فلا يحزنك الذين يسارعون في الكفر وقوله فلعلك باخع نفسك على اثارهم
ان لم يؤمنوا بهذا الحديث وقوله فلعلك باخع نفسك الا يكونوا مومنين
وقوله في هذه الاية فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وهذا ظاهر بين لا يدفع
تاسفك على عدم ايمانهم على كفرهم فان الله اعلم وهذه الاية ترد على القدرية
قوله على ما تقدم اي فمن زين له سوء عمله فراه حسنا تريد ان هذه واذا
ذلك بان الله اليه والذي اليك هو التبليغ وقرا ابو جعفر وشيبة وابن
محيصن فلا تذهب بضم التا وكسر الهاء نفسُ نصبا على المفعول والعينات
متقاربان حسرات مفعول منصوب من اجله اي فلا تذهب نفسك للحسرات
وعليهم صلة لتذهب كما تقول هلك عليه حبا ومات حزنا وهو بيان للمتحسر
عليه ولا يجوز ان يتعلق بالحسرات لان المصدر لا تتقدم عليه صلته ويجوز
ان يكون حالا كان لكمتي صارت حسرات لفظ الخبر كما قال جرير

مشق الهواجر لحمهن مع السرى حتى ذهبن كلاكلا وصدورا

يريد رجعن كلاكلا وصدورا اي لم يبق الا كلاكل وصدور فما بعده قول الاخر

فبلى اثم نسا قط بيتي حسرات وذكرهم لي سقام

او مصدر ان الله عليم بما يصنعون

والله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا

فسقناه الى بلد ميت الاية

وميت واحد وكذا بينه وبينه هذا قول الكوفيين وقال محمد
ابن يزيد هذا قول البصريين لم يستثن احدا فاستدل على ذلك بيت لابيد
قاطعه وانشد ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميت الاحياء
انما الميت من يعيش كئيبا كاسفا باله قليل الرجاء
قال فهل بين ميت وميت فرق فاستحسن

هيون لبيوت ابيار بين بير سواس مكرمه آبنا ابيار
قال فقتا جمعوا عمل ان هيون واحد وكذا مين ومئت وسيد وسيد
وقال فسقناه بعد ان قال الله الذي ارسل الرياح وهو مزاب تكوين
الخطاب وقال ابو عبيده سيبه فسوقه لانه قال فتثير سحابا ٥ الزمخشري
فان قلت لم جاز فيثير على المضارعه دون ما قبله وما بعده قلت
ليحكي الحال التي يقع فيها اثاره الرياح السحاب واستحضر تلك الصوره البديعه
الدالة على القدره الربانيه وهكذا يفعلون تفعل فيه نوع تيتير وخصوصيه
بحال يستغرب او يهم المخاطب او غير ذلك كما قال تابط شرا

ثاني فتلقيت العقل هوي يشبهكا تعجيفه صحجحان
فاضربها بلا دهش فخرت صريعا لليدين وللجران

لانه قصد ان يصور لقومه التي تشجع فيها بزعمه على ضرب العقل كانه
يحدثهم اياها ويطلعهم على كنهها مشاهده للتعجب من جراته على كل هول
وثباته عند كل شده وكذلك سوق السحاب الى البلد الميت لما كانا من الدلايل
على القدره الباهره قيل فسقنا واجبينا معدولا بهما عن لفظ الغيبه الذي هو
ادخل في الاختصاص وادل عليه وقراه العامه الرياح وقرا ابن محيصن وابن
كثير والاعمش وحمزه والكسايي والنخعي توجيدا وقد مضى بيان
هذه الايه والكلام فيها سنوفي كذلك النشور اي كذلك تخيون بعد ما منتم
من نشر الاسباب نشورا فالكاف في محل الرفع اي مثل احيا الموات
نشر الموات وعن ابي بن العقيلي قال قلت يا رسول الله كيف يجمع الله الموتى
وما ايه ذلك في خلقه قال اما مررت بوادي اهلك ممحلا ثم مررت به تهتز
خضرا قلت نعم يا رسول الله قال فذلكم يحيي الله الموتى وتلك ايته في خلقه
وقد ذكرنا هذا الجزء الاعراف مستوفى

من كان يريد العزه فان العزه لله جميعا

محرم من هنا الى قوله
فرس قال لقد طلك بسوال
تحرك الدواهم

بحر طويل
ونصف

التقدير عند الفراء من كان يريد العزه وكذا قال غيره من اهل العلم اي من كان
يريد بعبادته العزه التي لا تذله من
عزه اذا كانت تؤدي الى ذله فاما هي
تعرض الذله والعزه التي لا تذل سميا لله عز وجل جميعا منصوب على الحال وقد الزجاج
معناه من كان يريد بعبادته الله جل وعز العزه والعزه له سبحانه فان الله جل
وعز يعزه في الاخره والدنيا قلت وهذا حسن ويرجع مرفوعا على ما يأتي في نفسه
العزه جميعا ظاهر هذا ايأس لما سمعين من عزته وتقريعهم انه ما وجب له من ذلك وهو
المفهوم من قوله الحق في يونس فلا يحزنك قولهم ان العزه لله وتحمل ان يريد سبحانه ان
يبينه دون الافتقار والمهم من اين تنال العزه ومن اين تستحق فيكون الالف واللام للاستغراق
وهو المفهوم من اية هذه السوره فمن طلب العزه من الله وصدق في طلبها بافتقار وذل وسكون
وخضوع وجدها عنده ان شاء الله عز موعوده لا محجوبه قال صلى الله عليه وسلم من تواضع لله رفعه الله
ومن طلبها في غيره وكله الله الى من طلبها عنده وقد ذكر قوما طلبوا العزه عند من سواه فقال
الذين تتخذون الكافرين اولياء من دون المومنين ابتغون عندهم العزه فان العزه لله جميعا
فانسل ضرحا لا اشكل فيه ان العزه لله يعز بها من يشاء ويذل من يشاء وقال صلى الله عليه وسلم مخصص
لقوله من كان يريد العزه فلله العزه جميعا من اراد عز الدارين فليطع العزيز وهذا معنى
قول الزجاج ولقد احسن من قال

واذا تذللت الرقاب تواضعا منا اليك فعزها في ذلها
من كان يريد العزه ليال الفوز الاكبر يدخل دار العزه فلله العزه فليقصد بالذله
اي لله سبحانه والاعتزاز به فانما اعتز بالعبيد اذله الله ومن اعتز بالله اعزه الله